

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر الا اولم الا لاياب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون اقوال فينبهون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الخميس ٣٠ رجب ١٣٢٦ - ٢٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨ ﴾

فَتَاوَى الْمُبَانِي

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وورعنا قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك للمثل هذا . ولن نفي عن سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الرابطة عند النقشبندية وطاعة المرید لشیخه ﴾

(س ١٥) من ع . س . ط . في سنغافورة

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » المنير بمصر قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الايام بين مجلة « الامام » بسنغافورة ومن يثق بها وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة وأرباب السلوك وذلك بسبب السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه ولأن المنار هنا له اعتبار عند أولي الابصار أجبنا ان يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جهيزة صوت كل خطيب حيث قد امتلأت الاسماع تقيقا وأعمدة الجرائد سودا والقلوب شهبان فؤاد بسط الجواب وبيان الحق بأدبته ودحض الشبه الباطلة ولا بد ان تكونوا قد كتبتهم سابقا في هذا الصدد فترجوا ان لا نحيلونا على ما ليس بأيدينا أثا بكم الله .

أما السؤال المثير للجدال فهو : ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة النقشبندية المریدين ومعناها انه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد احضار صورة الشيخ في قلب المرید ثم بشرع في الذكر مع حضورها ويتركه اذا غفل عنها لانه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المرید نخلو قلبه من صورة الشيخ وان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) دليل ثم وقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) أمر بها أي مع التفسير المذكور الى نحو ذلك وجاء في سؤال آخر الى مجلة الامام ان من حق الشيخ ان يمنع المرید عن اجابة أبيه وأمه المسلمين إذ

نادیاه ولو كان في التزع وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس وقد وقع ذلك هنا ومات المريض حزينا . ويقولون ان الشيخ يربي التلميذ بذلك ومن السؤال أيضاً قولهم يجب على التلميذ متابعة شيخه بدون سؤال أو تردد ولا يجوز له ان يعترض على شيخه ولو رآه على فاحشة لانه كالنبي المرسل بالنسبة اليه ولا ينكر عليه ولا قبله وان عقوبة الانكار حينئذ الحرمان واوجبوا على المرید ان يعتقد انه لا يمكن ان يصل اليه مدد ولا خير من ربه الا بواسطة الشيخ لانه الوسيلة له . وللشيخ محلات للسلوك والتفنين يحشر اليها جملة من الرجال الشبان والنساء الشواب يجتمعون بها من غير محرمية بل جلهم جهال بالواجبات العينية وان الذكر وحده كاف للوصول والقرب من الله ولو ترك اكثر الفروض العينية . وقد اجابهم مجلة الامام بالمنع في الجميع وان تلك المبادي مما تبع ضلال الامة فيها من قبلهم من الامم وان بعضها فيه ميل الى جانب الشرك وقد نقل الامام ما قاله المفسرون في الرباط الشرعي والوسيلة الشرعية وجزم بان عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله وان من زاد فيها كمن قص منها مبتدع مردود عليه قوله وان الرابطة بالمعنى المذكور في السؤال لم يعلمها النبي احداً من اصحابه ولا علمها الصحابة احداً من التابعين وان تطهير القلوب من الصور والتماثيل ليس باولى من تطهير محلات العبادة منها . وانه يحرم متابعة الشيخ فيما نهى الله عنه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن شرع للعباد ما لم يأذن به الله فهو ضال مضل وان اعظم مرشد واعلم طيب ديني هو نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد اكمل الله به الدين فلا دواء ديني نافع الا وقد بينه لنا ومن لم تشف أمراض قلبه ادوية القرآن لاشفى الله مرضه ، وان النبي ارشدنا الى دواء الوسواس وهو ذكر الله ليخنس الشيطان فمن لم يخنس شيطان وسواسه بذكر الله فهو الكاذب ومستحيل ان يخنس لحضور صورة شيطان مثله في قلب موسوس متهوس وما في السؤال من الآداب هو ضد الادب في الاسلام ولم يؤدبنا به النبي ولم يعمل به الصحابة فعلى طالب الحق ان يلزم هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويجتنب البدع الى نحو ذلك .

واعترض اهل الطريقة بزعمهم ان الجنيد والجيلاني واضرابهما اوجدوا الرابطة بمعناها المشروح اعلاه والزام المريـد بما ذكر من الشروط وان لا يمنع المريـد الشيخ اي شيء اراده من نفسه او ماله سواء كان ذكرا ام انثى وان الامام واصحابه خرجوا عن الدين ومرفوا منه بانكارهم الى نحو ذلك

واناسأل من المنار المنير ابداء ما يراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي فانا الى ذلك محتاجون نعد الايام والساعات والله المسئول ان يديمكم نفعا للعباد وشجى في حلق اهل البدع والالحاد آمين
ع . س . ط

(س ١١) من س . س . في (كوالا لمفور) في جنوب ميلاي .

سيدي . تصدري سنغافوره مجلة علمية مليـة بلغة الملايو اسمها (الامام) يكتب فيها بعض رجال الاصلاح ومحرمها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه وهو من خيرة شبان هذه البلاد علما وعملا اشهر اخيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين . وفي المجلة باب للفتوي وقد سئل منذ اشهر عن الرابطة المعروفة عند اهل الطريقة النقشبندية وهي احضار المريـد بصورة الشيخ في القلب عند الذكر و بربطه من جملة الارادة التامة واستفادة علم الواقعات حتى يفني تصرفه في تصرف الشيخ أخذنا من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » . وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقوله « يا أيها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . فأفتى الامام بان الأمرين بفعل هذه الرابطة والعاملين بها ليس لهم مستند من الكتاب او السنة . وان الآيات التي جعلوها سندا لهم لا تدل على مرادهم البتة . ثم اورد اقوال المفسرين كالتلخيص والجلالين في الآيات المذكورة . الخ ما جاء في الجواب - ثم قال - اذا فاحضار المريـد صورة الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله . وهذا ما جاء الاسلام لمحوه . او ما معناه . ثم أمحى على اهل الطرق الآن ونسب كثيرا منهم للدجل والتضليل . واورد لنفي الرابطة آيتين آية . « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وآية « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . اه بالمعنى

فلما نشرت هذه الفتوى وهاته التصريحات التي لم يهد لأحد من قبل هذا الشاب التصريح بها قامت قيامة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ونسبوا للإمام ومحرمه تضليل عباد الله الصالحين واوهمو العامة ان الامام يسعى في هدم المعتقدات وهم الى الآن يحرصون العامة بهجر الامام وعدم الاطلاع فيه . اما الحقير وكثير من متخرجي المدارس الأميرية فبقينا متوقفين حتى يأتيانا من عند الاستاذ بيان شاف في هذه المسئلة التي نعلم ويعلم الكثير ان لكم التمدح المعلى في حلها والله يقيم لنا .

(ج) لو قلت إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسئلة لرجوت ان اكون صادقاً ، واذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يدعن له كل عاقل منصف ذلك بأنني قد ساكت الطريقة النقشبندية وعرفت الخفي والاخفي من لطائفها وأسرارها، وخضت بحر التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تقذف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت في الدين ، الى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت ان كل ما خالفه فهو ضلال ميين ، وأهدد للفصل في المسئلة تمهيدا يقرب المراد من طالب الحق فأقول قد عرفنا من طباع البشر واخلاقهم ان يأفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأنسوا به فاذا وجدوا لهم مخالفا فيه تعصبوا له ووجهوا قواهم الى استنباط ما يؤيده ويثبت به ويدفع عنه هجمات المخالفين لهم فيه لا يلتفتون في ذلك الى محرمي الحق واستبانة الصواب فيما تازعوا فيه . ولولا فسو هذا الخلق في الناس لما بقيت الاديان والمذاهب والأحزاب والشيع والحق في كل منها واحدا تعدد فيه ثم إن من اخلاق البشر أيضا ان لا يجتمعوا على شيء الا اذا اعتقدوا ان فيه خيرا لهم وقد يكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال او تجربة واختبار والبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكمال على هاتين القاعدتين نبي التعصب المذاهب والطرق في جميع المال وعليه يتخرج أخذ كثير من اهل الصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة النقشبندية وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في غيرها من الطرق وبكثير من القواعد والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاؤا بما لم يكن عليه السلف الصالح

يذهب الرجل المشهور بالصلاح او العار الى شيء يظهر له بحسب اجتهاده انه حق او خير فيتبعه آخرون عن استحسان لما استحسنه ومعرفة بدليله او عن محض التقليد فاذا خالفهم غيرهم فيه عدوهم متعصبين لهم تعصبا لما هم عليه فيقوى الخلاف ولا يزاون مختلفين الا من رحم ربك وعم الذين يحكمون الدليل ويتحرون به استبانة الحق فاذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه اتوا اليه مدعين، وقبلوه راضين مطمئنين اذا تدبرت هذا فاعلم ان أئمة الصوفية وكبراءهم ما وضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المساك طاعة عمياء مطلقة حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الاصول والقواعد الا عن علم وتجربة واختبار وصلوا بها الى مرتبة اليقين بان ذلك مفيد لهم وهو يصل الى الغاية التي يقصدونها بطريقتهم . واعني بالعلم هنا علم النفس من حيث ادراكها وشعورها ووجدانها وصفاتها واخلاقها . وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات وبنوا عليهم الالهي عليها وكل منهما اذا وجد في علمه ما يخالف ظواهر الشرع لجأ الى التطبيق بالتأويل والتماس ما يؤيده من القرآن العزيز والحديث الشريف وقد يتحمل لذلك ويتكلف اذا اعترض عليه . كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا ان الافلا : التسعة في الهيئة اليونانية هي السموات والكرسي والعرش وكذلك فعل بعض اهل الطريق فيما ذكر في السؤال وما لم يذكر فيه من تأويل الآيات التي زعموا انها تدل على مشروعيتها ما يسمونه الرابطة والتوجه ولا دليل في شيء منها على ذلك .

لو كان في الشرع دليل على ان ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة والتابعين بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به وتواتر عنه لانه ما يتعلق بجوهر الدين وهو عبادة الله ومعرفة فلا يقاس على ما يمكن ان يستنبط من القرآن من اسرار الكون التي لم تؤثر عن الصدر الأول

قال السيد الآلوسي القشبي في باب الاشارة من تفسير سورة الجمعة :
 « وذكر بعضهم ان قوله تعالى « ويزكيتهم » بعد قوله سبحانه « يتلو عليهم آياته »
 اشارة الى الاقضية القلبية ، بعد الاشارة الى الاقضية العقلية المسانية ، وقال بخصوصه
 للاولياء المرشدين فينبغي ان يكون مرادهم باقضية الانوار على قلوبهم حتى يتخلص قلوبهم

وتزكو نفوسهم ، وهو سر ما يقال له التوحيد عند السادة التشيندية ، وقالوا بالرابطة ليتبأ بركتها القلب لما يفاض عليه ، ولا اعلم لثبوت ذلك دليلا يعول عليه عن الشارع الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل ما يذكرونه في هذه المسألة ويعدونه دليلا لا يخلو من قاذح بل أكثر تمسكاتهم فيها تشبه التمسك بجبال القمر ، ولولا خوف الاضطراب لذكرتها مع ما فيها . ومع هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين - التوجه والرابطة - وقد شاهدت ذلك من فضل الله عز وجل . وأيضا لا أدعي الجزم بعدم دليل في نفس الأمر وفوق كل ذي علم عليم ، ولعل أول من أرشد اليها من السادة وجد فيها ما يعول عليه ، أو يقال يكفي للعمل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم ، وان كان للبحث فيه مجال ، ولأرباب القال في أمره مقال ، « اه

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع الواقف على ما قال أنصار هذه الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لها على دليل ، ولم يرضه شيء مما قيل ، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين ، وأرضاه ما وجد لها من الأثر في قلبه وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين ، فأتي قد وجدت أثر الرابطة والتوجه في نفسي : رأيت ما لم يراه معي الناظرون ، وسمعت ما لم يسمعه مثلي المصنفون ، وشممت ما لم يكن يشم الحاضرون ، ولا أحب شرح ذلك في المنار ولا الخوض في علله وأسبابه ، ما ذكرت هذه الإشارة الا ليعلم السالكون لهذه الطريقة بالفعل اني لست منها كما يقال في المثل « من جهل شيئا عاداه » وانما اتكلم فيها عن عرفان ، وأحكم فيها بسطان ،

أقول ان التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء ، ولا يجوز ان يعدا من العبادة المشروعة في الاسلام ، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بهما ، وانما أخشى ان يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة تقلداً من غير علم بالشرع ، وعرفان بحقيقة النفس ، أقرب الى الوثنية منهم الى التوحيد ، فيما يكون بين الشيخ والمريد ، بل أجزم بأن من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي ، وان كنت لا أجزئ رمي شخص معين به ، يمكن للمريد العارف بمقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تحيل شيخه

عند ذكر الله عز وجل بأن يتخيل أنه جالس في حضرته يراقب أدبه وحضور قلبه في ذكره، كما يذكر الله أو يقرأ القرآن أو العلم بحضرته، وهو يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد قبل العمل، وإنما يُصمد في ذلك إلى الله تعالى وحده. فمثل هذا الأيد مشركا لشيخه مع ربه، وهو لا يشغله تخيله لشيخه عن ذكره، إذ لا يستصحب الصورة المتخيلة عند تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مریده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغله وجوده عن فهم ما يقرأ. ومع هذا لا يجوز له أن يحكم بأن هذا الأمر مطلوب في الشرع بل يكفي بأن ينتفع بما جرت به من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع

وأما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون أن لشيوعهم سلطة غيبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق وأنهم بذلك وسطاء بين الله وخلقه يقرّبونهم إليه زلفى إذا أرادوا كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها. على أن المسألة أصلا يعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المتوهمين عن تجربة ووجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشرعية، ويعلم العارف المحقق أنه لا خلاف في الفعل، ولا منشأ للضلال إلا الجهل

قد جرب أهل الطريقة أن يتوجهوا بهمتهم وأرادتهم إلى بعض شيوعهم الصالحين أو إلى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين أن تتصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة ما فيجدوا لذلك في نفوسهم أمرا حقيقيا لا يمكن لأحد أن يكابرهم فيه كما لا يكابر أحد ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الغم والحزن. فإذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشرعية أنه مخالف لها فإنه يشك في حقيقة الشرعية ولا يشك فيما هو فيه إلا أن يجمع له بينهما. ومثل ذلك قالوا إن سالك الطريق عرضة للزيف والكفر إذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع فيبين له في مثل هذه المسألة أن هذا الأثر الذي يراه في نفسه من اتوجه هو أثر طبيعي له ليس من الخوارق ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون إلا لله وحده وإذا رآه مرتقيا في سلوكه يبين له أن براهمة الهند يعرفون التوجه والرابطة ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية، التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص

الروحانية ، ولكنهم في توجههم وربطهم دون السادة الصوفية ، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها ، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها ، وهما عند الصوفية من الوسائل التي يعرفون بها نفوسهم ، ويخرجون منها الى ان يصلوا الى معرفة ربهم ، فالاشتغال بها كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبخار والكهرباء والضوء فان كان يقصد بذلك معرفة هذه الاشياء لذاتها مما يتفجع به في هذه الحياة المادية كان مثله كتل البرهي في التوجه والرابطة لا يزيد عن كونه عالما ماديا ، وان كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه واسراره في خلقه كان مثله كتل الصوفي في التوجه والرابطة وصار عالما ربانيا ، فالامور بالمقاصد والارادات ، كما ينال ذلك في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات ، اذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو المارفين من الصوفية تبين لك ان مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس وليست بمجد ذاتها من الدين فيستدل عليها بالآيات والاحاديث ، وان علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالارادة طريقا لمعرفة الله تعالى وبالقصد والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك . والاصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل (٤١ : ٥٣) سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد ٥٤ الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شي محيط) ولما كان محيطا بكل شي كانت معرفة غاية كل شي موصلة اليه اذا قصد بها ذلك . ولذلك قالوا ان لله طرائق ، بعد انفس الخلائق ،

وهنا ثلاث مسائل لا بد من التصريح بها وايضاها ايضاها لاليس فيه . (احداها) ان كل علم حقيقي يمكن ان يكون عبادة محمودة في الاسلام اذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الاذى عن عباد الله وايصال الخير اليهم . ولكن العبادة في ذلك قلبية لا صورية فلا يقال ان علم الضوء والكهرباء وعمل الادوية وضع الآلات مما يكون مع حسن النية من العبادات المشروعة في ذاتها التي تلتبس لها الدلائل من الكتاب والسنة . ومثلها في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة

(المسألة الثانية) إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم أو مضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف وما عدا ذلك فهو بدعة والبدعة في الدين لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث واما البدعة التي تعتر بها الاحكام . ويقال ان منها ما هو حلال وما هو حرام ، فهي البدعة في أمور الدنيا عومها وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها » الخ (المسألة الثالثة) ان جميع ما يتدعه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والتهنية والاعمال يشترط في جوازه ان لا يكون مخالفا لما هو مقطوع به من أمور الدين . فاذا فرضنا ان التوجه والرابطة يتأفان ما هو مقطوع به في الاسلام فانه لا يحل للمسلم العمل بهما . وقد علمت انهما يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل المقلد ومن هذه المسألة أتقل بك الى القسم الثاني من الاستفتاء وهو ما يفرضون من طاعة المرید اشيخه ولو في المعصية ، وعدم انكاره عليه وان فعل المنكر واعتقاد انه لا يقبل له عمل ولا يصل اليه خبر الا بواسطة ، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه الى سؤال ولا جواب فان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة يحكم الفقهاء بردة منكره ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة أو أعمال الدنيا كالحرب وتديرها حتى يفسرها لهم ويفرق بين ما هو عن وحي وما هو عن سهو أو اجتهاد غيره أفضل منه . والصوفية المحققون لا يشترطون على المرید الا حسن الظن بشيخه والادب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو متقدم ، أو من تسانس الشاخصين ، ولا يقولون ان عبادته لا تقبل ولا يصل اليه خبر من غير الا بواسطة شيخه من يقولون انه لا يصل الى المقصد من سلوكه الا بمراتب شتى . وهذا صحيح في الغالب

ومن هذا ما ورد في الحديث « ان الجنيد والجيلاني وأضرابهما

« من سألهم عن شيء من أمور الدنيا فليقلوا » الخ

« من سألهم عن شيء من أمور الآخرة فليكفوا » الخ

« من سألهم عن شيء من أمور الدنيا فليقلوا » الخ

« من سألهم عن شيء من أمور الآخرة فليكفوا » الخ

الله ياذن الله وهذا الغلو في إجلال المشهورين هو سبب التقليد منشأ فساد كل دين
وإذا كانت المسألة بديهية عند كل من يعرف الاسلام ، فهي من أعظم
المشكلات عند جهة العوام ، لأن الكثيرين منهم لا يعرفون من الاسلام شيئاً له
سلطان على نفوسهم الا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ولا علاج لهؤلاء الا تعليمهم
ما هو الاسلام مع الحكمة التي يجمع فيها بين بيان الحق وبين الادب عند ذكر
أهل العلم والتقوى وبيان انهم غير معصومين من الخطأ وأن كثيراً مما ينقل عنهم
لا تصح نسبتة اليهم ، وأن افضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم اذا كان
مخالفاً للشرع ، لا مخالفة الشرع اذا ادعى بعض الناس انهم خالفوه ، فان ذلك تقديم
لهم على الله ورسوله ، ثم تحسين الظن ببيتهم وقصدتهم فيما اخطأ اجتهادهم فيه وان
المجتهد المخطئ منهم يؤجر على اجتهاده ولكن لا يتابع عليه ،

وانتي اذكر شاهداً واحداً من خطأ أئمة الصوفية والعلماء في اجتهادهم المتعلق
بالتصوف وهو خطأ الإمام الغزالي - الذي صرحت غير مرة بأن كتابه الاحياء كان
استاذي الاول الذي حجب الي العلم والتصوف - ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غباراً
من الشيوخ الصالحين المشهورين ومنه يعلم ان كل اجتهاد خالف الكتاب والسنة
فليس من الدين

كان الغزالي في سياحاته ايام تصوفه يزور المشاهد وقال ان قبور الانبياء والصالحين
تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة والتبرك ، فزاد على ما ورد في حديث الاذن
بزيارة القبور ما سماه التبرك . ويعني به ما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند
زيارة المشاهد من الخشوع والحال التي تزيده رغبة في الآخرة واعراضاً عن
الدنيا . واستدل على مشروعيتها هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالأبلة التي نحن
بصدد البحث فيها بمحدث « من بورك له في شيء فليزمه » كأنه يقول انا وجدنا
لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا ووجد ان الدين في قلوبنا وذلك هو
البركة لان معناها الزيادة وقد امرنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا فنحن
عاملون بأمره في ذلك

الخطأ في هذا من وجهين (أحدهما) ان الكلية ممنوعة فانا لو جعلنا للانبياء والصالحين صوراً وتماثيل تمثل لناظرها هيآتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين اليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرفة كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتماثيل في كنائسهم والغزالي لا يميز هذا في الاسلام ومثله بناء المشاهد للصالحين وتشريف قبورهم واتخاذ المساجد عليها نهي عنه كما نهي عن الصور والتماثيل فثبت انه لا يجوز لنا ان نحدث في الدين ما ليس منه وان كان إحداثه لغرض صحيح وقصد حسن بل تتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الامة وبجمل اجتهادنا في اختيار النافع لنا محصوراً فيما فوض الينا من الاستقلال بأمر ديننا .

(والوجه الثاني) ان الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمر الدنيا دون ما استدل به عليه من جعله في أمر الدين . إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الالسنه ولم يروه به أحد . وما ذكره السيوطي في الدرر المتثرة من عزوه الى ابن ماجه بعد ايراده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره وانما مراده ان ابن ماجه رواه بالمعنى وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير وهو « من أصاب من شيء فليزمه » وقال انه رواه عن أنس وعائشة . أقول وقد أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو « عن نافع قال كنت أجهز الى الشام والى مصر فجهزت الى العراق فأثيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها يا أم المؤمنين كنت أجهز الى الشام فجهزت الى العراق فقالت لاتفعل مالك ولتجرك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سبب الله لاحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له » تقول له مالك ولتجرك القديم الذي تعودت الرج منه حتى تتركه وتقدم على ما تجبئه ؟ الزم مارأيت الرج فيه . ومعلوم ان الاوامر والنواهي المتعلقة بأمر الدنيا كهذا الامر لا يمد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعاً وانما يسميه علماء الاصول أمر إرشاد يعتبر به ويعرض على المصلحة

ولا يقال إن حديث أنس عام لان عمومه في بابه على انه روي بلفظ « من

أصاب ما لا من شيء، كما هو ظاهر حاشية ابن ماجه، ولأن هناك دليلا يمنع جريانه في أمر الدين وهو ما ذكرناه في الوجه الأول. على ان في سنده فروة أبايونس عن هلال. قال الذهبي في الميزان مختلف فيه ليس بقوي وقد ضعفه الأزدي. ولم يكن الغزالي في أيام تصوفه وزمن تأليفه إلا حياء يبحث عن علل الحديث وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية ولذلك وقع في الاحياء كثير من الاحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة. وقد عكف على الحديث واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره وان اهتدى الى حقية مذهب السلف قبل الاتقطاع الى الحديث واذا كنا معشر المسلمين نعتقد ان الاولياء والصوفية غير معصومين من الخطأ وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم ونراهم يخالف بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض فهل يصح ان نجعل أقوالهم واعمالهم اصلا من اصول الدين وخلاصة القول ان التوجه والرابطة ليسا من عبادات الاسلام ولا دليل فيه على كونها مشروعين ومن جعلها عبادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد الذين قال الله فيهم (٤٢: ٢١) ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله في بيان أصول المحرمات (٧: ٣٣) وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وان ائمة الصوفية المحققين لا يجعلونها من الدين وانما يجعلها بعضهم من وسائل معرفة النفس فهما عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لما يسمونه استحضار الارواح وفي كل منها لا بد من الواسطة، وان المقلدين في الطريقة النقشبندية وغيرها عرضة للضلال والشرك الجلي أو الخفي اذا تمسكوا بهذه الظواهر التي لا يعرفون مراد العارفين بها فيجب عليهم اتقاء ذلك وإحكام عقيدة التوحيد التي منها ان الشيوخ الاولياء بل والانبياء لا يملكون لانفسهم ولا للناس ضرا ولا نفعا ولا هداية ولا غيرها كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة وأن يحسنوا الظن بمن قال بالرابطة من الصالحين وقد بينا مرادهم عن علم عرفان وهو سر من اسرار التصوف أفشيناه للضرورة والارشاد وان يعتقد مع تحسين الظن بهم أنهم ليسوا حجة في الدين وانهم لا يطاعون في معصية الله. ومن أراد ان يزداد نوراني هذه المباحث فلي نظر جزء الترجمة من تاريخ الاسناد الامام فان فيه بيانا لا يجده في كتاب

﴿ وجه المرأة الحرة ﴾

(س ١٢) من محمد رحيم افندي الشفي في « زويله باشي » بسمبر (روسيا)
 الفاضل الجليل والعالم النبيل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأغر
 دمت بالعزيز والكرامة. اما بعد فقد كثرت المباحثة والمناظرة في حق وجه الحرة في طرفنا
 فبعض العلماء قالوا ليس بفرض ستر وجه الحرة لحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه
 أبو داود وابن مردويه والبيهقي ان اسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله
 عليه وسلم وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض
 لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفه وبعضهم قالوا ان
 ستر وجه الحرة فرض وان لم تستره تكون آئمة عند الله لقول عائشة رضي الله عنها
 احدى عينها فحسبت لاندفاع الضرورة (كذا) أخذه القهستاني والزاهدي فالأموال
 من سيادتكم ان يبين الحق من الاقوال لرفع النزاع من بين الناس

(ج) حديث عائشة لا تنهض به الحججة فانه مرسل وفي اسناده من تكلم
 فيه والاصل في المسألة قوله تعالى (٢٤ : ٣١) ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها)
 فقد روي عن ابن عباس انه قال : الظاهر منها الكحل والخدان وفي رواية عنه :
 الزينة الظاهرة والوجه وكحل العين وخضاب الكف والخطام . وعن سعيد ابن
 جبير والضحاك : الوجه والكف . وعن عطاء : الكفان والوجه . وسئل الأوزاعي
 عن قوله تعالى « الا ما ظهر منها » فقال : الكفين والوجه ذكر ذلك كله ابن
 جرير في تفسيره وذكر أقوال من قالوا انها الثياب والحلي أو الوجه والثياب ثم قال :
 وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال غني بذلك الوجه والكفان يدخل
 في ذلك اذا كان كذلك الكحل والخطام والسوار والخضاب . وانما قلنا ذلك أولى
 الاقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على ان على كل مصل ان يستر عورته في
 صلاته وان للمرأة ان تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها ان تستر ما عدا
 ذلك من بدنها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من

ذراعها الى قدر النصف . فاذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً كان معلوماً بذلك ان لما ان تبدي من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره ، واذا كان لها إظهار ذلك كان معلوماً انه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله « الا ما ظهر منها » لان كل ذلك ظاهر منها . وقوله « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » يقول تعالى ذكره وليقين خمرهن وهو جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن . اهـ كلام ابن جرير

والجيوب جمع جيب وهو فتحة القميص على الصدر وكانت المرأة تضع الخمار على رأسها وتسده الى الورا فيظهر عنقها وصدرها فأمرن بأن يجعلن طرفه على الجيب ليستر العنق والصدر . ولم يؤمرن بوضعه على الوجه فلم يقل الا ما ظهر منها لكان يصح ان يقال ان كشف الوجه باق على أصل الإباحة فكيف وقد امر بستر الجيب ولم يأمر بستر الوجه! . وناهيك بحكاية ابن جرير الإجماع على ذلك وهو ما كان عليه النساء في عهد السلف فقد كن يأتين المساجد ويغشين الاسواق ويسفن الجرحى في مواقع القتال ويخطبن على الرجال ويناقشن الامراء والحكام . فغلن ذلك وأمثاله مكشوفات الوجوه . ومن جال في أرض المسلمين في الاقطار المختلفة يرى ان أكثرهن يخرجن مكشوفات الوجوه ولا يسترنه منهن الا بعض نساء المدن وهي عادة حكمت بها غيرة الرجال عند ما دخل المسلمون في الحضارة وانغمسوا في الترف الذي يستلزم الفسق والفجور ولذلك ترى أكثر الفقهاء علواً وجوب ستر المرأة وجهها عن الرجال بخوف الفتنة وابتداء هذا البحث والخلاف في القرن الثاني هل يمكن لمكابر ان يقول ان النساء كن يصلين مكشوفات الوجوه في مسجد الرسول (ص) في حياته ولا يراهن أحد؟ اذا كابر أحد نفسه وقال بمحتمل ان الرجال لم يكونوا يرون النساء في المسجد لانهن يصلين وراءهم ولم يخش ان يقال له انهم كانوا يرونهم قبل الصلاة اذ كن ينتظرن الجماعة معهم وبعدها عند الانصراف كما هو مأثور مشهور - فهل يسفه نفسه ويقول ان الرجال لم يكونوا يرون وجوه النساء وأيديهن في أثناء أعمال الحج من طواف وسعي ووقوف بعرفة وجولان في أرض الحرم ومعلوم لكل من يعرف احكام الحج في الاسلام ان كشف المرأة

وجها في الإحرام واجب ومن النساء من تحرم بالحج من أول أشهره فتكون أكبر من شهرين محرمة مكشوفة الوجه واليدين أينما كانت وحيثما حلت وهي مع الرجال في جميع الاعمال

ومن نظر الى كلام فقهاء القرون الوسطى الذين رجحوا تحريم النظر الى الوجه والكفين يجند انهم لم يأتوا عليه بدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل أهل الصدر الاول وانما علوه بخوف الفتنة وسد الذريعة وقد قالوا بحرمة النظر الى وجه الأ مرد وعلوه بتلك العلة ومن المعجب ان امام الحرمين من الشافعية اعتر بمنع الحكماء النساء من الخروج في زمنه وظن ان عليه جميع المسلمين

قال الرهلي في شرح المنهاج عند تصحيح المتن لحرمة النظر الى وجه المرأة وكفيها حتى عند الامن من الفتنة : « والثاني لا يحرم ونسبه الامام للجمهور والشيخان للاكثرين وقال في المهمات انه الصواب . وقال البقيني الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وما نقله الامام من الاتفاق على منع النساء أي منع الولاية لمن ممرض لما حكاه القاضي عياض عن العلماء انه لا يجب على المرأة ستر وجهها في طريقها وانما ذلك سنة وعلى الرجال غض البصر عنهن للآية وحكاه المصنف عنه في شرح مسلم وأقره عليه » الخ ما ذكره ومنه انه يحرم النظر الى المرأة المتقبة التي لا يرى منها غير عينيها ومحاجرها والى السجوز والمشوهة

وفي حاشية المقنع من كتب الخنابلة « لا يجوز له النظر الى الاجنية قصدا وهو المذهب . وقال القاضي يحرم النظر الى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة ويباح له النظر اليهما مع الكراهة اذا أمن الفتنة ونظر بغير شهوة وهذا مذهب الشافعي . قال في الانصاف : وهذا الذي لا يسع الناس غيره خصوصا للحيران والأقارب غير المحارم الذين نشأ بينهم » ثم نظر في هذا بأن فيه تجريتا للفاسق وهو مخالف لمقاصد الشرع في إصلاح أمر الدنيا والآخرة . وبمثل هذا صرح الحنفية مع أن الجميع يروون عن أئمتهم ان الوجه والكفين غير عورة وعن ابن عباس تفسير الآية بذلك أقول مسألة الخوف من الفتنة العارضة أو سد ذريعتها لا يصح ان تجعل دليلا لتغيير حكم من احكام الدين التي كان عليها السلف بمحظر أو إباحة تغييرا معلقا كأن

يقال مثلا ان صلاة النساء مع الرجال في المساجد حرام في الاسلام بناء على ما يقولون به من فساد الزمان ، ومثله كشف المرأة وجبها . وانما يصرح بان حكم الاسلام هو كان الذي عليه السلف اتباعا للكتاب والسنة ولكن اذا عرض ما يمنع من العمل به بناء على قاعدة درء المفاسد فاننا نمتنع عنه ما دامت المفسدة متوقعة

فحاصل الجواب ان كشف المرأة لوجبها هو الاصل الذي كان عليه الناس واقره الاسلام بل اوجبه في الاحرام وادعاء حرمة في أصل الدين جنابة على الدين وتحكم فيه بالرأي أو الهوى وإثبات للحرَج والمسر فيه وقد نفاها الله عنه لأن أكثر المسلمات يشق عليهن ذلك مع الحاجة الى العمل والسفر وان تحمله من نساء الأمصار من تعودنه أو من كفتهن الثروة مزاولة الاعمال . ودعوى خوف الفتنة من كشفهن لوجوهن لا تسلم على اطلاقها فاننا نعرف من نساء الفلاحين والبدو السفارات من تقطع بأنهن أبعد عن الريية من نساء المدن المتقبات ، ولكن المرأة التي تعلم ان في كشف وجهها مفسدة يحرم عليها كشفه بلا شك

﴿ احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ﴾

(س ١٣ و ١٤) من ج ١٠ . بمصر

جناب الاستاذ العالم الشيخ رشيد رضا المحترم

حبذا لو تكرمتم بإبداء معلوماتكم السديدة وآرائكم المفيدة عن السوائين الآتين وما ذلك الا حبا في الافادة والاستفادة .

١ - هل يجوز لأحد المسلمين ان يراعي شعائر الدولة التابع لها أم لا ؟
مثلا اذا فرض وجود بعض المسلمين التابعين لدولة مسيحية كالروسيا وغيرها هل يتعمم على الرعايا المسلمين في مثل هذه الاحوال ان يجاروا الشعب في شعائرهم مع وجود المغايرة في الاحتفالات الدينية بمعنى هل يليق بهم أن يهودوا بالاحترام اللازم اتمصر أو للحاكم اذا مر في الشوارع أو قابلوه في محله كما تفعل الرعية التي على دين ملكها أو حاكمها . وهل يتشارك المسلمون في اقامة الاحتفالات التي تقوم

بها الدولة التابعين لها كاحتفالها بعيد ملكها أو بعيد وطني أو يجب تجنب مثل هذا الاحترام وهذه الاحتفالات بغير الملوك المسلمين .

٢ --- هل يجوز للمسلم احترام شعائر غير الدينيه أم لا ؟
مثلا إذا أراد أحد المسلمين دخول كنيسة مسيحية أو ما شاكلها وطلب منه رفع عمامة أو مجاراة الشعب في عوائده الدينيه هل له ان يفعل هذا أم يتمتع .
هذا ما أردنا الاستفهام عنه من عالم خير مثلكم فترجو الإجابة اما عموميا في مجلتكم الزاهرة او خصوصا باسمي والسلام

(ج) اما الاحتفالات والشعائر الوطنية فيباح للمسلم أن يشترك فيها مع أهل وطنه ما لم تشمل على محرم في الاسلام كشرب الخمر على اسم الملك الذي يسمونه النخب وأما الشعائر الدينيه فلا يجوز للمسلم ان يشارك غير المسلمين فيها كأن يصلي معهم كصلاتهم الخاصة بهم كالي تكون منهم في الكنيسة وهم مكشوفو الرؤوس متوجهون الى قبلتهم وان لم يقل قولا يحضره الاسلام . فالمحذور في هذا المقام يرجع الى أمرين - أحدهما الاتيان بما هو ممنوع في الاسلام كتعظيم صور الانبياء والصالحين أو طلب الخير أو دفع الشر منهم . وثانيهما العمل الديني الخاص بغير المسلمين بحيث لو عمله المسلم لعدده رائيه منهم هذا ما اتفق عليه الفقهاء فيما نعلم ولعلنا نفضل القول في ذلك بعد

﴿ حديث علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل ﴾

(س ١٥) من احمد افندي محمد عطيوه بالقناطر الخيرية

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم السيد رشيد رضا افادتي عن هذا الحديث « علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل » في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتبرة هو - وفي أي باب هو صحيح هو أم ضعيف . ولكم من الله الاجر ومني عاطر الثناء والشكر (ج) هو حديث موضوع تجدونه في كتب الموضوعات وذكره الحافظ السيوطي في الدرر المنتثرة وقال لا أصل له، والشيخ عبد الرحمن الديع في تميز الطيب من الخبيث وقال « قال الدميري والزرکشي وابن حجر إنه لا أصل له »

باب المناظرة والمراسلة

٥

﴿ بحث العمل بالأحاديث القولية والأحاديث الفعلية ﴾

يقول حضرة الدكتور أما السنة القولية (الأحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى . ونحن نقول ما الدليل الذي قام لدى حضرة الدكتور في التفرقة بين السنة القولية والسنة الفعلية ؟ ولم لا يكون النسخ في الفعلية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ اليس من المقرر والمسلم ان اصل كل تشريع انما هو القول ؟ وهل يعرف الواجب والحرام والسنة والمكروه الى غير ذلك الا بالقول ؟ لم يكن من المعلوم ان الافعال تنطرقها احتمالات كثيرة اذا لم يقارنها البيان بالقول وقد تبقى مجملة لا يتعين المراد منها الا به ؟

يقول حضرة الدكتور « فبعضها نسخ بالقرآن » ويقال عليه ان نسخ السنة بالقرآن « قد قال الامام الشافعي انه لا يكون حتى حكى بعض الشافعية عنه انه قال حيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له

وحضرة الدكتور لم يذكر ذلك عنه بل نقل بعض قوله وترك البعض ودونك قول الامام في الرسالة « لا ينسخ كتاب الله الا كتابه - ثم قال - وهكذا سنة رسول الله (ص) لا ينسخها الا سنته » فان جاز الاستدلال بقول الامام هناك جاز هنا والا فلا في الموضوعين

وقوله « وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى » يقال عليه فهذه الأخرى النسخة هل هي معلومة ام لا وهل هذه هي المدونة عند اهل الحديث ام هي احاديث غيرها ؟ واين هي ؟ ومن ادراك بها فانك قد قررت انك لا تقبل النسخ الا ان تجد الله او رسوله قال هذا ناسخ وهذا منسوخ وينقل الينا ذلك بالتواتر فها انصفت مناظريك ؟ -

٥٢٢ العمل بالأحاديث . دعوى احتياج القرآن الى السنة (المأرجح ٧ م ١١)

وقوله « وعندنا انه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن »
الجواب عليه هنا ان يقال ان هذه مجرد دعوى لا يستطيع حضرته ان يقيم اليقينة
عليها هو ولا غيره فان في السنن من الاحكام والآداب أضاف ما في القرآن وهي
بفضل الله تعالى لا تخالف مقاصد القرآن وهي مطابقة للعقل ولا يمكن ان يستغني
عنها البشر ولولا خوف الاطالة لاتينا بجمل منها وبيننا ما لها وما عليها ومقدار الحاجة
اليها فليتبعم ذلك حضرته

بل تقول ولا يبعد ان القرآن محتاج الى السنة اكثر من احتياج السنة اليه .
يوضحه ان القرآن الكريم ذواوجه والسنة مينة المراد منه تارة وشارحة ومفسرة
أخرى . او تأتي بأحكام زائدة على ما فيه يشرعها الله على لسان رسوله (ص) لشدة
حاجة البشر اليها اظهارا لكرامة رسوله (ص) عليه وليتعودوا طاعته واتباعه كما أمر
بذلك في كتابه ولتلا تجرهم الشبهات الى رد بيانه للكتاب الكريم . ولبسط ذلك
محل آخر

يقول حضرته « لانها لم تكن الا شريعة وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة
الباقية » واقول هذه دعوى وتعليل لما شاء بما شاء وكل احد يمكنه ان يدعي فإين
الدليل ؟ اما قوله تعليلا لذلك نهيت الصحابة عن كتابتها فيقال عليه ان مسألة
النهي عن الكتابة والترخيص فيها هي مسألة لاتدل على نسخ السنن النبوية باحد
الدلالات مطلقاً والقاري يرى ان حضرة الدكتور قد ملأ الكون صياحاً بالانكار
على العمل بالظن فالتا نراه قد انسل هنا الى هدم ما كان اسمه ثم يعمد الى هدم
القصور اليقينية فيرد جميع السنن ويلقي طاعة الرسول (ص) التي أمر الله بها في
غير موضع من كتابه والأحاديث المتواترة لفظا ومعنى في وجوب اتباعه واتباع
سننه . ويرد اجماع الصحابة بل جميع الأمة ؟ ماله يرد ذلك كله بالحرص والتخمين
الذي لا يبلغ الى اضعف مراتب الظن بل لا يصح ان يعتبره معتبر ؟ فليعتبر
حضرته بمناقضته لنفسه بنفسه

إن أمر النهي عن الكتابة لم يقل اليانماواترا بل قد اختلف في رفعه الى المعصوم (ص)
وفي نسخه وقد عارضه ما هو اقوى منه ولم ينص فيه على أن المراد منه ان السنن موقت

شرعها او انها منسوخة بعد مدة كذا من الزمن ولا انه نهى عنها لأجل ان تندثر السنن بطول الزمن . ان احدهذه الامور التي ذكرناها تمنع الاستدلال على ما قصده حضرة الدكتور فكيف يصح ان يكون ما هذا حاله معارضا لجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع الصحابة بل وسائر المسلمين ! فطاعة الرسول ووجوب اتباع سننه معلوم بالضرورة من دين الاسلام — لا سيما اذا كان حديث النهي عن الكتابة معللا بعلة منصوصة عن روايه وهو خوف الالتباس بالمصحف . وكل من روي عنه من الصحابة النهي او الامتناع عن كتابة الحديث فهو دائر على هذه العلة كما صرحوا بذلك . ومنهم من خاف ان يقع في الوعيد على الكذابين ومنهم من نهى عن كتابة رأيه فاشبهه ذلك على الناظرين فظنوا انه نهى عن كتابة السنة النبوية وليس الأمر كذلك — فالقول بان نهيمهم عن كتابة العلم او الحديث نص في النهي عن كتابة السنن النبوية هو قول بالخرص

ثم هل يجوز لمن لا يجوز العمل بالظن ان يأخذ اقوالهم في امر قد صرحوا بسببه ان يتركه ويهمله ثم يحمل قولهم على غير ما ارادوه بل على ما نهوا عنه وهو ترك اتباع السنة واعتقاد وجوب اتباعها . ثم تقول الحق ان الامور المطللة يدور حكمها مع عللها وحيث زالت العلة زال الحكم وهو ها خوف الالتباس بالمصحف فقد وقع الاجماع على جواز بل استحباب كتابة الحديث وقال بعضهم بالوجوب وهو الحق . هذا كله اذا سلمنا ان حديث النهي مرفوع وانه غير منسوخ . ومن اطلع على القاعدة الاصولية من انه اذا وقع التعارض بين دليلين احدهما مانع والآخر مرخص مثلا عرف ان الاجماع على كتابة السنن غير معارض لص — لأنه بعد تساقط الدليلين المتعارضين اعنى حديث النهي عن الكتابة واجاديت الامر والترخيص فيها تبقى البراءة الاصلية والاجماع ان لم تقل هو حجة فهو مؤيد لها

ونحن نسأل حضرة الدكتور هل حكم حديث النهي عام وباق ام لا ؟ فان قلت بالاخير فقد وافقتنا وحينئذ لا يصح لك الإلزام به . وان قلت بالاول لزمك ان تمنع عن كتابة جميع العلوم المستنبطة من القرآن بل اولى من ذلك كله ان تمنع عن كتابة سائر العلوم

ان كان الاختلاف في كتابة السنة قادحا في العمل بهامسوغا لاقتراح ان علة ذلك وسببه كونها شريعة مؤقتة - فان الاختلاف قد وقع في جميع القرآن وكتابه واول من خالف في ذلك الخليفة الاول ثم رجع الى قول عمر (رض) فبل يسوغ ان يقال ان الصديق رضي الله عنه لم يخالف في ذلك الا لان شريعة القرآن مؤقتة لا - لا - في الامرين فان قيل ان الصديق قد رجع ووقع الاجماع على ذلك . قلنا وكذلك جمع السنة وكتابتها قد وقع الاجماع عليه . والفاروق لما سأل الصحابة رأيهم في جمع السنن اشاروا عليه بجمعها ولكنه خالفهم للسبب الذي ذكرناه كما صرح بذلك هو اذ لم يحسن له الوقت المناسب الذي يزول فيه خوف الالباس ولما كان هو اذ ذاك صاحب الامر لم يستطع من أشار عليه منهم ان يفعل غير ما مضاه الخليفة

ومن تفكر في اهل زماننا بل منذ ازمان قديمة رأى صحة هذا التعليل المنصوص دراية كما هو صحيح رواية فانك تجد مصداق ذلك فيما نراه من اكتاب الناس وانهما كهم على كتب شعنت بأراء مشايخهم واسلافهم حتى جماعوها كالمصاحف بل قدموها على المصحف وعلى السنة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية أما قوله « ولم يعاملها النبي (ص) ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر » فأقول أي المعاملات يريد حضرة الدكتور فان كان يريد ان القرآن يمتاز بانه كلام الله لفظاً ومعنى وانه معجز متحدى به وانه متعبد بتلاوته وانه كلام الخالق غير مخلوق ونحو ذلك فهذا صحيح وسنن الرسول (ص) لا يمكن ان تعامل بهذه المعاملة كلها - فكما ان الله جلا وعلا هو الرب والاله المعبود ومحمد (ص) عبده ورسوله وداع اليه بإذنه فلا يعامل بما يعامل به الاله مما يخص الالهية والربوبية فكذلك كلامه (ص) لا يعامل بما يعامل به القرآن من كل الوجوه كما تقدم وان اراد ان النبي (ص) لم يعامل سنته بما يعامل به القرآن من حيثية التشريع كأن يأمر الامة بما لا يجب الاتمار به وينهاهم عما لا يجب ان يتهموا عنه أو أنه يعتقد ذلك او ان اصحابه يرون عدم وجوب اتباعه في جميع اقواله وافعاله وفما شرع الله من الدين على لسانه فأرادة هذا منه (ص) أو منهم هو أمحل

المحال وحضرة الدكتور نجده ان يعني ذلك فمن زعم ان محمد (ص) اوجب ما ليس
بواجب وحرم ما ليس بحرام على الامة وانه يعلم ذلك ويعتقده او ان اصحابه يعتقدون
ذلك او انهم لم ياتمروا به الخ فخطؤه فوق كل خطأ واقترأوه فوق كل اقترأء ومع
ذلك كله هو غير مستند الى شيء يصح الاعتماد عليه حتى ولا شبهة

فقول القائل ان ما اوجبه او حرمه النبي (ص) انما هو مقيد بوقت حياته —
هل يصح ويثبت بدعوى عدم الكتابة او دعوى النهي عنها أو انها لم تكتب مدونة
مرتبة؟ قد قد منا ان عدم الكتابة مطلقا لم يرد فيها الا حديث واحد قد اختلف
في رفعه وسبب النهي منصوص كما قد مناه مع معارضته لما هو اصح منه
فهل يصح ان يكون ذلك الحديث المذكور ناسخا لآيات الكثيرة القرآنية
المصرحة بوجوب ولزوم طاعة الرسول (ص) واتباعه — ان طاعة الله لا ينازع
احد في وجوبها في وقته (ص) وبعد وفاته وانها أي طاعة الله واجبة علينا كما هي
واجبة على اول الامة

لكننا نرى القرآن مصرحا بان طاعة الله مشروطة بطاعة الرسول (ص)
وهل طاعة الرسول (ص) الا الا التمار بامر والانتها لنهيه والا لم تكن له طاعة وقد
عرفت ثبوتها وادل القرآن عليها نصا كما يأتي وهي لا تكون الا في سنته القولية كما قال
تعالى « وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شييدا » من يطع الرسول فقد اطاع الله
ومن تولى فمأرسلناك عليهم حفيظا» اما الاتباع والتأسي فيكون في الفعلية العملية والقولية
مهما يمكن لاحد ان يعبر عن وجوب اتباع احد وطاعته لا يمكنه ان يعبر عن
ذلك باكثر واوضح مما عبر الله به في وجوب اتباع رسوله محمد (ص) فان كان
ذلك قابلا للتشكيك لزم ان لا يوجد في العالم خبر يوثق به وبدلالته

ان الله جل شأنه لم يأمر بطاعته في القرآن الا وأمر بطاعة رسوله (ص) معه
بن قد يفرد الامر بطاعة الرسول (ص) ويجعلها شرطا لطاعته ولم يفرد طاعته عن
طاعة الرسول (ص) ثم هو تارة يأمر باتباعه وتارة يأمر بالتحاكم اليه ويجعل ذلك
من شرائط الايمان وكذلك تسليم ذلك له وعدم وجدان الحرج — وتارة يأمر
بالتأسي به وتارة يقول « وانا اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فاتوهوا » وتارة

يعلمنا بانه المبلغ عنه المؤمن وتارة ينسب التحليل والتحريم اليه (ص) ثم نراه
 ينه في محل آخر بانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى - وتارة يأمره
 أن يحكم وان لا يحكم الا بما اراه الله - وتارة يقول له « قل ان كنتم تحبون الله
 فاتبعوني يحبكم الله » فجعل اتباع الرسول (ص) مقدا على طابهم محبة الله وبابا
 لمحبة الله لهم وهذا لا يمكن ان يخص بقوم دون قوم وزمان دون زمان - وتارة ينهى
 عن التقدم بين يديه بقول أو فعل وتارة ينهى عن التولي عنه وعن امره - وتارة
 ينهى عن مخالفة امره وتارة ينهى عن التسوية بين دعائه ودعاء غيره وقد قرانه
 الداعي الى الله حتى انهم كانوا يرون اجابة غير مبجلة للصلاة وتارة وتارة يحذر عن
 مخالفتهم أمره « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » الآية - وتارة ينهى ان يجعلوا لانفسهم
 الظهرة من أمرهم مع أمره - وتارة ينهى عن مشاقته وإن من شاقه فقد شاق الله
 وتارة يجعل من صفات الايمان بالله المبادرة الى طاعة الرسول (ص) الى غير ذلك
 من اساليب التعبير والتفنن فيه لا يوضح وجوب اتباع الرسول (ص) فان القرآن
 ملآن من أوله الى آخره بذلك حتى القصص فانها انما سقت للاعتبار وليطاع الله
 ويطاع رسوله (ص) ويتبع وليؤمن الناس بالله ورسوله (ص)

فهل يصح ان يهدم هذا كله بشبهة حديث ابي سعيد (رض) على ما فيه مما
 قدمناه؟ ام هل يسوغ ان يقال ان الصحابة (رض) خالفوا ذلك كله وانهم لم
 يعتوا بسنته اذا رأنا احدهم احتاط في الرواية او حكم بخلاف السنة بعذر انما لم
 تبلغه ولو بلغته لرجع اليها كما قد شوهد عنهم الرجوع اليها في جميع أحوالهم وهل
 يصح اعتبار قول من خالف ما ذكرناه كأننا من كان ما لم يكن عن الله أو عن
 رسوله وقد عرفت حكمها في ذلك .

فكيف يصح قول الدكتور ان النبي (ص) وأصحابه لم يعاملوا السنن النبوية
 بغير ما عملوا به القرآن الا لتندثر وتزول من بين المسلمين مع ما عرفت مما
 قدمناه . ولم لم يصرح الله ولا رسوله (ص) ولا أصحابه (رض) بما صرح
 به حضرة الدكتور؟

ان من تتبع أقوال النبي (ص) ووصاياه ومواعظه وخطبه يجدها مرفقة لما

دل ان قرآن عليه ومناقضة لما زعمه حضرة الدكتور « اني تارك ما ان تمسكتم به لن نضلو كتاب الله وسنتي » والأحاديث متواترة في أمره (ص) ان يبلغ عنه وفي وجود، اتباع سننه أيضاً تواترا معنوياً . أما أقوال الصحابة (رض) في اتباع الكتاب والسنة، فأكثر من ان تستقصى بل ذلك اجماع عنهم وعن سائر المسلمين - وكل ما خاف الكتاب والسنة قائما هو عند الصحابة (رض) من الرأي المذموم وهو الظن المشتم الذي حذر الله عنه في كتابه فعمله حضرة الدكتور على الرواية والمروي بلا يئنة بل بناء على اصطلاح المصطلحين . على ان كل من سوى الرسول (ص) غير معصوم من الخطأ والسهو

هذا ولا يحيط بسنته (ص) الا مجموع الأمة وما عند الأمة من ذلك قد دون وها هو بين أيدينا فهموا بنا الى اقتفائه واتباعه (ص) الذي لا حياة ولا نجاة لنا الا به « ولا تنازعوا فتشعلوا وتذهب ربكم » فليحذر الذين يخالفون عن أمره « الآية » ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقنه فأولئك هم الفائزون » نسأل الله لنا ولاخينا الدكتور الهداية والتوفيق لصراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وان يوفق من أراد له الهداية انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله وأصحابه الطيبين ومتبعيهم بإحسان الى يوم الدين آمين

كتبه بيده وقاله بضمه

الحقير صالح بن علي الياضي عفا الله عنه

(المنارج) اذا اراد الدكتور محمد توفيق افندي صدقي ان يرد على هذه الرسالة

فالرجو منه ان يبين ما يراه متقدماً منها بالاختصار ولا يطيل في اصل الموضوع وان

يسلم بغيره المتقد عندة تسليماً صريحاً

أثر علي بن الحسين

✦ أو شاد الأريب، إلى معرفة الأديب ✦

المعروف بمعجم الأدباء - أو - طبقات الأدباء

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله ياقوت الحموي المولد البغدادى الداى الرومى الجنس صاحب كتاب معجم البلدان المشهور. كان غلاماً لتاجر حموي عليه ليكون عوناً له في تجارته ثم أعتقه وتركه مدة ثم استعمله في تجارة سفره بها فلما عاد كان مولاه قد توفي فأعطى أولاده وزوجته شيئاً مما كان بيده فأرضاهم وأتجر بالباقي وجعل بمض تجارته كتاباً فكانت عوناً له على ما تصبو إليه نفسه من العلم لاسيما التاريخ والأدب. فألف مؤلفات كثيرة في ذلك أشهرها معجم البلدان ومعجم الأدباء الذي ذكر ابن خلكان أن اسمه (إرشاد الألباء ، إلى معرفة الأدباء) ولكتنا أهدينا منذ أشهر المجلد الأول منه مطبوعاً طبعا متقناً على ورق جيد وإذا باسه الذي كتب عليه (إرشاد الأريب . إلى معرفة الأديب) وكان بعض النسخ كتب عليها هذا الاسم وبعضها كتب عليها ذلك

موضوع هذا المعجم تراجم من كانوا يعرفون بالأدباء في تلك العصور قال المؤلف في فاتحته (ص ٥) د وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين والفقهاء والنسائين والقراء المشهورين والأخباريين ، والمؤرخين والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمصنعة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فنه تأليفاً ، مع إيراد الاختصار والإعجاز ، في نهاية الإيجاز ، ولم آل جهداً في إثبات الوفيات ، وتبين المواليد والأوقات ، وذكر تصنيفهم ومستحسن أخبارهم ، والأخبار بأنسائهم وشي من أشعارهم ، الخ قال الكتاب من أحسن دواوين التاريخ والأدب وقد كان كثراً مخفياً فأظهرته همة أوربية . ذلك أن رجلاً من الناشئين

في البلاد الانكليزية اسمه الباس جب كان مغرما بدرس العلوم والتواريخ العربية
والتركية والفارسية ثم مات في انتظامه والاربعين من سنه فوفقت أمه مالا عظيما
على احياء الكتب الشرقية التي كان مشتقلا بها يصرف ربه في ذلك وعهدت
بالعمل الى لجنة من الرجال القادرين عليه وقد شرعت اللجنة بطبع هذا الكتاب بعد ما عني
الدكتور مرجليوث العالم المستشرق الشهير بتصحيحه وقد هدتنا الجزء الاول منه
فاذا فيه بعد الفاتحة فصلان في علم الادب وعلم الاخبار يتلوها باب الهمة وهو يتدئ
باسم آدم بن احمد الهروي وينتهي باسم احمد بن علي بن المعمر وصفحاته تزيد على
أربع مئة منها ترجمة ابي العلاء المعري في ٤٣ صفحة فتشكر لجميع العاملين في احياء
هذا الكتاب وأمثاله فضلهم ونخص بالذكر المصحح ونرجو ان يعنى طلابو الكتب
في مصر ولو بعض هذه العناية في التصحيح والاعتان

﴿ الرد على من أخذ الى الأرض ، وجعل ان الاجتهاد في كل عصر فرض ﴾

بنت قواعد الاسلام وأقيمت أركانه على أساس العلم حتى كان من المجمع عليه عند
علمائه ان جهل المكلف بما يجب عليه من أصوله وفروعه ليس بعذر في الدنيا ولا
في الآخرة فاقاضي الشرعي لا يترك عنوته اذا ارتكب موجبا جاهلا كما
ان الله تعالى لا يندره في الآخرة اذا اقترف الفواحش والمنكرات جاهلا
بحريمها . قالوا الا اذا نشأ في شاق جبل أو كان قريب عهد بالاسلام . والعلم
ما كان بالدليل فالعلم لا يكون الاجتهادا ولذلك اجمعوا على ان المقلد لا يسمى عالما كما
صرح به ابن القيم في أعلام الموقعين وقد بقي الفقهاء الى القرون الوسطى يطلقون
لفظ العالم ويريدون به المجتهد كما ترى في كلامهم عن القاضي والمفتي ولكن وجد
في هذه القرون من المؤلفين الجاهلين من ادعى ان الاجتهاد طوي زمنه وأن العلم
بالاسلام أي بالكتاب والسنة صار متعذرا وان الواجب على جميع المسلمين هو الأخذ
بما كتب في المصنفات الفقهية التي أنها المنسبون الى أحد المذاهب المشهورة قام المدافعون
عن العلم يردون هذه الدعوى ويبنون وجوه بطلانها حتى افردوا ذلك بالتأليف
(المارج ٧) (٦٧) (المجلد الحادي عشر)

من هؤلاء الحافظ الشهير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فقد وضع فيها كتابا سماه « الرد على من أخذ الى الارض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » وقد اورد فيه القول الكثيرة عن ا كبار علماء المذاهب الاربعة لأن كلامهم يقع المقلدين المنكرين مالا يتنعمهم الدليل المؤيد بنصوص الكتاب العزيز وما جرت به السنة السنية . وقد طبع هذا الكتاب طبعا حسنا في المطبعة الثعالبية بالجزائر وهو يطلب من صاحبها احمد افندي بن مراد التركي وأخيه فنشكرهما احياء هذا الكتاب النافع ونحث القراء على الاقبال عليه

﴿ ليالي سطیح ﴾

طبع الجزء الاول من هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه حافظ افندي ابراهيم وجعله في انتقاد الاخلاق والعادات، ووصف حال الاجتماع في مصر ، وجعله حوارا مع سطیح الكاهن الجاهلي ، ذلك الكتاب الصغير الكبير ، الذي تبارى في تقریظه عالم الكتابة والتحرير ، فسالت انهار الجرائد بمداد آياته ، وجرت اقلام الكتاب في فلك حسناته ، ولهجت السنة الفصحاء بوصف ما في مبانيه من المتانة والاحكام ، وما أودعه اسلوبه من الرقة والانسجام ، وتغلقت افكار الحكماء في التأمل بما انطوى عليه من الحكم والعظات ، وما بينه من الامثال والمثالات ، وتلطف الناقدون في الایماء الى ما فيه مما لم يخل من مثله كلام الناس ، كالتفاوت بين بعض الجمل او عصيان قوانين القياس ، فلو جمع ما كتب في تقریظ كتاب ليالي سطیح ، من الثناء والمدح ، لكان معه كليا لي هجر الملل ، مع ليالي الوصال ، على ان ليالي تقریض ، هي من ليالي الوصال البيض ، جمع فيها الأدب بين جمهور من الادباء المنشئين ، وبين محبوبهم حافظ افندي ابراهيم ،

اخذ اولئك الكاتبون مسالك 'قول على من يحاول بدعم وصف الكتاب او تحده فما على المنار الا ان يجعل الوفاء بذمة حافظ عرض شيء من حكم كتابه على قارئه ، لعلهم يهتدون الى فضله بكواكب لياليه ، فمن ذلك قول سطیح في الحث

على العناية باللغة العربية ونصر دولتها وذكرا إمامي المصلحين : حكيم الاسلام ،
والاستاذ الامام (ص ۶۲)

«فما ضرکم لو تساندتم جميعا وانتم لا تتجاوزون زمن القمر عدا ، فرفقتم من شأن
هذه الدولة ، وحرکتکم من انظامدين ، وهزتم من الجامدين ، فاني أرا کم بين
متفصح على اخيه ، ومتمبل على قرينة ، وليس هذا صنع من يريد ما تريدون ، يحاولون
رد هذه الدولة الى شبابها ، بعد ان خلا من سنها ، ولو لم يتداركها الله بذلك الافغاني
لقضت نجبا ولقيت ربها ، قبل ان يتمتها بكم ويمتعم بها ، أدركها الافغاني ولم يبق
فيها الا الدماء ، فنفخ فيها نفخة حركت من نفسها ، وشدت من عزمها ، ادركها
وهي شمطاء قد نهض منها يياض المشيب في سواد الشباب ، فشاب قرنها قبل ان تشيب
ناصية القرن الخامس ، فسودت يده البيضاء ما بيضت من شعرها سودا ليالي ، وتهدتها
همته بصنوف العلاج حتى استقامت قناتها ، وبداء اصلاحها ، وقد كان الناس في ذلك
العهد يدينون باللفظ ويكفرون بالمعنى ، فما زال بهم حتى ابصروا نور الهدى ، وخرجوا
بفضله من ظلمات القرون الوسطى ، وقام بعده نفر من تأدبوا عنه فكانوا كالسيوف
فرجت للرماح ضيق المسالك فانفسح للمتأدين المجال وجمال كل جولته ، وتنبه الوجدان
وتيقظ الشعور وتحرك الفكر حتى أفضى الى حركة النفس ، وظهر أثر جمال الدين في
النفوس العالية ، وأصبحت تبندر كلامه الاسماع الواعية ، فكان من ذلك ان انطوى
أجل التقليد ، وأن بعث الله على يديه ميت اللغة واحيارفات الانشاء ، وغادر رحمة الله
عليه مصر ولم يضع لنا كتابا نأخذ عنه ، أو مؤلفا نفتخر منه ، ولكنه ترك لنا رءوسا
تؤلف ، وأفكارا تصنف ، وكأنه أحس بذلك حين أحس بالموت فكان يقول وهو
يجود بنفسه : خرجنا منها ولم ندع لنا أثرا ظاهرا بين السطور ، ولكننا لم نغادرها حتى
تقشنا ذلك الار على صفحات الصدور ، فان لم ترثوا عنا في بطون الكتب فقدورتم
عنا في صدور الرجال ، فاذا حثوم التراب على رجل الافغان فطليكم برجل مصر
خرج من الدنيا كما خرج سقراط لم يغادر كلاهما مؤلفا ، ولم يدع مصنفاء ، فلو لا
محمد عبده ما عرف رجل الافغان ، ولو لا أفلاطون ما ذكر رأس فلاسفة اليونان
ولما سكنت أنفاس الافغاني بعد أن تجددت بذكره الانفاس ، خلفه حكيم الشرق

في دولته، ووطن نفسه على المضي في طريقته، فأسمع الناس في الحق واسمعوه، واخافوه في ذات الاله وخافوه، ولم يزل بهم حتى غلبت حقته على باطلهم ثم مضى لسبيله رحمه الله فتفتت الأذهان، وتطلعت العقول الى البحث، وبرزت اللغة من خباياها، تخرج مطارف آدابها، وأطل علم الأدب Litterature من مناره مشرقاً على النفوس فأرسل نوره الى الضمائر، ونفذت أشعته الى السرائر، فنى تحت نظره الشعور كما ينبي النبات جادته الشمس بالنظر، أو كته أشعة القمر، فلفظ من كثافة النفوس، وهذب من مرارة الأرواح، حتى شفت الأولى وعذبت الثانية وبدأ دور هذه الحياة الجديدة بفضل الأدب وعلمه، اه المراد منه هنا

ثم ذكر سطيج ومحاورة الأستاذ الامام وتلاميذه في مقام ما يرجي من الإصلاح قال (ص ١٤٤)

قال (اي سطيج) وابن مكائك من العلم، وابن منك منزلة الحلم، قال حسي ابي من تلاميذ حكيم الاسلام، الأستاذ الامام، طيب الله تراه، وجعل النعيم مثواه. قال ابي لأرى رأياً حسيماً، واسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه تكون؟ فقد سمعنا انهم فرقان فريق قد اختصه بسياسة، وفريق قد اختصه بعلمه، وقد أثنى عليهما العبيد، وتبأ لها بالطالع السيد، قال — لا علم لي بما تقول. وقد كنت ألقى الناس بالامام أغشى داره، وأرد أنهاره، وألقط ناره، فما سمعته يخوض في ذكر السياسة تبجها الله، ولكنه كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته وينقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمو بأنفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلائق، وحكمة الخالق، وكان ربما ساقه الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأقضى في شؤون الاجتماع وحاج العمران، ووقف بنا على أسرار الحياة ولم يزل ذلك همه رحمه الله يلقي في الأزهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله، فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً، ويقسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران، على انه كان من أشد الناس تبرماً بالسياسة واهلياً، حتى أعلن براءته من الالتصاق بها، فقال عنها في كتاب الاسلام والنصرانية ما قال

لكنه كان يمتك بها مادعت الى ذلك الحاجة ويرصد حركاتها وصداء ، ويصد
فاراتها صدا ، خشية أن تقطع على العلم سبيله ، أو ان تقف عنرة في طريق الفضيلة ،
ولولا ذلك لقطعت عليه سلك أمانيه ، وحالت بينه وبين ما كان يتقنيه ، فكم تظن
في ابتزاز قواها ، وتحامى جنده طريق أذاها ، حتى اذا نظرت بطلته ، وقار برغبته ،
واستمد منها ما شاء ، تحت حماية الاقناع ، عطف على العلم بذلك الامداد ، ورد عليه
ما سلبت يد الاستبداد ، ولعله اوهم العميد ، بيقظة حزب جديد ، ليرد عاديته ، ويصد
عليه سياسته ، في مصادرة العلم ، وممارسة الحلم ، أما ترى بربك أثر ذلك في المدارس ،
وما عبثت به يد ذلك السائس ، ولولا ان الامام مادهم جبل الوداد ، وجاذبهم
فضل النصح والارشاد ، لاصابه ما اصاب احباب حكيم الاقناع ، وقضي على هذه الامة
بالحرمان ، فلقد كان يندو على الوكالة ويروح عنها ليدفع عنا شره النجوم ، ويصلح
ما فسده اهل الدسائس ، فكم زحزح عنا حادثا ، ودفع كارثا ، ولو كان حيا يوم دار
الفلك لنا بالنجوم في دنشواي ، لرأيت غير الذي رأيت من ذلك القصاص ، ولما
اوتقع صوت العميد ، بذلك التهديد والوعيد ، ولما نزع الى كتابة ذلك التقرير ،
الذي جاء ابلغ ما اعلى الضغينة على الموتور ، فكان فيه كثير جوح البراع ، ضعيف
ضعيف جانب الاقناع ، كانه يكتب مقالة خيالية ، الى مجلة سياسية ، وقف فيها ورقة
المدافع عن نفسه

لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى فارتدت طائفة من جنات العرب
وكادوا يفتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف
النبي ، ولا نالت من عصبة الرسالة ، ولبت الاسلام اسلاما — ومات الاستاذ الامام
فصبا بعض حربه كما يدعون ، واستغفر الله لهم عما يقولون ، فما غض ذلك من
كراسة حكيم الاسلام ، ولا مس من سيرة ذلك الامام ،

أراد بعض مر يديه أن يتني غناه وان يفعل شرواه في التوفيق بين صواخ
القوم وصواخ الحنا ، فرمى نفسه في احضانهم ، وليست له مكانة الامام من نفوسهم ، ولا
منزله في قلوبهم ، تقصر ولا بدع ، وأخفق ولا عجب ، فان الفراغ الذي تركه الامام
لا يشغله الا لوف من اولئك الذين يرضون المقبرة بالصباح ، وينحون عليه مذهبه

في الاصلاح ، ولما ظهر ذلك المرید بمظهر الاتصال بالقوم أنكر الناس منه ذلك فطارت حوله الشبهات ، وانبسطت فيه الالسن وأخذته سهام الاقلام ، على انه وان اخطأه التوفيق في عمله فما اخطأه حسن القصد ولا جازته سلامة الطوية ، فوجد بعض المرآئين السبيل الى تشويه سمعة الامام بعد موته ، واتفقوا في ذم حزبه ، وزادهم ضمنا ان قرأوا في تقرير العميد ما قرأوا وظنوا ان هناك حزبا يعمل ، ولو اراد الله خيرا لهذه الامة لسخر لها من تلاميذ الامام من يقوم بالدعوة الى التآم ذلك الحزب الذي أودع فيه الامام من أسرار حكمته ما كشف لهم عن حقيقة المصير الذي أصبحنا نساق اليه سوفاً أعجلنا عن النظر في أمورنا فأمسينا أتباعا لكل ناعق

قال صاحبي وقد هاله ما سمعه أ كان يكون بين ظهرانيكم أمثال أولئك الامناء على تعاليم ذلك الحكيم ولا تتعلمون باذيالهم ، على اني لا أرى فيكم الا ناعيا عليهم مشهرا بهم ، فان كنت لم تكذبني القول ، فتلاميذ الامام حقيقون باللوم ، لانهم يعلمون الحق ولا يدعون اليه . علموا ان لاجية هذه الامة بغير الجامعة فما لهم لا يواصلون قرع انوف الاغنياء بالمواعظ ويوالون الصباح بطلب تأسيسها فتلقي اصواتهم بالنداء في أنحاء القطر ؟ ولكنهم سكتوا اللهم الا شاعرا منهم قد قرض قصيدة وقاضيا قد جبر مقالة في سبيل الجامعة درج كلاهما في اثناء النسيان فحمد الاغنياء عن البذل لجود اولئك الوعاظ عن الكلام وتدققوا في انشاء الكتيب حين ساقتهم الحكومة الى ذلك ولو علموا ان انتشار التعليم الناقص شر على الناس من بقاء الجهل لما بذلوا في سبيله ما بذلوا فكان مثلهم في ذلك كمن يحاول النجاة من أنياب النمر ليقع تحت براثن الليث لانهم انما يستبدلون بانتشار الكتيب داء الجهل ولكن بداء الفرور فسبيل الاصلاح ان تنشأ الكتاب وتبني الجامعة في وقت مما حتى اذا أخرج الاول نصف انسان أطلعت الثانية انسانا كاملا فتكفل هذا الكامل بصلاح ذلك الناقص فتتمسك الامة ويكثر فيها الدعاة الى الخير فليس بينها وبين الحياة الا ان يخرج لها العلم الصحيح رجالا يقودون الافكار ويسلكون بها سبيل الرقي . ومن رأى ان هذه الامة لا تنهض الا بتعليم مجموعها وتهذيب افرادها فقد أخطأ مواقع الرأي فكم نهضت امة بفرد واسست دعائم دواته على عزائم آحاد وفوا

قسطهم من العلم الصحيح واخذوا نصيبهم من الاقدام
وقد انصرف الناس الى الصباح بطلب انتشار العلم ونسوا ان ذلك لا يفي
عنهم شيئا اذا أعوزتهم تربية القادة وعزهم بناء الزعماء فاعلم ان بناء الرجال لا تكون
الا في بناء الجامعة

قال الاديب وهل يكفي العلم وحده لصلاحنا ونحن على ما ترى من الخلق
والدين : فسوق عن امر الكتاب ، وطاعة للهوى ، فلا وازع من الدين ، ولا
زاجر من الخلق ، فاذا تزعزعت العقيدة ولم يطمئن الطبع قل ان ينجح في الناس علاج
العلماء ، او تأخذهم صيحة الخطباء

قال صاحبي صدقت ولكن ما تراه انت خطبا كبيرا ، لم يكن في نظر الحكمة
الا أمرا يسيرا ، واني اذ كر لك دواء هذا الداء وهو أيسر مما في نفسك ، فلا تنزل
أمرى معك على المزاح ، ولا يصفرن في عينيك مائي ما ألقى عليك ، فرب مؤرّب من
العقد ضلت حله الحكماء واهتدت اليه خطرة من الفكر يرمي بها أحد العامة ،
وتغفل عنها عقول الحامة ، ولعلك اذا سمعت ان الدواء الناجع ، والعلاج النافع ، لا يحتاج
الى مقدمات طويلة ، او فلسفة جليلة ، أصغرت ما كنت تكبر ، واستنزرت ما كنت
تستفزّر ، فاعلم انه اذا اقفلت أبواب المتدييات ، واطفئت أنوار الحانات ، قبل انصف
من الليل ، انحرف عنكم جارف هذا السيل

هذه لندرة لا تكاد ترى في حوانيتها ساهرا ، ولا تجد في طرقاتها عابرا ، اذا
انقضى الثلث الاول من دولة الظلام ، وتلك (فينا) يجمع فيها الليل بين الجفون
والكرى ، ويحول الظلام بين الأرجل والسرى ، فاذا شب الليل أو كاد ، سكنت
حركة العباد ، فما لكم لا تأخذون أنفسكم بتقليد تلك الخلائق ، وقد أثمروا باوامر
الخالق وما لكم لا ترجعون الى الفطرة البشرية ، او تخضعون لنواميس السنة
الكونية ، فجمعوا في ذلك بين الدنيا والدين ، ولا تعقوا اوامر الكتاب المبين ،
ياويلك ، أحيم ليالي العمر بالآثام ، وأتم أيامه بالنمام ، فمكتم الفطرة ولا
بدع اذا عكست آمالك ، وخابت أعمالكم ، خذوا مضاجعكم اذا طر شارب الظلام ،
واهجروها اذا تنفس الصباح ، ففي ذلك صحة لا بدانكم ، وسلامة لا ديانكم

إذا شئت أن تعرف ما وراء ذلك من المنافع فاني أعد لك منها ولا أعددها
منها الرجوع إلى المعيشة المنزلية التي أفلحت بزوالها روابط الأهل والأقارب، وليس
ما بين البيوتات، فتناكر الإخوان، وتدابير الجاران، واقترت المنازل من انس السر
وإف الناس الجلوس في المتدييات حتى أنهم ليوحشون في ديارهم، قلقة زوارهم،
وأصبح المرء في داره حاضرا كالفأب، مقبلا كالنازح، يعلم من حال البعيد عنه، ما لا يعلم
من حال القريب منه

ومنها اجتياز القبات، التي أقامت المتدييات والحانات، في سبيل الاجتماعات —
كان المصريون في العهد القديم الذي نسميه اليوم عهد الظلام يجتمعون في الدور
واقصور وكانت سراهم وذووا اليسار منهم يجلسون في بيوتهم للسر فينشأها العالم
ويوثقها الكاتب ويقصدها التاجر ويتجها الأديب فتجري بينهم الأحاديث
وتقوم سوق المناقشات — يحدث الحادث فيخوضون في ذكره، وتنزل التارة
فيجمعهم الأمل على العمل على أزالتها، وتطل رؤوس المشروعات فلا يشئون يقينون
مطرفا، حتى قتوا شرونها بحثا، ويتفوا على وقائنها جدالا، وينزل بأحدهم المكروه
فلا يزالون يلفظون بالسعي له حتى يأخذوا بيده، وينهضوا به من عثرته — عقدت
بينهم الزيارات، جرى المودات، قراهم وهم كأنهم أهل بيت واحد: يألم الجار الجار،
ويأخذ الناهض يد ذي الثار، يربك هل نهضت أمة بغير ادمان المجتمعات،
وهل انصبت مودة إذا هي لم يعمدها أهلها بالزيارات، لقد جار في حكمه من قضي
على المصريين باستحالة الاتفاق، وجعل تلك الكلمة التي رمى بها حكيم الألفان
أماسا لحكمه، فصره التقليد عن النظر إليها بين عقله، فمن ابن المصريين أن يتفوا
إذا هم لم يجتمعا

ومنها اقتصاد المال وأنت ترى ان هذه الستة الأقدنة (أي بقية الأزيكية)
تكد تلبغ ما تخرجه أرض وادي النيل من الخيرات ولا يفرتك ما ترى في عاصمة
الفرنسيس فإن أهلها من الأكياس الذين يصلون سهر الليل بالتهار لأصطياد الذهب
ولكن من جيب الغريب ونحن إنما نقول ذلك ليذهب الغريب بأموالنا وينخر
من جالنا، اهـ. وهو خاتمة الجزء الأول من الكتاب

﴿ رسائل البناء ﴾

من مزايا مجلة المنقبس التي يطابق بها اسمها مسماها نشر رسائل البناء الكتاب المتقدمين وقد استحسن صاحبها ان يجمع أحسن هذه الرسائل من مجلته ويطبعا مجموعة على حثها ليسهل تناولها على غير قراء المجلة ففعل وقد احسن فيما فعل صدرت المجموعة الاولى من هذه الرسائل في مئة صفحة كلها من كلام عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وهما ممن تضرب بلاغتهما الامثال وتشد الى كلامهما الرجال ومن اطرف هذه الرسائل رسالة ابن المقفع في سياسة الدولة وصحابة السلطان ورجاله ورسالة عبد الحميد في نصيحة ولي العهد وتبنة الجيش . وقد غني الناشر تصحيح هذه الرسائل معارضة على أصلها ولم يتبع سنة اكثر طابعي الكتب بمصر من اهمال التصحيح فما يوجد فيها من الغلط فالذنب فيه ذنب النساخ المحرفين مع قهر بلادنا من النسخ التي يعارض عليها الاصل . وثمن هذه المجموعة اربعة قروش واجرة البريد قرش واحد فنحت محبي الآداب والحكم وطلاب الانشاء العربي البليغ على قرائتها

﴿ سر تقدم الانكليز السكسونيين ﴾

قد اصبح هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، وترجم باسهر لغات الامم ، ولا فرو فان تقدم الانكليز السكسونيين وسبقهم لغيرهم من الامم العزيزة التي تساويهم او تفوقهم في العلم والمدنية مما لا يحاري فيه احد الا من يجهل ان الشمس لا تغيب عن سلطنتهم ، وان مئات من الملايين خاضعة لسيادتهم ، فمن جهل هذا التقدم لاميته ، او تجاهله لغروره وغباوته ، فان الامم الحية التي تسابق الانكليز في ميدان الاستعمار ، وتجاريا في تلك الجوارى المنشآت في البحار ، هي الجديرة بأن تعرف سر تقدمهم ، وسبب فوزهم وسبقهم ، فانه لا يعرف قيمة الشيء من كان بعيدا عنه ، كما يعرفه من هو على مقربة منه ، لذلك كان علماء فرنسا اسبق الناس الى معرفة قيمة ما امتاز به الانكليز على غيرهم من الامم في تربيتهم وتعليمهم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وقد ألفوا

في ذلك الاسفار الكثيرة التي يعد كتاب سر تقدم الانكليز من أشهرها . وكان من حسنات أحمد فتحي باشا زغلول في قومه وخدمته للغة امته ان ترجم هذا الكتاب بالمرية . ويسرنا ان طبعته الأولى قد نفذت وان خليل بك صادق صاحب مطبعة الشعب عني بإعادة طبعه بإذن المترجم ويزيدنا سروراً أن طبعته هذه أجهج من الأولى وأشد اتقاناً . وقد أبقى ثمنه كما كان وهو عشرون قرشاً بل هو يهديه الى الذين يؤدون قيمة الاشتراك في مجلته (مسامرات الشعب) . ولا ينسين القارئ في هذا المقام رفيق هذا الكتاب في غايته ومقصده واعني به كتاب (التربية الاستقلالية — أو — اميل القرن التاسع عشر) فان مؤلفه العالم الفرنسي قد اختلف فيه ان تكون تربية الاخلاق واستقلال النفس تربية انكليزية ، وتعليم العلوم العالية على الطريقة الألمانية ، واتي ارى ان المصريين وجميع العثمانيين أحوج الناس الآن الى مثل هذين الكتابين لأنهم في طور انتقال من حال اجتماعية الى حال ، وهو طور محفوف بالأخطار ، التي يستعان على تلافيتها بالتأسي والاعتبار ، ولا ينفعن التأسي بأمة كما ينفعن التأسي بالأمة الانكليزية التي هي أقوم أم المدنية اخلاقاً وأشدّها محافظة على ما كان عليه سلفها من الخير والدين وتبتاً في التثبيت بالجديد

﴿ مجلة مسامرات الشعب ﴾

قد انتهت هذه المجلة وصارت أحسن اختياراً للقصاص مما كانت عليه من قبل . ومن آخر ما نشرته قصة لصوص باريس وهي قصة تفيد المتفرنجين من أهل هذه البلاد ان اعتبروا بها مالا تفيدهم كتب الاخلاق والوعظ بما تمثل لهم من حيل الأوربيين القامرين على سلب أموال الاغنياء الأغنياء ، لا سيما الغرباء ، وفيها حرب عوان بين الفضيلة والرذيلة ينتهي بانتصار الفضيلة . ومثلها في هذا قصة سلطان الغرام وهي آخر قصة نشرت في هذه المجلة

﴿ مجلات جديدة ﴾

﴿ مجلة التذكرة ﴾ يصدرها بمصر السيد احمد خليل في كل اسبوعين مرة وهي

مجلة دينية اجتماعية ونزعتها صوفية اجتهادية مزوجة بشيء من الاصطلاحات العلمية

عند الحاجة وسنقل منها نموذجاً للقراء في جزء آخر ليكون خير معرف لها . وقيمة الاشتراك فيها أربعمائة قرشاً في السنة لاهل مصر ونصف ليرة انكليزية لغيرهم فتسنى لما التوفيق والنجاح

﴿شورا﴾ مجلة علمية اصلاحية تصدر في اورنبورغ من بلاد روسيا محررها صديقنا في الغيب الشيخ رضا الدين افندي بن فخر الدين وهو من علماء الاسلام المصلحين . وقد عرف قراء المنار شيئاً من افكاره العالية وقفه في الاصلاح مما نشرناه من ترجمة رسالة له في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم ولنا الرجاء في ان تكون هذه المجلة هدى ونوراً للمسلمين في تلك البلاد

﴿النصيحة﴾ مجلة علمية أدبية تصويرية تصدر بتونس في نصف كل شهر عربي مرة لمنشأها «الصادق بن ابراهيم» صاحب جريدة النصيحة . وقيمة الاشتراك فيها لاهل القطر التونسي خمسة فرنكات ولغيرهم ستة فرنكات فتسنى لها التوفيق والثبات

باب الاخبار والآراء

﴿الامة العثمانية والدستور﴾

إذا كان المنار لا يسع عشر معشار ما نعلم من أسباب هذا الانقلاب الذي حدث في بلادنا ومقدماته ونتائجها وما نراه في أمر استفادة الشعوب العثمانية من الحرية والدستور — فذلك لا يصدف بنا عن نشر بعض الآراء والاخبار التي تذكر الكاتبين في الصحف اليومية والأسبوعية بعض ما ربما يذهلون عنه، وتنبه القارئ الى ما ينفع التنبه له، وإني أشير الآن الى ثلاث مسائل هي أركان العبرة في هذا الباب (١) أول شيء يجب على المنار التنبيه اليه والتنويه به هو ما يؤيد خطته في قناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة بينهم وبين من يعيش معهم من غير أهل دينهم وتعاون الجميع على ما يرقى البلاد ويرفع شأن الدولة — وفي رد طعن الطاعنين في الاسلام، بأنه دين تعصب وعدوان، وفي المسلمين بأنهم لا يلتزمون مع أحد من لا يدين بدينهم، لاسيما الذين يزعمون ان العلماء المعتمدين، هم الذين يثبثون الشقاق بين العالمين،

أريد هذه الخطوة من الجهة الايجابية والجهة السلبية بما ظهر للعالم أجمع من أن عملاء المسلمين هم الذين قاموا بهذا العمل الجليل للاتحاد والمساواة بينهم وبين غيرهم وان شيخ الاسلام قد كان وما زال ركبهم الذين يلجئون اليه ، وقطبهم الذي يدورون حوالبه ،

ان احرار المسلمين هم الذين بدءوا بدعوة الاحرار العثمانيين من النصارى واليهود في مصر وأوربا وفي الولايات العثمانية الى مشاركتهم في جهادهم ، وهم الذين اعطوا هذا الجهاد ووطنوا أنفسهم على قتال اخوانهم من الجند اذا هم حاولوا تأييد السلطة المستبدة ثم انهم بعد الظفر بالدستور قد كانوا هم السابقين الى مصافحة الأرمين والروم وغيرهم من الشعوب المواقين لهم في العثمانية المخالفين في الاعتقاد وهم الذين رفعوا أصواتهم في كل مكان بأننا لا نجعل الدين مفرقا بيننا وبين اخواننا العثمانيين بل نكون معهم كما أمرنا الاسلام باقول المشهور فيه « لم مالنا وعليهم ما علينا » بل منهم من بالغ في قوله وغلا في رأيه فاستحسنوا النزول عن بعض حقوقنا ، إرضاء لماطفة بعض شعوبنا ، كالذين يرون أن يجعل جامع أيا صوفيا مجلسا للبعوثيين ، ويخرج عن كونه مسجدا للمسلمين ، وهم من الترك الذين يذكرون هذا الجامع بذلك الفتح المين ،

هذا ما فعله مسلمو العثمانيين من البدء في الدعوة الى الاتفاق والعمل بها في كثير من البلاد وهذا ما ينبغي ان يفعله الباقون فان المسلمين هم العنصر الأكبر والأقوى فاذا هو علم أن الخير في الوفاق وعمل بذلك تبعه غيره بالضرورة ولو قام أحد الشعوب القليلة الضعيفة يدعو الشعب الكثير القوي الى المساواة وهو غير مقتنع بها لما كانت دعوته محجوبة ولا مقبولة

فادعو المسلمين في جميع البلاد العثمانية الى ان يكونوا هم البادئين ببر غيرهم والاتفاق معهم واشترك الجميع في الأعمال التي توثق الرابطة العثمانية وتصر بها البلاد التي يتمتع بعمرانها الجميع ، بهذا تكون الامة العثمانية ، وتمتاز بالدوة العلية ، وبهذا يقطم المسلمون السنة القادحين فيهم من الاوربيين ، ويكونون مهتدين في ذلك بهدي الدين المين ،

أدعو إلى هذا مذكرا بالاعتدال فيه ، لئلا يفضي الغلو فيه الى ضد ما يراد به ، بأن يعتقد الجمهور أن كرتهم بالدستور خاسرة ، أو أنهم يسرون الدنيا بخراب الآخرة ، فيحملهم ذلك على الشآن ، أو يدفعهم الى العدوان ، فعلى المرشد ان يكون حكيما في نصحه ، مراعيلا لاعتداد الاكثرين في هديه ،

وأذكر الجميع بأن الطفرة محال ، وان ما يحصل بالتدريج يكون أولى بالبقاء والثبات ، فإذا ترك أحد الفريقين للآخر ما كان يراه حقا له ، فلا يستعجل عليه بطلب سائر ما يراه من الحقوق لنفسه ، حتى التقاليد القديمة ، والعادات الراسخة ، فان المصلح في القوم ليدعو أبناء جنسه ودينه ووطنه الى ترك بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات ، وقيم على دعوته الحجج القوية والآيات اليقينية ، ثم لا يستجيب له قومه الا بالتدريج ، وأرى ان من الحكمة في تلافي الشذوذ والتقصير ، ان يادر العقلاء والصحافيون من كل أهل دين الى انتقاد أهل دينهم ولو بالعنف ، والسكوت عن غيرهم أو الاعتذار عنهم ولو بالتأويل ، هذا اذا كان الشذوذ صريحا في مناوأة أحد الفريقين الآخر ، والا اتفق الجميع على انتقاد المسي من حيث انه مسي ، من غير ذكر لدينه ومذهبه ، ولا اتهام قومه بمشايئهم له ،

(٢) انتقل باقارئ من المسألة الدينية ، الى المسألة الجنسية ، فقد كان التعصب للجنس اشد خطرا على الدولة من التعصب للدين ، فان الشقاق الديني اذا كان يقدر جسم الأمة فيجعله نصفين ، فان الشقاق الجنسي يمزقه فيجعله أجزاء كثيرة ويصيب شره الجميع ، فالمسلم التركي ، يعادي المسلم العربي ، والنصراني اليوناني ، يعادي النصراني البلغاري ، وعلى ذلك قس

لو بدأ بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية العربي او الكردي او الألباني او الأرمني أو الرومي او البلغاري لما سمعت للبادئ من هؤلاء دعوة ولما كان لها من الوقع والتأثير عشر معشار ما كان لجاهرة التركي بها ، لان الترك هم اصحاب السلطة في الدولة فهم من هذه الجهة كالمسلمين من سائر الملل فلما قال أحرارهم هلموا ايها ايها العثمانيون ترك التعصب للجنس ونشرك بقلب واحد لا يقصد به امتياز جنس على آخر لباهم الجميع حامدين شاكرين . فوجب ان نخص الجنس التركي

بالثناء الحسن قبل ان تناسي او تنسى انا اجناس مختلفة - ولا بدع في جهر الترك بذلك فانهم كما صرحنا : نذبضع سنين ارقى العثمانيين تربية وتعلما ، واعلاهم اديبا وتهديا (٣) بعد ذلك كرمسألي الدين والجنس اذ كرشينا من عمل الجمعية التي تلافى ضررها وسمت مع غيرها لخير العثمانيين كافة . ينضم العثمانيون الاحرار الى هذه الجمعية - جمعية الاتحاد والترقي - ويعمل الجميع لحفظ الدستور الذي نالوه بعد السعي الخيبي اليه حتي اندججت الجمعيات فيها او كادت ، وتدابجت معها كما ارادت ، وان هؤلاء الاحرار المتحددين في هذه الجمعية هم الذين يديرون نظام المملكة الآن ، وقد ظهر من كفاءتهم واعتدالهم ما جعلهم موضع اعجاب الامم والدول الاوربية كما تنطق جرائدها بلغاتها المختلفة . وقد مر على اعلان الدستور شهر أو أكثر ولم يبلغنا ان احدا انتقد على الجمعية عملا من الاعمال أو اديبا من الآداب على ان اوربا تراقبها مراقبة الناقد البصير الذي لا يحابي ولا يدهن حتي قلنا ان « مجلس المبعوثين » لا يرجي ان يكون خيرا منها في الادارة والاصلاح ، ولا أقرب الى العدل والانصاف ،

ينحصر عمل الجمعية الآن في ثلاثة مقاصد (١) تطهير الدولة ملكيتها وعسكريتها من المفسدين الذين ناط بهم الاستبداد السابق أمورها (٢) تقوية استعداد الأمة للحكم الدستوري (٣) تحسين الصلات بين الدولة العلية ، وبين جميع الدول الاوربية ، لا سيما ذوات السبق الى الحرية كانكلترا وفرنسا

اما تطهير الحكومة من رجس اعمال الاستبداد السابق فالمبادرة اليه من اهم الضروريات قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين وتلقي اليه الجمعية مقاليد السيطرة والمراقبة فانه ليعجز ان يعمل في عدة سنين ما عمله هي في هذه الاشهر التي تقدم اجتماعه كما يظهر لنا من الطريق السوي الذي سارت عليه في ذلك . فقد بدأت بتطهير المايين والباب العالي ونظارة الحرية واكثر الولايات في وقت واحد . فأخرجت من المايين رؤساء الفتنة والفساد وعزلت السر عسكر رضا باشا وناظر الداخلية ممدوح باشا وسجنتهما مع تحسين باشا رئيس كتاب السلطان والشيخ أبي الهدى احد مستشاريه وفر من رؤساء المايين عزت باشا ونجيب باشا ما حمله وسليم باشا ما حمله الى اوربا . واخرجت من المايين اكثر الحجاب والكتاب والخدم

ومثلي الروايات وأجواق المويستقات من النساء وحددت نفقات السلطان وراتبه الشهري ونفقات قصره وجعلت جميع بطائنه من الأحرار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال الامر الى أن وضع هو على صدره شارة الجمعية وقال انه رئيسها وكثير الغزل والنقل في المعسكرات وهذا ضروري جدا لتكون الجمعية واثمة من القوة التي هي سياج الدستور وعماد الأمن . وكذا في الدوائر الملكية . ولما رأى كثير من الخائنين ان إخوانهم في الفساد والتخريب يزلون بادروا الى الاستقالة فكثرت بذلك الاعمال التي ليس لها الآن عمال ، واختيار الابدال عسر جدا مع تحري الاكفاء أصحاب النزاهة ، فلذلك نرى انه يجب على الجمعية ان قبل من عمال الاستبداد من لم يعرف بالتجسس ولا بالرشوة ، وان كان ممن جروا على مصانعة القوة ، وان تجري في ذلك على سنة التدرج فان في العجلة مفسد كثيرة ، واما تهوية استعداد الامة للحكم الدستوري ومقت الاستبداد فقد سارت الجمعية فيها على الطريقة المثلى بتأسيس شعب لها في كل مدينة يرتبطون باللجان العليا في الستانة وسلايك وأوربا ، ويحمل الشعب على المظاهرات وتجريره على الخطب الحماسية في تمهيج الحكومة السابقة حتى افراط بعض الناس في ذلك افراطا لا يحمد عاقبته ثم اننا نرى بعين البصيرة ونسمع من اخبار البلاد ان كثيرا من المناقنين اعوان الاستبداد السابق ومحبيه يتهاقون على الدخول في شعب الجمعية تعريزا بالقوة واكتسابا من السلطة ، لاحبا في الدستور وحرصا على الحرية ، ولكن قلما يرتقي هؤلاء بانفسهم الي ان يكونوا اعضاء عاملين في الجمعية ، كما صار يدعي كل من كان يطن في الدولة انه من الاحرار طلاب الدستور . ونرجو ان يوفق الاعضاء الصادقون الى تمحيص شوائب هؤلاء الاوشاب أو الى محققهم وتزكية الجمعية من نفاقهم

هذا — وان في البلاد نوعا من جرائم الفساد لم يبلغنا ان الجمعية قررت إزالته على شدة خطره على الحرية . الا وهو عصابات الفساد من أشقياء الاهالي الذين يظلمون الناس وينغون في الأرض بغير الحق ويأوون الى بعض الوجاهة فيقتدونهم من الحكام بالرشوة حتى بلغ من استهاتهم بالحكومة في بعض البلاد ان زالت هيبتها من قلوبهم وصاروا يأتون المنكرات على رأى من شرطها وهم آمنون مطمئنون

فيجب على الجمعية ان ترشد الحكام الاحرار الذين قبيهم الآن الى نقب هؤلاء الاشقياء وتريتهم بالشدة التي لا يطمعون معها في عودتهم الى مثل ما كانوا عليه في أيام الحكومه الساقية والا كانت فائدة الحرية للاشرار وغائلتها على الابرار وأما المقصد الثالث من مقاصد الجمعية وهو موادة الدول الاوربية ، فقد كانت فيه احزم واحكم منها في سائر أعمالها الحسنة ، ولا نرى فيه شائبة نذكر بها الا الاحتراس من جنوة المانيا والنمسا والله الموفق فسنأله حسن الختام

﴿ المجلس النيابي لمصر ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع من منار هذه السنة أن انكلترا عازمة على انشاء مجلس نيابي في مصر وقد تلقى جمهور المصريين هذا الخبر بالدهشة والاستغراب وعلوه مناقضا لما يستتبع من سيرة المحتلين في مصر وتصريحات لورد كرومر في تقاريره وناظر خارجيتهم في مجلس النواب بلندره ، وكنا نظن ان حركة القبط التي شرحناها في الجزء الخامس مما يحتمل ان يحصل الانكليز على إرجاء السماح بانشاء هذا المجلس الى أجل حتى جاءنا نأ جديد من أبناء أوربا السرية العالمة بأن القوم لا يزالون على مزعمهم وان مجلس النواب المصري يوشك ان ينقذ في السنة القابلة

لا أقول ان كتابات القبط التي تنابت على لندره لم يكن لها أثر فيها وانما أقول انه قد عارضها اعلان الدستور في الدولة العلية واضطرار حكومة بريطانيا لإظهار الرضا والابتهاج به وما اضطرها الى ذلك الا اخلاق شعبها وقائدها القديمة الراسخة في حب الحرية ونصر الاحرار أينما كانوا وحيثما وجدوا. فرأت وزارة الاحرار الانكليزية انه لا يليق بها ان تظهر الميل الى الدستور في مكان والميل عنه في مكان آخر على ان الانكليز قوم يجارون الطبيعة ولا يقاومونها ويعملون في كل حال ما يرونه يليق بها ويوشك ان يكون للوفد المصري الذي سافر الى لندره بزعامه اسماعيل باشا أباطه تأثير حسن في المسألة فان انكلترا يصعب عليها أن تؤدي هذه الخدمة لمصر بطريقة يسهل فيها غمط حقها وانكار فضلها وإسناد عملها الى غيرها مع انه لا يمكن ان يتم في مصر أمر عظيم بدون رضاها ما دامت جيوشها محتلة فيها

كيف نستعمل الحرية (*)

أيها السادة الأحرار

وقفت غير مرة مثل هذا الموقف بعد اعلان الحرية ، وكنت في مواقي الأوّل أرسل أقول إرسالاً ، لأنّ المواضيع متوفرة ، والشعور بالحال اطلق اللسان من عقائه ، وفكّ الافكار من أصفادها ، بعد أن لبثت مدة ترسفت فيها ، حتى كدنا نياس من انتهائنا ، مع علمنا بأن لكل بداية نهاية .

ولكنني الآن اتلو عليكم خطبتي تلاوة ، لأنني سئلت ان اتكلم في موضوع لا اتعداه ، ومرئجل الكلام لا يستطيع حصره في موضوع واحد ، لأن الخطب الارتجالية حرةٌ مثلكم أيها السادة فهي تأتي التيسد ، وقد جعلت موضوع خطابي هذا « كيف نستعمل الحرية » لأننا احوج الى هذا الموضوع الآن من سائر المواضيع خاص الخطباء في تعريف الحرية وحدودها ، حتى كادوا يضعون لها قيوداً ، ويخرجونها عما وجدت له ، ولو كانت ذات شعور لمجبت كيف يحاول تقيدها طاقواها وكاد قوم بهذه النواحي يشوهون وجهها الجميل ، ويشوشون مفهومها المستبين ، فظنوا ان الحرية تبيح للناس امتهان حكامهم ، والنعي على صالحهم وطالحهم سادتي : ان من يدفع عن مركزه بقوة ، انما يرجع اليه مثل القوة التي دفع بها ، فإذا كانت المظالم زحزحتنا بقوتها الوحشية عن مكاننا ، فنحن لا نتركز في قطة الا اننا دفنا تلك المظالم في صدرها ، وانجينا باللائمة على القائمين بها

الشعب الذي ينلو الحكام في ظله ، يجب ان يتطرف في الحرية متى نالها الحاكم المسترسل بالظلم ، الملوث بالرشوة ، لا يفيقه من سكرة الاستبداد الا التفرغ الفطيع ، والتنديد الشديد ، فهو كالمضو الخدّر ، لا يحسن الا بالوخز المؤلم وربما لا يحسن به

(*) خطبة من الخطب التي اقاها في احدى احتفالات الحرية ببيروت السيد

حسين وصفي رضا شقيق صاحب هذه المجلة (المنار)

(المجلد الحادي عشر)

(٦٩)

(المنار ٧)

كل هذا ايها الاخوان لازم بل واجب ، ولكن لا يسوغ ان نجعله ديناً لنا حتى كأنه هو المقصود بكلمة الحرية ، إذا نكون صرفنا الحرية عن معناها ، ولم نعرف كيف نستعملها ، وحاشا ثم حاشا ، وكلا ثم كلا

أيها الشعب السوري العظيم ، يا سلالة الفينيقيين الذين ادهشوا العالم ، الذين لم تهب سفنهم هجمات امواج المحيط الاعظم ، الذين ملأ ذكرهم بطون التواريخ ، اني أحبيك واهش لك ، احبيك باسم الحرية ، وانا ديك بمل ماضي : انت أسى من أن تضع الحرية في غير موضعها ، وانت احق بها واهلها ، بل إنما وجدت لتكون لك قبل كل البشر

الحرية هي تمتع الشخص بما لا يضر به سواء ، وصيانة الافراد من عبث الحكام ، وسهولة سلوك السبل التي من شأنها إعلاء شأن الأمة ، وتبسط انبائها في الحضارة والعمران ، وعدم استكانتهم للظلم والهوان ابيح لنا القول ايها الاخوان ، فاسترسلنا في القول ، والقول مقدمة للعمل فيجب ان نعمل أيضا

وضح لنا بهج المعين الذي ارتوى منه الافرنج قبلنا ، فلا يحسن بنا ان ترتشف منه ارتشافاً بل يجب ان نتلمه ابتلاعا اذا قدرنا اتيح لنا ان نعمل ما نشاء ، فلا يليق بنا ان نعمل ما من شأنه إضعاف قوانا وإنهاك جسمنا ، بل يجب ان نعمل على ما يرفع شأننا ، ويجعلنا في مصاف الأمم الحية الراقية ، وبذلك نحسن استعمال الحرية

الجميات هي اساس النجاح ، ودعائم الرقي ، فيجب ان نؤسس جميات ، لا يسوغ ان تكون جمعياتنا لطائفة من الناس ، لا يجوز ان تكون اسلامية أو مسيحية أو يهودية مها كانت وجهتها ، وأنى كان قصدها ، بل يجب أن تكون عثمانية بحتة ، اتم عثمانيون ايها الاخوان ، فيجب ان تكون جمعياتكم عثمانية ، الجامعة التي تنضمون تحت لوأها هي العثمانية ، فاجعلوها جمعياتكم كذلك تحسنوا استعمال الحرية عاشرت اثنين ايها الناس منذ بضع سنين اسمها مشترك بين المسلمين والنصارى وانا للآن لا اعرف ان كانا مسلمين او نصرانيين ويجب ان تكونوا اتم كذلك

ايضا ، يجب أن تتعارفوا بعثايتكم لا بمذهبكم ونحلتكم ، أليس كذلك ؟ بلى بلى
المدارس الوطنية هي كل ما نحتاجه الآن ، لنهض من كبوتنا ، ونُقَال من
عثرنا ، وليس عندنا الآن مدارس وطنية بالمعنى الذي أريده ، أريد بالوطنية التي
تضم الفرق والنحل ، وتنشئ طلابها تنشئة واحدة ، غايتها اعلاء شأن الوطن ،
ووقاية الحرية بالهيج والأرواح ، والمدارس هي نبت الجمعيات وبنها فتى انشئت
الجمعيات فقد أُمست المدارس ، فانشئوا الجمعيات انشئوا الجمعيات تحسبوا استعمال الحرية
الجرائد هي القوة الكبرى والمدرسة التهديبية ، وهي ميزان اعمال الامة ، وعنوان
حالتها ، وهي المسيطر الرقيب على الحكومة بل ان رقابتها تناول كل شيء ، وهي قائد
الامة الى مواطن السعادة والهناء ، والصادقة بها عن مواطن البوار والشقاء ، فيجب ان
ان تكثر الجرائد بيننا ويم انتشارها وبذلك نحسن استعمال الحرية

الخطابة هي مدرسة الشعوب الثانية بعد الجرائد ، ولها من العوامل في التأثير
الكبير ، ومن البواعث على العمل المنفذ ، ما يرفع ويعلي ، وينتاش الأمم من الحضيض
الاسفل ، وينيف بها على يفاع المجد والسودد ، واذا كانت الجرائد لا تقراء فقط فان
الخطب يتناولها سمع القارئ والأمي ، ويستفيد منها العامل والجاهل ، والنشيط والخامل ،
والصانع ، والزارع ، بل هي لكل احد ، والخطابة الحرة وكانت ولا تزال من
الدعائم التي يثاد عليها بناء التمدن الباهر ، ويرتفع بها صرح المجد الحقيقي ، فالمنابر
المنابر !!! لا تهملوا شأنها ، ارفعوا اعوادها ، ليرن صوت خطبائها ، ليهتفوا فلتندم
الحرية ، فبذلك نحسن استعمال الحرية

التآلف بين الفرق والنحل هو الضامن الوحيد لبقاء وحدتنا ، واجتماع قوانا ،
والمحافظة على حريتنا ، وبه نرد عادية المظالم ، وندفع غائلة الظالم ، وهو الذي يجعل
مجموع أفراد الامة كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحلمى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، كما ورد في الحديث
الشريف ، فيجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، لنحسن استعمال
الحرية ، فليدم التآلف

ان استعمال الحرية يكون بالسير على النهج الذي أشرعته لكم أيها السادة ،

وعدة شؤون آخر ، يضيق مثل هذا الموقف عن استيعابها ، ولنا من حزم رجالناخير
كفيل للسير على النهج السوي ، والطريق المبتد ، والأمل معقود على ان
بينوها بالصل لا بالقول

بقيت لي كلمة أراني ملجأ الى الجهر بها ، قبل نزولي عن هذا المنبر ، تلك
الكلمة هي إعلان استيائي واستياء العقلاء ، ممن يذهبون إلى أن الحرية منحة أو
هبة من شخص معلوم ، ان هذا القول لا يليق صدوره من الأحرار ، إنه كذب
وخيانة وفاق ، وليست هذه الخصال من الحرية في شيء ، ان الحرية هي حق
لشعب يسلبه منه بعض الظالمين سلباً ، فليل الشعب له انما هو استرداد لحقه
المعتصبة منه ، وليس من الهبات والمنح ، الحرية ليست ملكاً للحاكم ولا للسلطان
فكيف يهب الانسان ما ليس بملك له

هذا واتي أشكر لجيشنا الباسل سعيه الكبير ، وعمله العظيم ، الذي خاف
به كل جيوش العالم ، منذ وجد الجيش وأست الجندية ، فان الجيوش في كل
الأدوار والأجيال ، كانت يدافعون القوية ، يستعين بها على قتل روح الحرية ، ولا
أذهب بالاستشهاد بكم بعيداً أيها السادة ، بل أفت انظاركم الى فظائع جيش العجم ،
ومنكرات جيش روسيا ، وكيف يمثلون بطلاب الحرية أقبح تمثيل عملاً بإرادة
المستبدين ، وتنفيذاً لمقاصد الظالمين ، فليمت المستبدون ، وليسحق الظالمون

واشكر أيضاً لرجال جمعية الأتحاد والترقي العمالي ، ولكل رجال الاصلاح
الذين وقفوا حياتهم ، وخطروا بأرواحهم ، في سبيل استرجاع الحرية ، وأصرح
بأن جمعيتهم قامت بما لم تقم به جمعية في العالم منذ أسست الجمعيات ، فلنما كانت
سبياً في إحياء شعب بأسره ، لأن الشعب المستعبد هو البيت شرع ، هذا مع
اعترافي بما للجمعيات من الأثر المحمود في خدمة النوع الانساني

واسأل الله أن يوفقنا للسير على ما يبلي شأن أمتنا ، ويرفع مقام دولتنا ، ويحفظ
علينا نعمة الحرية ما دامت السموات والأرض ، اه

(المار) جاءنا من بيروت ان الجمع المحفل قد صفق للخطيب صفيقاشدينا ،

وعتف بالدعاء له والثناء طفاً كثيراً ،

الفصل الحادى عشر (*)

(الحب الشريف)

إن أشرف السير سير أهل الفضيلة وما الفضيلة إلا من خصائص
النفس فمن كان من عشاق الفضائل حسن به أن لا تقتر نظرات بصيرة
الى النفس فهي مستقر الخوارق ، ومستودع المعائب
النفس على الآيات الكبر ، ومهيطة الفيوضات العلى ، والمرآة العظمى
التي ينكشف بها الازل والأبد ، والمطبعة العظمى التي ترسم بها الاشياء
وتكثر الصور ،

هي السلك المدود بين مبدع الطبايع ، ومقيم الشرائع ، وبين
الجواهر المتأنفة الصامته ، والظواهر المسخرة للطبيعة ، فهي خليفة عليها
واقفة على خطواتها ، مشرفة على حركاتها ، وهي مجذوبة من طرف اليها
بجاذبية الانس والمادة ، ومجذوبة من طرف آخر الى مصدر بوارقها
بجاذبية الحب والشوق ، وبأجذاب النفس الى الظواهر تأخذ الظواهر
حظها من الانكشاف ، وبأجذاب النفس الى منح الظهور تأخذ النفس
حظها من الشهود والاشراف ، فيحق لها في الحالتين أن تتعبد بما ميزها
به فأطرها تباركت عظمته ، وتعالى شأنه ،

أعظم خصائص النفس الحب والبغض بل ان هاتين الطيبتين
المتضادتين أعظم وأميس الا واكوان لوجودات كلها، لكن اخطت

المحبات ، وتباينت الاشواق ، وأوتيت النفس الانسانية أعظم نصيب من هاتين الطبيعتين لاتساع المحيط الذي تدور فيه ، ولا تصالها بعالم الحس وعالم الغيب ، وتردها بالانجذاب بينهما فهي ان وقتت يوماً مع الظواهر أنست بها ففشتها لما رش عليها مبدعها من الحسن الذي هو وصفه ، وان ارتفعت الى المبدع دهشت فتولت فتدلت لما هنالك من المجالي الازلية التي تطير السرائر شوقاً الى التمتع بها

الفضائل والذائل ، الخيرات والشور ، الحزن والسرور ، الرغبة والرغبة ، الاقدام والاجسام ، الكسل والنشاط ، الارتفاع والهبوط ، كل ذلك من مبدعات الحب والبنص وآثارها . وكل درجة من هذه الاشياء قائما هي على مقاييسها ، هما بالاختصار ركنا السعادة والشقاء ، فن هدي الى تصريفهما والجري بهما على سنة مثلي فقد أهديت اليه السعادة وأوتي بالحب الشريف والبنص الشريف حظاً من الخير عظيم



كانت السيدة « خديجة » ذات قلب طاهر والقلب الطاهر مركز الحب الشريف فماذا أحببت سيدتنا هذه؟ كان قلبها تواقاً الى مهالي الامور ، عظيم الشنف بحسن الاخلاق ، وقد أمد الله فطرتها امداداً عظيماً فقويت معرفتها بالمكارم ، وعظم علمها بأن الفضائل هي التي تليق بالانسان سواء وقتت نفسه مع هذه المحسوسات أم أرادت أن تندرج في زمرة عشاق المجالي الازلية

عرفت هذه السيدة صلة النفس الانسانية بمن منه انشقت أسرارها ،

واقترنت أوارها، فكان لها تشوف الى جود عظيم يفيض عليها من العناية الربانية، كما هو شأن ذوي السرائر الصافية، وحصل لها من هذه الحالة الطيبة قوة فراسة والقراءة نور فكانت تهتدي بها فيما هي حائثة الروح عليه من الفضائل، ومن أحب شيئاً أحب أهله من أجله، فلما عرفت ابن عبد الله ووجدت فيه ما يمشق من المزايا العلية، انثرت حبة من تلك المحبة الشريفة التي كانت بها تنشد المكارم فوقعت في محل من قلبها لتثبت شوقاً الى هذا الرجل الصالح الذي ألفت المكارم كلها لديه، وأيقنت ان معرفتها هذا السعيد بمزاياه العظيمة هو أعظم الآثار التي كانت تشوف اليها من لدن العناية المرجوة .

الآن وجدت محبة الفضائل والمحامد أعظم من تجلي الفضائل والمحامد فيه فكيف ينفر منه قلبها؟ بل كيف لا يميل اليه فؤادها؟ فالامانة هو ذلك الشهر فيها وقد سبرته في متجرها فربحت بواسطته أضعافاً، والشجاعة هو المنشأ فيها على يد عظيم الهمة أبي طالب، والنباهة هو الذي تسطم في عيابه طوالها، والحكمة هو الذي قرأ في سباه آياتها، والعفة هو ربها، والمروءة هو مجمع شواردها، ومحاسن الخلق هو النسخة الصحيحة منها، فأبي الفضل تنشد بعد هذا محبة الفضل، وأي المحامد تريد بعد هذه سريرة المحامد؟ كمال خلق وكمال خلق، جمال شخص وجمال نفس، حنك لم يظفر بمثلا أقرانه من الشبان، ووقار لم يحظ بأقله الكبار، وهمة لا تقف أمامها الصعاب، وعزيمة لا تني أمام الثقال، قوي شديد، حلیم رشيد، كما يقول فيه عمه أبو طالب وهو به جدير:

فن مثله في الناس أي مؤمل اذا قاسه الحكام عند التفاضل؟

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلها عنه ليس بنافل
 لقد علموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الأباطل
 فأصبح فينا أحمد في أرومة قصر عنه سورة المتطاول
 فإأكثر فبطة السيدة «خديجة» اذ عرفت هذا السيد الجليل، وما
 كان أجدرها بأن يعلق قلبها الطاهر به، وما أقوى نور فراستها اذ علمت
 انه لا نظير له، وان سعادتها لا تتم الا به، وما أحقها ان تشتم الفرصة وتسبق
 الى زوج هذا الشريف الذي جمع الى شرف النسب شرف الخلال

الفصل الثاني عشر

مقاول هنا وقد

كانت الكهانة شائعة في ذلك الزمان كما هو شأنها في كل الأزمنة
 الى زماننا هذا وكان علماء التوراة يثبتون دائماً بظهور نبي متطر وبمضهم
 كان يقول انه سيظهر من العرب . والراهب مجيرا قرص بابن أخي أبي
 طالب اذ كان معه صغيراً وقال له: سيكون لابن أخيك هذا شأن: ولم
 يكن بعيداً عن المؤلف أن يخبر بعض الناس بالمغيبات ولكن لم يكونوا
 يصدقون كل شيء من هذا القبيل ولا يكذبون كل شيء كما هو الشأن
 في أهل زماننا أيضاً

وقد كثر التكهن قبيل ظهور النبي (ص) ولكن أكثر الناس لم
 يكونوا يبالون بتلك الاخبار لانهم تعودوا أن يروا شيئاً من كذب
 الكهانة مع مصادقة صدقها أحياناً فلم تكن الثقة بها في الحقيقة عامة
 ولا سيما في الأمور العظيمة

وبينما نساء من قريش مجتمعات في عيد لمن في الجاهلية اذ تمثل لمن رجل فلما قرب نادى باعلا صوته: يا نساء أهل مكة سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد فمن استطاع منكن أن تكون زوجاه فلتعمل، فكذبته ورمىته بالحصى وكانت فيهن « خديجة » فلم ترمه كما رميته

لم يكن هذا النبيء كاهنا معروفا فلذلك احترمه النساء لانهن لا يمانن في الغالب الا باهل الشهرة . ولكن كان قومهن يعتقدون بالهاتف وهو على اعتقادهم روح ينطق بالشيء من حيث لا يرى أو يتمثل بصورة بشرية فيقول قولا من هذا القبيل ثم يئيب فكان السيدة « خديجة » اعتقدت ان هذا المنادي هاتف فلم ترمه كما رماه ترائبها ولطبا صدقت اذ ذاك وقامت خيرا ورجت أن تكون صاحبة هذا الحظ

وان صح ظننا هذا بالسيدة كان لنا دليل جديد على عظيم تطلعها الى بركات الجناب القدسي فاذا الرغبة في زوج المنعم عليهم بالنبوة لا تعظم الا من العارفة بذلك الجناب الاعلى الذي يفضل بمخلة النبوة على من يشاء كانت النبوة معروفة عند قومها بما سمعوه من أخبار انبياء جيرانهم بني اسرائيل ومعروف ان النبي رجل كالرجال ولكن يصطفيه الله ويرفع درجة نفسه على درجات سائر نفوس البشر حتى يطلعها على ما لم يطلع عليه أحدا من أسرار عالم الغيب ، وليست النبوة ملكا أو حظوظا زائدة من نعم الدنيا بل جل الانبياء الذين سلفوا كانوا مقامين ولم يكن حظهم الا مقاومة الناس أيام وتمذيبهم . والنساء انما يربحن بالنعيم والرفاهية ورفد العيش وكثرة الخلل والحلي وكل هذا لا يرجي لذي الانبياء الذين تنصرف

أنظارهم عن متاع التروير وينتقون الى بافيه غبطة الروح فلا تصور السعادة من النساء عند الانبياء الا اللاتي أنعم الله عليهن بسلامة الفطرة وقوة الاستعداد كالسيدة « خديجة »

ولما رجع عندها « ميسرة » من الشام في تلك السفارة التي ذهب بها مع الهاشمي « محمد » أخبرها بأحوال غريبة رآها منه لا يكون أمثالها الا لمن سمعت أخبارهم من الصالحين المباركين فما لبث أن رن في قلبها صدى ذلك الصوت الذي سمعته بأذنها ، صوت ذلك المنادي في النساء المجتمعات اللاتي كانت معهن في العيد . وكان هذا الصدى الذي رن في قلبها تألف منه هذه الكلمات :

« تقاؤل هذا وقته »

الفصل الثالث عشر

الخواطر في قلب « خديجة »

كانت « خديجة » تعرف أن ليست النبوة بالكسب والاجتهاد وانما هي محض عطاء واختصاص من الحي الازلي الدائم ولكن كانت تريد على خواطرها ما حكاها لها عندها « ميسرة » ويرن على أثره ذلك الصدى في قلبها فتقول في نفسها أي مانع يمنع رجائي بفضل الله بأن أكون صاحبة الحظ من الرجل المبارك الذي أنبأ به الهاتف ؟ أي مانع يمنع فضل الله عن قومي اذا أراد أن يخرج منهم ذلك الانسان الذي يقول عنه علماء التوراة وكان لها ابن عم من جملة علماء هذا الكتاب

ثم اذا صرّ بتلبها خاطر آخر يقطع عليها هذه الآمال وينهاها عن هذه الاحلام - التي كانت تراها في اليقظة - ترجع الى الشيء المحقق الذي لا ينازع فيه خاطر ولا يماري فيه حجبى وهو ما يحلى به ابن عبد الله من صفات الكمال، فتمثل في فكرها تلك الطامة السنية ويلمع أمامها برق من تلك العيين الدعجاوين، وتنسى الشمس وسائر الدراري حين تذكر دائرة ذلك الوجه المائق، ويقوى ايمانها بالملائكة اذ ترى في هذا الشخص البشري آيات القدس والطهارة، فتقول في نفسها أفليس حسي أن أكون ربه النصيب من فتى قريش الوحيد الذي كله الله ان لم أكن صاحبة الحظ من الصالح الذي أنبأ به الهاتف

ثم تتراجع اليها الخواطر ويقلبها ذلك الحب الشريف الذي نمت حبه في قلبها على ضروب من الحيرة فتقول في نفسها مرة أخرى: من لي بهذا المكمل الذي مال اليه قلبي، وحامت حوله خواطري، وعكفت في دائرة محاسنه نفسي، أليست تتمم العادات بأن أكون أنا الخاطبة؟ أف للعادات ما أثقل أحكامها، وما أظلم قضاءها، وما أشد عمته مسالكها، وما أسوأ عواقب الجود عليها، وما أنجس صفة الدين لا يترشحون عنها، نعم نعم أف للعادات فكم أوقفت بعض الاجيال في سجون ضيقة مظلمة من التقليد الضار، وحجبت عنهم أنوار التبصر والتدبر والتفكر، فانطمست عليهم سبل الارتقاء في معارج الاستحسان والتحسين، ونمت عليهم مطالع السعادة الحقيقية للنفوس

أف ثم أف للعادات فهي قاطمة الطريق على نتائج المقول تزج بها في مهاوي العدم، أو تذرهما في سجن أقفر ممنوعاً عنها كل ما يربها، وباعجبا

لبنى آدم الذين يضعون المادة في هذا المكان من الحكيم على قوسهم والقضاء على عقولهم وقلوبهم أليس لهم ما يذكروهم بأن المادة من صنعة أيديهم وتصوير أحلامهم أليس لهم ما يصيرون بأن المادة يجب ان تكون تابعة لامتبوعة، ومنقادة لاقائده، حتى اذا فتحت أمام بصائرهم أبواب آخرها هو خير ودعوا عانتهم تلك محودة على قدر ما فتحت، ومنذومة على مبلغ ما ضرت، واستقبلوا أخرى مصاحيبها على مقدار ما يدوم من أسبابها ورفع من أبوابها

تبرمت «خد بجة» بالمادة كثيراً، وتأقت من قتلها طويلاً، وسردت كل سينات الجود طيبها في نفسها التي هي أعلى من قوس الناقلين عن المقدمات والنتائج، لما خصها الله من سلامة النطرة، وفضل النطق، وقوة آلة المعرفة، ومزيد حرارة الهمة،

ثم عادت تعثر الضعفاء الذين لا يستطيعون التغلب على الثابت الراسخ وهم الاكثرون وتذكرت أسباب رسوخ بعض الماديات ومنها وفرة فوائدها في أوقات سلمت، وأحوال مضت، ورأت ان الناس يرثون من السالفين كل شيء، ولا يميلون الى التغيير حتى يميل بهم الدهر ميلة شديدة على يدعاصف من الحوادث، أو هبة شديدة من إرادة بعض الاشخاص، وكم دكت الارادات القوية أطوداً من الماديات

ربما كانت هذه السيدة تستطيع التغلب على المادة فلا تجد بأساً بأن تخطبه بنفسها لانها كانت قوية الارادة. ولكن من لها بأنه لا يرد خطيبها وهي أرملة في الأربعين من العمر، وهو في الخامسة والعشرين يشف مجاه عن ماء الفتوة، وينشر عندي الشباب، والمرأة مها فتريت ارادتها تذكر

الخية فينظ احجاسها اقدامها وهذا بعض أسباب العادة في أن تكون هي المخطوبة

ما أصعب الخواطر على المرأة التي تجرد ذاتها من السعادة ولا تستطيع الاقدام على تحصيلها هي صعبة على الرجل أيضا ولكنها على المرأة أصعب لانها أضف على كل حال . بيد ان ضعفها الذي زينها الله به في عين الرجل بهتت نفسها وعلت كرامتها لديه . قهوة الخمر والحياء من ضعفها ، وذلك أعظم حلية طبيعية تزدان بها ، ومن عطل من هذه الحلية منهن رغب عنها الكرام من الرجال . وشدة الرحمة من ضعفها وما أعلى وأجمل وأزين هذا الضعف الذي بدونها تمقت المرأة . والجن من ضعفها ولولا ملاحظ الاعتدال في اقتسام الاعمال بينها وبين الرجل

فإذا تصنع قوة ارادة السيدة « خديجة » أمام شدة خنرها وحياتها ، وماذا تنفع شجاعتها أمام خشيتها من الخية ، وماذا تجدي قوة عزيمتها وصبرها عند المزيجات من خواطر الحب الشريف الذي ملأ قلبها الطاهر بعد ان كان حبة صغيرة أقيت فيه

الهم رحماك فليست القلوب من حديد ، ولم تقد من صخر ، ان نسيم الخواطر فيها يصدع ان جاءها رائحة الياس ، ويرأب ان أتاهم رائحة الرجاء ، وكذلك كانت خواطر السيدة « خديجة » صادعة ورائية ، بيد ان رجاءها كان أغلب ، ولو كشف لها الفطاء عما يحف بها من السعادة المنجية عنها اذ ذاك لا قلب رجاؤها يقينا . ولكن تستكمل الفراز حظها من النفوس كتب على الانسان ان يقب عنه آتية من السعادة والشقاء فترى منحوسا يضعك ويلبب والشقاء يساوره عما قريب يأخذه يائسا أو يصبحه ولاء

صباحاً . وترى مسعوداً يتململ ويمسي ويصبح علي مضاجع الحيرة والارق
واجماً سادماً والسعادة من حوله مرفرفة بأجنحتها ستقف مما قريب على
رأسه وتشمله ويتبارك بها بيته

فما أشد حاجة هذه السيدة السعيدة في مواقف حيرتها تلك الى
هاتف يبشرها بقرب اتصال السعادة التامة بها ، ما أشد حاجتها الى من ينبئها
بأنها هي الجوهرة النفيسة التي أعتدت لذلك الذي ميزته العناية الازلية
أكل تميز . ولكن ليظهر مزيد فضلها في الميل الى رب الفضائل والمكارم
التي لا تباري حجب عنها كل هاتف وحبست عنها البشري حتى أخذت
الخواطر حفظها من قلبها الكريم وتمكن منه كل التمكن ذلك الحب الشريف
لذلك الذي أجمعت فيما بعد قلوب الملايين التي لا تحصى على حبه

الفصل الرابع عشر

الزواج

لابدع اذا قلب الشوق نفوس المحبين في يد الخواطر كالكرة بيد
اللاعب فان قوام الكائنات بشوق ذراتها بعضها الى بعض وكان جديراً
أن يتجلى هذا المعنى بزيادة في غريزة خليفة الله في الارض نبي الانسان .
كيلا يكون بنو آدم وحواء أفتق من الجمادات حظاً في هذا التاموس
الكبير الفائدة .

فبعد أن تمكن من « خديجة » الشوق الشريف هذا التمكن أصبحت
جديرة ان تتناول هدية سعادتها ، وتكشف لها المحجب عن الرحمة التي

ترعاها ، فهبط على قلبها خاطر جديد كان به الوصول الى النعمة الجديدة
خطر لها ان تبث الى الذي سكنت مكارمه ومعالیه فؤادها رسولاً
تسير به رغبته وتستبني به سعدها مما ينزل على قلبه من الالهام بهذا الشأن
وساقها الى هذا الخاطر قوة رجاها بالله سبحانه وحسن ظنها بأن هذا
المكمل لا يرد رغبة مثلها وهي الجامعة لصنوف من المعالي يقل اجتماعها
في سواها

كانت لها صديقة اسمها « نقيسة » (وهي أخت يعلى بن أمية) قصصت
عليها حديثها واتممتها على هذه الرسالة ولم يكن بالصب أن تؤدي الصديقة
هذه الامانة لانها ستتكم كما أنها صاحبة رأي تشير به حتى اذا وجدت
مجالاً كانت وكيلة بإبداء القبول

لم تكن النسوة اذ ذاك محتجبات ولم يكن ممنوعات من مكالمه الرجال
فلم تكن رسول « خديجة » محتاجة الا لشيء من قوة الجنان أمام ذلك المريب
المظيم وقد أمدت من سعد مرسلتها بحظ منه

ومن يكن راعيه السعد فقل ماشئت في تيسير ما يرجوه

جاءت « نقيسة » هذه ابن عبدالله وفي القبيلة الواحدة يعرف الناس
بعضهم بعضاً فقالت له ما يمنعك أن تزوج فاعتذر لها بقلة المال اللازم للقيام
بشؤون العائلة قالت له فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة قال
لها « ومن ؟ » قالت له « خديجة »

قالت هذه الكامة وصمتت تنتظر ما سيبدو منه وأحدث هذا الكلام
حركة في فؤاده وبأي شيء يتحدث ذلك الفؤاد الطاهر حينئذ الا بقوله :
خديجة الشريفة المروفة بالطاهرة ، هي المناسبة ، هي الموافقة ، هي الصالحة

اذهي ياقيسة فاني سأخطبها

فرجعت تحمل هذه البشري وكانت ميمونة النقية في هذه الرسالة
فأله يعلم كيف أجزلت السيدة خديجة كرامتها ولم تنتظر كثيراً حتى أتى
خاطباً ومعه عمه حمزة فقال عمها عمرو بن أسد بن عبدالمزي « هو الفحل
لا يقدر أنفه » وهو مثل عريبي يقال للكفو الذي لا يزدان خطب
ما كان هذا الخاطب الكفو غنياً اذ ذاك ولكنه لم يكن أيضاً معدماً
فهو من آل عبد المطلب العاصرة بيوتهم بقري الضيفان واغاة الهفان في
هذا السبيل تذهب أموالهم ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب
وأبواب المراج بما أوتوا من الهم والشم ولم يكن اعتذاره ذلك اعتذار
المعدمين وإنما هو اعتذار المتربص أن يتوفر له مقدار أكبر . فمع قلة ماله
في ذلك الحين أصدقها عشرين بكرة لان اعطاء الرجل للمرأة صداقاً سنة
عربية لم يكن ليحسن تركها

وازواج العريبي ليس محتاجاً الى رؤساء ديانا، ولا تلاوة الرؤساء
صلوات، بل هو عقد كسائر العقود المدنية يتوثق برضا المرأة وأوليائها
ورضا الرجل، فخطبة من الرجل وتقديمه الصداق واجابة من المرأة
وأوليائها تصبح المرأة زوجة شرعية للخاطب . وهكذا أصبحت
« خديجة » الطاهرة زوجة « محمد » الأمين بكلمة أعطها عمها عمرو بن
أسد فاعظمها من كلمة جمعت بين القمرين ا

فبشر مجادى الدين يستمعون القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولواللبار

المسحاة

١٣١٥

بوتني الحكمة من يشاهو من بوات الحكمة ففد أوتني
غبرا كبرا وما يندكر الا اولو الاباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر - الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٢٦ - ٢٥ سبتمبر (ايول) سنة ١٩٠٨

فَتَاوَى الْمَبْتَلَى

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع اناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا ورمعا قد منامتا خرا لسبب كعاجبة الناس الى بيان موضوعه ورمعا أجبنا غير مشترك لثقل هذا. ولن يبغي على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاقفاله

﴿ أسئلة من روسيا ﴾

(س ۱۲ - ۱۶) من الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس

سيدي الفاضل اعرض على حضرتكم ما يأتي بيانه لمحض الاستفسار والاستنباء وان كان في صورة الانتقاد وهو: اني قرأت في الجزء الثالث من المجلد العاشر من مجلة المنار الفراء في قسم التفسير عند قوله تعالى «ويطعمون الطعام» الآية حديثا طويلا مرويا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد رأيت في (نوادير الاصول في معرفة أخبار الرسول) للحكيم أبي عبدالله محمد بن علي الترمذي رحمه الله انه عد هذا الحديث من المنكرات حيث قال في الاصل الرابع والاربعين فيما يعدونه صدق الحديث بعد ما ساق الحديث الى آخره: هذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين والجاهل بعض على شفتيه تلها الا يكون بهذه الصفة ولا يدرى ان صاحب هذا الفعل مذموم قال الله عز وجل في تنزيله الكريم «ويسألونك

ماذا ينتقون قل العفو» وهو الذي يفضل عن نفسك وعيالك قل صلى الله عليه وسلم
«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» واقترض الله على الأزواج النفقة
لا هاليهم وأولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كفى بالمرء إثماً ان يضع
بما يقوت» أفحسب عاقل أن علياً رضي الله عنه جهل هذا الأمر حتى اجهد صبيانا
صغاراً من ابناء خمس اوست على جوع ثلاثة أيام ولياليها حتى تضوروا من الجوع
وغارت العيون بخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم مابه من
الجهد؟ هب انه أثر في نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يحمل على اطفاله
جوع ثلاثة أيام بلياليهن؟ هذا ما ذكره الحكيم الترمذي في وجه التنكير الا ان
المتدبر لو تدبر في احوال هؤلاء الكرام لا يستبعد وقوع هذا الحال منهم ولذا لم
ينين لي وجهه والمأمول من الاستاذ ايضاح ذلك حتى ترتفع الشبهة.

٢ الفونوغراف—وقد رأيت أيضاً في هذا الجزء في قسم الفتاوي سؤالاً يتعلق
بالفونوغراف فخطرت لي عند ذلك مسائل اخرى تتعلق به وهي هل يجب السجدة على
من سمع آية السجدة منه؟ وان شخصاً لو شهد بواسطة الفونوغراف أو أودع الوصية فيه
هل تقبل شهادته وتنفذ وصيته ام لا؟ واني أظن ان السجدة يجب على السامع اذ هو
كالاستماع عن انسان وانما الفونوغراف آلة للاستماع فقط وكذا الشهادة والوصية
ينبغي ان تكون صحيحة نافذة مهما ميز صوتها فان الاصوات متمايزة في التليفون
والفونوغراف حتى اننا لو سمعنا صوتاً معروفاً لنا من قبل نقول انه صوت فلان ولا
نشبه فيه فيكون ذلك في حكم الاستماع عن نفس القائل والله اعلم.

٣ التجارة بالجلود — ان اخواننا المسلمين في سبريا الروسية غالبهم يتجرون
بالجلود وفيها جلود ميتة غير مدبوغة وجلود غير مذكاة وانهم يسألون عنها ويستفتون
ما حكمها الشرعي ووربما تكون المعاملة بين المسلمين بالطائفة القرغزية فما حكم ذلك شرعاً؟
هل تكون فيها توسعة ان قلنا ان دارنا دار حرب ومذهبنا يوسع فيها في عدة مسائل
كسئلة الر بامثلاً؟ هذه المعاملة مما تم به البلوى في تلك الاقطار والمرجو من الاستاذ
حل هذه المسئلة بحيث يخرجها عن الشبهة ولا يوقع حرجاً ان شاء الله تعالى
٤ الامامة — ان رجلاً قطعت احدى رجليه من فوق الكعبونه قدم صناعية

وكان اماما في بلدة منذ سنين والآن وقع خلاف بين علمائنا في صحة امامته فمن قائل انها لا تجوز والاكثر على الجواز ونحن لم نر في الكتب التي بأيدينا أن صحة القدم من شرط الامامة ولذا لا أرى بأسا في امامته متى وجد سائر الشروط المهمة وأرجو من الاستاذ بيان ذلك أيضا حتى يندفع الاختلاف بيننا

٥ النسخ - هل هو من اصول الدين بحيث لا يجوز الخلاف فيه ام هو مسألة خلافية بين المسلمين كما ذكره الفاضل محمد توفيق في مقالة النسخ والمنسوخ وهو يقول ان ابي بن كعب رضي الله عنه قال بعدمه اي بعدم نسخ القرآن بالقرآن واستشهدوا عليه بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما معزوا الى البخاري الا اننا لم نر نقلا آخر سوى ما ذكره عن أبي ما يؤيد هذا القول وليس في هذا القول أيضا تصريح بعدم النسخ وانما يحتمله كما يحتمل غيره ولا يقطع بالاحتمال مراد القائل ولم يذكر خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه المسألة ثم ان أبا مسلم رحمه الله الذي نسب صاحب المقالة هذا القول اليه هل يعتبر قوله بحيث نعده خلافا في المذهب فبعضنا يقول ان النسخ لا خلاف فيه بين اهل السنة وانما هو خلاف نشأ من الاعتزال ولكن لم يظهر لي وجه هذا القول أيضا فان النسخ ليس من مواد الخلاف بين النبي والمعتزلي فيما اعلم والله اعلم. وذكر ابن امير الحاج في شرح التحرير خلافا في نسبة هذا القول الى ابي مسلم حيث قال حكى الرازي والآمدي وابن الحاجب انكاره وقوع النسخ معا و قيل لم ينكر وقوعه وانما سماه تخصيصا فعلى هذا يصير النزاع لفظيا والله اعلم. والمأمول من الاستاذ تفصيل هذه المسألة وتحقيقها كما وعد في ذيل تلك المقالة وكما تفضل بالاجوبة الشافية في المسائل السابقة

العبد المستفيد من علمكم الوافي

محمد نجيب ابن الاستاذ شمس الدين محمد الحاج المرصع التوتاري

الجواب عن ار علي وآله عليهم السلام

إننا قد ذكرنا ذلك الأثر في الإيثار لاجل العبرة به وقد أشرنا الى ضعف الرواية بقولنا « ويروى » ولم تثبت في تفسير الآية بل وعدنا بذلك في تفسير

سورة الانسان ان أنساً الله لنا في العمر وعند ذلك نذكر مكان الرواية والمسألة . وما قاله الحكيم الترمذي بمضه وجيه مقبول ، و بعضه متقد مردود ، والإيثار مرتبة وراه مرتبة تقديم الانسان نفسه على من يجب نفقتهم عليه من أهل وولد ، وتقديم هؤلاء على غيرهم وقد ورد في الصحاح ان كبار الصحابة آثروا على أنفسهم وأولادهم مع الفقر وشدة الحاجة فكان ذلك سبب ثناء الله عليهم بقوله (٩: ٥٩ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقد حررنا هذا المبحث في المجلد الثاني من المنارج (راجع ص ١١ و ١٧ منه) ولا يبعد ان يقصد علي وفاطمة تربية ولدهما على الإيثار ان صح الاثر من طريق الرواية بنصها او مبالغة فيها ولا حاجة الى التطويل في ذلك فالخطب فيه سهل

الجواب عن مسائل القوتعرف

انما شرع السجود عند تلاوة أو سماع الآيات المخصوصة الأمرة بالسجود او الرغبة فيه لإظهار الخضوع والامثال ومن سمع القرآن من القوتعرف صدق عليه انه سمع القرآن فالظاهر انه يشرع له السجود عند سماع آية السجدة منه . وإنما عبرنا يشرع دون يجب لاننا نرى أن السجود مستحب لا واجب كما تدل على ذلك الأحاديث الصحيحة وعليه الشافعية

واما الشهادة والإقرار والوصية وسائر المعاملات الدنيوية فالعبرة في ثبوتها أن تكون بحيث يوثق بصدورها ممن صدرت عنه ويؤمن من التزوير فيها لأنها ليست من المسائل التعبدية التي يوقف فيها عند نص الكتاب وما مضت به السنة بلا زيادة ولا نقصان فاذا وثق القاضي بشهادة القوتعرف مثلاً كانت بينة شرعية صحيحة لان بينة كل ما تبين به الحق كما حققه ابن القيم وذكرناه في المنارج من قبل

الجواب عن مسألة جلود الميتة

روى أحمد والشيخان واصحاب السنن الثلاثة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشاة الميتة « هلا اتفتمم بجلدها » وهذا اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى له « هلا استتمتم باهابها » والاهاب ككتاب الجلد او مالم يدنغ منه كما في القاموس . ولفظ احمد ومسلم وغيرهما « هلا أخذتم اهابها فدبتموه فاتفتمتم

به « فقالوا انها ميتة فقال « انما حرم اكلها » وذكر الدباغ بيان لطريق الاتفاع وليس فيه حصر وفي لفظ لاحد : ان داجنا لميمونة ماتت فقال رسول الله (ص) « ألا اتفتم باهابها ألا دبتموه فانه ذكاته » اي ان الدباغ مطهر كالذكاة . ولا ينافي هذا جواز الاتفاع بالاهاب غير المدبوغ كما تدل عليه الرواية المطلقة . وروى مالك وابو داود والنسائي وابن حبان من حديث ميمونة ان رسول الله (ص) مر به رجال يجزون شاة لهم مثل الحمار فقال « لو أخذتم اهابها » فقالوا انها ميتة فقال « يطهرها الماء والقرظ » صححه ابن السكن والحافظ . ولعل هؤلاء لو اکتفوا بأمره اياهم باخذ اهاب الميتة والاتفاع به لكفاهم ولم يذكر لهم غيره وحسبك بعبارة الحصر في قوله « انما حرم اكلها » اي لا الاتفاع بها . وحديث « لاتنفخوا من الميتة باهاب ولا عصب » قد أعلّ بالاضطراب والارسال فلا يعارض هذه الاحاديث الصحيحة ولا ينسخها . ولا يعارضها ما ورد في النهي عن شحوم الميتة فانها مما يؤكل فسدت الذريرة اليه . وامثل ما قيل في النهي عن استعمال جلود السباع انها مدعاة القسوة والكبر هذا وان المراد بالتنزه عن النجاسة هو ان يكون المؤمن طاهرا نظيفا بعيدا عن الاقدار وما فيها من المهانة والمضار ولذلك كان الدباغ مطهرا لانه يزيل العفونة والرطوبة التي يتن بها الجلد فكل ما يزيل ذلك فهو دباغ مطهر والذين يشتركون بجلود الميتة لا يتركونها بغير دباغ ولا معالجة حتى تفسد عليهم بل يعالجونها حتى يتنفخوا بها فالذي أراه وأعتقد ان التجارة بهذه الجلود جائزة شرعا لا إثم فيه ولا حرج . واذا باعها المسلم من غير المسلمين كان لجواز البيع وجه آخر عند الذين يقولون ان المخالفين لا يكلفون العمل بفروع الشريعة وعليه الخفية . ووراء هذا كله ما أشار اليه السائل من ان التزام العقود الصحيحة في المعاملات انما يجب في دار الاسلام الا ان يقال ان في النهي عن بيع النجس معنى غير كونه عقدا فاسدا . والعمدة في المسألة ما ذكرناه أولا والله أعلم بالصواب

الجواب عن مسألة الامامة

الظاهر من السؤال ان الامام المسئول عن امامته يأتي باعمال الصلاة كلها تامة

وحيثذ يكون موضع الوقفة في صحة إمامته كون احدى رجليه من الخشب وهذا لا يصلح مانعا من صحة الامامة وقد ثبت في صحاح الاخبار والآثار اقتداء الناس بالامام يصلي جالسا للمرض واختلف العلماء فيمن يقتدون به فقال بعضهم يصلون قاعدين مثله وادعى ابن حزم إجماع الصحابة والتابعين على هذا وقال بعضهم يصلون قائمين وفصل بعضهم في ذلك . والاصل ان كل من صحت صلواته صحت امامته . ومن استثنى من هذه القاعدة بعض من تصح صلواته للضرورة ولا تصح امامته كاندري لا يحسن الفاتحة لم يستثنى من ذهب احد اعضائه فاتخذ له بدلا من معدن او خشب لهذا الأرى وجها للخلاف في صحة إمامة الامام المسئول عنه

الجواب عن مسألة النسخ بالاجمال

لا أتذكر اني رأيت في الحديث ذكر النسخ والاصل عندهم في هذه المسألة قوله تعالى (٢ : ١٠٠) ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها) والآية في اللغة العلامة والعبارة . وقالوا قد سميت الطائفة المخصوصة من القرآن آية لانها علامة يفضى منها الى غيرها : او لانها علامة دالة على الحق ، والنسخ في اصل اللغة نقل كتاب عن كتاب وجعل الزمخشري في الأساس قولهم : نسخت الشمس الظل من الجواز والمعنى في كل منهما التحويل الا ان الاول تحويل لمثل الشيء ، والثاني تحويل لغيره . وورد اللفظ بمعنى الازالة والتغيير كقولهم نسخ الشيب الشباب ونسخت الريح آثار الديار وقد ورد ذكر النسخ في كلام السلف وأئمة الفقه واصطلاح علماء الاصول على تعريفه المشهور وهذا في كلام السلف اعم من ذلك فالنسخ في الجملة متفق عليه ولكن وقع اختلاف في تفسيره وفي جزئياته والآية ليست نصا في قول أحد من المختلفين ولا حديث يحتاج به في تفسيرها ولا في نسخ شيء من القرآن وانما مدار البحث والاجتهاد فيها على تعارض النصوص و المروي من الآثار وفيه جرت المناظرة بين الدكتور محمد توفيق افندي صدقي والشيخ صالح الياضي فعند ما تنتهي المناظرة يكون لنا كلمة أخيرة في المسألة وقد كنا بدأنا بكتابة مفصلة ثم جاءنا الرد الآتي من الدكتور صدقي فأمسكنا عن اتمام ما شرعنا فيه

﴿ التمييز عن الملائكة والجن بالقوى ومعرفة حقيقتهم ﴾

(س ١٧) ورد هذا السؤال على الاستاذ الامام من صاحب الامضاء في ٦ يونيه سنة ١٩٠٥ فبعث به الاستاذ الى صاحب هذه المجلة ليحيب عنه في المنار كما كان يفعل أحيانا في امثال هذه المسائل ؛ قد كان ضاع بين الاوراق ثم عثرت عليه في هذه الأيام وهذا نصه :

فضيلتو سيدي الاستاذ الحكيم

بكل أدب واحترام لاثقين لهذا المقام أتقدم لابلغكم أوفر التحيات وأزكى السلامات والشكر على خدماتكم الدينية وقيامكم بتأدية الحقوق العلمية وتقوية السلطة الدينية الاسلامية أدامكم الله ركنا منيعا للوراثه المحمدية . وبعد فياحضرة الاستاذ لما بيني وبينكم من المودة الايمانية أحب مطالعة أقوالكم لأستعين بها على نزع ما اعتبراني من البدع والخرافات الباطلة والله الحمد فقد رأيت الفائدة فله الشكر ولكم والله أسأل ان يطيل حياتكم ويكثر من أمثالكم

استاذي بينما كنت انظر في نفيس تفسيركم لسورة قل اعوذ برب الناس اذ وجدت ما يأتي . حضرتكم قلم « قد وصف الله الوسواس الخناس بقوله : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » وقلم « من الجنة والناس يان للذي يوسوس او ييان للوسواس الخناس فالموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ولكن نجد في أنفسنا أثرا ينسب اليهم ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر » الخ

فبينتم حضرتكم بان الجن خلق مستترون لا نعرفهم فهل المراد لا نعرف كافة احوالهم من ابتداء نشأتهم مع كون القرآن مصرحا بانهم خلقوا من نار في آيات كثيرة والحديث مصرحا بان الشيطان يسري في جسم الانسان مسرى الدم كما كان يسري في الآلهة لمعبودتهم ونعرف ايضا ان النبي بعث لهم وكلفهم بالرسالة فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهذا كله يثبت لنا ان الجن موجودون بمحاثق غير

حقائقنا وانهم يقدرون على التشكل بشكل ما . ثم حضرتكم قلمم « وانما نجد في أنفسنا أترا ينسب اليهم » فهل ينسب اليهم حقيقة او مجازا مع كونكم جعلتم هذا الاثر للشيطان الذي قلمم عنه بانه « قوة من جملة القوى الانسانية » فكأنه لا شيطان ولا ابليس وكان هذه القوة هي التي أمرها الله بالسجود فتكبرت فلعنها الله وقالت « انظرنى الى يوم يعثون * فلاغوينهم اجمعين » وكأنها هي التي قال لها الله « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعودهم وما يعدهم الشيطان — اي القوة — الاغورا » وكأنها هي التي بعث لها المصطفى يبلغها الرسالة وكأنها هي المذكورة في قوله (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الخ قل (أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن) أي القوى وكأنها كانت تتلقى السمع لتبلغه لرئيسها فلما بعث النبي أرادت ان تتلقى السمع فأصيبت بشهاب قبس . وبكل احترام لمقامكم وعدم الاعتراض لاقوالكم اطلب الايضاح عن ذلك لان فكري متشتتة الآن مع بيان كيف حقيقة الجن وكيف كان خطاب المصطفى لهم لتأدية الرسالة وبيان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه اشفى المصروع وأخرج من جسده الجن مع ان الحكماء تنكر ذلك والظاهر للعقل هذا مع بيان التوسل بالنبي والصالحين في الدعاء ولكم الشكر

كاتبه ولدكم

محمود فهمي

باشمهندس ري مديرية الدقهلية

(ج) قول الاستاذ الامام رحمه الله في الجن « هم الخلق المسترون الذين لا نعرفهم » هو الاصل عند المسلمين وكذا اهل الكتاب في هذا الباب . والمراد لا نعرف حقيقتهم لانهم من الخلق المغيب عنا . وما جاء في القرآن من خبر خلقهم وغير ذلك لا ينافي كوننا لا نعرف حقيقتهم وكذلك اخباره عن جميع عالم الغيب لا يقتضي اننا نعرف حقيقة ذلك العالم . والعلم بأن الجن خلق من المارج لا يفيدنا معرفة حقيقته بل ولا ظواهر صفاته ومميزاته كما ان خلق الانسان من طين لا يبين حقيقته ولا مميزاته . ومثل ذلك يقال في تكليفهم . وظاهر قوله تعالى في سورة الجن (١٠:٧٦)

يرهم حين سمعوا منه القرآن فأمن بعضهم وكفر بعض . وقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس التصريح بذلك قال في تفسير الآية « ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رأيهم » الخ ولكن روي عن ابن مسعود انه رأيهم وقرأ عليهم وقال ابن تيمية ان ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة من إتيان الجن له الخ فحسبك من أمر تكليفهم ان حبر الامة ابن عباس كان يعتقد بحسب فهمه للقرآن ان النبي (ص) لم ير الجن وانما اوحى الله اليه انهم سمعوا منه القرآن ونزل عليه فيهم (٤٦:٢٩) واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) واذ اصح حديث ابن مسعود وابي هريرة في رؤيته إياهم ومكالتهم فذلك لا يدل على انهم صاروا من عالم الشهادة وانما صرنا نعرف حقيقتهم فان الله قد يطلع رسوله على بعض غيبه وذلك خصوصية لهم كما قال في سورة الجن (٧٢:٢٦) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً (٢٧) الا من ارتضى من رسول) الخ

وكذلك حديث صفة عند الشيخين وغيرها « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » لا يدل على حقيقة الشيطان ولا يجعلها معروفة لنا والحديث تمثيل لا حقيقة كقول الشاعر « جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي » وليس فيه « كما كان يسري في أعضاء الآلهة » كما قال السائل . وقد قال تعالى في الشيطان (٧:٢٧) انه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم) . وقوله انه صح ان النبي شفا المصروع واخرج من جسده الجن لا أدري من أين جاء به السائل على انه لا يدل على اننا نعرف حقيقة الجن

واما تعبيره عنهم بالقوى فقد كنا نقلناه عن الاستاذ الامام في تفسير سورة البقرة فانكره بعض الناس وان ورد مورد التأويل لمحاجة المنكرين لعالم الغيب فطلبنا منه ان يوضحه فأوضحه بكتابة بليغة زادها على تفسير آيات خلق آدم الذي نشرناه في المنار واتنا نورد هنا ما كنا كتبناه هناك وما زاده عليه رحمه الله واحسن مشاوه ومميز ما كتبه بوضعه بين أقواس هكذا ﴿﴾ وهناك ما هنالك

تقدم ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وانما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي تقف عنده ولا تزيد عليه وتقدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف

لكل صنف وظيفة وعمل وتقول الآن ان الهام الخبير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي (ص) وقد أسندا الى هذه العوالم الغيبية وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محلل الروح فالملائكة والشياطين اذن أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح ان تمثل الملائكة بالتمثيل الجثمانية المعروفة لنا ﴿ لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا قائما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الابدان قطعاً ﴾ والواجب على المسلم في مثل الآية الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سبقت لها القصة

وأقول : إسناد الوسوسة إلى الشياطين معروف في الكتاب والسنة واما إسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشيخين في الحديثين وكون عمر منهم . والمحدثون الملمهون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشياطين فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً الا من حديث أبي الاحوص . والرواية ايعاد في الموضعين كما ان الآية من الثلاثي في الموضعين فما قالوه في التفرقة بين الوعد والايعاد اغلبي فيما يظهر والافهوه غير صحيح واللمة بالفتح الالمام والاصابة

(قال الاستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من انماء نبات وخلق حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفحه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في ايجاده قائما قوامه

بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكا ومن لم ييال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني اتزوى الطبيعية ﴿ إذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ماهو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ﴾ والامراتاب الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطها وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعامل أن ينكره وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعامل من لا تحجبه الاسماء عن التسميات ﴿ وان كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجودا لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهم حق الفهم ولا يصل بعقله الى إدراك كنهه وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أعرف أثره ، وان كنت لا أقدره قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ويحظى بما يحظى به المؤمنون ﴾

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسبته قوة وفكرا وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يعد ان يسميه الله تعالى ملكا ويسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حجب فيها على الناس فكيف يحجب فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان نفاذ والعلم الواسع ؛ ؟

وأقول ان الامام الغزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكا فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال « ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادثة فلا بد له من محدث ومهما اختلفت

الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه بالدخان غمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيا به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي يتهيا به لقبول الشر يسمى اغواء وخذلانا فإن المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة « اه المراد منه فليراجع في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء ثم قال الاستاذ الامام مامعناه: فاذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الارض دبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ﴿ ولا يتعدى ما حدد له من الاثر الذي خص به ﴾ خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحداه والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه لانه أكمل الموجودات في هذه الأرض واستنتى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بابليس وهي القوة التي ﴿ لزها الله بهذا العالم لزها وهي التي تميل بالاستعداد للكمال أو الكمال الى النقص وتعارض مدة الوجود تدره الى العدم أو تقطع سبيل البقاء ، وتعود بالموجود الى الفناء ، أو التي ﴾ تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تم بها خلافته فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ﴿ تلك القوة التي ضللت آثارها قوما فزعموا ان في العالم إلها يسمى إله الشر وما هي يا له ولكنها محنة إله لا يعلم اسرار حكمته الا هو ﴾

(قول الاستاذ الامام) ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق ﴿ ولست أحبط علم بما فعلت المادة والتقاليد في أنفس بعض من

يظنون انهم من المتشددين في الدين اذ ينفرون من هذه المعاني كما ينفر المرضى أو المخدجون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ويتشبثون بأوهام مألوفة لهم تثبت أولئك المرضى أو المخدجون بأضر طعام يفسد الاجسام ويزيد السقام . لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة ! أليس الروح في الآدمي مثلا هو الذي تظهر آثاره في أفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له : فاذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة خلفاء حقيقتها روحا فهل يضر ذلك الدين أو ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟

﴿ ألا لا يسمى الايمان ايمانا ، حتى يكون ادعانا ، ولا يكون كذلك حتى يستسلم الوجدان ، وتخشع الاركان ، لذلك السلطان الذي تعلق به الايمان ، ولا يكون كذلك حتى يلقي الوهم سلاحه ، ويبلغ العقل فلاحه ، وهل يستكمل ذلك لمن لا يفهم ما يمكن فهمه ، ولا يعلم ما يتيسر علمه ؟ كلا انما يعرف الحق أهله ، ولا يضل سبيله ، ولا يعرف أهل الغفلة . لو ان مسكينا من عبدة الالفاظ من أشدهم ذكاء واذرهم لسانا أخذ بما قيل له ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل . ثم تطلع عقله الى ان يفهم معنى نورانية الاجسام وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون ان يقوم بحرم آخر كشف ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء ومعنى قالية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور مختلفة حسب يريدونف يكون ذلك ألا يقع في حيرة ؟ ولو سئل عما يعتقد من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقدة ما لا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة يعدشكا ؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون ابواب الغيب يطرف لما يستطيع النظر اليه لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه ، وكلف نفسه علم ما لا يعلمه ، فلا يعد مثله من آمن بالملائكة ايمانا صحيحا واطمأنت بايمانه نفسه ، وأدعن اهقلبه ، ولم يبق لوهمه سلاح يتنازع به - كما هو شأن صاحب الايمان الصحيح . فليرجع هؤلاء الى انفسهم ليعاموا ان الذي وفرقيها تقاليد حفت بالخاوف ، لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة . هؤلاء لم يشرف في نفوسهم ذلك

السر الذي يعبر عنه بالنور الألهي والضياء الملوكوتي والألاء القدسي أو ما يماثل ذلك من العبارات . لم يسبق لنفوسهم عهد بملاحظة جانب الحق ، ولم تكتحل أعين بصائرهم بنظرة الى مطلع الوجود على الخلق ، ولو علموا ان العالم بأسره فان في نفسه ، وان ليس في الكون باق كان أو يكون إلا وجهه الكريم ، وان ما كُتف من الكون وما لطف ، وما ظهر منه وما بطن ، إنما هو فيض من جوده ، ونسبة الى وجوده ، وليس الشريف منه إلا ما أعلى بذكره منزلته ، ولا الخسيس إلا ما ين لنا بالنظر الى الاول نسبه ، فان كل مظهر من مظاهر الوجود في نفسه واقع موقعه ، ليس شيء أعلى ولا أحط منه ، فانه كان كذلك ولا بد ان يكون كما قدره ، لو عرفوا ذلك كله لأطلعوا لانفسهم ان تجول في تلك الشؤون حتى تصل الى مستقر الطائفة حيث لا يناع العقل شيء من وساوس الوهم ، ولا نجد طائفا من الخوف ، ثم لا يخرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ

هذه القوى التي نرى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا الى آثار تجل اذا كشفت ، وتقل بل تضحل اذا حجبت ، وهي التي يدور عليها كمال الوجود ، بها ينشأ الناشئ ، وبها ينتهي الى غايته الكامل ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل ، أليست أشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت آثارها من عالم الشهادة ؟ ألا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها ، لا يدرك كنهه لاحتجابه بما تصوره من عيانتنا واختيارنا ، ألا ترى ما توافي بأسرارها ، من ينظر في آثارها ، ويوفيقا حق النظر في نظامها ، ليستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق الى استدرار منافعها ، أليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم الغيب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة ؟ أليس هو الذي وهب تلك القوى خواصها ، وقدر لها آثارها ؟ لم لا تقول أيها الغافل انه بذلك وهبها حياتها الخاصة بها ؟ ولم قصرت معنى الحياة على ما تراه فيك وفي حيوان مثلك ؟ مع انك لو سئلت عن هذا الذي تزعم انك فهمته وسميته حياة لم تستطع له تعريفا ، ولا لفظه تعريفا ، الاقول كما قال الله وبه قول

(١٧ : ٤٤) تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

﴿ أفلا تزعم ان الله ملائكة في الارض وملائكة في السماء! هل عرفت أين تسكن ملائكة الارض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون عن يسارك؟ هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام، أو تؤنسك اذا هجمت عليك الأوهام؟ فلوركنت الى انها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها، أفلا يكون ذلك أرواح لنفسك، وأدعى الى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب، ووقفت على سر من أسرار الكتاب، فان لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في ادراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلم ترمي طلاب العرفان بالرهبان ما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسلته، وهم في ايمانهم أعلى منك كعبا، وارضى منك برهبهم نفسا! ألا ان مؤمنا لو مالت نفسه الى فهم ما أنزل اليه من ربه على النحو الذي يطمئن اليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة، ومن فضل ربه في سعة، ﴿

ثم نقول في الآية ان ترتيب النظم يلتئم مع هذا التأويل الذي أورده الاستاذ الامام فان هذه المعاني التي وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وبقي شيء واحد لم يصرح به فيما مضى ولكنه يفهم منه وهو ان كل قوة من قوى هذه الأرض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها خلق خاضعا للانسان وخلق الانسان مستعدا لتسخيره لمنفعته الا قوة الإغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائما الى شرطباع الحيوان ويعوقه عن بلوغ كماله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لا يغلب هذه القوة ويخضعها مهما ارتقى وكل وقصارى

ما يصل اليه الكاملون هو الخذر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان على نفس الكامل يجعله مسخرها وتستهمله بالشرور كما قال تعالى (١٥: ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقال عز وجل (٧: ٢٠١ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ﴿ اما سلطان تلك القوة في الفناء وقطع حركة الوجود الى الصعود فلا يستطيع اخضاعه لقدرة من البشر كامل ، ولا يقاوم نفوذه عامل ، وانما ذلك لله وحده . وهذا حكمها في الكائنات ، الى ان تبدل الارض غير الارض والسماوات ﴿ فنسأل الله ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يعيذنا من الشيطان الرجيم . اهـ ما كنبناه في تفسير سورة البقرة مع ما زاده عليه الاستاذ الامام بعد ذلك

باب المناظرة والمراسلة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (٥)

أنا لا أريد أن أناقش أخانا الفاضل والعالم العامل الاستاذ الشيخ صالح اليافعي في جميع ما كتبه رداً عليّ فإن ذلك يؤدي إلى التطويل والتشويش وملل الفارثين وسآمتهم وضياع أوقاتهم وربما خرجنا بالتطويل عن الغرض ، وتركنا الجوهر وأكثرنا الكلام في العرض ، فلذا آثرت أن أذكره بكلمات قليلة في الموضوع هي تبصرة المفكرين . وعبرة للمناقدين (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) وقبل البدء في هذه الكلمات أقدم له جزيل الشكر على غيرته على دينه وعلى ما أبداه من الادب العالي في جميع ما خطه قلمه وأسأل الله تعالى أن يكثر بين المسلمين من أمثاله . وهذه هي الكلمات - :

(الكلمة الاولى) - في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة

(٥) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

النسخ في القرآن — قالوا إن محمداً قد بلغ من الدهاء مبلغاً بحيث صار يلعب بعقول أصحابه ويجعلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فكان يأتيهم بالآية من قرآنه فإذا اتضح له فيها عيب أو سُمع عليها انتقاداً في مغزاها أو معناها أمر أصحابه بإسقاطها من القرآن بدعوى أنها نسخت . وبلغ به الأمر أنه إذا كان ما في الآية من الأحكام متفقاً مع هوى الأمة أو مصلحتها ولكن كان في انشائها شيء لم يرق له بعد إذاعتها أسرع بنسخ لفظها دون معناها خوفاً من أن يوجد في العرب من يمكنه أن يعارضها في بلاغتها . وإذا أتاهم بحكم واتضح له بعد تجربته أنه لم يرض الناس أو أنه لا يفهمهم أو قد يضر بمصلحتهم التجأ إلى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الأحكام وبذلك كثرت بين المسلمين الآيات المنسوخة لفظاً وحكماً أو لفظاً فقط أو حكماً فقط

(قالوا) ولا يدري أحد ما الحكمة في كل هذا التقلب والتلون سوى التخلص مما كان يقع فيه من الورطات والغلطيات ولولا ذلك لما أمكنه التخلص منها . وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وهي وإن كان أكثرها مما فقد بسبب إهماله في المحافظة على قرآنه إلا أن المسلمين اعتدروا عن ذلك بدعوى النسخ وقالوا تحكما إنها جميعاً مما نسخ لفظه وإن كان لا يمكنهم التعليل عن ذلك بعبارة معقولة ، ولا يمكنهم الإتيان بحكمة لذلك مقبولة ، على أن أكثر الروايات التي ذكرت فيها هذه الآيات صريحة في أنها ضاعت من القرآن ولم يرد فيها ذكر للنسخ لا تصريحاً ولا تلميحاً . وما بقي من القرآن الآن بعد كل هذا التصحيح والتنقيح تجد شططاً في كثير من أحكامه فضلاً عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات والمسائل الخاصة بمحمد وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواه كآيات الكثيرة من سورة الأحزاب والتحريم وكبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فإذا صح عند المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها ؟ وما حكمة نسخ ألفاظ آية الرجم مثلاً مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين ؟

هذا شيء من شبهات القوم على مسألة النسخ في القرآن ، وقد قررناه هنا كما يقررونه في كتبهم الطاعنة في الاسلام ، ومنه ترى أن اعتمادهم فيها إنما هو على روايات الآحاد التي يتمسك بها المسلمون وعلى ما اتفق عليه جمهورهم من تسليم مسألة النسخ والقول بها ، وكان الاولى بعلمائهم الذين يقولون بالنسخ أن ينظروا في أمثال هذه الشبهات نظرة تحقيق وتدقيق ، ويردوها بالبرهان إن كانوا قادرين ، بدل أن يهيموا في وجهها ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في أصول الدين ، وبمثابة تسليم سكاكين للخصم ليقطع بها منهم الوتين ، فحسبنا الله ونعم الوكيل

أنا لا أقول ذلك ليأخذ المسلمون برأيي بلا برهان بل قد قدمت من البراهين ما يقع النصفين ، ويهدي المستهدين ، وسأزيد الامر قوة في الكلمات الآتية ، ما سيكون إن شاء الله نافعاً للمؤمنين ، هادماً لجميع شبهات أعدائهم المخالفين

(الكلمة الثانية) - في بيان أسباب نشوء مذهب النسخ بين جمهور المسلمين وتواتره في جميع الازمنة - اعلم أن من أسباب ذكره في عصر الصحابة أمور منها (١) كلامهم في نسخ الاحاديث والسنة فقد كانت الاحاديث والسنن تنسخ بأحاديث وسنن مثلاً وتنسخ أيضاً بالقرآن الشريف فالكلام في النسخ قديم بين المسلمين ونشأ منذ نشوء الشريعة الاسلامية (٢) ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستعملون لفظ النسخ في القرآن بمعنى أوسع مما جرى عليه المتأخرون فكانوا يريدون به تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين المجمل لأن من معاني النسخ الرفع وفي كل ما تقدم رفع لدلالة العام والمطلق والمجمل فلذا تواتر بين المسلمين الكلام في نسخ القرآن كما تواتر بينهم الكلام في نسخ السنة والاحاديث. أما رفع حكم الآية مطلقاً فقد دل الاستقراء على عدم وجود شيء منه في القرآن كما بيناه في المقالات السابقة ولم يرد نص قاطع عن الرسول بشيء من ذلك ولم يصرح به الكتاب العزيز وإن سلم ان بعض الصحابة قال به في بعض الآيات فهو مذهب له في فهمها ولسنا ملزمين بتقليد أي صحابي فيما فهمه ولذلك خالف جميع المفسرين ابن عباس وهو أعلم الصحابة بالتفسير في كثير مما ذهب إليه فيه على أن أكثر الروايات المأثورة عن الصحابة في التفسير

موضوعه كما قال الامام احمد بن حنبل وقله عنه السيوطي في الاتقان فلا يمكننا أن نعلم باليقين رأي الصحابة في أكثر الآيات التي يحصل فيها هذا الخلاف . على أنه قد نقل فيما صح عندهم من الروايات أن بعض الصحابة كان ينكر النسخ في الآيات بمعنى أن يبطل حكمها مطلقاً أو أن تُلغى فلا تلى ولا يعمل بها كأبي بن كعب فإنه رضي الله عنه كان يقول : إني لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد بذلك أنه لا يترك آية ما بدعوى أنها منسوخة كما رواه البخاري في صحيحه فالنسخ وإن انكرناه بمعناه عند الخلف فنحن لا ننكره ببعض معانيه كما عند السلف ولا نرى عيباً في تسميتهم التخصيص والتقييد والتبيين نسخاً . فان كان هناك اختلاف ما بين مثل أبي مسلم الاصفهاني أحد منكري النسخ وبين الصحابة فهو خلاف لفظي لا حقيقي كما لا يخفى

فمسألة النسخ هذه اختلف فيها المسلمون من عدة وجوه (١) في معانيها (٢) في الآيات المنسوخة وقد أنكر الامام الشوكاني وغيره النسخ إلا في بضع آيات وانكره غيرهم في جميعها بمعناه عند المتأخرين كما هو مذهبنا (٣) في جواز نسخ القرآن بالسنة وأنكره الامام الشافعي رضي الله عنه . فأنا بما قلته في هذه المسألة لم أكن بدعا من المسلمين في شيء فان المسألة فيها خلاف من عدة وجوه من العصر الاول الى اليوم وأكثر ما فيها من الخلاف هو في الحقيقة لفظي وان كان لتقريرها على الوجه الذي ذهبنا اليه فيما كتبناه سابقاً تندك دعائم شبهات المخالفين إلا في الدين وتسقط حججهم أما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن أو ضياع شيء منه فقد أذكرها كثير من محققي أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً وأظهر بعضهم ان أكثرها من وضع الملاحدة لتشكيك المؤمنين . وهي تنافي النصوص المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون — واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتجداً) وهي لا تتفق مع ما علم بالتواتر من عناية المسلمين بكتابهم حفظاً وكتابة من عهد الرسول الى اليوم فهي ان لم تكن موضوعه من أعداء الاسلام المناققين لغش المسلمين وتشكيكهم في دينهم فلا يبعد أن يكون الواضع لها من بعض الفرق الاسلامية لتأييد مذهب لها في مسألة

ما أو إثبات دعوى باطلة لا يجدون لها سندا من الكتاب المتواتر فيختفون الروايات ويدعون أنها كانت قرآنا ونسخ وقد انطلت حيثهم هذه على بسطاء المحدثين كما انفلت عليهم في مسائل أخرى كثيرة يقف عليها من مارس علم الحديث فاخترعوا من الأحاديث ما يؤيد مذاهبهم ومزاعمهم . وقد يكون منشأ بعضها خطأ الراوي وعدم فهمه حقيقة بعض المسائل فيظن ان كل ما أوحى إلى النبي ولا يجده الآن في القرآن كان قرآنا ونسخ كحديث (بلغوا قوما أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه) فوقع بسبب ذلك في الغلط رواية ودراية ولو علم ان من الوحي ما ليس بقرآن مطلقا لماساه قرآنا واني لاعجب من قبول بعض المسلمين ذلك منهم واستشهادهم على نسخ اللفظ بآية (سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله) مع ان مثل هذا الاستثناء قد ورد - كما قرره الاستاذ الامام --- في القرآن لتأييد النفي وليان أن لا شيء في هذا الوجود يستعصي على مشيئة الله فكأنه يقول انك لا تنسى أبدا الا ان قضى الله بذلك فلا راد لقضائه ولكنه تعالى لا يقضي به كما وعد بذلك في مثل الآيتين السابقتين . وقد ورد مثل هذا المعنى في آيات كثيرة في القرآن الشريف كقوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك) مع قوله (خالدين فيها أبدا) (وما هم منها بمخرجين) وغيره كثير (لها بقية)

كلمات للنار

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب التوقيع ، وهو أحد الأشراف المخلصين في جاوى ، وقد سألتنا نشرها ، فأجبنا سوءه مع الشكر له ، لأنها بمثابة رد على الصادقين عن الحق بلا برهان ولا دليل ، بل بمحض التحمل والتأويل ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها النار حياك الله ويياك ، لقد أوضحت السبيل ، وبينت الدليل ، وشفيت الغليل ، ونحن اليك بالأشواق ، السلام عليك ورحمة الله وبركانه ، من قوم نظروا اليك بعين الانصاف ، فشاهدوا بها ما حيزت من محامد الأوصاف ، فأبصارهم الى

طلعتك مشتاقة، وبصائرهم لما عودتهما من لذائذ الحكمة مفنائه (كذا) ، ثبت الله دعائمك أيها المنهج القويم ، والقسطاس المستقيم ، لقد كشفت قناع الحقائق ، وبينت تباين الطرائق ، وشددت أزر الحق ، وشيدت مباني السنة ، وخربت مصانع البدع ، وجددت لهذه الأمة دينها ، ودعوتهما لتدرك يقينها ، فمنها من اتبعك ، ومنها من ضالك وبتدعك ، هكذا سنة الله في المصلحين ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .
أيها المنار أنت والله الحق الثابت في الكتاب وروده ، والواضحة في سني السنة حدوده ، والمرفوعة عليها قواعده ، والموظفة على طوابعها شواهد ، فلا يحزنك (وحاشاك) ما هذى به بعض حاسديك ، وما فاه به الأغبياء من راديك ، فقد وردت البنا ودودهم التي هي أوهن من بيت العنكبوت ، واطلع عليها المستبصرون عندنا من طلاب الحق فأنشدوا بلسان واحد

ان العرايين تلقاها محسدة ولا ترى للثام الناس حسادا

واقبلوا يتضحكون من تلك الردود التي هي ليست بشيء ولا بعض شيء ، فلا تهدم حقا ، ولا تبني باطلا ، فما عليك ولا على الحق بأس من تلك الكلمات المزورة ، وهاتيك السطور المصورة ، فهي غاية ما قصر رأيهم عليه ، ومنتهى ما بلغوا من العلم اليه ، واننا لانكره اطلاع الناس عليها إذ ليست هي بمعقول ولا منقول ، والحمد لله الذي لم يجعل بيان الحق بزخارف اللسان ، ولكن بالدليل والبرهان ، والاختد بما في القرآن ، وأحاديث سيد ولد عدنان ،

أيها المنار لا تروعك (وحاشاك) تراثر ابهلة والحسدة ، ولا تهمنك وانت الليث همهم السفلة والقردة ، فقل الله ما أوضح منار الحق لرائديه ، وما أرفع اعلامه لواردية ، وما أحلى الرجوع اليه لدى طالبيه ، وما أدحضه لحجة محاربيه ، هو الحق والله أجل من ان تخفض اعلامه ، أو تخفي احكامه ، أو تحاولك أياده ، ما فئت والله مناهجه مسلوكة ، وما انفكت نواقضه متروكة ، لدى حمأة ذمار الشريعة ، وحراس حصونها المنيعه ، معاذ الله أنت يستر شمس الحق ضباب الهديان ، أو يخفي سنا مناره عنا حجاب البهتان ، بنفسي أفديك أيها المنار من ان يدنس طاهر ساحتك المندسون ، أو يداس في واضح احكامك المندسون ،

أيها المارك أسوة بالانبياء والمرسلين ، وفي جميع المصلحين ، فادأب فلاحق طلاب ، ولا تبعاً بفرقتين احدها عمشت بصاؤها عن رؤية الحق ، مذعمت عليها انباء العلم ، فصارت اذا حدثتها بما صح سنده عن النبي صلى الله عليه وسلم شاعبت ، واذا حدثتك هي بما لا سنده عن بعض من تعظمهم طلبت منك الايمان بالمحالات ، فهذه جاهلة ملبس عليها ، ثبت التقليد في قلبها والثانية ثقلت عليها وطأة الحق اذ جاءها ، وطفقت تضلل من رام اهداءها ، وتذمرت من ورود حق المقال ، خوفاً من ائلام اعتقاد أولئك الاندال ، وهذه غير ملومة لانك جذدت عليها أصول الكدية ، وسددت دونها سبل الفرية ، وكسدت بضاعتها الرائجة التي طالما استنزفت بها الأموال ، وأضلت بها عقول الجهال ، وأنت بالرغم منها حولت اهزل جدا ، ومددت لها من الضيم بظهور الحق مدا ، أيها النار اني أعقد كما يعتقد كل منصف ، وأدين الله تعالى بأنك أنت الحق الصراح الذي لا يتردد فيه عاقل ، ولا يرده الامتهور جاهل ، أو أحق متجاهل ، فريك آمن أيها الحائد عن السنن القويم ، والناظر الى النار بعين السخط الذميمة ، ولا تبار قوماً لا يشق لهم في المعارف غبار ، ولا يدرك لعباب علومهم قرار ، طالما ازاحو دياجير الجهل بشموس المعارف ، وازالو بقواطع الأدلة هام المجادل المجازف ، فارجع البصر ، وانهم النظر ، في أجزاء النار الماضية والقادمة ، تدرك هناك وصفك ووصفهم ، وجراتك وخوفهم ، وانا ابتهل الى الله ان يميني على ماضيه وشمله منار الحق ويصني عليه انه بالاجابة جدير والسلام

السيد محمد بن هاشم بن طاهر

بجاوا — المالاغ

ابو حامد الغزالي (*)

٥

رأيه في حكمة التكليف ورد شبهات الباطنية عليه (١)

﴿ جواب المسائل الاربع التي سأها الباطنية بهمدان ﴾
(من الشيخ الاجل أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
سئل ما قول سيدنا الشيخ الامام الاجل ، حجة الاسلام ، شرف الشريعة ، مقتدى
الفرق ، امام الائمة ، في هذه المسائل الاربع التي لبس (بها) هؤلاء القوم الذين طفوا
في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وموهوا بها استجلا بالقلوب الخلق ، وهي هذه
﴿ المسئلة الاولى ﴾ أليس أهل الاسلام متقين على ان الباري جل ذكره
غني عن كل شيء غير محتاج الى شيء ما . ثم مع ذلك كلهم معترفون بانه كلف
العباد العبادة وأقربها فكيف تراك نسيت بحجة العقل ان غنيا عن كل شيء يكلف من
لا يحتاج اليه ان يعمل عملاً هو غني عنه ؟ بين لي كيف ذلك لعلني ان أكون من العالمين
﴿ المسئلة الثانية ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة ونهاهم عن المعصية ليثيب
من أطاع ويعاقب من عصى وهذا مستحيل جدا في العقول فأبي حاجة به الى
معاينة خلقه حتى يدعوه ذلك الى ان يكلفهم أمرا اذا لم يأتوه عاقبهم عليه وان

(*) تابع لما في الجزء ١٢ م ١٠ (١) عثر على هذه الرسالة في بعض المجموعات
القديمة ببغداد عالم العراق السيد محمود شكري افندي الأكوبي فأرسلها الينا لنشرها
في المنار فحمدنا سعيه ، وشكرنا فضله ، ونشرناها بنصها ، الا كلمات قليلة علمنا
باليقين انها محرقة فرددناها الى أصلها ، وبقيت فيها وقفات تركناها على حاملها
(المآرج ٨) (٧٦) (المجلد الحادي عشر)

كان لا حاجة به الى ذلك فاقول مستحيل جدا لا توجيه حكمة وان كان تعالى به الى ذلك حاجة فما يصنع بالتكليف وهو قادر على ان يثيب من يريد ويعاقب من يريد؟ فالتكليف أيضا حشو لا توجيه حكمة والحاجة نقص وانه سبحانه وتعالى لا ينسب الى نقص وهو غني غير محتاج

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة لينفعهم بها أترأه جل ذكره عجز عن ان ينفعهم بغير التكليف حتى احتاج ان يكلفهم ثم ينفعهم؟ ان كان غرضه نفعهم فالتكليف ساقط وهو حشو وان كان يمجز عن ذلك الا بالتكليف فالقدرة ساقطة والعجز ثابت وهو محال

﴿ المسئلة الرابعة ﴾ ان الله تعالى لا يستل عما يفعل وهم يسألون ، وهذا باب تحير فيه العقول، هل يجوز ان يأمر حكيم بأمر يخرج عن الحكمة وينبو عنه العقل ثم يحظر على العاقل البحث عنه؟ أليس ذلك ضربا من الجور والظلم لانه جعل الحجمة على هذا الخلق العقل وأمر أهله ونهاهم وخص غيرهم من البهائم على ما خلقوا عليه بالآلات التي خلقت لها وألمهم العقل استعمالها بمثل اللجام الذي تروض الدابة به وغير ذلك من حبالات الصيد والحيل المعروفة التي يطول شرحها ؛ واذا كانت حجة العقل على المكلفين والمأمورين والمنهيين بأمره ثم يكلفون أمرا ويمنعون من الفحص عنه والتماس سبب يتصور به ما يكلفونه عندهم ويصح في معقولهم ؛ معلومهم الذي هو حجة عليهم أليس يكون ذلك ظلما صريحا ؛ ووجدنا المتحلين بالعلم من جميع الاصناف يقولون ان الله جل جلاله لا يقبل عملا الا على بصيرة فاذا منع العاقل من البحث والنظر أين يكون بصيرا وهل يرجى ان يوحى اليه ؛ هذا منكر من القول لا يعقل وما لا يعقل فليس بشيء . ووجدنا هذا الكتاب الناطق بين الخلق من الحق يخبر في موضع بآية « لا يستل عما يفعل وهم يسألون » ويخبر في موضع آخر بانه يستل ويقتضي الجواب في قوله تعالى « ونحشره يوم القيمة أعشى » قال رب لم حشرتني أعشى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فسيتها؛ وكذلك اليوم تُنسى » فأني سؤال أتم من هذا السؤال الذي اقتضى هذا الجواب ؛ وفي القول مثل هذا كثير والتناقض في مثل هذه الآيات ظاهر موجود اذا لم يهر عنه

بيان يقبله العقل . فهذه اعزك الله المسائل الاربع قد شرحت لك بعضها فلا بد من قول خامس تصح به التكليفات لان سقوطها أيضا لا يصح . ابن لي ذلك فاني أراك من المحسنين . الى هنا كلامهم فان رأى سيدنا ان يجيب عن هذا ويوضح هذه الاشكالات ويكشف عن هذه التليسات حاز به الاجر الجزيل والثواب الكثير ان شاء الله تعالى

أجاب وقال أما السؤال الاول وهو استبعاد التكليف مع الاستثناء وتوهم التناقض بينها فصدره الجهل بحقيقة التكليف فكان السائل لم يسمع قوله تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » وقوله « فلا أنفسهم يهودون » وقوله « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » كأنه ظن ان تكليف الله تعالى عباده يضاهي تكليف الانسان عبده فان السيد يكلف عبده الاعمال التي يرتبط بها غرضه وما لاحظ له فيه ولا يحتاج اليه فلا يكلفه به فكان هذا السائل ثبت في وهمه قياس فاسد وهو تشبيه تكليف الله تعالى بتكليف عباده فجعل نفسه مثالا لله، تعالى الله وتقدس عن خياله ومثاله، والكشف عن حقيقة التكليف مما يطول ومن اقتبس حقائق العلوم عن رأيه السخيف، وعقله الضعيف، وقياسه الفاسد، كثر تعثره بالضلالات، بل ينبغي أن يطلب حقائق العلوم من أهلها وهم العلماء الاقوياء القائمون بحقيقة المقولات المطلعون على اسرار الشرع العارفون بشروط الادلة والبراهين المستبصرون بمدخل الغرور والتليس فيها . واذا كان شرح ذلك مما لا يسمح به عداوة؟ على مثل هذه الاسئلة الضعيفة الصادرة عن ضعف البصيرة فلا علاج للافهام الضعيفة انفع من ضرب الامثلة فلنقتصر على ضرب مثلين .

﴿ المثل الاول ﴾ تكليف الله عباده يجري مجرى (معالجة) الطبيب المريض فانه اذا غلبت عليه الحرارة مرة يشرب المبردات والطبيب غني عن شره لا يستضر بمخالفته ولا ينتفع بموافقته ولكن الضرر والنفع يرجع الى المريض وانما الطبيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب شفي وتخلص وان لم يوفق تماذى به المرض وهالك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب سيات فانه مستغن عن بقائه فكذلك خلق للعبادة الاخروية اسباباً تنفسي إليها إفضاء الدواء الى الشفاء وهي الطاعات ونهي

النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن ردائل الاخلاق مشقيات في الآخرة ومهلكات كما ان ردائل الاخلاط ممرضات في الدنيا ومهلكات . والمعاصي بالاضافة الى حياة الآخرة كالسموم بالاضافة الى حياة الدنيا وللنفوس طب كما أن للاجساد طباً فالانبياء اطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح لتميد طرق التزكية للقلوب كما قال تعالى « قد افلح من زكاهها » وقد خاب من دساها » ثم كما يقال ان الطيب امر المريض بكذا ونهاه عن كذا وانه زاد مرضه لانه خالف الطيب وانه صح لانه راعى قانون الطيب ولم يقصر في الاحتماء وبالْحَقِيقَةُ لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة التي امره الطيب بها فكذلك (مداواة) النفوس هي الاحتماء الذي ينفي عن القلوب امراضها . وأمراض القلوب تفوت حياة الآخرة كما تفوت أمراض الاجساد حياة الدنيا

﴿ المثل الثاني ﴾ ان الملك من الآدميين قد يخص بعض خدومه وعبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه الى مجلسه تارة لحظ الملك في استخدامه والاستعانة على نظام مملكته ومصالحها به وهذا القسم ونظيره في حق الله تعالى محال وتارة ليتوجه العبد الى مجلسه وينال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة به وتصميمه العزم على ان لا يستخدمه أصلاً ولكن ليقر به من نفسه لجرد حظ العبد والزيادة في قر به . ثم العبد ان ضيع المركوب وانفق المال لا في الطريق الى السيد عند كافرًا للنعمة وان ركب المركوب وانفق المال في الطريق متزودا به عند شاكرًا للنعمة لا بمعنى أنه نال الملك حظاً لنفسه ولكن اراد سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكرًا وان خالف عدت مخالفته كفرانا والله يستوي عنده كفر العباد وايمانهم بالاضافة الى جلاله واستغناؤه ولكن لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الملك المستقي لعبده الغائب الشقاوة بالذل والقر ويريد له السعادة بالقرب منه وهو غني عنه قرب منه أو بعد . فكذا ينبغي أن يفهم أمر التكليف فان الطاعات أدوية والمعاصي سموم وتأثيرها في القلوب ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة إلا من أتى بمزاج معتدل وكذا يصح قول الطيب للمريض قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتني فلنفسك

وإن خالفت فعليها فكذلك قول الله تعالى «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها»
(وأما السؤال الثاني) فهو فرع من هذا السؤال فان قوله ان الله مستغن
في اثابة عبده عن الطاعة وهو لم يتضرر بها بضاهي قول القائل ان الله مستغن في
في انشاء الانسان عن الامر بالوقاع وفي انماء الطفل عن الرضاع وفي اشباعه عن
الطعام وفي اروائه عن الشراب وفي تصحيحه عن الادوية فابانه عاقب بعقوبة الجوع
من ترك الاكل وعاقب بالمرض من ترك الادوية وعاقب بموت الطفل من ترك
رضاع والده وهذا خيال من يظن ان الله تعالى يفعل ذلك غضبا وانتقاما وليس يدري ان
لفظ الغضب والانتقام مستعار ومأول وانما غضب الله عبارة عن إرادته الايلام
فكما ان الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب مسبب
الاسباب فبعضها يفضي الى الايلام وبعضها الى اللذات ولا يعرف عواقبها الا الاطباء
فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى الآلام الآخرة واذاتها من غير فرق

وكذلك (السؤال الثالث) ينحل به فان الله تعالى لا يوصف بالمعجز عن الاشباع
من غير أكل والإرواء من غير شرب والانشاء من غير وقاع والإيناء من غير
رضاع ولكنه قد رتب الاسباب والمسببات كذلك لسر وحكمة لا يعلمها الا الله عز
وجل والراسخون في العلم وليس ذلك بعجب انما العجب في التعجب من هذا
التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري من لا يهتدي الى سر الحكمة فيه يتعجب
منه لقصور هدايته ومثاله في التعجب مثال الاعمى الذي دخل دارا ففتثر بالاواني
الموضوعة في صحن الدار فقال لأهل الدار ما ارك عقولكم لماذا لا تردون هذه الاواني
الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق؟ فقيل انها موضوعة في مواضعها وانما الخلل
في فقد البصيرة (١) وبالجملة فمن لم يدرك الفرق بين التعجب وبين البرهان كثر
خطبه وضلاله وليس في هذا الا تعجب محض وان الله تعالى لم رتب الاسباب؟ ولو
رتبها على وجه آخر لتصور أن يتعجب منه جاهل و يقول لم لم يفعل ضده وهذه التعجبات

(١) كذا في الاصل و يظهر ان ههنا سقطا وتصحيحه بحسب المعنى ان يقال

وانما الخلل في فقد البصر وكذلك الخلل فيما ضرب له المثل في فقد البصيرة . والمثل
مذكور في الاحياء ولا أحد سمة في الوقت المذكور

منبها اوهام العوام ولا يلتفت المحصل اليها بل الى مقتضى البراهين
 ﴿ واما السؤال الرابع ﴾ ففي ايراده خبط وكان اسائل لم يقدر على ان يفصح
 عما في ضميره والذي يتحصل منه تعجبات اربع

(التعجب الاول) قوله كيف أمر بالشيء ومنع عن البحث عنه والبصيرة
 لا تحصل الا بالبحث؟ وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعي اعتقادا جازما أو معرفة
 حقيقية والاعتقاد الجازم يحصل بالتقليد المجرد عن سبيل التصديق والايان والمعرفة
 تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث كل الخلق بل الضمفاء
 القاصرون عن الاطلاع على عويصات البراهين ومعاصات البحث وانما مثال ذلك
 امر الطبيب المريض (بالدواء) وامتناعه عن ذكر العلة في كون الدواء نافعا ومنعه المريض
 عن الاشتغال بالبحث عنه لعلمه بانه يقصر عنه فهمه ولو اشتغل بالبحث عن علل الطب
 لشق عليه وعجز عنه وزاد المرض واستضر به فان وجد على الندرة مر ايضا ذكيا
 آنسا بمنهاج الطب وعلل الامراض لم يمنعه من البحث ولم يمتنع عن ذكر
 المناسبة بين الدواء وبين علته بل اذا علم انه ليس يكتفي بمجرد قوله وليس يصدق
 بمحض التقليد وتفرس فيه من الذكاء ما يفهم به العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة
 اشتغل بالعلاج وان لم يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ان
 كان يريد صلاحه ولم يمنعه عن البحث اذا علم اشتغاله به الا ان ذلك نادر في المرضى
 جدا والا كثرون يضمنون عن ذلك وكذلك معرفة العال والاسرار والبحث
 عنها في الشرعيات من هذا القبيل ،

﴿ التعجب الثاني ﴾ وهو تسخير البهائم للانسان يضاهي تعجب الانسان من
 يمشي خطوات لينظر الى منزهات ووجوه حسان فيقال كيف اتعب رجله وسخرها
 لاجل عينه واليمين آله كما ان الرجل آله فما بال احداها جعلها خادمة واتعبها
 وجعل الاخرى مخدومة وطالب راحتها وهذا جهل بالاقدار والمراتب بل البصير يعلم
 ان الكامل يفدى بالناقص وان الناقص يتسخر لاجل الكامل وهو عين الحكمة
 واما قوله ان ذلك ظلم فهو جهل بحمد الظلم فان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله
 تعالى لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه الظلم بل له

ان يفعل ما يشاء في ملكه ويكون عادلا (١)

﴿ التعجب الثالث ﴾ أن الشرع كيف يرد بما ينبو عنه العقل ؟ وهو فاسد لان قوله « ينبو عنه العقل » لفظ مشترك فان اراد به أن يرهان العقل يدل على استحاله كخلق الله مثل نفسه والجمع بين المتضادين فهذا مما لا يرد به الشرع ولم يرد. وان اراد به ما يقصر العقل عن دركه ولا يستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمجال بل مقصود بهمة الانبياء ارشادا لخلق الى ما يقصر عقولهم عنه فليس بمجال أن يكون في علم الاطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد والمرأة الحامل لو مشت فوق حبة مخصوصة أقت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه ولا ينبو عنه بمعنى الحكم باستحاله وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد النار قط واحراقها فاجبرنا مخبر وقال اني احك حبة بحبة واستخرج من بينهما سناً احمر بمقدار عدسة تأكل هذه البلد وغيرها حتى لا يبقى فيها شيء من غير أن ينتقل ذلك الى جوفها ومن غير أن يزيد في حجمها بل تأكل كل البلد ثم تأكل نفسها فلا تبقى لاهي ولا البلد لكننا نقول هذا شيء ينبو عنه العقل ولا يقبله، وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك، فكذلك يستعمل الشرع على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو الذي ليس بالمألوف والمحال ما لا يتصور كونه ،

واما ﴿ التعجب الرابع ﴾ وهو انه لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون ثم سئل وقيل « لم حشرتني أعى وقد كنت بصيراً » قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى « فصدر هذا السؤال الجهل بكون « لفظ » السؤال مشتركاً فان السؤال قد يطلق ويراد به الإلزام كما يقال ناظر فلان فلانا فتوجه عليه سؤاله (٢) وقد يطلق

(١) المناز: فسر الظلم هنا بما جرى عليه الاشعرية وفيه نظر ظاهر وقد ينا حقيقة الظلم وكونه محالا على الله تعالى في مواضع من التفسير والنار (٢) هذا ما يعبر عنه الآن بالمسؤولية وهي بمعنى التبعة والمواخذة فمعنى كونه تعالى لا يسئل عما يفعل انه ليس لاحد سلطة فوق سلطته فيسأله عن فعله سؤال من يلقي عليه التبعة ويؤاخذه على ما عمل

ويراد به الاستخبار كما يقال سئل التلميذ والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الإلزام وهو المعنى بقوله « لا يستل عما يفعل » إذ لا يقال له: لم؟ قول إلزام فأما انه لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله « لم حشرتني أعمى » وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسئلة اه والذي أوصي به هذا السائل ان ينظر لنفسه ودينه ويتقي ربه ويطلب علما مليا بعلم العقل والشرع ليهديه الى الطريق فان من ترقى عن مجرد التقليد بأدنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستعلاء كان من الهالكين فعوذ بالله من فطانة نزالة وكياسة ضعيفة فان البلاء منه أولى إلى النجاة منها آمين

استحالة المادة

١

﴿ للدكتور خليل سعادة ﴾

كتبها عند إذاعة خبر هذا الاكتشاف

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

او مض من كعبة العلم نبأ خطير ، دوت له أرجاء العالم المتمدن اي دوي ، وعندني انه اعظم اكتشافات البشر ، وأسمى ما بلغت اليه مداركهم ، فلا يحسب بجانبه كشف العالم الجديد شيئا مذكورا ، وما بلوغ القطب الشمالي اليه سوى العوبة من الأعيب الصبيان ، كيف لا وهو الامنية الكبرى التي طمحت اليها ابصار فلاسفة العصور ، والغاية القصوى التي اشرأت اليها أعناق الحكماء في جميع الدهور ، : حلم رآه أسلافنا في ليل مدلم بظلمات الاوهام ، فتجلى لنا نورا باهرا يبدد دياجى الجهل وينير بصائر الافهام ، بل قل هو الحق انزل على عيون مبصرة ، وآذان مصغية ، وقلوب واعية ، فزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

نريد بهذه التوطئة الاكتشاف الحديث الخطير وهو استحالة المادة الواحدة البسيطة من عضو الى آخر كما تبين الآت في استحالة بخار الراديوم الى عنصر

الطليوم : اجل أماط الطبيعة اخيرا تقاب الخفاء عن وجهها الواضح ، ورفقت الحجاب بعد دلال ونفار ، طال اجله الوفا من السنين ، غادة وضاءة لا كالفادات تعشقها العالم فهام لأجلها في اليد والنفار ، وجرى وراءها الى قن الجبال ولجج الابحار ، تقنى أثرها في الرضاء اللاذعة تحرقه أشعة شمسها ، وفي الثلوج المتراكمة يلذعه قارس بردها ، سهدته قرونا طوا الأوهو يرقبها طول ليله في السيارات والدراري وليل العاشقين طويل ، وتطلبها في قطرات الماء ورشاشه يحرق فيها بمجره وهي غزال نفور كالتبقي الفرار ، اذا دنت نأت ، وان قربت بعدت ، هي اشبه برههات الأكل وسراب الظآن ، لم تكشف القناع عن ثرها البسام لحظة من الزمن ، تطلبها في الحرارة والنور ، وامتطي في أثرها الكبر بائية والبحار ، وكالمبا بين الزهور والرياحين ، وشرح لها وجده بين الرياض والبساتين ، فكانت اذا أدته منها ابتسامة ، اوقفته عن الدنو منها مهابة ، جمال تكمل بالجلال ، وافقة الا أنها دلال ، منها نحل العاشق سقا ، وضاق ذرعا ، فلما أيقنت منه التفاني في سبيل غرامها ، والاستقتال في هيامها ، أماطت الآن اللثام ، بعد آلاف سنين في التحجب والدلال ، والتلاعب والمطال ،

طمحت أبحاث اسلافنا منذ الأعصر المرامية في اقدم الى ا اكتشاف امرين خطيرين اولها اكسير الحياة الذي يتدرج به المرء الى درء كأس الحمام ونيل الخلود على وجه البسيطة ، وثانيها حجر الفلاسفة الذي يباح له به نحويل المعادن الى ذهب ، فيصبح المرء بهذين الاكتشافين خالدا مريا ، وليث التمداء يخطون في دياجير الأوهام ، ويتلمسون الحقيقة في ظلمات بعضها فوق بعض ، حتى نبع نحو أواخر القرن الثامن رجل هو لغز من ألغاز التاريخ غريب الأطوار كثير المطامح بعيد المرامي يسمى جابرا تفرغ الى البحث في المعادن واقطع الى إجراء الامتحانات المتعددة بشأنها تدرعا لتحويلها ذهبا وكان مذهبه ان المعادن خليط من عناصر متعددة يمكن ترقية الدنيا منها الى الاشكال العليا وما قفى يكتر من التجارب ويعيد في الامتحانات وهو في كل ذلك يتراوح بين الحقيقة والضلال حتى أصبح له في عصره شأن خطير ومنزلة راقية في عيون اهله وهو احق رجل بان يسمى شيخ الكيميين ولكنه منطلق

الحقيقة بالجحالة واكتشف الحق بالباطل ولم يدر خطورة قوله ولم يحلم حينئذ ان سيقوم في فجر القرن العشرين رجل من اشهر الكياويين ويكتشف أعظم اكتشاف قدر لله حتى الآن ويحيى به مصداقاً لاقواله

يد ان العلوم الراقية لبثت قرونًا طويلاً خليط فن واحد فكان الباحث متكهنًا في الطب وعالمًا في التنجيم وطوال السعد وصهارا للمعادن وطال أمره دهورا يتلمس الحق على غير صراط الهدى حتى بزغت عليه بعض اشعة العرفان فانبثق الطب من السكينة والفلك من التنجيم وكيمياء الحق من كيمياء الباطل

ولما انتظمت الكيمياء فنا قائمًا بنفسه نبذ طلابها آراء الاقدمين نبذ النواة قنين لم ان العناصر الأربعة التي قال بها السلف وهي النار والهواء والماء والتراب ليست بعناصر بل هي مواد مركبة تنحل الى مواد أخرى بسيطة اطلقوا عليها لفظ العناصر الصحيحة وكان من أوائل اكتشافاتهم بهذا الصدد الاكسوجين . ولما تم لم هذا الفتح المين نشطت المهمة من عقلمها واستولى على المنقطعين الى هذه الابحاث هوس شديد . نضرب لك مثلاً واحداً لتفقه الى أي حد بلغ بهم ذلك الهوس وهو الكياوي الطائر الصيت « لافوازيه » فانه كان في صدر جلة الكياويين الذين نحروا البحث والامتحان بشأن الاكسوجين فبعث الى الاكاديمي في أواخر القرن الثامن عشر رسالة ضافية الذبول بخصوص تأكسد المعادن (١) وكانت له أثرا خالداً وما زال يوالي التجارب حتى انفجر بركان الثورة الفرنسية واندلع لهيبها في باريس وصائر ارجاء فرنسا وكان « لافوازيه » لتكد الطالع رجلاً عريقاً في نسبه ، كبيراً في حربه ، وافراً في ثروته ، فأصبح هدفاً للتأثرين ، وغرضاً لسهام الحاسدين ، فصوبت اعداؤه نحوه شكايات باطلة أصابت منه مقتلاً فحكم عليه بالاعدام وكان اذ ذلك منهمكاً في تجارب كياوية خطيرة فطلب من لجنة الثورة ان تمهله بضعة أيام ريثما يتم ابجائه واكتشافاته فعاملته بفضلة يندى منها جبين التمدن واجابته بفضالة يجر لها وجه الحرية قائلة ان لا حاجة بالجمهورية العلماء !

(١) المناور : التأكسد عندهم عبارة عن اتحاد المعدن بالاكسجين بحيث

يتولد عنها جسم ثالث غيرهما كالصدا في الحديد وهو أكسيد الحديد

فقد من كعبة العلم الى باحة « الفليوتين » (١) وهو الذي قال بشأنه ساعتئذ
« لاغرانج » أحد مشاهير مواطنيه: بعددقيقة يسقط رأس تم بكم أجيال وقرون قبل
الحصول على مثله

فاتشمت اذ ذاك غياهب الجهل عن بصائر أولي النهى ففقهوا ان جل المواد
المعروفة انما هو مركبات وخليط مواد بسيطة متعددة فحسروا عن ساعد الجدوقذفوا
بالأوهام القديمة من حلق وتواردت عندئذ اكتشافات العناصر ثرى على نوادي
العلم ومجامع العرفان فبنيت صروح المعارف على اطلال الخرافات ووطد بنيان
الكيمياء على عمد راسخة الاركان واكتشف الباحثون في العناصر نواميس كياوية
عجيبة لم تكن لتخطر في بال اسلافنا ولا في الاحلام

العروة الوثقى التي وقفت عندها الابواب حيرى هي الذريرات الاصلية لهذه
العناصر فقالوا انها جواهر مادية تتألف من جواهر فردة اذا تجزأت بطل العنصر
أن يكون عنصرا بالخصائص والمقومات التي تميز بها عن سواه غير انه لما كان
الجوهر الفرد لا يقبل التجزؤ فعلا اذ لم يكشف البشر ذريعة أو وسيلة تؤدي الى
ذلك لبث العنصر ثابتا على ممر الأدهار

يد ان القول بوجود هذه العناصر المتعددة الاشكال المتباينة الخواص ثابتة
على هذا المنوال منذ الازل مناف لمطمح الفلسفة السامية القائلة بوحدة المادة وخصوصا
اذا اعتبرت أرضنا نفسها ذريعة من مجاميع ونظامات هذا الكون العجيب الذي
يملاً القلب مهابة ورهبا متي تجلى لك خلال استار الدجى كواكب ودراري سابحة
أو معلقة في فضاء يتناول الطرف الى الاحاطة بعظمته وقفه رموز اسراره فيرتد
عنه وهو كليل

ذلك ما حدا جاة المتضلعين من العلوم الطبيعية الى القول بان سائر العناصر
المعروفة مشتقة من عنصر واحد متناه في بساطة التركيب ولطافة القوام وخفة المادة
غازي الشكل ولما لم يكن معروفا عندهم حينئذ من العناصر التي يمكن الحصول
عليها ما يصح ان يكون أصلا لجميع المواد سوى الهدروجين حسبوه ذلك الاصل

(١) المنار: هي الآلة التي اخترعوها لقط الرقاب بسرعة

حتى انبأ بعضهم من هذه الاستدلالات بوجود عناصر أخرى كانت لم تزل مجهولة لكي تملأ فراغاً في حلقات العناصر المعروفة فجاءت الاكتشافات التالية مصداقاً لنبوتهم ثم انه تبين من الابحاث الحديثة ان الجوهرة الفردية للهيدروجين على ما فيه من التناهي في الصغر هو كبير جداً في حجمه بالنسبة الى ما كشف مؤخران من الذرات الكهربية التي اطلقوا عليها اسم الألكترون بحيث ان جرم الجوهرة الفردية الواحد من الهيدروجين يوازي ألف جرم من الألكترون وثبت لهم ان هذه الذرات الكهربية تستقل عن الجواهر الفردية وتقوم بنفسها ويكون لها جميع الخواص المقومة للجوهرة الفردية حتى ترجح عند كبار الطبيعيين الآن ان الجواهر الفردية لجميع العناصر تتألف من هذه الذرات الكهربية فقط التي بعضها ايجابي وبعضها سلبي بمقادير متساوية وان اختلاف العناصر متوقف على اختلاف مقادير هذه الذرات في تأليف جواهرها الفردية فما العناصر اذا سوى مجاميع هذه الذرات التي تثبت قوامها بقوتي الجذب والدفع

فتمت ذلك علمت كيف تأتي استحالة المادة من عنصر الى عنصر على ما صدرنا به هذه المقالة يد انه لم تتح لبشر مشاهدة هذه الاستحالة عياناً الا منذ نحو أسبوعين من الزمن وتفصيل ذلك انه قدم الى مدينة باريس مندبض من سنوات في أواخر القرن المنصرم فتاة بولونية المتمد في غضاضة الشباب وريهان الصبالمناجبة بعض دروس فلسفية ولو علم أهل تلك المدينة ما سيكون لهذه الفتاة في العالم من خطورة الشأن والصيت الذائع لا حتفوا بها احتفاءهم بالاميرات والملكات من زوارهم فينقضي ذكر الملوك والملكات الذين زاروا باريس اما اسم مدام كرى فيتقى خالداً وهي الفتاة التي نضينا فانها ما لبثت حيناً من الدهر حتى تزوجت الاستاذ كرى فأقاما في بيت بعيد عن ضواض المدينة وجلبه القوم باليان الامتحانات الكيميائية حتى ظفروا أخيراً بأمنية ما وراءها أمنية الا وهي اكتشاف الراديوم

اما وجه أهمية هذا الاكتشاف فهو ان العلماء وجدوا ان معدن الراديوم يختلف عن جميع المواد والعناصر المعروفة على وجه البسيطة في أمر هو إشعاع الحرارة والنور على الدوام دون ان ينحسر شيئاً منها فسواء وضعت في الماء والثلج أو

الهواء بقيت حرارته مرتفعة عما يحيط به وهو أمر لوسمعه العلماء في حلم لما صدقوه. ولما وجد الباحثون عنصرا يختلف في خصائصه عن سائر العناصر ذعروا منه يبدأنهم توسموا به أخيرا خيرا اذ علموا انه سيلقي بين أيديهم مقاليد الكون وينشر امام أبصارهم رموز الطبيعة واسرارها فتهاقروا عليه تهاقت العطاش على الماء حتى بلغت اثنائه في الأشهر الأخيرة مبلغا فاحشا لم يسمع بمثله من قبل فان المقدار الذي لا يتعدى جزءا من خمسة عشر جزءا من القمح منه يساوي خمسين ألف جنيه وكان في عداد الذين اشتغلوا بالبحث في الراديوم واسراره الكيماوي الشهير

السير ولیم رمزي فوجد نظير غيره من المشتغلين به ان في جملة ما ينبعث من هذا المعدن مادة غازية كثيفة بقيت لديهم حينما من الدهر لغزا من الالغاز لانها كانت تلبث ودحا من الزمان ثم تخفى دون ان يتمكن أحد من الوصول الى كنهها فوضع السير رمزي اخيرا هذا الغاز في زجاجة دقيقة جدا سدها سدا محكما وما قى يراقبها حتى تبدت له معجزة من المعجزات وهو ان تبدى من هذا الغاز بعد يومين من الزمن بواسطة السبكتروسكوب خط ضارب الى الاصفرار وهو الخط الذي يشير الى وجود عنصر الهليوم وهو مادة توجد في الشمس ولم يثر عليها في أرضنا الا حديثا ثم بعد نحو اسبوع من الزمن زاد الخط اشراقا دلالة على ان مادة الراديوم الغازية استحالت الى عنصر الهليوم ولم يبق لها من اثر

وهذا الاكتشاف الذي نحن بصددده هو با كورة الاكتشافات العظيمة في فجر القرن العشرين وسيكون له من الخطورة ما هو اهل له وسيقيض لنا على يده كشف كثير مما غمض على أفهامنا من أسرار الطبيعة وغرائب الكون فان الباحثين جارين الى هذه الغاية سباقا يبذلون النفس والنفس ويجودون بالمال والارواح لفرض ترقية شأن العقل البشري والنهوض به من حضيض الجهل الى قنن العلم ولعله لا تغيب شمس هذا القرن حتى تبرغ شمس من سماء الحقيقة والعرفان تتجلي نورا باهرا على الافهام وتميط الطبيعة عن محياها الصبوح حجاب الابهام ومن يش

﴿ رسالة التوحيد ﴾

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
المُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِجَمًا كُلُّ حِزْبٍ
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * (سورة الرُّوم : ٣٠ - ٣٢)

إن الله جلت قدرته ، وبلغت حكمته ، قد برأ هذا الانسان ، بظفرة أعلى
من ظفرة سائر أنواع الحيوان ، أودع فيه شعوراً بلذات وآلام غير جسدية ،
فكان له بذلك حياة غير الحياة الحيوانية ، انشأ مستعداً للإدراك معلومات غير
محصورة ، اذ خلقه ليحيا حياة غير محدودة ، جعل مدارحياته على التعاون والاجتماع ،
ليستعين بذلك على استجلاء ما في الكون من النظام والابداع ، أنشأ افراده
متفاوتين في الاستعداد للعلوم والأعمال ، ليتيسر للمجموع النوع القيام بجميع العلوم
والاعمال ، فأدناهم الخدم والبنائون والزارعون ، وأعلام السياسة والحكام فالانبياء
والمرسلون ، فهؤلاء كالعقول والقلوب والارواح ، وأولئك كالأرجل والايدي
والمعد والامعاء ، فمنهم من يقوم للنوع بأدنى ما يحتاج اليه ، ومنهم من يهديه الى
أعلى ما يتشوف استعداده إليه ، مع احسانه التصرف فيما هو قائم عليه ، وهذه
الهداية هي هداية الدين الذي هو قوام الفطرة للانسان ، الناهض بها الى طلب
الكمال في العلوم والاعمال ،

سار الدين بتكميل الفطرة البشرية على منهاج التدرج في الارتقاء ، كما هي السنة العامة في جميع شؤون الاحياء ، حتى جاء خاتم النبيين والمرسلين بالاسلام ، الذي بلغ بالانسان مرتبة الاستقلال التام ، وبين كتابه انه دين الفطرة للناس ، من جميع الشعوب والاجناس ، الموافق لهم في كل مكان ، المنطبق على مصالحهم في كل زمان ، فهو للقبائل الساذجة كالربي الرحيم ، وللشعوب الراقية كالامام الحكيم ، كما ساروا في العلوم والمدنية شوطا رأوه المجلي في ميدان السبق ، ٤١: ٥٣ سترهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ،

لكن المسلمين قد خذلوا هذا الدين ، وصاروا حجة عليه عند اكثر العالمين ، اذ زينت لهم التقاليد والعادات ، ان يجعلوه حجابا دون العلوم والفنون والصناعات ، وان يتفرقوا فيه مذاهب وشيعا ، ويتقصوا منه سننا ويزيدوا عليه بدعا ، وان يجعلوا كتب العقائد ملأى بالجدل والمراء ، بين اهل المذاهب من الاموات والاحياء ، وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة الى الاسلام ، على الوجه الذي اشترطه علماء الكلام ، وهو ان يكون على وجه يحرك الى النظر ، ويدعو الى البحث والتفكير ، حتى قام الاستاذ الامام ، الذي كان في هذا العصر حجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه في دار السلام ، فكتب (رسالة التوحيد) في بيان حقيقة هذا الدين ، فجاء مع التزام الشرط بما لم يأت بمثله أحد من أئمة المسلمين ،

لا اذ كر في بيان فضل هذه الرسالة ان مجلس ادارة الازهر قرر تدريسها في الجامع الازهر رسميا ، ولا ان علماء الهند ترجموها بلغة الأوردو ليدرسوها في مدرسة عليكده الكلية وغيرها ، ولا ان علماء الاقطار الذين اطعموا عليها قد كتبوا لمؤلفها من مشور الثناء ومنظومه ما يزيد على حجمها اضعافا مضاعفة ، ولا ان بعض علماء النصارى قالوا عند ما قرءوها: لو كان مافي هذه الرسالة هو الاسلام لكنا اول من يدخل فيه ، ولكنها حكمة الشيخ محمد عبده الذي نؤمن بفضله ، وعلو كعبه ، لا أشرح هنا شيئا من مثل هذا وانما أقول انه لا يقدر هذه الرسالة حق قدرها الا من كان عالما بمتى ما وصل اليه علم الكلام من الارتقاء في الاسلام ، وواقفا على

ما كتبه فلاسفة أوروبا في الانتقاد على الأديان، مع ما كتبه في بيان مزاياها وفي علم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع البشري

لم تدع الرسالة شبهة على الدين الا وكشفتها، ولا عقدة من عقد المشكلات الا وحلتها ، ولكن الشبه تدكر فيها غالبا بطريق الايماء والتلويح ، دون الابانة والتصريح ، وذلك أدنى ان لا يثك الضعيف ، ولا يشتغل القوي عن المقصد الشريف ، وقد أشار الى ذلك المصنف في قوله « راميا الى الخلاف من مكان بعيد ، حتى ربما لا يدركه الا الرجل الرشيد »

كتب الاستاذ الامام هذه الرسالة في مدة قليلة وبادر إلى طبعها فلما قرأها في الجامع الأزهر على الآلاف من العلماء ونجباء الطلاب ظهر له فيها أغلاط لغوية ومساائل تحتاج الى إيضاح وكلم جدير بالحذف فكان يكتب ما يراه من التفتيح في النسخة التي يقرأ بها الدرس ويزيد ما يزيد في هامشها ، وقد انتقد عليه الشيخ محمد محمود الشقيطي (رحمه الله) ذكره لمسألة خلق القرآن لانها مخالفة لشرطه في التزام مذهب السلف فأمر بحذف ذلك منها (راجع ص ٣٧ منها) وانتقد عليه حروفا أخرى فأقنعه في بعضها واقنع منه في بعض . وقد جمع جميع ما صححه في جدول فكان ذلك في سبعين موضعا أو أكثر . وبقي فيها كلمات نادرة قد سها المؤلف عنها مع تصحيحه لمثلها ، فأبقيتها على أصلها ، (*) الا كلمة واحدة في ص ١٣١ ولم أزد فيها من عندي الا الرقم الدال على عدد السور والآيات عند ذكرها

ولما كتب الي صديقي حموده بك عبده يأذن لي بإعادة طبع الرسالة اعطاني الجدول فصحت هذه الطبعة معارضة عليه وعلى نسخة المؤلف . وعلفت عليها هوامش قليلة سمعت بعضها منه في الدرس ، ولولا انه نهى عن شرحها ، ووضع الحواشي لها ، لجاز لي أن أكثر من هذه الهوامش ، ولكن ماراه رحمه الله هو الصواب ، وما جاء به هو الحكمة وفصل الخطاب ، فهذه الطبعة هي المعتمدة وعليها المعول ولا يستغني عنها من طالع الطبعة الأولى فرحم الله الاستاذ الامام ، ونفع برسالته الأنام ، آمين

محمد رشيد رضا الحسيني

منشئ المنار

أثر علم البرية

مبادئ الاقتصاد السياسي

قد اشتهر بيننا ان الغنى والفقير إنما يكونان بالحفظ والاقدار ، لا مدخل فيها لعلم المرء وعقله ، ولا لذكائه وسميه ، بل اشتهر بين الأدباء ان العلم والحجى ، ضدان للثروة والغنى ، وقد نظم أدباؤنا في القديم والحديث كثيرا من الشعر في هذا المعنى تداوله الناس وحفظوه فصارت به المسألة عندهم من القضايا المسلمات ، التي يتوهمون انها من البديهيات ، وكيف لا تكون كذلك عند الجمهور وهي مدعمة بظواهر ماجاء في الدين من اسناد كل شيء ، الى مشيئة الله عز وجل ، وللعلماء والصوفية فيها من الكلام ما هو أشد تأثيرا في النفوس من كلام الشعراء والأدباء . وما يؤثر فيها عن الامام الشافعي رضي الله عنه من آيات

لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مقترقات أي تفرق

ثم انهم يرون ظواهر الحوادث الجزئية تؤيد هذا الرأي وتثبتته اذ يرون ، مثل فلان باشا و فلان بك يعيشون بالالوف من الدنانير وهم على ما يعرفون منهم من الجهل والغباوة فاذا قيل لمن يمتدنون هذا الاعتقاد ان تدير الثروة علما يبحث فيه عن ينابيعها ومواردها ومصادرها فيعلم الواقف عليه طرق تحصيل الثروة وحفظها وتوزيعها ولماذا كانت تلك الامة غنية وهذه الامة فقيرة ولماذا يتراحم في البلد الواحد شعبان أو شعوب متعددة فيسبق قوم ويتخلف آخرون — إذا قيل لهم هذا قالوا إن العلم لا شأن له في هذا وإنما هي الحظوظ والاقدار ، ويسردون ما يحفظون من الآثار والاشعار ،

الاقدار هي المقادير والموازن التي أقام الباري بها نظام الكون فهي تقتضي

الاسباب لا تنافيا ، وان اشهر استعمالها يتنا فيما جهل سببه غالبا ، والحظ في الاصل هو النصيب الذي تناله من الشيء بسعي أو بغير سعي وان غلب استعماله فيما يناله المرء بغير سعي منه اليه ، ولا ننكر ان بعض الافراد ينالون الثرى والثروة بأسباب لا يعرفونها ، ولا يسعون اليها سعيها ، ولاتنازع في تسمية ذلك حظا جادا به القدر ، على ما يتنا وين أولئك الناس من الخلاف في فهم معنى القدر . وانما تقول في إقناع المنكرين لفائدة علم تدير الثروة الذي وضع له اسم « الاقتصاد السياسي » : إن الواضعين لهذا العلم والمصنفين فيه والدارسين له والعاملين به يعرفون من أحوال أهل المخطوط ما تعرفون ، ومنهم من يؤمن بالقدر كما تؤمنون ، ولكنهم مع ذلك يعلمون من أحوال العالم ما لا تعلمون ، فضوا عليهم إلى علمكم ، ثم لكم بعد ذلك حكمكم ، إذا كنتم تعذبون فيما تحكمون به على ثروة الافراد في كل أمة فلا عند لكم إذا قسم عليها ثروة الشعوب والامم ، فسيروا في الارض فانظروا كيف صارت الامم التي عنيت بهذا العلم اغنى الامم وأعزها ، وكيف يدخل أفراد منها في بلاد أمة أخرى فلا يلبثون ان يكونوا هم المستقر والمستودع لثروتها ، بل القابضين على روح الحياة المالية والاجتماعية فيها ،

ألا إن أمتنا أخرج الى هذا العلم منها الى جميع العلوم الدنيوية لانه روح جميع العلوم ولاعمال ولكننا لانزال مقصرين فيه ، بقدر حاجتنا اليه ، حتى اني لم أر في لغتنا غير كتابين وجيزين فيه طال المهد على وضعها ، وارتقى العلم بعدها ، فصرنا محتاجين الى خير منها ، وقد أحس بهذه الحاجة محمد فهمي افندي حسين المحامي (المتخرج من عهد قريب في مدرسة الحقوق الخديوية) فحملته الصيرة على أمته وبلاده على وضع كتاب جديد في هذا العلم يستمد مسائله من الكتب الافرنجية الحديثة وقد فعل وسماه (مبادئ علم الاقتصاد السياسي) وقد طبع الجزء الاول من عهد قريب فبلغت صفحاته ١٨٤ صفحة وجعل ثمنه عشرة قروش صحيحة فحسى ان يرى من الإقبال عليه ما ينهض بهمه إلى إتمام الكتاب تأليفا وطبعا . وهو يطلب من مؤلفه ومن المكاتب المشهورة . وسنقل شيئا منه تنويرا به وإفادة لقراء المنار

الاسلام روح المدينة

﴿ رد على لورد كرومر ﴾

لم يكذب ينشر كتاب لورد كرومر الذي سماه « مصر الحديثة » حتى كانت أول ما ترجمته الجرائد المصرية منه كلامه في الاسلام والمسلمين . ووعد بعض الافراد وبعض الاحزاب بتأليف كتب في الرد عليه ولكن قد سبق الجميع الى ذلك صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي فبادر الى وضع كتاب في ذلك وطبعه في بيروت في أيام الاستبداد الشديد إذ كان يخشى المرء ان يحاسب ويعاقب على مثل هذا التأليف وعلى طبعه بدون رخصة من نظارة المعارف في الاستانة ولو طلبت الرخصة فيه لما أجيب الطالب الا الى العقاب . وقد بلغ من شجاعة مؤلف هذا الكتاب ان ذكر فيه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ونقل بعض كلامه وشيئا مما يؤثر عنه ونقل عن المنار ايضا وكان يومئذ الى ذلك بقوله : قال السيد في المجلة . وقد كان ذكر الاستاذ الامام أو المنار قبل إعلان الدستور في المملكة العثمانية جريمة من أكبر الجرائم وخطرا على من يذكر هذا اللقب « الاستاذ الامام » أو اسم صاحبه « الشيخ محمد عبده » أو المنار أو صاحبه ولو تلو يخاص من أشد الاخطار فشكرا للشيخ مصطفى على شجاعته وعمله . هذا ولم تنسن لنا مطالعة الكتاب ولكتنا نرجو ان يكون خيرا مما كتب أكثر أصحاب الجرائد في الرد على لورد كرومر وناهيك بمن يستمد من كلام الاستاذ الامام ، في الدفاع عن الاسلام ، ومن يصدف عن ذلك ظاهرا ، وان لم يستغن عن الاقتباس منه باطنا ، ونحن الكتاب في مصر خمسة قروش صحيحة عدا أجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار فنحن الفراء على مطالعته

﴿ تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾

كتاب جديد يؤلفه جرجي افندي زيدان المؤرخ العربي الشهير وقد انجز الجزء الاول منه فاذا هو قد استمد مسائله من الكتب العربية والكتب الافرنجية في اللغات المختلفة . وبعض الكتب الافرنجية مزينة على العربية في هذا الموضوع

بما اكتشفوه من الآثار القديمة في بلاد العرب . وقد اقتبس المؤلف شيئاً منها لا يستغني عن الاطلاع عليه قراء العربية وهو على قلته يصح ان يمثل فيه بقول الشاعر

قليل ما أمرت به ولكن قليلا لا يقال له قليل

وقد نظرنا في الكتاب نظرة إجمالية فأفنيناه حسن الترتيب جامعا لكثير من المباحث النافعة ولكن لم يتح لنا مطالعته لنحكم فيه على علم بما نرجو ان يكون قد جاء به من التحقيق فحسب ان ينتدب بعض من قرأه من أهل العلم والرأي الى موافقاتنا بمقال حافل في تربيته وتقدمه إظهار أقيمته ، وشكرا لفضل مؤلفه ، أما نحن هذا الجزء الذي صدر من الكتاب فمشررون قرشا مصر يا ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ عروس فرغانة ﴾

هي إحدى القصص التي جعلها جرجي افندي زيدان منشئ الهلال ملحمة لسني مجلته . تتضمن وصف الدولة العباسية في عهد المعتصم بالله (سنة ٢١٨ - ٥٢٢٧) وقيام الفرس لإرجاع دولتهم بالسيف ونهوض الروم لاكتساح المملكة الاسلامية ويتخلل ذلك وصف آداب الأتراك وعاداتهم في أقصى بلادهم ووصف سائرا عاصمة المعتصم وواقعة البذ في حرب بابك وواقعة عمورية في حرب الروم وغير ذلك ، وهي تقع في ٢٠٤ صفحات حسنة الطبع وان شهرة هذه القصص في إيداع الفكاهة القصصية المسلية شيئا من الفوائد التاريخية ورغبة القراء فيها مما يجعلها غنية عن التقرير والثناء وثمان النسخة منها عشرة قروش وأجرة البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال

﴿ مجلة صراط مستقيم ﴾

صدرت في الاساتنة مجلة إسلامية يحررها باللغة التركية طائفة من العلماء وقد كتب الينا مديرها ما يأتي

إلى إدارة المار

« تعاونوا على البر والتقوى »

شرعنا في نشر مجلة باسم الصراط المستقيم والله الموفق
غرضنا خدمة الدين المين ولكن حال بلادنا من حيث الكتب والجرائد

حال محزنة . ولم نكن نرى من قبل تلك الآثار المصرية الثمينة وهل كانت رؤيتها من الممكنات ؟ والآثار التي كنا نملكها جعلتها الحكومة السابقة طعاما لمواقد الحمامات . وقد دخلنا منذ الآن في حياة جديدة . أما مجلتكم العلمية فهي مشهورة في جميع الكون فترغب ان يكون لإخواننا مساكين الترك نصيب من مائدتكم العلمية ونحن مفتقرون في هذا الموضوع لمعاوتكم العلمية فندرجوكم ان ترسلوا لنا مجموعة من مجلتكم وان ترسلوا كل ما يصدر منها بعد في وقته . وان أنبأتمونا عن الآثار الجديدة المطبوعة بمصر نكن لكم من الشاكرين . واقبلوا فائق احترامنا

(المنار) قد سررنا سرورا عظيما بهذه المجلة ونشكر مديرها الفاضل حسن ظنه بنا وسندي رأينا في منهجها ومقالاتها بعد ان يتيسر لنا ترجمة بعض مقالاتها ثم نكتب لمديرها ان شاء الله تعالى

القطاس المستقيم

جريدة عربية جديدة أنشئت في دار السلطنة العثمانية (الاستانة) بعد إعلان الدستور . أنشأها الحاج محيي الدين افندي كريمة والحاج حسن افندي المجدوب من خيار أبناء بلدتنا (طرابلس الشام) المقيمين في الاستانة وقيمة الاشتراك فيها نصف ليرة عثمانية في بلاد الدولة العلية و ٦٠ قرشا في مصر و ١٥ فرنكا في البلاد الأجنبية

فتمني لها من الرواج والانتشار في هذه الديار وغيرها ما يبعث أصحابها الى تكبير حجمها وتكثير فوائدها

البدع والخرافات وَالْبَقَايِيكُ وَالْعَجَابَا

﴿ كتاب ابي معشر ﴾

كتب الينا من ستافوره وجاوه ان هذا الكتاب منتشر في تلك البلاد يجلبونه اليها من مصر وان بضاعة المتحطين للتنجيم والعرافة رائجة به وسألنا الكاتبون عن رأينا فيه وأرسلوا الينا نسخة منه ننتظر فيها ان لم يكن سبق لنا الاطلاع عليه فنقول بعد الاطلاع على عدة ابراج منه

اننا لم نر في لغتنا كتابا أجمع للمفاسد والمضار منه، فهو مفسد للعقل والدين والآداب، محرض على الفسق والفجور، مقطعم للروابط بين الأزواج والاهل والجيران، وهو على ذلك كله خال من الفائدة والذمة

أما كونه مفسدا للعقل فنحنى به انه يمد الضعيف في غيه فيزيده فسادا يقبوله لا وضع له من بيان ما يعرض للمرء في مستقبل حياته الدنيا .

لو فكر من له مسكة من العقل أقل التفكير في الطريقة التي يبين بها هذا الكتاب حوادث المستقبل لجميع البشر في ٢٤ فصلا منها ١٢ برجا للرجال و١٢ برجا للنساء — رأى ان ذلك باطل بالبداهة فان من مقتضى ذلك ان كل من اتفقت اسمائهم وأسماء أمهاتهم وكل من اتفق العدد الحاصل من جمع اسمائهم وأمهاتهم بعد طرح عدد الاثني عشر منها حتى تبقى اثني عشر او أقل يكونون متقين فيما يعرض لهم من الامور والاحوال في اجسامهم من مرض وصحة وحياة وموت وفي ازواجهم وأولادهم وكسبهم وغناهم وقهرهم واخلاقهم وآدابهم ومكانتهم في الناس وفي غير ذلك لافرق بين أحد منهم الا من ثلاثة وجوه فان لكل برج عنده ثلاثة وجوه يعبر عنها بقوله الوجه الاول من نظره اليه كوكب كذا يكون كيت وكيت

فلا تقل أن يجمع أسماء كثير من الملوك والأمراء والعلماء والأغنياء والفقراء والصناع والزراع والعمال والخدام - أسماءهم وأسماء أمهاتهم بحساب الجمل على طريقة ابي معشر ويعرضها بعد الاسقاط على ابراجه وينظر بعد ذلك فيما يشرحه من شؤونهم فهذه الطريقة يظهر له بطلان ما في ذلك الكتاب ان كان ممن يشبهه في بطلانه . ولا حاجة الى شرح ذلك وتفصيله فانه يكاد يكون من البديهيات الأولية وإنما يروج ما فيه على ضعفاء العقول من العوام والنساء لأنهم لا ينظرون في طريقته نظرة عامة للبحث فيها هل هي معقولة أم لا وإنما يفكرون فيما يلقي اليهم من كلامه الجمل العام الذي ينطبق على بعض أحوالهم مع الايمان والاذعان التقليدي بأن في أمثال هذه الكتب أنباء عن الغيب يتوارثها الخلف عن السلف ويسلمون بها تسليماً

أمثال هؤلاء الاغرار تسهل مخادعتهم فلو قرأت لاحدهم البرج الذي يؤخذ من اسمه واسم أمه بطريقة ابي معشر أو غيره من البروج لأخذ من كل ما يقرأه شيئاً ينطبق على بعض أحواله ووجد فيه شيئاً لا ينطبق عليها ولكنه لا يتفكره ما يمكن ان يصدق عليه يتثبت ويفطن له ويفي عن غيره ويظن انه غير مقصود به

واما إفساده للدين فهو مشترك بين إفساده للعقل باعتقاد الباطل الذي ورد النهي عنه في الاحاديث الصحيحة التي تسمي تصديق المنجمين والعرافين كفرا وبين إفساد الآداب التي يأمر الشرع بالمحافظة عليها والتحريض على الفسق وقطييع الروابط بين الأزواج وغيرهم

المعروف من أمر النساء أنهم أحرص على البحث عن مستقبل حياتهم من الدجالين والعرافين والمنجمين وانك لتجد في بروجهم من هذه المفسدات أكثر مما تجده في بروج الرجال

مثال ذلك انه يقول للمرأة انها تتصل بكثير من الرجال بالحرام وانها تزوج عدة أزواج وانها تكون سعيدة مع الاخير منهم وانها تكون شديدة الخطورة والقبول عند الكتاب أو الحكام . . . قتل لي بعيشك كيف تكون حال المرأة التي تعتقد صدق هذا الكتاب اذا سمعت من قارئه عليها أمثال هذه الانباء ؟ ألا يكون ذلك مجرثاً لها على العشق وعلى بغض زوجها . . . ؟

يظهر لي ان واضع هذا الكتاب كان حريصا على هذه المفاصد متعمدا لها وانه كان من كتاب الدواوين أو صديقا لهم لانه يرغب النساء فيهن . ومن خبثه الدال على تعمده انه يقول عن بعض النساء اللواتي يحرضن على الفسق انهن يتبن بعد ذلك ويوقن للحج الى بيت الله الحرام فانه بذلك ينال من افساد العقيدة المتدنية ما كان يعز عليه أن يناله لو لم يخبرها بأنها ستوفق بعد ذلك الى ما يكون كفارة لذنوبها وقس على هذه المفسدة ما يصفه الكتاب من أحوال أعداء المرأة ومن يكيد لها ويتر بص بها الدوائر فان ذلك يذهب بخيالها مذاهب في التطبيق على من تعرف من أهلها وجيرانها ومتى اعتقد الانسان ان احد الناس عدو له فانه يحمل أكثر ما يراه منه على ما يقوي اعتقاده فيه حتى انه اذا سمعه يثني عليه اعتقاده يتهكم او يعرض بدمه وجملة القول أن هذا الكتاب من أقبح الكتب وأشدّها ضررا ولا شك في حرمة طبعه وبيعه فما قولك بالاكتساب به ألا يكون من كبار الآثم والفواحش ؟ بلى وان من قدر على منع طبع هذا الكتاب أو بيعه أو اتحال التنجيم به ولم يفعل فهو آثم ويغلب على ظني ان اهل سنغافوره واهل جاوه لو بينوا لحكومتهم ما في هذا الكتاب من الدجل والإفساد للأداب العامة ومخالفة الدين وطلبوا منع الدجالين من التنجيم به لأجابتهم الحكومة الى ذلك ولو نهت الحكومة المصرية مثل هذا التنبيه لرجي أن تحاكم الذين يطبعون هذا الكتاب وتمنعهم من بيعه فسي أن يتدب لذلك بعض أهل الفيرة وأن تحمل الجرائد اليومية على المتجرين بهذا الكتاب وأمثاله وتطالب الحكومة بمجازاتهم على ما يمنعهم منه القانون المانع لكل ما يخالف الآداب العامة

بَابُ الْحَيْلَةِ وَالْإِثْمِ

﴿ سفر صاحب المجلة ﴾

سافر صاحب هذه المجلة من القاهرة قاصدا سوريا لزيارة الأهل والاقربين ، والأصدقاء والمجيين ، الذين حال بيننا وبينهم الاستبداد إحدى عشرة سنة ، كان ذكر اسمه فيها خطرا عليهم ، يهددهم به من يستاء من أحد منهم ، قائلا : إما أن تفعلوا كذا أو تتركوا كذا وإما أن أبلغ الحكومة بأنكم تكتبون إلى صاحب المنار أو يكتب هو إليكم أو انكم على رأيه واعتقاده في حاجة الدولة والأمة إلى الإصلاح ونحو ذلك

سافرنا قبل صدور هذا الجزء وأنا نكتب هذا في القطار بين القاهرة و بورسعيد . وسقيم في تلك الديار إلى ما بعد عيد الفطر ثم نعود منها وندخل مصر إن شاء الله آمين وقد جعلنا أخا لنا وكيلنا عنا في إدارة المجلة ومطبعتها وعهدنا إلى إدارة البريد المصري أن تعده وكيلنا عنا وتدفع له كل ما يرد باسمنا من الرسائل والدرهم . فحسبنا ان تكون غير قراء المنار الأختيار على إدارة المجلة في غيتنا أعظم مما كانت عليه أيام كنا فيها وأن يرسلوا إليها ما يجب عليهم من قيمة الاشتراك فان العمل فيها وفي المطبعة لا يزال مستمرا وإنا نعد من يرسل قيمة الاشتراك إلى المجلة في غيتنا من أفضل أهل الذوق والوفاء لنا، بل نعدله ذلك جميلا يذكره، وفضلا يشكره،

﴿ مكاشفة في أول ولاية السلطان عبد الحميد ومدتها ﴾

كان كثير من أهل الاستانة وغيرهم من خواص العثمانيين يتحدثون بأن بعض المنجمين أو الصالحين بشر السلطان عبد الحميد بأنه يكون ملكا مدة ثلاث (المنار ج ٨) (٧٩) (المجلد الحادي عشر)

وثلاثين سنة . وقد حدثني بعض كبار رجال الدولة في سياق الكلام على اعتقاد السلطان بالمشايخ الذين يدعون الكشف أو الجفر والزايجه كأبي الهدي وعنايته بالشيخ ظافر - حديثاً غريباً يرويهِ عن السلطان نفسه وملخصه انه كان في المدينة المنورة رجل يعرف بأمين افندي الطرابزوني يشتغل بالجفر ويخبر بأمور المستقبل فأرسل اليه السلطان يتعرف منه هل يكون سلطاناً فقال انه يكون سلطاناً في سنة ١٢٩٣ قال هذا للشيخ ظافر وكان هو الواسطة بينهما فلما انبأ الشيخ ظافر عبد الحميد (افندي) بذلك كبر عليه ان يصدقهُ لأن عمه السلطان عبد العزيز كان في صحته وعافيته وكذلك أخوه مراد افندي الذي هو ولي العهد وكان ذلك في أول تلك السنة ولكن لم يلبث ان صدق كلامه كما هو معلوم . قال الراوي هذا معنى ما سمعته بأذني من السلطان عبد الحميد وسمعت بعض الكبراء في الاستانة يزيدون في الرواية قائلين ان أمين افندي حدد مدة ملكه بثلاث وثلاثين سنة فقال يملك أو يحكم ٣٣ سنة

ومن يتذكر أن السلطان ولي في شعبان سنة ١٢٩٣ يعلم ان المدة قد تمت بحسب السنين الهجرية ويحتمل ان يقال في تأويل الشق الثاني من الخبر ان السنة الثالثة والثلاثين قد كانت خاتمة لحكم السلطان بنفسه وقبضه على زمام السلطة بيده فان إعلان الدستور قد حول الحكم الى الوزارة ومجلس الأمة . ولعل السلطان نفسه يفكر في هذا التأويل فيشرح له صدره إذ كن ممن يصدق أمثال هؤلاء القائلين لا سيما بعد ان صدق الخبر فيما يتعلق بأول الولاية . وأما من لا يبالي بهم صدقوا أم كذبوا فلا يحتاج الى تأويل . وقد ذكرت هذا الخبر قبل إعلان الدستور لكثيرين وبعده لكثيرين منهم أصحاب المقطم .

﴿ الاحتفالات بالدستور العثماني ﴾

احتفل العثمانيون عامة بالدستور في بلادهم وفي كل بلد يضم طائفة منهم في مشارق الأرض ومغاربها وقد كان السرور بالدستور مدرسة للثرية والتعليم تعلم فيها ألوف من العثمانيين الخطابة وتربوا على الوفاق والمحبة ولكنها كانت مدرسة لا كالمدارس :

كان تعليمها يشبه الوحي وتربيتها تشبه الآيات والمعجزات فانها قد علمت الخلق الكثير في يوم واحد ورتبت الشعوب المختلفة في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب والتقاليد والعادات في ساعة واحدة

لوصافح المسلمون النصارى في سلايك والاساتنة ومصر فقط لكان لقاتل أن يقول ان ذلك أمر طبيعي حصل بالسعي في الزمن الطويل فان إحرار العثمانيين الذين على هذا الرأي كثيرون جدا في هذه البلاد وهم يسمون له من قبل . ولو واقفهم مثل أهل بيروت والشام لقال ذلك القاتل ان أهل هذين البلدين على مقربة من أهل هاتيك البلاد فيما ذكر من وجود الاحرار العقلاء المحيين للاصلاح فيهم ومن وقوفهم في أقرب وقت على ما كان من اخوانهم في هاتيك الامصار التي سبقتهم عملا وسعيًا الى ذلك فلم يلبثوا ان جاوروه او اتبعوهم

ولكن ماذا يقول ذلك القاتل في مواقعة عمل أهل جدة (ثغر الحجاز) وأهل البرازيل وأهل الأرجنتين لعمل أهل الاساتنة وسلايك ومصر والشام والعراق في وقت واحد وهم لا يطمون من أمرهم في ذلك شيئاً ؟

كتب اليّ وجيه من مسلمي جدة كتابا يشرح فيه ما كان من أمر أهلها في الاحتفال بالدستور على الرغم من والي الحجاز راتب باشا الظالم الملحد في الحرم الذي كان يومئذ فيها كاتما لبناً الدستور ثم مشط اللهمم عن الاحتفال به بعد ان أعلنته للناس جمعية الاتحاد والترقي . فقد قال الكاتب ان المسلمين والنصارى قد تزاورا وواعتا تقوا في ذلك الاحتفال وطلق كل فريق يهني الآخر . و ذكر أموراً أخرى منها حسن تأثيره في نفوس الاعراب ومنها بعض مفاسد الوالي واتفاقه مع الامير الشريف . وقد أوقفنا على هذا الكتاب بعض محرري الاهرام والمقطم فلخصوه في الجريدتين

وكتب الينا جورج افندي حداد مؤسس شعبة جمعية الشورى العثمانية في البرازيل كتابا في الاحتفال الذي قام به العثمانيون في سان باولو قال فيه : ان الأرمن الذين هنا لم يكونوا يكلمون السوريين ولا يعاشرونهم فلما جاء نبأ الدستور أقبل بعضهم على بعض متعارفين متوادين وانتظم موكب الاحتفال من المسلمين والدروز والنصارى من الارمن والسوريين وغيرهم . فهل يمكن ان يكون هذا

وذاك بتواطؤ أو تقليد ؟ وذكر انه اجتمع للقيام بالاحتفال نحو ألفي سوري ومئة أرمني في أعظم مسرح في سان باولو وكانت الموسيقى العسكرية تشب من نار حماسهم وتضاعف سرورهم وجدلهم ثم انبرى للخطابة فريق منهم وخطب هو أيضا بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن إخوانه الأحرار مؤسسي جمعية الشورى العثمانية في مصر قال : « ثم سار الموكب تتقدمه الموسيقى وهو رافع راية عثمانية كبيرة جدا صنعت لهذا الاحتفال خاصة الى دار القنصلية العثمانية ومد ابصرهم القنصل رفع الراية العثمانية وجعل يحيمهم بها وقد صد اعضاء لجنة الاحتفال الى مكان القنصل وهناك بعضهم وقدم اليه عريضة طولها ٨٥ ستمترا وعرضها ٥٠ فخاها الشكر للسلطان على رضاه باعادة نشر القانون الأساسي ونيل شعبه للحرية وينا كان القنصل يخاطب الاعضاء طلب الجماهير منه ان يشرف عليهم من إحدى النوافذ ويظهر ان الرجل من أرباب الحزب المحافظ ومن تأصلت في نفوسهم الكبرياء لانه لم يحفل بالطلب ولم يلب النداء فهاج الناس واضطربوا وصاحوا ان مولانا السلطان خاطب الشعب من النافذة مظهراً الرضى والسرور فكيف تأبى ذلك وانت من صفار مستخدمي دولتنا العلية ؟ فاضطر القنصل لمخاطبتهم والاعتذار اليهم ثم تركوا دار القنصلية وطفقوا يطوفون بالشوارع العظيمة والحاصل ان هذا الموكب المؤلف من هذه الفرق التي كانت تستخدم في نفوسها نار العداوة والبغضاء وكره الواحدة منهن للآخرى كان من أجمل المناظر التي تسربها النفوس وتغبط لها القلوب »

وجاء في جريدة أبو الهول البرازيلية في ختام كلامها عن هذا الاحتفال مانصه : « اهتمت الصحافة البرازيلية والطليلية بالمظاهرة وذكرتها باثناء والتكريم وجرأئنا العربية لم يهتم منها بالحفلة الا الميزان . فالافكار ذكرتها بأقل مما تذكر عن حفلة اكليل وطلبت من الله في الختام ان يحصل الحرية طويلة المكث في ديارنا ؛ والدستور ثابت القرار في وطننا ؛ وصاحب الافكار لم يحضر الحفلة وهكذا محرر المنارة الذي اهتم بالمظاهرة الخرجية أكثر من المظاهرة الداخلية اعتقاداً منه ان الأخيرة غير لازمة !

وقد اهتم جناب الأديب الياس افندي مسرة بالأمر وطير الخبر تلفزيونياً الى

جريدته في باريس فاستحق الشكر . وتكرم جناب الشيخ سابا انطوري نزيل الريو فأفاد اللجنة ان شركة هافاس نقلت الخبر إلى لندن ثم إلى بقية العواصم الكبيرة وقد شارك إخواننا الارمن نزلاء سان باولو بهذا الاحتفال الذي كان فريداً في عظمته وبتيا في محاسنه

وفي الختام نثني بلسان الحرية على اللجنة التي ربت هذه المظاهرة ونشكر الخطباء الذين حركوا في صدور الجمهور الحماس ونهني الشعب السوري في هذا العيد الكبير عيد الحرية والمساواة »

ولا تزال جرائد أمريكا الشمالية والجنوبية تأتينا وهي ملأى بذكر الاحتفال بالدستور في معظم الولايات والأرجاء الأمريكية واشتراك جميع الطوائف والملل في ذلك وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه في صدر هذا المقال

وكتب الينا من المفازة في بلاد السودان محمد أفندي كمال الدين عدده سرتجار البندر يقول انه طاف بالناس بعد علمه بنبا الدستور ودعاهم إلى منزله للاحتفال ببعثة الدستور من قبره فلبى دعوته خلق كثير من السودانيين وأشخاص من السوريين الموظفين في الحكومة فثلا عليهم خطاباً ألم فيه بماضي الدولة المظلم وما يرجى لها من النجاح والفلاح في المستقبل وشكر لرجال الاحرار الذين كانوا مشوثين في البلاد الحرة ومشتتين في اصقاع المعمور يسعون فيما اختطوه لأنفسهم وجعلوه نصب أعينهم حتى رجعوا إلى بلادهم والوية النصر تخفق فوق رؤوسهم وجنود الظفر تحيط بهم ثم قام بعده طاهر أفندي الخانجي باشكاتب المركز وشكر للحاضرين تليتهم الدعوة للاحتفال بالدستور وطلب من صاحب الدعوة بلسانه ولسان الحاضرين ان يكتب لرئيس الاحرار مهنتاً بهذا الفوز العظيم فأجاب الجمهور بأنه يعرف من رجال الاحرار صاحب المنار وانه سيكتب اليه بما رغبوا فتهنؤوا جميعهم للمبارك وبعد ذلك انفرط عقدهم وهم مسرورون بهذه الحال شاكرون للداعي إلى الاحتفال

احتفال الارمن بذكرى شهداء الحرية العثمانيين

في اليوم الثالث من هذا الشهر احتفلت طائفة الارمن في كنيتها بالقاهرة باحياء ذكر شهداء الحرية من جميع العثمانيين . فحضر الاحتفال خلق كثير من العثمانيين المقيمين بمصر ومن المصريين حتى اكنظت بهم الكنيسة على سمعها وبقي جمهور عظيم في رحبتها . وقد أقيم أمام محراب الكنيسة (المذبح) دكة كبيرة على جانبيها رايان سوداوان بينهما راية بيضاء كتب عليها « اكرام شهداء الحرية العثمانيين » ووضع عليها مقاعد القسيسين والخطباء ، ووقف من دونها جوقة من بنات المدرسة الارمنية كنّ يلقين بين كل خطبة وأخرى نشيدا مؤثرا وضع لهذا الغرض

افتتح الحفلة عظيم القوم وأسقفهم وتلته فتاة أرمنية بخطبة أحسنت القاءها فحسن وقعها وخطب بعض فضلاء الارمن بالارمنية وبعضهم بالتركية فأحسنوا وأجادوا ووصفوا لهم القوم تصفيقا . وخطب الدكتور شرف الدين بك أحد مسلمي الترك الأحرار وهو من أفضل من عرفنا أخلاقا وآدابا فذكر ما كان بين المسلمين والارمن من المودة قبل حوادث الارمن المشؤمة المعروفة حتى كان مما قاله ان المسلم كان يدعى الى الخدمة العسكرية فيذهب اليها تاركا امرأته وأولاده وأملاكه الى جاره الارمني يتعهدا في غيبته بما يجب كما كان الارمني يفعل مثل ذلك اذا احتاج الى مفادرة مكانه لامر ما . ثم ألمّ بذكر ما جرّ اليه الاستبداد من تلك الحوادث المشؤمة واستطرد منها الى ذكر الاصلاح الذي نشده الأحرار فأصابوه وقال ان المسلمين من الترك وسائر العثمانيين ليسوا متعصبين كما يصورهم بعض الناس فان أول حركة أتوا بها بعد أن نالوا الحرية في عاصمتهم هي زيارتهم لاضرحة الذين قضوا ضحية للظالمين .

وبعد أن أتم خطابه التفت الى أسقف الارمن ومن بجانبه من القسيسين نعاتهم واحدا بعد واحد فصفت الجماهير لهذا المنظر أضعاف تصفيقهم الكثير للخطيب ثم خطب الدكتور برتوكاليس بك الرومي العثماني باللغة الفرنسية فالدكتور

فارس افندي نمر بالعربية فأحسنا واجادا وكان كل اولئك الخطباء قد عهد اليهم بالخطابة وكتبت اسماؤهم في البرنامج المطبوع في بيان ترتيب الاحتفال كادوا يختمون الاحتفال بمد خطاب فارس افندي نمر لولا ان اقترح بعض المصريين الحاضرين على صاحب هذه المجلة الصعود الى الدكة والقاء شي مما يفتح عليه به . وقد تمنعت معتذرا بان الاحتفالات المنتظمة التي يعين فيها عدد الخطباء وموعد الالقاء لا يحسن ان يتطفل عليها ففطن لذلك بعض العثمانيين من الأرمن وغيرهم فاختطفوني من مجلسي وأصعدوني الى دكة الخطابة فلتقاني الاسقف والقسوس بالحفاوة وبعد العناق التفت الى الجمهور إجابة لما اقترحه المقترحون وقلت والتصفيق والتهاتف يكاد يبلغ عنان السماء ماخلاصته :

قد رأيتم أيها السادة اني اختطفت من مكاني الى هذا الموقف الذي أترفي وجداني تأثيرالم بدع لتصورالكلام وتدييره مجالا فهما سمعتم مني فأنا معذور بالتقصيرفيه قد رأيتم اني عانقت هؤلاء الاحبار والقسيسين وأنا رجل من رجال الدين الاسلامي ولا بدع في ذلك فان شيخنا الاكبر شيخ الاسلام قد سبقني الى ذلك فماتك البطرك في دار السلطنة وان القانون الاساسي الذي نلنا به هذه المساواة التي نحتفل بها لم ننله الا بمساعدة شيخ الاسلام الحال فقد روي لنا ان السلطان كان يريد قمع الحركة العسكرية المطالبة للدستور بالقوة فاستقى شيخ الاسلام في ذلك فلم يفته بل قال ان قتالم غير جائز شرعا لانهم يطلبون طلبا شرعيا . وقد كان أحد مشايخ الاسلام من واضعي هذا القانون مع مدحت باشا واخوانه فهذا القانون قد وضع بشئوى من أحد شيوخ الاسلام وأعيد الآن بمساعدة شيخ الاسلام فهو موافق للاسلام لا أقول هذا تقليدا للشيخين فاني أقول ما أقول في الاسلام عن علم وبصيرة ويعلم كثير من الارمن الحاضرين اني من مؤسسي إحدى جمعيات الاحرار التي سبقت غيرها الى التأليف بين جميع العثمانيين بالفعل قبل أن تفكر في ذلك جمعياتنا في أوروبا بل ان هذا الفقير هو رئيس اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية التي من بعض أعضاء ادارتها أحد خطباء الارمن النجباء في هذا الاحتفال وانما احتججت بشيخ الاسلام السابق وشيخ الاسلام الحال تنويها بفضالهما

وإقامة للحجة على من يزعمون ان المسلمين متعصبون أو ان دينهم ينافي الحرية
والمساواة - وعلى بعض الجاهلين من المسلمين الذين يظنون انهم بالتعصب القديم
يخدمون الدين وإنما هم يجنون عليه بذلك
ثم انتقلت الى الكلام عن المساواة التي ابتهج بها العثمانيون كافة وبينت انها
مما جاء به الاسلام ثم قلت :

يقولون ان فرنسا هي أم الحرية والمساواة . نعم ولا ينكر فضل فرنسا أحد
ولكن العثمانيين أجدر من الفرنسيين بالفخر بالمساواة . ان فرنسا أمة واحدة ،
جنسها واحد ، دينها واحد ، مذهبها واحد ، لغتها واحدة ، تربيتها واحدة ، فأى
غرابة في طلب عقلائها وفضلائها المساواة بين أفرادها بعد ان عرفوا ما لهم على
حكومتهم وما عليهم لها بل ما ينبغي ان تكون عليه وهم متفقون في هذه الوحدات
كلها ؟ لا غرابة ولا عجب

اما نحن العثمانيين فاننا قد جمعنا من اشتات الاجناس المتفرقين في كل شيء
مالم يجتمع في مملكة اخرى . نحن متفوقون في الاجناس والانساب ، متفوقون في
اللغات ، متفوقون في الدين ، متفوقون في المذاهب ، متفوقون في طرق التربية والتعليم
- أو تقول في الجملة انا متفوقون في كل شيء . يتفرق فيه الناس . فان كنا على هذا
كله نطلب المساواة ونحتفل بنيلها في المعاهد العامة والمعابد الدينية فلا شك ان في
هذا مجالاً للفخر وموضعا للعجب

وقد يتساءل عن سبب ذلك ويظن انه مخاف لقوانين الاجتماع الانساني
لا سيما بعد أن برّح الاستبداد بنا تبريحا زاد في مسافات الخلف بين الطوائف
والمملات اتساعا وملا القلوب إحنة وبغضاء .

ولكن المتأمل في ذلك، يرى له سببا طبيعيا ظاهرا وهو ذلك الاستبداد الذي
زاد في التفريق والتمزيق ، ذلك الاستبداد نفسه هو الذي مزقنا أولا ثم جمعنا ثانيا ،
كيف كان هذا ؟ إنما كان بالمساواة في الظلم وتعميم الاستبداد فلولا ان الاستبداد
كان عاما واقعا على جميع العثمانيين بالمساواة في الجملة لما كان الاندفاع إلى طلب
المساواة بالدستور عاما

كان ظلم الاستبداد واقعا على رأس المسلم والنصراني وغيرها ، كان عاما شاملا
للتركي والعربي ، والارمني والكردي ، والالباني والرومي ، فهذه المساواة هي التي
جمعت كلمة الاحرار العقلاء من جميع هذه الطوائف على تمني المساواة في العدل
الذي قرره الدستور ، وهو الذي نهض بهمة العاملين من هؤلاء الاحرار الى طلب
ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وهو الذي هز أريحية جميع العثمانيين للاحتفال بالدستور
بعد الظفر به بسعي جمعياتهم وقوة ضباطهم وجيشهم — فاذا كانت المساواة في الشر
قد أدت الى هذا الخير فما أعظم فائدة المساواة وما أعم بركتها : فحيا الله المساواة
فنعن العثمانيين جديرون بالفخر بالدستور اذ غلبنا الاهواء والموانع الناشئة
من اختلافنا حتى ننناه ، جديرون بالاتفاق على الاحتفال به واقامة الاعياد العامة له ،
جديرون بالمحافظة عليه ، جديرون بالتبويه بالاحرار الذين نجحوا في نيته ، وبالبدعاء
والذكر الحسن لمن مات منهم شهيدا في سبيله

ثم اعتذرت عن الاطالة بذهاب الوقت المعين وبما ألمّ بالحاضرين من الجوع
والسامة . وقد كان لكلام هذا العاجز من حسن الوقع والتأثير فوق ما يستحقه .
دل على ذلك ما ظهر على وجوه الحاضرين ولما كان من شدة التصفيق وتكرره ،
ثم النهائي التي سمعتها في الكنيسة وبعد الخروج منها ، في ذلك اليوم وبعده
بأيام ، وكان اكثر المهينين تلطفا في التهنة واطراء في الثناء أولئك الخطباء البلغاء الذين
سبقوني بخطبهم المفيدة كالدكاترة شرف الدين بك وبرتوكاليس بك وفارس افندي
نمر حتى قال هذا الاخير ان تأثير هذه الوقفة أعظم من تأثير المنار في عشر سنين أي
فيما يتعلق بمشرب المنار في التساهل والدعوة الى الوفاق والوداد بين المسلمين
وغيرهم . ومن كرر لنا التهنة بذلك الدكتور نجم الدين بك عارف من فضلاء
الترك القيمين بمصر والعارفين بالعربية وجمهور احرار الارمن بل كان ابتهاج هؤلاء
عاما فنسأل الله تعالى أن يديم علينا معشر العثمانيين نعمة الوفاق والتوفيق لحفظ
الدستور والاستفادة التامة منه .

الصحف في البلاد العثمانية

لم تكند الاحتفالات تنتهي في عاصمة السلطنة وسائر بلادها ، حتى طفق أهل العلم والفضل يمدون الجرائد بأرائهم وأفكارهم ، وانبرى الأدبيات في الأستانة خاصة للكتابة ، بعد ان وقفن ذلك الموقف المشهود في الخطابة ، فأكد لنا الخبير الخبير وهو ما كنا نسمعه عن الارتقاء الأدبي العظيم في الأستانة وغيرها من ولايات الدولة ولا مرأ في ان هذا الانقلاب الأخير ، نتيجة ذلك الارتقاء الكبير تسابق الناس الى طلب إنشاء الجرائد والمجلات ولا سيما في الأستانة حتى بلغ عدد ما أنشئ فيها وحدها حتى الآن مئتين وعشرين ما بين جريدة ومجلة وقد صدر في بقية البلاد ما يقارب ذلك ومن ذلك ثماني جرائد هزلية مصورة رأيناها معتصمة بحبوة النزاهة والأدب بعيدة عن المحجون وسخيف الهزل ولا ريب في ان اعمال المرء هي مرآة لا خلاقه ينطبع فيها ما يحمده وما يذم وعسى ان تكون هذه الجرائد الهزلية في سلكها الادبي قدوة لكثير من جرائدنا الكبرى التي أصبحت مجموعة للشتم والتفنن في أساليبها حتى صار كثير من الأدباء يصدفون عن قراءة الجرائد المرئية رأيت في جريدة « قلم » إحدى الجرائد التي نوهت بها في صدر هذا المقال رسماً أثر في تأثيراً لم أعرفه منذ وجدت ، أحدث في فؤادي اضطراباً ، وفي جسمي رعدة عظيمة ، وقشيرية قوية الشكيمة ، حتى كدت لا أملك نفسي على دفع البكاء ثم تلا ذلك انكماش وسكون ، وقصور وذهول

ذلك الرسم يمثل هيكل امتصبا من العظام يحكي رسوم علماء التشريح (Physiologie) التي توضع للدلالة على اعضاء الانسان ، لا نأواضعه صاحب الجريدة وهو تلاوة العفوق على هذا الهيكل من السلطان !!! يرى الرأي ذلك الهيكل والأدهم والقيود مطوقة يديه ورجليه كأنه من بقايا المنضوب عليهم من نير ون الماتي الروماني وأمامه رجل يتلو عليه نأ العفوق عن السياسيين ! فكأن الرسم يقول له : اعزب عني فقد جئت بعد وقتك بزمان طويل وما أكثر الذين ذاقوا من وبال حكومة الظلم السابقة يا اجمل هذا الرسم ينطبق عليهم تمام الانطباق

ورأيت رسماً آخر يمثل سجينا اخنت عليه السنون ، واذاقه الظلام عذاب الهون ، فتبدلت خلقته ، وتغيرت سحته ، وانسدل شعره على كتفيه ، وملاّت لحيته صدره ، وطالت اظفاره ، حتى صدق عليه قول عنتره في الاسد : « له لبد اظفاره لم تقلّم » وما كانت حياة أبي الاحرار مدحت باشا في منفاه (قبر الاحياء) الا كحياة هذا السجين ظهرت الجرائد في حياتها الجديدة فرأينا فيها المباحث المستفيضة في السياسة وال عمران والاجتماع وكأنا تدل على اختبار منشئها ، وسعة علم كاتبها ، وبعد غورهم في السياسة ، وحسن أسلوبهم في استمالة الدول ، ولا سيما صديقي دولتنا القديمتين انكلترا وفرنسا ، حتى مالنا اليها وقرظنا احرارنا أحسن تقرّظ ، وحتى أصبح أحد وزراء فرنسا من قبل يقول في خطبة له : « ان احرار تركيا أعظم من رجال الثورة في فرنسا » وناهيك صدور هذا القول من فرنسي دع انه من مشهوري رجال السياسة لان الفرنسي يملأ ماضيه فخراً برجال الثورة ، ويعترف بأنهم فوق كل البشر ، بل أصبح ساسة الانكليز يكتبون عنا مثل الفقرة الآتية من مقالة لجريدة الدايلي تلغراف الكبرى : « وأكبر واجب على انكلترا في الحال الحاضرة ان تساعد بكل قواها رجال الاصلاح في السلطنة العثمانية وتراقب مراقبة حية عمل أية دولة تحاول بذور بذور الشقاق في البلقان أو أي عمل يراد به مناوأة رجال تركيا الفتاة في شؤونهم » واذا لم نجح من صداقتنا لهاتين الدولتين الكبيرين فائدة الا صدها لباقي الدول عن عرقلة مساعينا وإيقاف سير أعمالنا لكأنت خير فائدة

كانت الجرائد قبل هذا الانقلاب تكتب بغير اقلام أصحابها ، وأريد بذلك انها كانت تكتب ما يراد منها من اطراء أعمال الحاكمين ، وتقديس البغاة الظالمين ، لا ما تريد من المباحث التي تعود بالنفع والخير على البلاد والعباد ، على ان كثيراً من أصحاب الجرائد كانوا مغبوطين بتلك الحال التي جعلتهم في مصاف الاغنياء والعظماء — عطاء ذلك العصر المظلم الذي كانت العظمة فيه عبارة عن الخيانة والجاسوسية والوساطة بين الحاكمين والمحكومين لهم بالرشى وأكل أهوال الناس بالباطل ولكن جرائد الاستانة كانت على شدة المراقبة والسيطرة عليها تكتب في شؤون الزراعة والصناعة والادب وما في معنى ذلك مما لا علاقة له بالسياسة كل

مفيد ، اما جرائد سوريا وباقي الولايات فكانت دون اخواتها في الاستانة في المباحث ، وأوغل منهن في تقديس السلطة الجائرة ، والفئة الباغية الخاسرة ، ثم لا تزال بعد التمتع بالحريّة متخلّفة عنها بمراحل ، فمسي ان تغذ في سيرها ، وتجهّد في إدراك شأوها ، فلا تضع نفسها منها موضع الظالم من الضليغ ، ورجاؤنا كبير في الذين عقدوا النية على إنشاء جرائد جديدة في تحقيق الأمل كصديقنا الشيخ أحمد حسن طبارة الذي أصدر جريدته (الاتحاد العثماني) وصديقنا عبد الغني افندي العريسي فانه عزم هو وحسن افندي ييهم الشهير على إصدار جريدة يومية سماها (المفيد) واذاع صديقنا جرجي افندي يني وأخوه صموئيل افندي نشرة ذكرنا فيها انها سينشآن مجلة علمية أدبية سياسية دعواها المباحث فسرنا هذا النبأ لأن الكاتين ضليعان بما اتدبا له



استغرقت المباحث السياسية اقلام الكتاب حتى يكاد من ينظر في جرائد الاستانة في هذه الآونة لا يرى فيها مقالة أدبية أو بحثا اجتماعيا أو اخلاقيا الا فيما ندر وهم لم يتناولوا المرأة في بحثهم البتة لذلك انبرت عاطفة جلال احدي فضليات بنات الاستانة وكتبت مقالة تستنكر فيها ذلك وقد بحثت في شأن المرأة بحثا مفيدا ودعت الكتاب الى مشاركتها في موضوعها ، نشرت المقالة في جريدة «ثروت فنون» بعنوان « اليس لنا نصيب في الرقي » وترجمتها « الجريدة » بالعربية واننا نقلها عنها بنصها مع تصحيح قليل قالت :

« تقرأ الجرائد فلا تراها تكتب في المرأة الا شذرات قليلة وبعض مقالات يكتبها بعض السيدات ، فنستغرب من كتابنا تركهم للمباحث الخليلية في رقي المرأة على أنهم يكثرون من كتابة المقالات الضافية الذبول الكبيرة الحواشي في اصلاح الحيوانات الاهلية ونراهم حلقوا باقلامهم في جو الصين واليابان وما فكروا قط في اصلاح أحوال المرأة ، كأن المرأة في نظرهم لا تعد من الانسان ، أو هي في درجة أقل من درجة الحيوان ، أو كأن المرأة لا تزال في اعتبارهم معدودة من الزينة غير المفيدة ، أو من متاع البيت

نرى حضرة المحرر الشهير والكاتب البارع مشاق بك يملأ أعمدة الجرائد بالكتابة عن شركة البواخر ولم نره يكتب عن اصلاح المرأة كأن اصلاح المرأة في نظره ليس له من الاهمية في الهيئة الاجتماعية ما لشركة السفن ينصح لي بعض الاعيان بأن أقرأ ثلاثا واكتب واحدة ؛ حيا وكرامة فاني أقرأ خمساً واكتب واحدة واذا أرادوا الزيادة فلا أكتب شيئاً واقرأ عشرًا ولكن هل لهم ان يتفضلوا هم ويكتبوا فيفتنوني عن الكتابة

نحن نعد أنفسنا من بني الانسان ونطلب أن يكون لنا نصيب في الهيئة الاجتماعية ولقد سكت الكتاب العثمانيون عن البحث عن حقوقنا مع ان الانسانية تقضي عليهم أن لا يسكتوا وان يطلبوا اصلاحنا قبل أن نطلبه نحن

نحن نرى مباحث الصحف منحصرة الى الآن في كيف تكون زينة المرأة كأن المرأة اذا ذكرت لا يتبادر من ذكرها الا انها (العورة مزينة) ولا يخطر على بال الباحث في هاته الصحف ان المرأة كالرجل لها ماله وعليها ما عليه . فيجب أن لا يقتصر الباحثون على زينة المرأة كلما أرادوا البحث في شأنها ومن يقتصر على ذلك يهين المرأة ويمجرح عواطفها . ونحن نريد أن نزين عقولنا قبل أن نزين أجسادنا وهذا لا يكون الا بالتربية والتعليم وفتح أبواب المدارس في وجوه الفتيات

اقترحت حضرة فاطمة هانم افندي في مقالها التي نشرتها «ثروت فنون» أن تؤخذ سراي رضوان باشا وتجعل مدرسة للبنات، واما انا فأرى أن تفتح مدرسة للبنات حيثما كانت وكيفما وجدت . وقد استحسنت الكتابة أن يتضمن بردي جرام المدرسة تعليم التطريز والامور المنزلية باللغتين التركية والانكليزية ورأيت انه متى كان التدريس جيدا مفيدا فليكن باية لغة كانت . واذا وقعت فاطمة هانم افندي الى انشاء هذه المدرسة فلتعدي خادمة فيها فان لم استطع ان أقوم بوظيفة التعليم والتدريس فاني أكون من جملة المتعلمات لأن في التعلم والتعليم خدمة للوطن، واؤكد أن بيننا من النساء من هي واسعة الاطلاع عارفة بحاجات الامة

المرأة تمثل في الهيئة الاجتماعية نصف أدوار قصة الحياة فلو عرف الكتاب الكرام هذه الحقيقة واعطوها حقها من البحث لقاموا بخدمة وطنية عظيمة، واظن انهم اذا فعلوا

ذلك بقيت عظمتهم الكتابية في المنزلة التي لا تمس بسوء فهل يرضى أولئك الكتاب ان يشتغلوا في كثير مما لا فائدة منه وانا وامثالي من الفتيات نادي بانشاء المدارس ونحن لانزال في دور التحصيل ؟ اه

ففسى ان نرى في فتياتنا من يهجن نهج الكتابة القويم ويذهبن مذهبا في وجوب التربية والتعليم

وقد ورد في الانباء الاخيرة ان مشيخة الاسلام اعلنت بأنها ستصدر جريدة شبيهة بالرسمية، تنشر فيها مزايا الدين الاسلامي، ودحض التأويلات وبيان فسادها، ورد الشبهات التي يرمى بها، هديا للناس، ودفعاً للخرافات والاهام، فسرنا هذا النبأ كثيرا الان مثل هذه الجريدة ستقطع السنة كثير من المشويين والمخترقين، وتقتضي على التقليد والمقلدين، فتكون عوناً للمار على تأييد مبادئه التي جاهر بها منذ سنين
حسين وصفي رضا

البرنامج السياسي

﴿ جمعية الاتحاد والترقي ﴾

نشرت جرائد الاستانة هذا البرنامج ليكون محورا تدور عليه سياسة الدولة فأحيينا نقله عنها لقراء المار وهذه ترجمته بالحرف :

- ١ — جعل الوزارة مسئولة بصورة مطلقة أمام مجلس المبعوثان وعلى ذلك عهد الوزارة مستقلة اذا لم تحز اكثر الاصوات في المجلس
- ٢ — لا يكون مجلس الاعيان (الشيوخ) مقيدا بالمادة ٦٢ ولا يزيد عدد اعضائه عن ثلث اعضاء مجلس المبعوثان ويعين السلطان ثلث اعضائه وتنتخب لامة ثلثه لمدة معينة
- ٣ — سيطلب ان يكون لكل من بلغ سن العشرين من الذكور حق الانتخاب لدرجة الاولى سواء أ كان من أصحاب الاملاك أو لم يكن بشرط ان يكون من رعايا دولة ما عدا الذين سقطوا من الحقوق المدنية فليس لهم هذا الحق

٤ - سيطلب اضافة مادة صريحة صراحة تامة للقانون الاساسي تبيح الحرية في انشاء جمعيات سياسية بشرط ان تراعي في ذلك المادة الاولى من القانون الاساسي
٥ - سيطلب وضع قوانين خاصة لوجوب تنفيذ قانون توسيع السلطة الادارية في الولايات الوارد ذكرها في المادة ١٠٨ من القانون الاساسي بشرط ان لا يحل الرابطة الموجودة الآن في ادارة الولايات

٦ - يتوقف تعديل وتبديل التسميات الادارية في الولايات الآن على رأي مجلس المبعوثان وإنما يجب الاسراع في بعض التعديلات من حيث قرب القرى والنواحي أو بعدها باعتبار مواقعها مما يسهل ادارة الامور
٧ - ان لغة الدولة هي التركية وستكون جميع مخبرات الحكومة بهذه اللغة
٨ - أن يكون لمجلس المبعوثان حق وضع القوانين من غير قيد بشرط أن يطلب ذلك عشرة من اعضاء المجلس على الأقل

٩ - كل شخص له أن يتمتع بالحرية التامة والمساواة مع كل الرعايا بصرف النظر عن جنسه ومذهبه وهو مكلف بما يكلف به كل عثماني بصرف النظر عن جنسه ومذهبه . وبما ان كل الرعايا العثمانيين متساوون أمام القانون ولهم الحق في وظائف الحكومة فكل فرد تتوفر فيه شروط الكفاءة يوظف في الحكومة بحسب مقدرته وكفاءته كما ان الرعايا غير المسلمين ينتظمون في سلك الجندية
١٠ - الاديان حرة وستبقي الامتيازات الدينية المعطاة للطوائف المختلفة على ما كانت عليه

١١ - سيطلب تنظيم القوى الحربية والبحرية حسب ما يقتضيه الزمان والمكان ومركز الدولة السياسي بين الدول وسيطلب تقليل مدة الخدمة العسكرية بشرط ان لا تضر بتمرين الجيش واستكمالها لاسباب القوة

١٢ - إلغاء الفقرة الأخيرة من المادة ١١٣ الواردة في القانون الأساسي المنافية للحرية الشخصية

١٣ - اقتراح وضع قوانين تعين حقوق العمال وأصحاب الاعمال المتقابلة

١٤ - سيطلب التدرع بالوسائل الموصلة الى توزيع الاراضي على الفلاحين

بشرط ان لا يخل ذلك بحقوق تصرف ملاك الأراضي المتصرف بها قانونا وان تسهل السبيل لاقتراض الفلاحين القود بأرباح قليلة

١٥ - سيطلب قبول أصول (التخميس) في أمور الاعشار بصفة مؤقتة بشرط ان تبنى على أساس صحيح وتجرب في الحال وفي الجهات القابلة لمثل هذه التجربة وتطبق فيما بعد أصول (قاداسزو) بالتدرج

١٦ - التعليم حر البتة فكل عثماني له ان ينشئ المدارس حسب القانون الخاص بذلك كما ورد في القانون الاساسي

١٧ - كل المدارس تكون تحت اشراف الدولة والامل صيرورة تربية الرعايا العثمانيين كلهم على نسق واحد ونظام تام فنشأ مدارس مختلطة حرة عمومية تفتح ابوابها لكل العناصر ويكون فيها التدريس حرا وتعليم اللغة التركية في القسم الابتدائي اجباريا والتعليم الابتدائي مجانا في المدارس الرسمية وأما التدريس الثانوي (الاعدادي) والعالي فانه سيكون في المدارس العمومية الرسمية المأز ذكرها بشرط ان يكون التعليم باللغة التركية ويسرع بالوسائل الجديدة لوضع بروغرامات تتكفل بالمصلحة وايجاد معلمات ومعلمين اكفاء . وتنشأ مدارس للتجارة والصناعة والزراعة لترقية احوال الدولة الاقتصادية . أما المدارس المنوط بها تعليم الدين بصورة خاصة فانها مستثناة مما ذكر

١٨ - توجه العناية الى ترقية احوال الامة والمملكة الزراعية والاقتصادية والعمرانية ويتوسل الى ذلك بالاسباب المؤدية الى المطلوب

١٩ - سيقترح تعديل انتخاب المبعوثان وجعله موافقا لهذا البرنامج بحيث لا يبقى أقل ملاحظة من قبل الحكومة تعرقل سير الانتخابات عن السير بكل حرية

٢٠ - سيقترح أن يكون لكل عثماني حائز الاوصاف المطلوبة الحق في

ترشيح نفسه لعضوية مجلس المبعوثان في أي بلد من البلاد العثمانية

٢١ - يمكن تعديل مواد هذا البرنامج حسب ما تقتضيه احوال الزمان

وقرار اجتماع عمومي ويمكن أيضا إلغاء بعض المواد أو اضافة مواد أخرى عليه

فبشر عباده الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المكتبة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كثار الطريق ﴾

(مصر - الأحد ٣٠ رمضان ١٣٢٦ - ١٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٠٨)

الخطبة الأولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

ألقيناها على منبر جامع المجيدية في بيروت بعد صلاة العصر وصلاة جنازة الغائب
على المصلحين الكرام السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري
وعبدالرحمن افندي الكواكي السوزي وذلك في يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان
وقد نلخص هذه الخطبة بعض من احصرها من الادباء بما يأتي مع تصحيح وتوضيح:

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، والصلاة
والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، و بعد فان الاسلام دين سهل
سائع موافق للفطرة البشرية ، قام به أهله عند ظهوره خير قيام ، وليس لهم كتاب
غير القرآن ، ولم يكن القرآن في أول الامر مصحفاً مجموعاً كما هو الآن ، وانما كتبت

٦٤٢ تأثير الاسلام اول ظهوره . اعراض اهله عنه . كونه عاما (المارح ١١م٩)

آياته على الجلود والعظام وسعف النخل ، ثم جمعت في مصحف واحد باجماع الصحابة ، فالاسلام هو هذا الكتاب الحكيم ، وما بينه من سنة النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكرتين للناس ما نزل اليهم)

إني سائلكم : أهذا هو الاسلام الذي غير وجه الارض ، وتقل البشر من طور إلى طور ، ؟ نعم إنه هو ، ولو أخذته اليوم طائفة من المسلمين بقوة كما أخذه الأيون لغيرت وجه البسيطة مرة ثانية كما غيره سلفها من قبل ، ولست أعلم لماذا رغب المسلمون عن القرآن وذهبوا يؤلفون الكتب الكثيرة في الدين وقد رأينا ان الاشتغال بهذه الكتب مع الاعراض عن القرآن ما زاد الاسلام إلا ضعفا ، والمسلمين إلا خسفا .

أنزل الله دينه على نبيه (ص) فعمل به أولئك الأميون من عرب الجاهلية وهم على ما تعلمون من التفرق والتعادي والفساد ، فعلمهم الاسلام وهدبهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من المعلوم في طبائع البشر انه لا يتربى ويتزكى بعد الكبر الا أفراد قلائل من أصحاب الاستعداد العالي ، لان الاخلاق متى رسخت في النفس قلما تتغير ولكن أولئك الصحابة الذين غيروا وجه الارض قد تربوا بعد الكبر تلك التربية التي كانوا بها أمة وكانوا هم الوارثين .

نشأوا يعبدون الاصنام ، ويتدون البنات ، ويستحلون السلب والنهب ، الا انه كان فيهم استعداد لهذا الاصلاح الذي ساقه الله اليهم : كان فيهم ذكاء عقل واستقلال فكر وقوة إرادة ، فلما فهموا الاسلام قبلوه وأيدوه ونصروه ، وحملوه الى غيرهم ونشروه .

إن الاسلام دين عام لجميع البشر ، ليس خاصا بمن ظهر فيهم أولا من العرب ، ولكن لماذا ظهر هذا الدين الحكيم في تلك الامة الجاهلية ، ولم يكن بدء ظهوره في أمة من أمم الدنيا كالمصريين والروم ، واليونانيين والفرس ؛؟ السبب في ذلك

عظيم جدا يتعلق بالاستعداد وهو ما كانت عليه العرب من سذاجة الفطرة واستقلال الفكر والإرادة

كانت الاديان والحكومات بما طرأ عليها من الفساد قبل الاسلام قد أضعفت استعداد تلك الأمم بما طبعتهم على التقليد والخضوع والخنوع لرؤسائهم ، والجمود على تقاليدهم وعاداتهم ، فإذا دعي أحدهم الى إصلاح جديد قال من فوره : ان هذا يخالف ما وجدنا عليه آباءنا فان لم يمنعه من الاستجابة التقليد لسلفه في الدين ، منعه ما طبع عليه من العبودية لحكامه الظالمين ، واما العرب فلم يكن لهم من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية ما يحقر في أنفسهم ما يلقي اليهم من دين أو علم جديد ، ولم يكن لهم من الحكام المستبدين من يفسد عليهم بأسهم ، ويذهب بعزيمتهم ، بل أعدمهم لذلك بطبيعة البدواة وسذاجة الفطرة ، فجعلهم من أهل الشجاعة التي هي مظهر استقلال الإرادة ، والحرية التي هي مظهر استقلال الفكر ، فكان فيهم كثيرون إذا دعوا إلى الحق والخير هتفوا بالدعوة ، وإذا اعتقدوا الشيء قاموا ودافعوا عنه بالقوة ، لذلك أنزل الله عليهم كتابه ، وبعث فيهم رسوله ، فاستجاب له من سمع ووعى وقالوا إنا نمثلك (أي نحميك) مما تمنع منه أنفسنا وأهلنا ، وقام الاسلام بهم خير قيام ، حتى كان من أمره وأمرهم ما كان ،

هذه مقدمة يمكثي أن أبين بعدها ماهي حقيقة الاسلام ليعلم غير العالم من الحاضرين ويتذكر أولو العلم منهم أن المسلمين يسهل عليهم اليوم ان يعرفوا دينهم ويبتدوا به من غير حاجة إلى مدارس تدرس فيها الكتب الكثيرة

الاسلام أمر سهل جدا وهو عبارة عن الرجوع إلى الفطرة البشرية ، وماهي الفطرة البشرية ؟ هو ما انطوت عليه نفسك من الإذعان للسلطة الفيدية واختيار ما تعتقد انه الخير والمصلحة قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) إلا ان الفطرة يعرض لها الفساد بالجهل وسوء القدوة فإذا ذكر صاحبها بآيات الله فاهتدى بها رجعت الى أصلها (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) ففصل مقصد الاسلام وحينئذ يجد المسلمون سعة في الوقت لتحصيل

ما يحتاجون إليه من العلوم والفنون وما يترتب عليها من الاعمال والصناعات التي تقوى بها أمتهم وتعزز دولتهم

قلنا ان الاهتداء بالاسلام لا يتوقف على درس الكتب الكثيرة ، والاعمال التي تستغرق الاوقات ، وذلك ان الاسلام مبني على ثلاثة أسس : (الاول) إصلاح العقل بالعقيدة المطهرة للجنان ، المبنيّة على البرهان (الثاني) إصلاح النفس بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل (الثالث) إصلاح الاعمال من العبادات والحقوق التي يستقيم بها أمر الافراد وترتقي الهيئة الاجتماعية

الاساس الاول يبنى عليه الايمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ومعناها انه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالسلطة الغيبية العليا التي تلجأ اليها النفوس عند العجز عن الاسباب والسنن ، فلا ينفع غيره ولا يضر سواه الا ما يتعامل به الناس بالاسباب التي سخرها الله لهم بحكمته ، وأقدرهم عليها بمشيئته ، وانه منزّه عما لا يليق به من صفات الحوادث وما يلزم بالبشر وغيرهم من النقص ، وانه هو المتفرد بشرع الدين والتحليل والتحرير . ويتلو ذلك تصديق الانبياء فيما جاؤا به من الوحي والايمان بعالم الغيب من الملائكة والجزء على الاعمال التي تزكي النفس قرفعها الى عليين ، أو تدسيها فتقيها في أسفل سافلين ، فهذه العقيدة تصلح العقل باطلاقه من العبودية لبعض البشر او المظاهر الطبيعية وهي الوثنية التي أفسدت عقول الاوانس ، والخضوع الاعمى للرؤساء المسيطرين ، وكل ذلك مبين في القرآن ا كمل تبين ، مؤيد بالدلائل والبراهين

الاساس الثاني يبنى عليه تزكية النفس من الاخلاق الدسيمة ، وتحليتها بالاخلاق الحسنة ، واذا تهذبت اخلاق الناس صلح أمرهم ، واستقام نظامهم ، وقد فصل لنا القرآن ما يحتاج اليه من ذلك تفصيلا

الاساس الثالث تبنى عليه العبادات والآداب العملية ، وقد بين القرآن ذلك بالاجمال ووكل بيانه بالتفصيل الى النبي (ص) فكان يعلمه الناس بالعمل وعبر عن ذلك بقوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكذلك كان الصحابة يعلمون من دخلوا في الاسلام على أيديهم فلم يقل احد انه كان لهم في الشام ومصر وفارس كتب يعلمون بها الناس دينهم عند ما كانوا يدخلون في الاسلام . ولكن المسلمين دونوا عبادتهم

في الكتب واكثرها فيها من الاقسام والفروع والاصطلاحات حتى وصلنا الى ازمة صارت فيه هذه الكتب صعبة لا يتيسر للاكثرين درسها وتعلمها، وقد كما السواد الاعظم وصارت دراستها محصورة في فئة تستفيد منها في دنياها كمر يدي القضاء والفتيا والتدريس . على انهم على طول مزاولتها لا يستفنون عن اخذها بالعمل فقد حدثني أحد كبار العلماء انه قرأ كتاب الحج مرارا كثيرة ولما أراد ان يحج لم يستغن عن المطوفين الذين يعلمون العوام مناسكهم بالعمل . وتعلم العبادات بالعمل سهل جدا وما لا بد فيه من القول يمكن ان يقال في مجلس واحد ، وقد كان النبي (ص) يعلم الاعرابي دينه في مجلس واحد ، فاذا عاهده على العمل به رضي منه وقال « اقلح الاعرابي ان صدق »

التاريخ يخبرنا بان الاسلام انتشر في مدة قليلة في ممالك كثيرة لسهولته ، وأية سهولة على المرء اسهل عليه من مجارة فطرته وتقويم ما يعرض لها من العوج . فالاسلام يدعوكم الى ما في فطرتكم من الميل الى اختيار ما فيه الخير والمصلحة ، ولذلك يرشدنا الى التذكر في مواطن كثيرة من مواطن هدايته فيقول (لعلكم تذكرون - لعمري تذكرون - وما يتذكر الا من ينيب) وانما يتذكر الانسان ما كان يعلمه ثم نسيه او غفل عنه ، فكأنه يرشدنا بذلك الى ان ما يدعوننا اليه من الخير هو مما أودع في فطرتنا ثم غفلنا عنه بسوء القدوة وفساد التربية - فدين الاسلام اسهل الاديان لاجرا فيه ولا مشقة (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فاذا كان على سهولته ويسره كافلا لسعادة الدنيا والآخرة فأي عذر لنا اذا أهملناه وتركنا هدايته ؟! (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) يرضى بأن يكون كالدواب لا يهجم الا علفها أو كالكلاب العاقرة ينهش بعضها بعضا

ربما يعترض بعض الناس على ما أقول من أن تلقين الدين لا يشغلنا عن تعلم العلوم والفنون الدنيوية التي هي مبادئ الصناعات التي تعزبها الامة وتقوى الدولة حتى تكون في مصاف الدول الكبرى ، لانهم يزعمون ان الدين ينهانا عن ذلك ولولم يوجد فيها أمثال هؤلاء لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن من الضعف والأحطاط في الثروة والقوة

نحن اليوم في حالة لا تخفى على أمثالكم . صرنا وراء جميع الأمم والذنب في ذلك علينا لا على الاسلام . فالاسلام لم يجن علينا وانما نحن جنينا عليه وعلى أنفسنا اذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجبا كثيفة فأعرضنا عنه وعن العلوم التي نحتفظ بها

بعضنا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مندوسة ليس لها سوق نافقة عند أمة من الأمم فأحياها المسلمون عند مآظهم الاسلام ونفذت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين بحرمونها اليوم يسترفون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من شائنا هم خيرة علمائنا !

الانقلاب العثماني (*)

﴿ تركيا الفتاة ﴾

الفرق بين الانقلاب والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تفيير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الامة ومصالحها وتصددها عن السير في طريق النجاح، بخلاف الانقلاب فانه مها آلم الامة ورضرضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم، ويصعد بها درجة في سلم

(*) رسالة حفيلة جليلة ألفها صديقنا محمد روهي افندي الخالدي المقدسي من أرباب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر واصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن تقريرظ لها نشرها في المنار لانها أصدق تاريخ لاعظم انقلاب

النجاح ، وأكثر كتاب العربية لا يفرقون بين الكلمتين ، ويطلقون اسم الثورة على الانقلاب ، فيقولون الثورة الفرنسية مثلا ، بدل الانقلاب الفرنسي ، ولم يلتفتوا الى ماروي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما أخبر بهدم قلعة الباستيل (la Bastille) واطلاق المسجونين فيها فقال: إذا هذه ثورة (Révolte) فأجابه الخبر: عفوا يا مولاي بل هذا انقلاب (Révolution)

فمراد ملك فرنسا ان فعل الثأرين غير مشروع ، ولا حق لخروجهم عن الطاعة ، وجواب الخبر ينافيه ، وبين ان الانقلاب غير الثورة والعصيان ، فحن اليوم أحوج الى تعيين معاني الكلمات والى سكب قوالب الالفاظ ذلى قدر المعاني ، لان الانقلاب السياسي من شأنه ان يحدث انقلابا في اللغة والادب ، فضلا عن انقلاب الاخلاق والعادات والافكار ، الا ترى الجرائد العثمانية ذلى اختلاف لغاتها من تركية وعربية ورومية وأرمنية ويهودية (أسبانية وعبرانية) وبلغارية وفرنساوية والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الانقلاب ، وهجرت تلك الالفاظ الفخمة والتعابير السقيمة ، التي نطلى المعاني بستار المهابة حتى تستبهم على القارئ ، وتفيد فكركه بسلاسل التذليل والاستعباد

الاستبداد يولد الانقلاب

نالذي يولد الانقلاب هو الاستبداد ، ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار لفضب والحيوانية ، لامن قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض منا ، واكثر الاوربيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية أي انها جامعة بين الديانة والسياسة ، واحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة عن الحق ، بمحفة بمن تحت يدهم من الخلق ، لهم اياهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد او المستبدين وشهواتهم ، ولذا ورد في الخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي « ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم

الاستبدادي الفردي أو الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتاً منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ، وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية ... الخ »

الاستبداد والاسلام

فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن ا كاسرة الفرس وقيصرة الرومان ، عن نماردة بابل وقراعة مصر ، عن جنكيزخان وتيمورلنك . والاسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته أشد المقاومة ، وسأوت بين أفراد الامة ، وحافظت عن الحقوق والحرية الشخصية ، وامنت الاجانب المعاهدين فضلاً عن افراد الامة - على أموالهم ودمائهم واعراضهم ، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ، ووضعت حق الحاكمية في الامة ، ولم تكف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل فرد من افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الامة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليقتهم والا اولي الامر منهم . ورد في الدرر وهو من أهم الكتب الشرعية « ان الخليفة يقتص منه ويؤخذ بالمال لانها من حقوق العبد ، ويستوفيه ولي الحق أما يتمكنه أو بالاستعانة بمنعة المسلمين ، ولذا حكمت القضاة على اكثر من واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمائه ، وانزلتهم عن المنصة ، وأقدمتهم مع الخصم في مجلس الحكم

الاستبداد آسيوي لا إسلامي

كان الحال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقتفى أثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني أمية ، ثم تغلب الاستبداد الآسيوي على احكام الدين الإسلامي ، وانقلبت الخلافة الى سلطنة واصبح خليفة الاسلام (مقدسا وغير مسؤول) كلوك الافرنج ليومنا هذا ، لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم إحضارهم ولا إصدار الحكم عليهم ، ويرثون .. لك كما يرث أحدنا مال أبيه . فاستبدوا بالامر استبداد لو بس الرابع عشر الذي كان يقول « الدولة هي انا » و« أموال الرعية انما هي ملك للملكا فاذا

أخذ شيئاً منها فقد أخذ حقه!!» واستباحوا التصرف في نفوس الرعية وأموالهم وأعراضهم وفي خزائن الدولة وبيت المال وأوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية: وصار الوزراء والمصاحبون يقولون «خسرو بكنند شيرينست» أي ما أعجب كسرى فهو حسن ، فالحسن هو ما استحسنته السلطان والتبجح ما استتبعه السلطان ، ولا دخل في ذلك للعقل والذوق ، ولا للحكمة والشرع ، لأنهم أولوا الشرع على حسب غاياتهم وأغراضهم

فإذا تصفحت تواريخ الأمم الإسلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي ، وعلى جانب من الاستعباد الأفريقي ، وليس فيها شيء من الحرية الإسلامية ولا المشورة المأمورة بها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما قال الله لنبية : (٣: ١٥٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمتم فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين) وقوله تعالى (٤٢: ٢٦) وأمرهم شورى بينهم) وحديث «أتم أعلم بأمر دنياكم» وأمثاله كثيرة كحديث حلف الفضول المشهورة في التواريخ: وذلك أن قبائل من قريش تداعت إلى حلف الفضول الذي عقدته قديماً قبائل العرب واشتهر باسم رؤسائهم الفضيل والمفضل ، فاجتمعت وجوه قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه ، فتحالفوا وتعاهدوا إن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وكان ذلك قبل الإسلام ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لقد شهدت مع عمومي حلفاني دار عبد الله بن جدعان ، ما أحب إن لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» فأى شيء أشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والمبعوثان ؟ لا بل من جمعية الأتحاد والترقي ؟ ولقد أحسن جدا العلامة المقري في جوابه المذكور في نفع الطيب حيث قال :

« سألتني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم ، إذ لم يبل أمرهم من يسلك بهم الجادة ، ويحملهم على الواضحة ، بل من يفتر في مصلحة دنياه ، غافلاً عن عاقبة أخراه ، فلا يرقب في مؤمن إلا ولازمة ، ولا يراعي عهداً ولا حرمة ! » فأجبت: بأن ذلك لأن الملك ليس في شريقتنا ، وذلك إنه كان فيمن قبنا شرعاً

قال الله تعالى ممتا علي بني اسرائيل (وجعلكم ملوكا) ولم يكن ذلك في هذه الامة ، بل جعل لهم خلافة ، قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية وقال تعالى (وقال لهم نبينهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا) فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان أبو بكر خليفة رسول الله (ص) وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر ، وخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ، ونص في عهده على ذلك ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان . فاخراج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ، ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله ، فبايعه من آثر الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا ، والخشونة لنا ، ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم ، فجعلها ميراثا ، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا ، لان سليمان رحمه الله رغب عن بني أبيه ايثارا لحق المسلمين ، ولثلا يتقلدها حيا وميتا ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل ، وغالب أفعاله غير مرضية ، اه فيظهر لنا من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك ، والسبب الذي جعل ملوك الافرنج مقدسين وغير مساوين

منبع الاستبداد قصر الملك والخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ، ودار الملك والامارة ، حيث تكثر دسائس المقرين ويشترحهم على الجاه وطمهم في جمع الاموال وادخارها وفي انفاذ الكلمة ، ولذا ابتعد عنهم أهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان . فالتقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقباء يشون به ، وينصبون له اشراك المكيدة ، ويتهمون به بانواع التهم ، وينسبون اليه كل خلل في الدولة ، حتي يبعده عن مركز الدولة ، وربما تسبوا في مصادره وقتله مع

أولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد. فتاريخ الدول والامارات الاسلامية كلها وقائع برمكية . وقد ينصر الوزير على الخليفة او الامير ويحجر عليه ويصير هو المستبد بالامر ، ونتيجة التضييق واحدة وهي الاستبداد ، وتغلب القوة على الحق . والامة في جميع هذه الاحوال شاخصة ببصرها لا تطعم على خفايا السياسة وتدير الملك ، ولا على دسائس المقرين وحيلهم لإخفائهم جميع ذلك عنها ، واستبدادهم بالامر عليها . ولقد أجاد لسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحرر في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها أحوال خدمة الدولة ومصايرهم ، وعبر فيها عن ذوق ووجدان وهي أبلغ ما حرر في هذا الصدد ، وقد ذكرها المقرئ في الجزء الثالث من نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب . فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الفوائل ولا وجدوا وقتا لاصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية ، ولذا انصرفت همهم لجمع الاموال وادخارها ، واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجه واكتساب السعادة ، لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال ، فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعدها الحظ بنيلها

قصر السلطنة العثمانية وترية ولي العهد والكامر يلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتبا على الاصول والتقاليد الموروثة عن المغول ، حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي . وأول وظيفة على هذه الحكومة انزال الخان المعظم على الرحب والسعة ، واسكان من معه من الحریم والأسرة والاقارب والحاشية ، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم ، واستحضار النفقات اللازمة لهم ولرؤساء (العرضي) . فالعمود الأوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو « المصدر الأعظم » القائم مقام الخان المعظم أي السلطان والحامل لخطمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية ، وبجانبه « قاضي عسكر » لفصل الدعاوي وتقسيم موارد الجند والمحافظة على حقوق السلطنة ، وشيخ الاسلام انما هو « قاضي عسكر » وظيفته أحدث عهدا . فقضاء العسكر قديم في الدولة ومتقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المتقلبة ، ثم « الدقردار » الذي يقيد الاموال ويحجر الحساب ، وهو اليوم ناظر

المالية ، ثم « النيشانجي » الذي يكتب الإيرادات والفرمانات وغيرها ، فهؤلاء
أعمدة ثانوية حوالي العمود الاعظم الذي في وسط الخيمة ، واما حبال الخيمة
فهي الاغوات ،

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل أو في الخارج إلى قسمين :
فالقسم الاول هم خدمة الداخل المسمى « اندرون » من مماليك البيضان وطواشية
السودان المحافظين على الحرم ، وكبيرهم آغة دار السعادة ويسمى أيضا آغة البنات
« قينزل آغاسي » ، ثم آغة البستانين « بستانجي باشي » المكلفين بزراعة البساتين
والجنان وآغة الرسل الموصلين للاخبار وآغة المحافظين على الاثواب والالبسة
« اثوابجي باشي » و « القهوه جي باشي » و « الابريقدار » و « السجاده جي
باشي » . . . الخ والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات (العرضي) مثل آغة
الانكشارية « يكيجري آغاسي » وآغة الصباهية « سباهي » وآغة الطوبجية وهو
« الطوبجي باشي » . . . الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج
كلهم في درجة واحدة بمثابة حبال الخيمة ، ولا فرق بينهم في التشريفات الرسمية
والمعاشات والتعيينات ، ولا في الاعتبار والمكانة عند الدولة ، فالجاهل والعالم ،
والعبد المملوك والحر ، ووضع النسب وشريفه ، ومجهول الاصل ومعروفه ، والابر
الخصي وكامل الاعضاء — كلهم متساوون لا تمييز بين « القهوه جي باشي » الذي
لا يحتاج صناعته الالمرفة طبخ القهوة وتقديمها ، وبين « الطوبجي باشي » المتوقفة
صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكثيرة ، وهذا الذي حمل الشاعر
المفلق الامير شكيب على ان يقول أياته المشهورة ومنها :

وألفت فيها أمة عربية يرى الترك منهم أمة الزنج اكرما
ولذا امتزجت الحياة البيئية بالحياة الدولية ، والمسائل النسائية بالمسائل السياسية
واشغال السراي السلطانية بأشغال الباب العالي ، وبين السراي والباب العالي
وسط يقال له الماين لانه بين « الاندرون » أي الداخل وبين « البيرون » أي
الخارج . ويشتمل الماين على الكتاب والقرناء والمصاحبين وهم « الماينجية »
و يعدون كلهم من أهل السراي وخدمتها

فامتلات السراي السلطانية بالاسرى من السراي الجركيات والماليك والطواشية ، مع أن الشرع الاسلامي لا يبيح هذه العادة المستكرهه ، قال شارح الدر : « وفي قطع الذكر من الاصل عمدا قصاص » ويندر فيهم وفي جميع خدمة الداخل من يتعلم القراءة فضلا عن الكتابة ، لان فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغا من العلوم والمعارف ، لتلا يسول له الشيطان أمرا أو دسيسة سياسية توجب انقلاب الملك ، ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناضول البعيدة ومن ذوي السداجة والغرارة ، فاذا ولد لاحد السلاطين العظام مولود تربي في حجر والدته الجركسية على دلال السراي والاغوات إلى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبدل تلك السراي بالحظايا فيتخذ منهم حرما ينزوي بهن في أحد القصور ، وتبقى الاغوات والماليك على ما كانت عليه أيام صباه ، وربما جاؤه بحافظ يحفظه القرآن ، ومعلم يعلمه مبادي العلوم ، ولكن أكبر معلم للانسان هو البيئة التي يكون فيها ، وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة . فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك ، وهو محبوس في قصره ، وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون أحدا من الدنو اليه ولا المرور بجانب قصره ، فضلا عن محادثته في المسائل العلمية والسياسية .

ومتى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشية السودان وماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم ، وحرصوا على ان لا يفلت من أيديهم ، وقتشوا على أضعف نقطة في قلبه وأخلاقه ، فلا يمضي عليهم كثير حتى يكتشفوها ، فيستميلون قلبه اليهم من تلك النقطة ، ويستفيدون منها لانفاذ كلمتهم وجر المنافع اليهم وإلى أصحابهم ومن كان من حزبهم وشيعتهم . فيتألف من خدمة القصر الملوكي حزب قوي يسمى كامريلا « Camarilla » وهي كلمة أسبانية معناها جماعة المنفذين في قصر الملك ، فيتدخلون في المسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الأمور ، واذا رأوا السلطان مال لصدر أعظم أو وزير اتقصوا عليه وساقوه بالاستتيم واقتروا عليه بإفكهم ، ونسبوه للعجز والتقصير ، وسعوا في تنزيل قدره وتردياه ، لاجل وضعه تحت سيطرتهم ، ولذا كان في الغالب للقهوة جي باشي

والاثوابجي باشي والابر يقدر والسجاده جي باشي والبستانجي باشي حتى الباطه جي باشي وهو الخطاب - نفوذ كلمة ومكانة أكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة ، ولا سيما في المسائل المالية وجبر المنافع وتوظيف المنتسبين اليهم ، ولم تنزل رتبة آغا دار السعادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم والخديوي العظم ، ولم بالفرنساوية لقب سون التيس « Son Altesse » كأمرء الافرنج وانباء ملوكها العظام ، ولم ينزل أكثرنا متذكرا نفوذ بهرام آغا وأمثاله

شروع الدولة العلية بالاصلاح

لو استمرت أوروبا نائمة في ظلام القرون الوسطى لبقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العوجاء سير مملكة الصين ، أو سلطنة المغرب الأقصى التي انحطت إلى درجة البداوة ، بعد ان كان لها في العمران قدم راسخة ، بسبب مهاجرة الاندلسيين اليها ومتاجرتهم في أفريقيا الغربية ، ولكن أوروبا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة ، وأوجدت هذه المدينة العجيبة التي بهرت العالم ، وغيرت وجه الأرض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ، وتجاوزت دول أوستريا (النمسا) وروسيا والبنديقية إلى ممتلكات الدولة العلية ، فأحست بالضعف والانحطاط وانتهقر ، وبدأت في الإصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفى خان الثالث ، فأحدثت الطوبخانة ، وأنشأت معملاً لسكب المدافع ، واقبل السلطان سليم الثالث مهمة عالية واقدم على القيام بالإصلاح ، ورتب إدارة الطوبخانية والبحرية ، وجلب المعلمين والمهندسين من أوروبا ، وأحدث النظام الجديد ، فأغتنم أيدي المنوت بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت أخلاقهم ، وأصبحوا بلاء مبرم على الأمة والدولة ، بعد ان كان لهم في الفتوحات العثمانية شأن عظيم ، ومفاخر كثيرة مسطورة في تاريخ أوروبا العسكري .

ثم جلس السلطان محمود الثاني وازال غائلة الانكشارية ، ونظم العساكر الجديدة ، واجرى من الإصلاحات ما هو مفصل في التاريخ العثماني . واصاب اندوله العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الأوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها مع روسيا ، واحتلال نابليون بونابارت لمصر وسوريا ، وخروج محمد علي

باشا ، وتبه دللي علي باشا ، وحرب الموره ، واستقلال اليونان ، وحوادث جبل لبنان . وتداخلت أوربا في شؤون الدولة العلية بداعي الحماة عن المسيحيين : فروسيا تحامي عن الامم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الارثوذكسي ، وفرنسا على الكاثوليك ، وانكترا عن مبشري البروتستانت ، وجميعهم يحرضن المسيحيين من رعية الدولة على مقاومة الاستبداد ، ويطالبن الباب العالي باجراء الاصلاحات ، ووضع القوانين والنظامات لمنع التعدي على النصارى ، ولمساواتهم في الحقوق مع المسلمين . والباب العالي يجد الاستفادة من العداوة القديمة التي غرستها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهون عليه من سوق العساكر وتكبد المصاريف الحربية لتسكين الفتن واخماد الثوار . وهكذا جرت المذايح وارتكبت الفظائع التي تقشمر الجلود من سماع وصفها ، وعادت على الوطن بالويل والخراب كذايح الروم في حرب المورة ، ومذايح لبنان في حادثة الشام ، ومذايح البغار في حرب روسيا الاخيرة ، وهي التي قام لها غلا دستون وقعد ، وارغى وازبد ، على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي ، وآخرها الفظائع الارمنية المعروفة ، وهي نقطة سوداء في صحيفه التاريخ .

مندارة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس سائت بعض رجال الدولة الى تعلم اللغات الاوربية ولا سيما الفرنسية للوقوف على سياسه أوربا وتنظيم العساكر البرية والبحرية ، وكان لاكثر المتعلمين نسبة وتردد على مصر التي شرعت بالاصلاحات على عهد محمد علي باشا . ونبغ من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي ممولي رقف السلطان بايزيد ، وكان مولده في الاستانة (١٢١٤هـ) فقرأ القرآن ومبادئ العلوم الاسلامية وأجاد الخط وتعلم شيئاً من مبادئ اللغة الفرنسية ، ودخل في معية نسيبه الصدر السابق اسبارطه لي علي باشا ، وذهب الى مصر مرارا وخالط رجالها وتقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره ، فأكمل تحصيل اللغة الفرنسية واطلع على دقائق السياسة وخوافيها ، وكانت المسألة الشرقية شاغلة وزارات اوربا بسبب اجتهاد روسيا في جمع كلمة الامم السلافية وطعنها في الاستيلاء على القسطنطينية . وروسيا اكبر الدول الاوربية واكثرها

نفوسا وأشدها خطرا على الموازنة السياسية . فكانت الدول الأوربية وفي مقدمتهن انكلترا التي هي أحرص الدول على مقاومة السياسة الروسية ، تشوق الدولة العلية الى القيام بالإصلاحات الجديدة لتستعيد قوتها السابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية الدول سندا منيعا امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبدالمجيد خان (تموز «يوليو» سنة ١٨٣٩) كان مصطفى رشيد باشا سفيرا في لوندن . فتمين ناظرا للخارجية وحضر للاستانة وكان له رأي ودخل كبير في التنظيمات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال الدولة وأعيانها والسفراء الأجنبية الخط لشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت قراءته في كلخانة (أي دار الورد) وهي من دوائر السراي القديمة (طوب قيو) التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلخانة واشتمل على تأمين الرعية على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وعلى قاعدة مطردة في استيفاء الاموال الأميرية ، وعلى أخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة ، والغاء الامتيازات ، وطرح التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ، ومساواة الرعية أمام القانون ، والغاء المصادرة والانغارية وهي الاجبار على العمل بلا أجره وتعرف بالسخرة ، ونحو ذلك مما هو مدرج في هذا الفرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم العربية

فالدولة العلية انما أصدرت هذه التنظيمات لإرضاء لاوربا ولا سيما انكلترا . والامة الاسلامية لم تفهم معنى هذه التنظيمات ولا معنى تأمين الناس على الارواح والاموال والأعراض ، كأن الشريعة التي كانت دستور العمل تبيح التجاوز والتعدي على الارواح والاموال والأعراض ، وحاشاها من ذلك . فالبلاد لم يكن سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحها التنظيمات لم تكن شيئا مذكورا بجانب الحرية التي منحها القرآن لو زال عنه الاستبداد والجهل المستوليان على المسلمين ، فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نوايس المدنية الحاضرة كما فعل احرار العلماء كالشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت

قانونا لاخذ العسكر جرى تطبيقه في بعض الايالات وأحدث في بعضها ثورة وعصيانا كهصيان الارناؤط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الاستانة ونظمت محاكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلامها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مسند الصدارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م - مصدر هذه الاصلاحات ، بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفة اللغة الفرنسية والادبيات العثمانية . فسعى في افراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس ، بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم ، لكثرة ما فيها من التعقيد والتشابه الغامضة والالفاظ والتركيب اللغوية من فارسية وعربية . ونشأ في عهده ونحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العلوم العربية واللغة الفرنسية ، وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولا فوتين وأدخل في الادب التركي التعقل المشروط في الطريقة المدرسية كما فصلنا ذلك في كتابنا «تاريخ علم الأدب»

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجمية قلما يجد الانسان فيه حكمة وتعقلا ، وديوان شناسي صغير الحجم ، لكنه نموذج للادب الجديد ، وأكثر قصائده في مدح مصطفى رشيد باشا . وأنشأ شناسي جريدة تركية سماها (تصوير افكار) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سهل سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع منتخبات (تصوير افكار) ثانية في مطبعة ابوالضيا توفيق بك ، وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والوظائف العالية

علالي باشا وفؤاد باشا

ظهرت فئة قليلة من المعلمين على النسق الجديد واقتفوا اثر مصطفى رشيد باشا ، ونبغ منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين علالي باشا وفؤاد باشا ومولدهما في سنة ١٢٣٠هـ الاول ابن مصر جارشلي علي رضا افندي اي المنسوب

لسوق مصر وهو سوق العطارين . والثاني ابن الشاعر الشهير كجج جي زاده عزت ملا الذي نفي للاناطول في زمن السلطان محمود خان ومات في منفاه . فتعلم امين مباديء العلم واجادة الخط وقرأ الفرنسية على معلم مخصوص ودخل قلم الديوان الهايوني في الخامسة عشرة من عمره

ومن عادة رؤساء القلم تسمية كل داخل باسم يتميز به عن سمية ، ولم يصطلحوا كالغرب والافرنج بتسمية الولد باسم ابيه أو أسرته . وكان امين قصير القامة فسمي (عالي) تسمية بالصد تفاؤلا بعلوهمته . فذهب الى أوروبا في كتابة السفارات واتقن الفرنسية وانتسب لرشيد باشا وامتاز في فنون السياسة والمعارف العصرية وعين عضوا في (انجمن دانش) اي مجلس المعارف المؤسس على نسق الكادميات اوربا . وكان عالي باشا يحسن الفرنسية والتركية كتابة وانشاء ، وتقلب في وظائف كثيرة مهمة مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمى . وأما فؤاد فدخل المكتب الطبي العسكري وخرج جراحا في العسكرية ، ثم دخل قلم الترجمة في الباب العالي وتقلب في الوظائف السياسية والخارجية ، وترأس مجلس التنظيمات ومجلس الاحكام العلية وحضر الى سوريا أيام الحادثة وكان اذ ذلك ناظرا للخارجية ، ثم ذهب بجمعه السلطان عبد العزيز الى معرض باريس سنة ١٨٦٧ ومرض فيها وتوفي في نيس من فرنسا وله من العمر ٥٥ سنة فقط ، وكان في اللغة التركية أدبيا شاعرا وضع مع جودت باشا القواعد العثمانية التي لم يؤلف لآن احسن منها ، وخلف الفريق كجج جي زاده عزت فؤاد باشا الكاتب الشهير

فرشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا هم نوابغ السياسة العثمانية وواضعوا الاصلاحات الجديدة بدلالة السفراء الاجانب ارضاء لدول اوربا ولا سيما انكلترة ، ومما شاة لها لحرصها على تقوية الممالك العثمانية لتتقي بها شر روسيا فأمر هؤلاء النوابغ بترجمة القوانين والنظامات والتعليمات والاورام المدرجة في الدستور ترجمة حرفية ، ولم يجدوا لهم وقتا لدرس احتياجات البلاد الداخلية والمدنية الاسلامية حق درسها ، ولا لنشر الافكار الجديدة بين المسلمين المفاخرين بسابق مجدهم ومثانة شرعهم ، ولذا لا موا هؤلاء المصلحين ولم يرضوا عن اعمالهم زاعمين انها توئل إلى قلب البلاد وجعلها

افرنجیة محضة . ولذا كانت الاكثريه لحزب تركيا القديمة ، ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الا فئة قليلة ، درسوا العلوم الجديدة درسا سطحيا و بعضهم زار اور با مرة أو مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اور با اليه ، وافلح في الحصول على اتفاق انكساره وفرنسا وساردينيا اي ايطاليا ، فحارب روسيا وانصرت عليها في حرب القرم وعقدت معاهدة باريس (۳۰ مارس سنة ۱۸۵۶) واعترفت اور با بمقتضاها بتمام ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ، ومنع اية دولة من المداخلة في امورها الداخلية ، وصدر خط شريف ثان في ذلك التاريخ أيضا مؤيد لخط كلخانه ، ويشتمل على حرية الاهالي ومساواتهم في الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ۱۸۶۱ واصدر فرمان الاصلاحات ولكن هذه الفرمانات والخطوط الشريفة السلطانية لم تنعم تماما سوء الاستعمال والاستبداد الذي في ادارة الدولة ، وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد على ما كان عليه سابقا ، لعدم اصلاحهم السراي السلطانية كما اصلحوا وجاق الانكشارية والصباهية وقلبوها الى النظام الجديد

حزب تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابراهيم باشا لمصري ثم صهره خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ۱۸۳۰ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور ، فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة تعين ناظرا للمعارف في الاستانة ، ثم ناظرا للمالية وأجرى فيها عدة اصلاحات ، وكان ميكروب الاقراض قد تفشى في هذه النظارة ، وأحدث بلاء القوائم النقدية ، حتى بلغت الديون ما بلغت فأنقلت كاهل الامة ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك يوسف كامل باشا صهر والي مصر محمد علي باشا ، و مترجم تليماك للتركية الترجمة الاولى المويضة ، وكان عالي باشا في نظارة الخارجية ، وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العديلة ، ثم في نظارة الحرية ، وأدخل فيها حسين عوني باشا العدو الالذ لعمر باشا المجري . وكان فؤاد باشا تعين حكما لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوته على تقسيم ميراث أيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة ، فلما تولى

فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ماله من الخدم والاصلاحات المفيدة ، فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لأخته الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد ، وكشف الغطاء عن عورات الدولة ، وبين اسباب الضعف والانحطاط وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المايين ولا سمعوا بمثلا قبل ذلك ، ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقت به فئة من الشبان فأكرم مشواهم وأنفق على تعليمهم ، ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني أحدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لايهم الواحد منا بأمر معاشه ، فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد الى منزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والنام ، بخلاف أحرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في أمر معاشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة ، فنظموا الشعر وألغوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد ، ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الادب الجديد العثماني ، ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ هـ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت له مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر به مقالاته السياسية في الجرائد بأسلوب مستحدث طريف هو من السهل المتع ، واشعاره على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتديير الملكة واصلاح شؤون الحكومة ، وله مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع ، وقصة وطن أو سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلانيك بعد حدوث الانقلاب ، وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقر سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهم ضيا باشا الأديب الشاعر ، وسعد الله باشا سفير فينا الأسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها (البحيرة) ، وله اشعار عصرية رائقة . ومنهم بو الضيا توفيق بك الذي أصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي ، وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديهة عجيبة لم تبلغها إلى الآن مطابع الشرق ولا مطابع أوروبا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد ، وكثير غيرهم من الكتاب والأدباء انصار حزب تركيا الفتاة

الذي أسسه مصطفى فاضل باشا ، ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر إلى الأستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفته الفرنسية ، وصار سفيرا لباريس وغيرها وناظرا للخارجية ، وتزوج بأكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الأميرة الشهيرة نازلي خاتم التي اقتفت أثر والدها وزوجها الأول في تعضيد حزب تركيا الفتاة ، وساعدته بالمال والجاه هي وشقيقها الأمير محمد علي باشا

لائحة فاضل باشا للسلطان عبد العزيز

نخص مصطفى فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحة المذكورة التي قدمها إلى السلطان عبد العزيز خان وقال فيها :

« تصور أوروبا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون للمعاملات الاستبدادية ، ولا احتمال أنواع الاذى والتحقير المتولد من الظلم ، وليس الامر كذلك ، فان المسلمين ربما كان الظلم والعسف أشد وطأة عليهم ، وهم أكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين ، لان المسلمين ليس وراءهم دولة أجنبية تتحيز لهم وتحامي عنهم ، فرعايا جلالكم من جميع المذاهب مقسومون إلى صنفين : الظالمين ظلما لاحد له ، والمظلومين بلاشفقة ولامرحمة ، والاولون يجدون في الحكومة المطلقة غير المقيدة التي تستعملها جلالكم والتي اغتصبوها - إغراء وتشويقا إلى جميع الرذائل . وأما الآخرون فتفسد اخلاقهم أيضا بعلاقاتهم الضارة مع ساداتهم ، وبما انهم مجبرون على الخضوع دائما للشهوات الرذيلة ، ولا يستطيعون إيصال شكاياتهم الصحيحة إلى أعتاب سدتكم الملوكية ، لان ظلماً لهم يرون هذه الاستغاثة مع الاحترام بحكومة جلالكم من أكبر المفاصد ، فاعتادوا على دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها ، »
وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها ، ويعدون التمسك بها من الغيرة الدينية والحمية الوطنية ، والاسلام والوطنية بريثان منها للأسباب المشروحة فيما مر . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف (۱۸۶۲ م) ، وهاجر الى باريس (۱۸۶۵ - ۱۸۶۷ م) وانصار هذا الحزب هم جميع المطالبين على

الكتب الفرنسية وأدب الطريقة المدرسية أو على ما ترجم منها بالتركية ، والذي طلق عليه هذا الاسم هم الفرنسيون الذين قالوا (جون تركي) كايقولون (جون فرانس - جون ألمانيا - جون ايتالي) فترجم تركيا الفتاة وقيل بالتركية (كنج تركر) ، ولذا قال هانوتو : إن تركيا الفتاة من اللغة الفرنسية . وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جراته بمصادرة أمواله ، ثم أعيدت اليه بواسطة بعض الأجانب ، ثم حرم من ميراث الخديوية هو وحليم باشا بسبب صدور فرمان السلطاني بانتقالها إلى أكبر أولاد المالك وهو إذ ذاك اسماعيل باشا ، وصار مسند الخديوية ينتقل من الوالد إلى ولده ، بعد ان كان ينتقل إلى الأكبر فالأبكر من الأسرة ، كما هي القاعدة في جميع الممالك الإسلامية ، لما علمت من ان الإسلام ليس فيه ملك موروث ، وفي سنة ١٢٧٨ هـ و ١٨٧١ م أصيبت المملكة العثمانية بوفاة أشهر قوادها عمر باشا ، وأشهر سواها الصدر الأعظم عالي باشا صاحب الأعمال الكثيرة في تنظيم إدارة الحكومة ، ووضع ميزانية للمالية ، وتأسيس نظارة الداخلية والأوقاف ، ومجالس الدعاوي والتميز وتنظيم أصول المحاكمات واستعمال الأصول العشارية ، وغير ذلك من الإصلاحات الداخلية والسياسية الخارجية ، وترجمت القوانين والنظامات عن الفرنسية بلا نظر ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها فترجموا مثلاً قانون التجارة الفرنسي القديم وأبقوا فيه مسائل النكاح و (الدوتة) واشترك الزوجين بالأموال وعدمه ، كما هو مختص بالأوربيين ولا وجود له في الشرق ، لا عند المسلمين ولا عند المسيحيين . وبعد وفاة عالي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا ومال إلى روسيا حتى سمي « نديموف » وبذر أموال الخزينة وأصبح آله في يد الجنرال اغنايف سفير روسيا في الأستانة

صدارة نديم باشا الأولى

محمود نديم باشا كان أبوه واليا ، قربي في داره على الاستبداد والارتكاب ، وتعين واليا كأيه ثم ناظراً للبحرية ، وكان شديد التعصب للإدارة القديمة المستبدة ، كثير البغض للإصلاحات الجديدة والحرية . تقرب إلى السلطان عبد العزيز خان بالتملق ، واستولى عليه من أضعف نقطة فيه وهي العظمة ، فدرس له بأنه تحت وصاية

(التاريخ ١١٩٩) الاختلال في صدارة نديم. صدارة مدحت باشا الاولى ٦٦٣

فؤاد باشا وعلي باشا، مع انه خليفة الله في الارض ، والقابض على رقاب خمسين مليوناً من الرعية الذين هم عبيد جلالتهم !!! ، وان بيت المال هو حق من حقوقه ان يتصرف فيه حسبما شاء وأراد !! ، وكانت الميزانية المالية وضعت في أيام عالي باشا وفؤاد باشا، وحدد فيها مصارف المايين، فاقبلت أحوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم ، واستبد بالامر ، وأبعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخبرهم عالي باشا ودر بهم وعلمهم حتى كانوا من خيرة الموظفين، فاستبدل بهم المرتكبين وكثر تحويل الوظائف والعزل والنصب والترقي في جميع الوظائف الملكية والعسكرية، حتى كان الضابط يترقى إلى المراتب العلى في أقرب وقت، ويصبح مشيراً، بعد ان كان من قبل أشهر ضابطاً صغيراً . وزاد الاسراف والتبذير بين السرايات التي لا لزوم لها وإنشاء الاسطول الذي صار أثراً بعد عين كما زاد الانهالك في المملكات والشبهوات ، وكانت أوروبا وصيارفة الأستانة تقرض الاموال بالربا الفاحش والديون تتراكم على خزينة الدولة ، والمكلفون بها هم قراء الرعية من أصحاب الاعشار والاغنام يؤدونها من كدّ اليمين وعرق الجبين .

ومن الفلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار الفرمان بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية ، وتعيين ا كسارخوس للبلغار مستقل عن بطريك الروم في القسطنطينية ، وكان ذلك بمساعي الجنرال اغنايف حبيب محمود نديموف باشا للتوصل إلى احداث دولة للبلغار ، مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبقدان والجبل الاسود والهرسك روما تابعين لبطريكية القسطنطينية لاشتراكهم جميعاً في الدين الارثوذكسي . ومن الفلطات المالية أيضاً إعطاء المثري النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكة حديد الروم ايلي المعروفة بسكك الحديد الشرقية ، واضراراً لخزينة الالاهة من وراء ذلك ضرراً كبيراً ، وفي اثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسند الصدارة ،

صدارة مدحت باشا الاولى

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ، ووالده حاج علي افندي أصله من روسجق التي كانت مركز ولاية الطونة (بلغارستان) على ضفة نهر الطونة (الدانوب)

البنيني، ولما كان من صفار الموظفين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادي العلوم وحسن الخط
المعدود في ذلك الدور من أكبر العلوم وأهمها للدخول في الوظائف والترقي فيها،
وأدخله على حدائه سنة قلم الصدارة فتخرج في اقلام الباب العالي، وتعلم بالمشاهدة
والتجربة والاختبار، وتعين مأمورا في الولايات ومكث سنتين في دمشق الشام، وترقى الى
أن صار باشكاتب في مجلس (والا) وهو شورى الدولة، وذهب مرة ثانية الى دمشق وحلب
للتحقيق عن القبر صلي محمد باشا، والفت باستعداده واجتهاده نظر رشيد باشا وعالي باشا
وفؤاد باشا ورفعت باشا ناظر الخارجية اليه، فأجلسه معه رفعت باشا لسمع المحاوراة التي دارت
بينه وبين البرنس منجيكوف مندوب دولة روسيا وذلك قبل حرب القرم، فاطلع مدحت
باشا حينئذ على السياسة الخارجية، وبعد وفاة رشيد باشا سنة ١٨٥٨ م تولى الصدارة عالي
باشا فأذن لمدحت بالذهاب الى اوربا لمدة ستة اشهر، فذهب الى باريس ولوندره
وبروكسل وفيينا، وشاهد انتظام الادارة ومحاسن المدنية والترقيات العصرية. وما زال
يرتقي في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونة (بلغارستان الحالية) فأجرى فيها
اصلاحات كثيرة، وفتح مجلس الايالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا
في سوريا، ثم عين واليا لولاية بغداد ومشيرا لعساكرها فسكن عصيان نجد، واهداه
السلطان عبد العزيز خان سيفاً مكافأة له على خدمه، واذ كان الصدر الاعظم محمود
نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل نقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى ولاية
ادرنه، فمر بكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية واراها طرق الخلل وسوء
الادارة وعاقبة الامر، فعزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا
لكنه لم يبق فيها الا ثلاثة اشهر، وكان سبب عزله على ماروي: ان احدى سراري
القصر بعثت اليه مع الطواشي طالبة تعيين احد خدامها قائمقام في أحد الاقضية
فأجابته مدحت « سلم على الخاتم وقل لها ان تتمس هي بنفسها من أفندينا ذلك »
واشتد غضبه من مداخله السراري وتتابع رجائهم

صدارة نديم باشا الثانية

كثير تبديل الصدور بعد عزل مدحت حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة
أو خمسة عشر شهرا، ثم عاد الى الصدارة محمود نديم باشا وكان العود غير احمد،

فزاد الارتكاب ، وبيعت الرتب والنياشين ، كما بيعت الوظائف بالمزاودة ، بحيث اصبح يحتجها الذي يزيد في الثمن ، واختلت الموازنة المالية ، حتى قضت باعلان الافلاس في ۵ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ۱۸۷۵ ، وطمع المدوني البلاد ، فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الامة ، وكان التجسس غير معروف في ذلك الوقت ، وكان للجرائد حرية في الكتابة والانتقاد ، فشرعت جريدة «وقت» التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين ، واستنتاج الامثال والمواعظ من اقراض ملكهم ، والتعريض بذلك لوزارة محمود نديم باشا ، واخذ فريق من الناس يطوفون على المجالس والدواوين والاندية العامة ، ويقصون أنواع المظالم والارتكاب وسوء الادارة ، فهاجت الافكار العمومية ولا سيما الصوفتاوات وهم طلاب العلوم الدينية البالغ عددهم في جوامع الاستانة نحو خمسة عشر الى عشرين الف طالب .

هياج الصوفتاوات وصدارة رشدي باشا

اجتمع من هؤلاء الطلاب زهاء خمسة اوسمة آلاف طالب ، وهجموا على الباب العالي في ۲۲ ميس (مايو) سنة ۱۸۷۶ وذهب آلاف منهم إلى سراي طوله باغجه مقر السلطان عبد العزيز فشكوا اليه طالبين عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا ، فأجيبوا إلى ذلك ، وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولية محمد رشدي باشا الصدارة ، وحسين عوني السر عسكرية ، وقيصري أحمد باشا نظارة البحرية ، وراشد باشا الذي كان واليا على سوريا نظارة الخارجية ، وخير الله افندي مشيخة الاسلام

خلع السلطان عبد العزيز

كان حزب مدحت باشا من الاحرار مؤلفا من نامق كمال بك وضيا بك وروؤف بك واسماعيل بك ، وهؤلاء لم يرتقوا إلى رتبة الباشاوية ، وأما الذين ارتقوا منهم إلى هذه الرتبة بعد ذلك فهم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورائف باشا ورفعت باشا وكانوا من الوزراء ، فلما تولى حزب تركيا الفتاة زمام الامر ،

واستولى على المالية ، والقوة البرية والبحرية والشرعية ، خلعوا السلطان عبدالعزيز في ١٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ و ٣٠ مايس (مايو) سنة ١٨٧٦ بقتوى من شيخ الاسلام ، واجلسوا ابن أخيه السلطان مراد خان ، ففرح به الناس واستبشروا وكان السير هنري اليوت سفير انكلترة أشد السفراء سرورا ، والجنرال اغنايف سفير روسيا أكثرهم غما ، وهو حبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة العوجاء ، وقتل السلطان عبد العزيز من سراي طوليه باعجه إلى سراي طوب قبو القابلة لها على ساحل البحر . ثم نقل بناء على طلبه إلى سراي جراغان المجاورة لطوليه باعجه على ساحل المضيق (البوغاز) وبعد خمسة أيام وقع الاغتيال واختلف فيه هل كان بطريق الانتحار أو القتل عمدا ، فان الذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطبقة السفلى من السراي على سجادة بقرب الباب ، ففي انزالها من الطبقة العليا الممدة للسكنى الى الطبقة السفلى شبهة ، وعلى فرض ثبوت الجناية فمن عساه يكون المتهم بها ! هل حريم السراي وطواشيتها الذين تكثر بينهم الدسائس ويصعب التحقيق ؟ أو مدحت باشا وحزبه الذين لا مأرب لهم بذلك ؟ وقد توصلوا الى مأربهم بدون إراقة دم ، واستحقوا إجلال العالم لهم من عثمانين وأوربيين ، وهم أعقل وأدهى من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيئة مثل هذه

حادثة الجرکس حسن بك وخلع السلطان مراد

ثم حدثت مسألة الجرکس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز ، فانه دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها ، وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر الخارجية ووالي سوريا قبلا وأحمد آغا الخادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياورية الحاضرين ، فأثرت هذه الحوادث في السلطان مراد وادت الى اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه

جلوس السلطان عبد الحميد

جلس على سرير الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بعد ان اشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط : (١) إعلان القانون الاساسي (٢) استشارة الوزراء وجعلهم مسؤولين وحدهم في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكال بك

كاتبين خاصين للماين وسعد الله بك باشكاتب لانهم من الاحرار الحريصين على تنفيذ احكام القانون الاساسي ، والاولون ممن قاموا بتسويده وتميمه . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشا مشيرا للماين ، وازكليز سعيد باشا رئيسا للياورية ، وكجوك سعيد باشا الصدر الاسبق في هذه الآونة وكان سعيد بك باشكاتب للماين

مؤتمر الاستانة وعلان القانون الاساسي وصدارة مدحت باشا الثانية

كانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان بسبب قيام الهرسك والصرب والجلب الاسود والبلغار وتأفهمهم من الظلم والاستعباد، وهطالبتهم بالاستقلال، وتمسك كل منهم بقوميته وأدب افته، بعدان كان الدين المسيحي الارثوذ كمي يجمعهم تحت سلطة بطريك القسطنطينية . وكانت أور باطالب الدولة العلية باجراء الاصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف ، فتمقرر عقده مؤتمر (قونفرانس) في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها، وكان المؤتمر مؤلفا من احد عشر مندوبا، اثنين من انكلترة وهما سفيرها السير هنري اليوت واللورد سالسبوري، واثنين من فرنسا، واثنين من اوستريا (النمسا) ، وواحد من وسيا وهو الجنرال اغناطييف ، وواحد من ايطاليا ، وواحد من المانيا ، واثنين من قبل الدولة العلية وهما صفوت باشا وأدهم باشا ، فمقدوا جلستهم الاولى في ۲۳ كانون الاول (دسمبر) سنة ۱۸۷۶ في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلظه . ولم يكديتم افتتاح المؤتمر الا وقد سمعوا اصوات المدافع ، فوقف صفوت باشا قائلا: أيها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من قبل جلالة سلطاننا الاعظم ، وهذا القانون متكفل الحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء ؛ وقد حصل بذلك المقصود من عقد المؤتمر ، فأصبح انعقاده وعمله من قبيل العبيات

فبهت القوم وانفضت الجلسة . وقد اعلان القانون الاساسي حقيقة في ذلك اليوم، واطلق لدى اعلانه مئة مدفع ومدفع في جميع المدن والمالك العثمانية ذات القلاع . وكان مدحت باشا هو روح هذا الانقلاب العظيم وهو القابض على زمام الامر في الحقيقة منذ

خلع السلطان عبد العزيز وان لم يكن (صدر اعظم) ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك محمد رشدي باشا شيخا مسنا متقاداً له ولحزب تركيا الفتاة ، وبعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استمعى محمد رشدي باشا الشيخوخته ، وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية ،

لم يرض الجنرال اغتاييف بهذه الاصلاحات بل اصر على بقاء انعقاد المؤتمر ، فداوم اعماله وقدم لأئحة الى الباب العالي في ١٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ وطلب الجواب عنها في خلال ثمانية ايام ، فكانت من قبيل (الأوتوماتوم)

عقد المجلس العالي ورفضه لأئحة مؤتمر الاستانة

عقد الصدر الاعظم مدحت باشا مجلسا عاليا مؤلفا من الوزراء والمشيرين ورجال الدولة والرؤساء الروحيين واعيان المسلمين والمسيحيين واليهود ، وعرض عليهم لأئحة المؤتمر ، وافهمهم مطالب الدول الأوربية ، وان ردّها يؤدى الى الحرب ، فتشاوروا بكامل الحرية وابدى كل منهم رأيه ، فقال رؤف بك ابن رفعت باشا ناظر الخارجية الاسبق اذ ذاك : الحرب كداء الحمي يمكن ان تنجو منه ، ولكن لأئحة المؤتمر كداء السل الرئوي عاقبه القبر لا محالة . وقال صاوا باشا من خطبة طويلة : انا نختار الموت على إهانة شرفنا ، وأقوى وكيل بطريك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقتراحات المؤتمر ، فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هذا الاجتماع ائتلاف المسلمين والمسيحيين واليهود ، واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقيه والضمير على منافعه ، وكان الروم والارمن الكاثوليك أشدهم حماسة ، حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع العساكر العثمانية ، لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بصالح الروم لانفصالهم عن الكنيسة الارثوذكسية ، التي هي تحت رياسة بطريك الروم في القسطنطينية ، ورفضهم استعمال اللغة والادبيات اليونانية ، فبناء على جميع ذلك اجاب الباب العالي في ٢٠ كانون الثاني (يناير) برفض مطالب الدول المذكورة في لأئحتهم ، فانفض مؤتمر الاستانة وغادرها المندوبون والسفراء دلالة على قطع العلاقات بين أوروبا والباب العالي

تغلب حزب التهقير وكتاب مدحت للسلطان

كان الحزب المخالف للقانون الاساسي يسعى في التخلّص من هذا القانون ، فبعد تعيين مدحت باشا في الصدارة انتقد مجلس الوكلاء برياسته في دار الداماد محمود جلال الدين باشا ، وتذاكروا في القانون الاساسي ، فارتأى أحمد جودت باشا ناظر العديلية (الحتمانية) تأجيل هذا القانون لعدم الحاجة اليه (؟) بسبب جلوس السلطان الحالي !! ، وكان أحمد جودت باشا من المنسبين الى الداماد محمود جلال الدين ، ومن كبار العلماء والمؤرخين ، ولكن ارتشاه مشهور في الاستانة والولايات ، واعلان القانون الاساسي يسد على المرتكبين أمثاله باب الارتكاب ، فيأصرار مدحت باشا وحزبه مثل ضيا بك وكال بك وغيرهم من الاحرار الذين مر ذكركم وبجريدتي (وقت) و (استقبال) والمقالات الشائعة المحررة فيهما — صدر الخط الشريف السلطاني إلى مدحت باشا باعلان القانون الاساسي ، وحمله الباشكاتب سعيد بك الى الباب العالي ، وتلي في الميدان الواسع الذي امام الباب بحضور جماهير الناس ، وبعد تلاوته خطب مدحت باشا في الموضوع ، وتلا الدعاء فوزي افندي مقتي أورفه وأمن الناس ، وما زال مدحت باشا يلح في طلب اجتماع المبعوثان ، ويجهد في تأليفه من الاحرار ، والمالين يؤخر ذلك ويفرق جميع الاحرار ، حتى انه أراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسي سفيرا في برلين لتلا ينتخب مبعوثا عن أهل الاستانة . فضايق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وكتب إلى الذات الشاهانية مباشرة : « لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسي الا نحو الاستبداد ، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات ، وتعيين وظائف الوكلاء ومسؤوليتهم ، وتأمين جميع الناس على حريتهم ، حتى ترتقي البلاد في معارج الارتقاء — الى أن قال — واني لكثير الاحترام لشخص جلالتكم ، ولكن الشرع الشريف

يوجب علي أن لا أطيع امورك (أو امركم) اذا لم تكن موافقة لمناهم الامة ،

ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الا من مصطفى فاضل باشا كما تقدم . وبالْحَقِيقَةُ ان احكام الشريعة الاسلامية وفتاوى الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريب ، لان السلطان بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ، ولا مطلق التصرف في أموال الناس ومنافعهم ، وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فالحكومة المطلقة التي درجت عليها الدول والامارات الاسلامية وتوارثتها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي .

عزل مدحت باشا وبقية وصدارة ادهم باشا

ف عزل مدحت باشا ونفي على الباخرة (عز الدين) الى ايطاليا ، ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد حمود بك و خليل بك مديرى دارالعاديات (الموزه خانه) ، وعين جودت باشا للداخلية ، واحمد و فيق افندي لرئاسة مجلس المبعوثان موقتا ، لان انتخاب الرئيس ميين في المادة السابعة والسبعين من القانون الاساسي .

بعد خروج السفراء و مندوبي الدول من الاستانة العلية بعث البرنس جورج جوف ناظر خارجية روسيا الى الدول بمنشور مؤرخ في ٣١ كانون الثاني (يناير) يطلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية (!) ، والا اضطر القيصر وحده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة وأرسل الجنرال اغنايف الى اوربايقول : بما ان الباب العالي بدأ يخل بمعاودة باريس ، فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة اصبح واهيالاغيا ، فترددت دول اوربا ولا سيما انكلترا في قبول هذا الكلام

انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان

رأت الدواة العلية اصرار اوربا على اصلاح الروم ايلي فسارعت الى انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي نالت به الامة العثمانية الحرية وحق الحكم ، فلم يهقه الناس اذ ذلك معنى هذه الحرية ولا قدرها حتى قدرها ، فظنوا ان المبعوثين كبقية الموظفين يشتغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ، ليستفيدوا من الرواتب التي يقدونها ، فلم يهتموا بأمر الانتخاب كما يجب . حدثني بعض احرار الاستانة قال كنا نحرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقا ، وهم يقولون : ألم يكفنا ما لدينا من الخس والدوائر المشحونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلسا جديدا

وتكبد القيام برواتب موظفيه ؟ فان لم يصلح حالنا وتتنظم ادارتنا بجميع ما نراه امام
أعيننا من النظارات والدوائر العظيمة المشتملة على الالوف من الموظفين اتراه يصلح
بمجلس المبعوثان ؟؟

هذا ما كان يقال في قاعدة السلطنة ومقر الخلافة ، فما بالك في مرا كز الولايات
والالوية ، اذ كان المنتخبون لا يوصون مبعوثيهم الا بطلب الرتب والاسمة واللقاب
والمناصب والمخصصات والرواتب لهم ولا قاربهم وذويهم !! ولمن لا ذبيهم وحام حول
حامهم ، أو باعفاتهم من التكاليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب
والمكوس عنهم ونحو ذلك ! ، مما يعود على الوطن بالخراب لا بال عمران ، كأن خزينة
الدولة كنز لا يفنى ، تمطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

افتتاح مجلس المبعوثان وخطاب السلطان

افتتح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع الاول سنة
١٢٩٤ و١٩ مارت (مارس) سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طولمه
باغجه بمحطة بشكطاش ، وتلى النطق السلطاني امام الحضرة السلطانية وهو :

« أيها الاعيان والمبعوثان

« انني أبدي الامتان بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع للمرة الاولى في
دولتنا العلية ، وجميعكم تعلمون ان ترقى عظمة واقتدار الدول والملل انما هو قائم بالعدل ،
حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من
مراعاة العدل في سير الحكومة ، ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف الرعية .
وقد عرف العالم أجمع تلك المساعدات التي قام بها أحد اجدادنا العظام المرحوم السلطان
محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب ، وجميع اسلافنا العظام ايضا قد
سلكوا على هذا الاثر ، فإيقع في هذا المطلب خلال في وقت من الاوقات ، ولا ينكر ان
الحفاظة على السنة صنوف رعيتنا ومليتهم ومذاهبهم منذت مئة عام كانت النتيجة
الطبيعية لهذه القضية العادة . والحاصل ينما كانت رورة الدولة والملة (الامة)
وسعادتها صاعدتين في مدارج الترقى في تلك الاعصار والازمان بفضل حماية العدالة
ووقية القوانين — أخذنا بالانحطاط تدريجا بسبب قاة الاتقياد للشرع الشريف

والقوانين الموضوعه" ، وتبدلت تلك القوة بالضعف الخ
ثم ذكر إزالة السلطان محمود غائلة الانكشارية ، وسبقه لفتح باب إدخال
مدينة أوربا الحاضرة الى الممالك العثمانية ، واقتناء السلطان عبد المجيد خان أثره ،
واعلانه أساس التنظيمات الخيرية . . . الخ النطق السلطاني المعروف
قابل الجميع هذا النطق بالخضوع والركوع (!!!) وخصص لاجتماع المبعوثين
بهو كبير في سراي العدلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة أحمد وفق افندي الذي
صار بعد ذلك باشا ، وعين للرئاسة بإرادة سنية لا بالانتخاب! ولذا كان رقبيا على
مدحت باشا ، وقدماته حزب تركيا الفتاة بالاستبداد لأن رئاسة مجلس المبعوثان شبيهة
بوظيفة رئيس الموسيقى المركبة من آلات كثيرة مختلفة ، لكل آلة توقيع خاص ،
فعلى الرئيس أن يلاحظ موازنة الأنغام وائتلاف بعضها ببعض ، لتخرج جميعها بصورة مفيدة
مطربة ، وليس له ان يأخذ آلة من الآلات الموسيقية ويضرب عليها ليوازن ما فيها

مذاكرات مجلس المبعوثان

كانت الجلسة الاولى مخصصة للمذاكرة في الرياضة التي ينبغي تقديمها من
مجلس المبعوثان جوابا عن النطق السلطاني ، فخررت مسودة الجواب واستقط
الكاتب منه كلمة « السنة » في الجواب عن فقرة « المحافظة منذست مئة عام على
السنة . . . » المذكورة في النطق السلطاني ، فقام أحد مبعوثي الروم من الأستانة
وقال ما محصله : « لا يمكننا ان نقبل إسقاط كلمة تدل على أمن امتياز نلناه ، لان
لساننا — نحن مشر الروم — هو ثروتنا ، فمن سوء الفهم وقلة الادب نحو جلالة
سلطاننا الاعظم ان نمحو كلمة أثبتتها جلالته بنفسها وكررت منحناذلك من جديد »
فقال الرئيس : ليس بحثنا في ذلك لانا لا نعرف في هذا المجلس لسانا غير اللسان
العثماني الرسمي . فقال جمهور العثمانيين : « بك أعلى ! بك أعلى ! » أي حسن
كثيرا حسن كثيرا ، فقام مبعوث أرمني وايد كلام المبعوث الرومي ، فقال الرئيس
ثانية : ليس بحثنا في ذلك ، ومع هذا فاني أسأل اعضاء المجلس عما اذا كانت
آراؤهم موافقة لرأيي ؟ فقال جمهور المبعوثين : « أوت أفندم ! اوت أفندم ! » أي

(لها بقية)

نعم ياسيدي ! نعم ياسيدي !

العمل *)

إن كان للطبيعة حق الأولوية في أحداث الثروة سواء في أرضها الخصبة، أو في أحرابها الكثيفة، أو في مناجها الكثيرة المعادن، أو في مراعيها الغزيرة السكّاء، أو في أنهارها المتدفقة بالخيرات، فإن المدار في استثمار كل ذلك على العمل ولو قليلا . فلا بد من فلاح الأرض وبذر الحبوب قبل أن تجود الطبيعة بنعامها، وتبدل الأرض غلتها، ولا بد من احتفار المناجم قبل استخراج كنوزها، ولا بد من جني الثمار قبل التمتع بلذيق طعمها . فالعمل ضروري للممران، ولازم لكل موجود، وهو المورد الطبيعية التي هي ينابيع الثروة بمثابة الدلو من البئر، إذ لولاه ما قدر أحد على الاعتراف منها .

وقد وفي الدين العمل قسطه من المدح حيث حث على التمسك به ، فقال عز وجل في سورة مريم (وهزي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقرني عينا) وهو أمر به ، لانه إذا كان جل شأنه يأمر السيدة مريم وهي في وقت الخاض بهز جدع النخلة قبل أن يساقط عليها الثمر ، مع انه قادر على أن يكفيها مؤونة ذلك التعب، فمن البديهي انه يأمر كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية بالسعي في تحصيل رزقه، ولا سيما إذا كان صحيح الجسم . وقال تعالى في آية أخرى (وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا) أي وقتا يلزم فيه السعي لتحصيل العيش ورتب الرزق بالعمل، وقال (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) وهو أمر بوجوب جوب البلاد والضرب في طولها وعرضها ، رغبة في العمل والانتفاع بما خلق جلت عظمته من الخيرات ، وقال (فابتغوا عند الله الرزق) أي

(*) وعدنا قراء المناج في الجزء الماضي بأننا نقل لهم طائفة من كتاب الاقتصاد السياسي المفيد ، وهذا ما اخترنا نشره وقد بالوعد ، وبحريا للنفع

اعملوا حتى تحصلوا على ما يقوم بضروراتكم ، وقال (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وقال (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمي ، فقالوا ويح هذا لو كان شابهه وجلده في سبيل الله ، فقال النبي « لا تقولوا هذا فإنه ان كان يسمي على نفسه ليكفيها المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسمي على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » وقال « احث لدينك كأنك تعيش أبدا » وقال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب ، خير من أن يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه أو منعه » وقال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري وهكذا فضل النبي العمل في اية حرفة على الاستئمانه الى الكسل ، واراقة ماء الوجه في الطلب . وجاء في الانجيل ما معناه « تأكل خبزك بعرق جبينك » وهو حث على العمل طلبا للارتزاق . وروي إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا فقال ما تصنع ؟ قال أتعبد ، قال ومن يعولك ؟ قال أخي ، قال : أخوك أعبد منك . وقال عمر بن الخطاب « سامن موطن يأتي الموت فيه أحب إلي من موطن اتسوق فيه لاهلي أبيع وأشتري » وقال « لا يقعد أحدكم عن طاب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وقيل للامام أحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي ، فقال أحمد « هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال : تفدو خماسا وتروح بطانا ، فذكر انها تفدو في طلب الرزق » هكذا يحث الدين على العمل ويرغب فيه مراعاة لتقدم العمران ، ومحافظه على النوع الانساني من الفناء ، ومن ذلك تظهر حطة أولئك الذين يرون التوسل وسيلة للارتزاق ، والتسول حرفة للتميش ، أولئك الذين لم يعرفوا مزية العمل وعلاقته بالسعادة ، ففضلوا مد أيديهم للسؤال على مدها للمعل ، واستسهلوا أن يكونوا كالكلاب تأكل كل ما يلقى إليها ، أولئك هم الذين يحمل الشقاء بالبلد الذي يحلون

فيه، فهم يستنفدون ثروته، ويستنزفون خيراته، بدون أن يسعوا في احداثها.
العمل هو أساس الثروة فكيف ينظر النجاح بدونها، وهو دعامه كل ما تراها في العالم من
التقدم في المدينة . ما رأينا بلدا تمسك أهله باهداب العمل إلا وتحولت فيه الصحارى
القفر الى حدائق غناء، وجادت الارض بكنوزها، وانساب الذهب إلى جيوب
أهلها . لولاه لم يصير التراب تبرا، وتبدل المفاز بمعاهد للعلوم، ومعابد للنسك، ومعامل
للصناعة. لولاه ما ضحكت الارض من بكاء السماء، ولا ابتست الأزهار في الأكام،
ولا حلت الأشجار لذيد الثمار من كل زوجين اثنين، إذ أنه لا بد من غرسها
قبل أن تصير دانية ظلالتها، مذلة قطوفها، ولا غنى عن تعهدا قبل ان ترعرع
أغصانها، وتصير دوحه تناطح السحاب . لولاه ما استنبط الانسان الوسائل التي
يسخر بها القوى الطبيعية، ويتغلب على الصعاب، ويقرب المسافات بالبخار والكهرباء،
ويجعل كليهما رهين إشارته . لولاه ما أخذت الارض زخرفها، وبلغت من المدينة
غايتها، وبدت آثار العمران في أنحائها، وصارت معمورة يتزايد سكانها في كل عام،
وتتضاعف ثروتها آناً فآناً .

من ينكر فضل العمل في إحداث الثروة، فليرجم بصره الكرة الى
« استراليا » في الماضي يجدها في آخر درجة من الأنحطاط، لحوّل سكانها
الاصليين، وكثرة اتكالم على الموارد الطبيعية، ويشاهدها الآن وقد نالت
من العمران حظا وافرا، وجرت في المدينة شوطا بعيدا . ذلك لان قوما عرفوا
مزية العمل استوطنوها، فنهلوا من تلك الموارد، وعملوا في برها وبحرها، واحتفروا
المناجم واستخرجوا كنوزا دفنتها الارض في بطنها اجيالاً، وحافظت عليها لمن يقدر
العمل حق قدره . فطبيعة تلك البلاد لم تتغير وانما تغير سكانها . بل مالنا ولتمثيل
باستراليا، وأمانا شبه جزيرة العرب التي كانت محط رحال المدينة، ومهبط العلوم
والعرفان، ومصدر العمران، ما لها قد عفت آثار مدينتها، ودالت دولة ملوكها،
واندرست معالم علومها، واندرت معارفها، وصار ذلك المجد القديم، والسودد الماضي،
أشبه بحلم حالم؟؟ أليس السبب هو ان ذلك السلف الصالح خلف من يهدم خلف

أضاعوا الجد الموروث، وأهملوا العمل، وتمسكوا بأذيال الكسل، حتى صاروا قديما في عالم جديد (وتحسبهم أبقاظا وهم رقود)
 كان « كسناي » وأضرابه يعتبرون الأرض الوسيلة الوحيدة لأحداث الثروة، وينخسون العمل حقه في الأحداث، وذلك زعم صحيح من جهة ان الأرض ينبوع المواد التي تقوم بها الصناعة، فلا يقدر الصانع على نسج ثوب بدون قطن، ويستحيل عليه صناعة آلة حديدية بدون حديد، ولكن « كسناي » بخس العامل حقه، وأنكر عليه تحويله الحديد من شكله الطبيعي حيث لا ينتفع به، الى شكل يصير بواسطته آلة تجارية يتهافت الناس على ابتاعها. أنكر على العالم الكيماوي تركيبه لدواء فيه شفاء للناس من مواد طبيعية لا تفيد كثيرا، وهذا مالا ترضاه العدالة، على انه بعد « كسناي » كما قدمنا أتيج للعمل ان يأخذ « آدم سميث » بناصره، ويظهر فضله، ويطلب في مدحه، ومن ثم أخذ مقامه في الصمود، وبجته في السمود، حتى لقد قال فيه العلامة « جيد » انه هو الجدير دون غيره أن يكون الوسيلة في إحداث الثروة حقيقة، إذ الانسان هو المنتج الحقيقي لها، وما الطبيعة إلا طوع ارادته، يجر كما كيف شاءت تلك الارادة

﴿ ١ - أدوار العمل ﴾

عصر الصيد

في ذلك العصر كان الانسان قليل العمل، كثير الاعتماد على الطبيعة، يعيش من صيد البر أو البحر، وكان رحالا كالأناعام السائمة، يسكن البقاع الكثيرة القنص، كما تأوي هذه الى المروج الغزيرة الكلاء، ويلقي عصا الترحال اذا قل الصيد، كما تفعل هي اذا غيض الماء أو جفت المراعي. وقد كان في ذلك الدور مهددا بخطر ين: الوحوش الكاسرة، والمجاعات المهلكة، أقله ادخاره، لما يفتت به في اعساره، قالويل له اذا أصابه مرض أقعده عن الصيد، أو اتابه حر أو برد منعه عن مطاردة فرسته، والويل له اذا كان ضعيف النكاية أعداءه (كذ في الاصل) الذين يداهمونه لسلب ما اقتنصه . وكان عدم ادخاره راجعا الى أسباب كثيرة، منها عدم احترام الحقوق، فكان حقه برزعا لا يقدر هو على حمايته، وليس هناك حكومة تدافع عنه، ومنها عدم وجود مسكن له او ذرية في

أغلب الأحيان، ونذا لم يوجد عنده ما يدعوه الى الاحتفاظ بالهوت تحرزا للمستقبل .

عصر الرعي

ولما رأى نذمه معرضا للمجاعات القتالة التي كانت تجتاحه من وقت الى آخر ، ورأى أنه ملزم بنفقة على زوجته وأولاده ، توجهت همته الى تدجين الحيوانات النافرة كالابل والحيل والغنم وغيرها ، مما كان لا ينتفع به كثيرا . ووجد من أهله وذويه من يساعده على رعي تلك الابل والغنم في الوديان والمروج الفسيحة التي تحيط به ، والانتقال بها من مكان الى آخر . وفي ذلك العصر ازداد عدد الناس ، وكانوا عليه ، وتألفت منهم قبائل كثيرة كانت ثروة كل واحدة منهم تقدر بعدد رؤوس الابل أو الغنم التي تملكها ، كما كانت الحال عند العرب والتركمان ، وكما هي الآن عند العرب الرحالة والزط . ويمكننا ان نعزو كثرة عدد الناس الى سببين (الاول) كثرة تاج الحيوانات التي كانوا يربونها حتى صاروا في سعة من العيش ، فكانوا ينتفعون بالبانها وأوبارها ولحومها وجلودها حتى قلت المجاعات بينهم (الثاني) ازدياد العصبية في كل واحدة من تلك القبائل ، مما جعل حق الملكية مضمونا نوع ضمان ، ووجب الى كل فرد اقتناء الحيوانات فزادت الثروة وزاد العدد .

عصر الزراعة

وكانت النتيجة الطبيعية لزيادة عدد السكان هي الازدحام على المراعي بالحيوانات مما جعل حشائشها التي غرستها يد الطبيعة غير كافية لسد الحاجة ، فعمد الناس الى معالجة الزراعة من اثاره الارض ، وبذر الحبوب فيها وتهددها بالسقي ، حتى نبت ما يكفي لمؤوتهم ولا نعاهم . واستخدموا في الزراعة كثيرا من تلك الحيوانات ، ومن ذلك العصر ظهر العمل بمظهر أجلى ، إذ لم يعد الانسان مفوضا كل أموره للطبيعة ، فأوي حيث نبتت حشائشها ، ويرحل اذا جفت خيراتها ، بل أخذ يعول على معواه ، فيحول به الارض المجذبة الى مزارع كثيرة الخيرات ، وانبنى على رغد عيشه تقدم عظيم في أحواله الادبية ، فنظم معيشتة وظهرت الحكومات لأول مرة بالمعنى الذي نراها به الآن ، ولا حاجة بنا الى القول ان معظم الامم التمدينية في الزمن الماضي كانت تعالج الزراعة في أول أمرها قبل ان ترسخ قدمها في المدنية . والسبب في ذلك بساطة الزراعة ، وعدم

احتياجها الى كثير تفكير أو كبير عناء ، على ان تلك الام نفسها وجهت همتها بعد ان تم لها الامر الى استجادة الصنائع على اختلاف انواعها .

عصر الصناعة

الصناعة أثر من آثار المدنية تتوجه الهمم اليها عند بزوغ شمسها ، وتستجاد اذا زخر بحر العمران ، والسبب في ذلك راجع الى أمرين (الاول) ان الانسان لا يتوق نفسه الى الكماليات كالصناعات المختلفة الا بعد محصيل الضروري من مأكل وملبس ، (الثاني) هو ان معظم الصناعات تحتاج الى الممارسة والتعليم ، وهما لا يوجدان في وسط الام المتوحشة ، ومن الصنائع ما هو مقدم كصناعة النجارة والحدادة والبناء والخياطة ، لان منفعتها ظاهرة لبناء المسكن وعمل الملابس ، ولذا توجد احيانا بحالة ساذجة ، ومنها ما لا يوجد في الامة الا اذا تهنت وتنوعت أساليب مدنيتها ، كصناعة الرسم وصناعة الطباعة وتجليد الكتب (١) وكلما علا كعب الامة في العمران ابتدعت الصنائع المختلفة ، واستنبطت الاختراعات المفيدة ، وارتقت فيها الاعمال العقلية الضرورية للصنائع كالتعليم والتأليف .

عصر استخدام البخار

على انه مهما يكن من تقدم الصناعة عند بعض الامم في الاحقاب الغابرة فان اختراع البخار في القرن الماضي جعل صناعة الزمن الحاضر متقنة ، وصار العامل بدل ان يستغرق وقتا طويلا في الصناعة ، يدير الآلة البخارية فكفيه مؤونة التعب .

﴿ ب - الاعمال العقلية ﴾

ولا مشاحة في ان عمل الانسان في الادوار التي تقدمت لم يكن يدويا محضا ، بل لا بد له من أعمال عقلية ولو قليلة ، لانه لا ينتظر أن يصنع الانسان عدة للصيد أو آلة لفلح الارض أو يندر الحبوب إلا بعد التفكير الذي هو المميز للانسان من الحيوان ، ولا يتصور أن يستوعب الصنائع إلا بعد أن يعرف دقائقها من المعلم ، ويتعلم العلوم المرتبطة بها ، ثم هو لا يقدر على تعهد الارض مالم يوجد هناك حاكم يمنع عنه تعدي الغير ، ومهندس يسهل له الري ، ولم ينتفع بالآلات البخارية في

الزراعة والصناعة إلا بعد ان أجهد المخترعون « كيمس وات » وغيره قرائمهم حتى وصلوا الى استخدام البخار. فالاعمال العقلية ضرورية للاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة، وهي مقدمة عليها حتى في أحقر الصنائع .

﴿ ج - الاعمال المنتجة للثروة ﴾

اختلفت الآراء من عصر الى آخر في تحديد الاعمال البشرية التي تكون نتيجتها زيادة ثروة الامم، أما العرب فكانوا يرون - كما يؤخذ من كلام الحريري وغيره من الحكماء - ان المعاش امانة وتجارة وفلاحة وصناعة، وقد قال الخليفة المأمون « الناس أربعة : ذو سيادة أو صناعة، أو تجارة أو زراعة، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم » ويفهم من ذلك ان تلك الاعمال الاربعة هي التي كانت معتبرة محدثة للثروة، بمعنى ان عمل الحاكم الذي يقي البلاد شر العدو، ويرد المظالم، وينظم الري، هو عمل يزيد في الثروة، وكذلك عمل الصانع الذي يوجد منافع للمواد الأولية، والتاجر الذي يتوسط في جلب تلك المصنوعات وتسليمها طالبيها، والراعي الذي يقوم باثارة الارض وبذر الحب فيها حتى تنبت ما يسد الحاجة، وأما اعمال غيرهم فلم تكن محدثة للثروة، وأما الطبيعيون وهم (كسائي) ومن كان على مذهبه فقد تقدم انهم كانوا يعتبرون ان المحدث للثروة من الاعمال ما كانت متعلقة بالارض من إثارتها وحرثها وبذر الحبوب فيها، وبناء على ذلك قسموا الناس الى ثلاث طبقات: طبقة ملاك الاراضي وهم المحدثون للثروة حقيقة، وطبقة الفلاحين وهم الذين يساعدون على هذا الاحداث، وغيرهم من السكان كذوي الامارة وذوي التجارة وذوي الصناعة، وكانوا يرون هؤلاء عيالا على الطبقتين الاوليين. ولكن « آدم سميث » لم ينح نحو أولئك الاقتصاديين، فقد اعتبر الصناعة والتجارة والإمارة من الاعمال المنتجة للثروة، وتبمه من أتى بعده من الاقتصاديين .

ويمكننا أن نقسم الاعمال (أولا) الى ما هي مباشرة لإعداد سلعة من السلع للقيام بسد حاجة من حاجات الانسان، وهذه محدثة للثروة بلا خلاف، مثال ذلك العمل الذي يتكبد كل من حارث الارض و باذر القمح وحاصده ودارسه وطاحنه

وعاجنه وخابزه ، لان كلامها موجه إلى إعداد الخبز مباشرة ، وان تنوعت حالات القمح المراد جعله خبزا (ثانيا) الى غير مباشرة لإعداد الصنف ، وهذه إما يدوية أو عقلية ، أما الاولى فلا يخلو حالها من أحد أمور خمسة (ا) الاعمال التي يتكبدها الناس في استخراج المواد الاولية اللازمة للصناعة كاحتقار المناجم وتشذيب الاشجار وغير ذلك ، وهذه بالطبع منتجة مادامت تتيحها تستخدم في الصناعة (ب) الاعمال التي تصرف في إعداد الآلات اللازمة لصناعة الصنف ؛ مثال ذلك شغل الحداد في تجهيز المحراث أو آلة الغزل (ج) الاعمال التي يكون من شأنها بناء المحلات المعدة للصناعة كالمعامل والاحواض ، وهكذا لانه لولا تلك المحال لما توفر إعداد البضائع القطنية مثلا أو المراكب (د) ما يوجه من الاعمال الى الحصول على طعام وكساء ولوازم للصناع مادامت تلك الحاجات غير خارجة عن حد الكفاية ، أو للحصول على الفحم اللازم لتسيير الآلات البخارية في حالة ما اذا كان الصانع لا يشتغل بيده (هـ) الاعمال التي بواسطتها يمكن نقل الصنف الى حيث يطلبه الناس ، يدخل فيها عمل الحمالين في البر وصناعة المراكب والآلات البخارية وبناء الاحواض والارصفة وأعمال أمناء النقل والمراكبية وجميع التجار والتسبين والسامسة والاعمال التي تحسنت بواسطتها الطرقات وغير ذلك . أما العقلية فمنها ما هو متعلق بالصناعة أو الزراعة أو التجارة ، كالاختراع والتأليف وتعليم الصناعات والتفنن في ابتداعها وترويجها ، ولاشك في ان هذه منتجة ، ولا فرق بين أن تكون هذه موجهة الى الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، ويدخل تحت هذه أعمال الري على اختلاف أنواعها ، وجميع ما تعمله الحكومة أو الاهالي لترقية الصناعة أو التجارة أو الزراعة ، ولا جناح علينا اذا نحن عددنا ضمن تلك الاعمال ما يبذره الفلاسفة والحكباء من الافكار لتعضيد الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وما تبذره الحكومة من بث العدل في الربوع ، والمحافظة على الامن ، سواء بسن القوانين أو الاعمال الحربية برية كانت أو بحرية

(المراجع) : ان بعض ما أورده المؤلف من الاحاديث لاصحة لاصله أو بسنده

وان كان صحيحا في معناه ووضعه

باب المناظرة والمراسلة

سورة المائدة

بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام*

﴿لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان﴾

عرف الناس في مصر من حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان معلما فترجما فصحافيا ففيلسوفاً لغويا فنسابة فروائيا مبتدعا فمفسرا فمؤرخا خياليا قصاصا . ثم هم يستقبلون منه الآن مؤرخا اسلاميا محققا . ولا ندري ما يعرف منه اهل سورية قبل هجرته الى مصر . كل هذه صفات فاضلة ومواهب جلية قلما يخلص بعضها لا فذاذ العلماء ونوابغ الرجال . وهي بخلوصلها لحضرتة أفادت من لا يحصى عددهم من قراء العربية ولا سيما المسيحيين منهم وعلماء الشرقيات من الأوربيين وغيرهم ممن لا يحبون مطالعة الكتب العربية أو لا يستفيدون منها لو لم تشكل بالاشكال التي رسمها جرجي افندي زيدان لمؤلفاته العديدة

كان هذا الفاضل يؤلف الكتب الروائية ويأتي فيها بالممكن والمستحيل والمستلح والمستنكر فكنا لا نتعرض لها بمسح أو نسخ لعلمنا ان الذي قاده الى هذه المواقف هو استرسال الخيال وهو قد يفتني بصاحبه في النثر الى مثل ما يفتني به في الشعر فيكون أعذبه أكذبه ، ولا اعتقادنا ان نفعها اكبر من ائمتها ، وان الكتب العربية الصحيحة لا تزال بعد منتشرة في جميع أرجاء العالم ناطقة ببيان الغث من السمين والصحيح من الباطل ، على انه ما من كتاب وضعه بشر الا وكان فيه لهوى النفس والسخائم الدينية والعصية الجنسية بله الخطأ والغفلة أثر أي أثر ، الا ماشاء

* بقلم الشيخ احمد الاسكندري

وندر ، فلما قرأت تقریظ حضرة الفاضل (المغربي) أحد محرري المؤید لكتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) وهو آخر ما أخرج للناس بعد من كتب مولفنا المذكور وجدته قد ملأ ما يقرب من صفحة من صفحات المؤید بعبارات الاطراء والتهويل والاعجاب والاعراب مما لو قبله القارىء لم يشك ان العرب خلقت خلقا جديدا أو ان تاريخ جاهليتها الاولى المقبور في بطون القدم قد نبش المؤلف من ناووسه ، فراى قوله - والمدينة تريب - ولم أر الا مخرج عن إحدى خصال ثلاث ، إما أن يكون قرظ ولم يقرأه كعادة أكثر محرري الصحف لضيق وقتهم ، وإما أن يكون قرأه وصانع المؤلف لصداقة بينهما - وللصداقة حقوق - وإما أن يكون المؤلف قد وفق حقيقة للعشور على الضالة المذشودة والحلقة المفقودة من تاريخ جاهلية العرب ، وما ذلك بعزیز على نشاط الرجل واجتهاده

ولما كنت ممن عني بهذا الموضوع عناية شديدة قرأت الكتاب بالهاف أخذ مناقص بتناقص أوراق الكتاب فاذا به والحق أقول خير مؤلفات الرجل ولا انكر انه أفادني بعض فوائد ثمينة هاجت في نفسي ميلا الى تقده ولا ينقد الا كل ذي قيمة يقع كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) في ٢٥٠ صفحة كتب في ٣٠ صفحة منها مقدمة طويلة ليست من موضوع الكتاب في شيء ، وانما ذكر فيها كعادته في كنه غموض تاريخ العرب وصعوبة التأليف فيه أو تعذره الاعلى من كان من أهل الجسارة أو الاطلاع الواسع والمعرفة بكثير من اللغات الحية والميتة والبحث والتنقيب في آثار الامم الخالية ثم ذكر شبه فهرس مطول ثم تمهيدا في مصادر تاريخ العرب وهي الكتب العربية وغير العربية من اليونانية والرومانية والقوش الآثرية وقد تحامل على العرب فيها ما شاء ان يتحامل مما يظن معه قارئه ابتداء ان أكثر مصادر الكتاب أثرية أو يونانية قديمة أو أوربية حديثة لكثرة أسماء الكتب والرحلات التي ذكرها وهي نحو السبعين كتابا غير الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والآثرية وغيرها (كما يقول) فاذا هو قرأ الكتاب وجد ان نحو أربعة أخماسه عربي المصدر وان لا ذكر لهذه الكتب والمعاجم إلا نزرا يسيرا في ذيل

الكتاب يعرف ذلك من اطلع على الكتاب بامعان ومن رأي ان هذه المقدمة تجارية أكثر منها علمية

فائدة المؤرخ من الكتاب

إن الذي لا يعرف اللغات الاوردية يستفيد من الكتاب
أولا — ما ترجمه المؤلف من آراء بعض قدماء اليونان في الجغرافية العربية
غثة كانت أو سميثة

ثانيا — ما ترجمه من آراء بعض سياح الاوربيين في شمال جزيرة العرب
وجنوبها على قلة في ذلك

ثالثا — بعض الصور والرسوم والخطوط والنقود التي نقلها من رحلات
هؤلاء السياح مثل رسم سد مأرب وبعض قصور اليمن وهيكل تدمر وبطرا

رابعا — معرفة كيف كان يختلف اللسان النبلي والتدمري عن العربي
الفصح وهي فوائد تشكر المؤلف اذا عتها في كتاب مستقل

الامور التي تؤخذ على المؤلف

الامر الاول — تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع
وتشبهه بتحقيق بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتمادا على أوهام وتخيلات
قامت بذهنه فقط

فمثال الاول — انه عند ما أراد التكلم على تقسيم عرب أواسط الجزيرة وشمالها
الى قحطانيين (يمانين) وعدنانين مال الى انكار هذا التقسيم ورأي رأيا عجيبا لا يخطر
على بال مؤرخ ولا قارئ وهو ان هؤلاء العرب كلهم عدنانيون فعندها ان مثل طي
وكندة وطم وجذام ومذحج وهمدان ومازن والأوس والخزرج عدنانيون . ونورد
هنا ما قاله في ذلك (صفحة ١٨٢ و١٨٣) قال :

«وكل هذه النبطون أو القبايل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي
انهم قحطانية — ذلك ما أجمع عليه العرب ولكن لا رأيا في هذا الاجماع لا يخلو
ذكرة من فائدة

« قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعدنانية ان لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام . واذا تدبرت احوال هذه الدول من غسان وحمير وكندة رأيتها تنطبق على العدنانية أكثر مما (كذا) على القحطانية من حيث اللغة فاننا لم نر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حمير بل لغة العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من الضعيف نحو القوي — فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بدو الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظرم الى أهل الدولة ويعدونهم الملوك كما ينظر البدوي الامي الى المتمدنين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ولا نرى لهذا الحرف ذكرا في اخبارهم ولا أترا في اطلالهم

« وقد علمت ان الكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سيل العرم وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعوها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها لان السيل لم يجرب الا جزءا صغيرا من اليمن . فلم يكونوا يعدمون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضرة واخوانهم الحميريون ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

« فما كان أغني الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البداوة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

« واعتبر ذلك في معبوداتهم فانها من معبودات عرب الشمال أو العدنانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نحوها

« وهكذا يقال في اسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبئية أو اليمنية بل هي مثل اسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط

ونحوهم ومنها الحارث وثعلبة وجبة والنعمان وغيرها . ولا يعترض بما ذكره العرب بين اسماء بلوك حمير من أمثال هذه فان أكثرها مبدل بأسماء شالية وانما عمدتنا في ما ذكرناه على الاسماء التي وقفوا عليها في الآثار المقوشة

«فلا دليل على قحطانية هذه الامم إلا أقوال النسايين وهي أضعف من ان يعول عليها في هذا الشأن لاحتمال ان تكون تلك الامم قد اتحلت الانتساب الى عرب اليمن التماسا للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سميا بعد ان تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عملهم » اه

وتقول في دحض هذه الاقوال :

(١) أما عدم الاختلاف في اللغة فان الاختلاف فيها إما أن يكون في الاصول وإما في الفروع أما الاصول فايكن بينها خلاف جوهري لأن لغات العرب كلها من اصل واحد كما اعترفت به حضرتها وأما الفروع فلم ينكر احد سواه وقوع الاختلاف فيها حتى في لغات القبائل التي لم تخرج من اليمن فالاختلاف في الاعراب والتصريف والقلب والاعلال والابدال مملوء به كتب النحو والصرف والاختلافات في معاني الكلمات المفردة لم تهملها كتب اللغة والادب ولذلك وقائع وحكايات جر الخطأ في التفاهم بسببها الى ازهاق الارواح كما في حكاية قتل مالك بن نويرة وقومه وكلنا يعرف ماهي المعجزة والشنشة والاستنطاء في لغات اليمانية

ولو كان بعض الاتفاق في اللغات بين القبائل المختلفة يجعلها من اصل واحد لقد كان المحتم على حضرة المؤرخ أن تقول ان قبائل حمير التي لم تخرج من اليمن عدنانية أيضا لانحادها مع العدنانيين في الاصول واختلافها عنها في بعض الفروع إبان ظهور الاسلام وقد حفظ لنا التاريخ الصحيح وكتب السنة الصحيحة كثيرا من مقالات وفرد الحمير بين على النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تختلف عن العدنانية الا في معاني بعض المفردات . وانما حدث هذا التقارب في اللهجة واللغة لتقاربهم في البيئة (الوسط) والجماع والاسواق التي كانوا يقيمونها . وأما أن الضعيف يقتبس لغة القوي وزعمه ان اليمانيين كانوا هم الاقوياء الغالبين فذلك على فرض تسليمه

لا ينهض حجة على اثبات دعواه لما كانت عليه العرب في القرون القريبة من ظهور الاسلام من التقارب في جميع الاحوال حتي قبائل حمير نفسها بعد غلبة الحبشة والفرس عليها

(٢) واما انه لم يوجد أثر للحرف المسند من جهات الشمال فذلك قد كذبه بنفسه في موضع آخر عند تكلمه على عرب الصفا حيث أتى بهذا العنوان لام سبئية في الشمال وذكر تحت هذا العنوان كلاما كثيرا عن ان أم حمير انتقلت إلى الشمال ووجد لها أنواع من الخط المسند كالفهم الصفوي والثمودي واللحائي وقال ان الباحثين لا يزالون في أول البحث

(٣) أما أنه لا حامل للقحطانيين على الهجرة من بلادهم وجناتهم وقصورهم إلى الصحارى المجربة بلا سبب عظيم وأن سيل العرم لا يكفي لفرقهم يادي سبا فان الاسباب الحقيقية لهذه الهجرة لا تزال مجهولة كأسباب هجرة أئمة الامم القديمة وانما كان من أهمها حادثة سيل العرم مضافة إلى منازعات وحروب أهلية أو مجاعات أو ان الأرض قد ضاقت عليهم فالتمسوا غيرها من بلاد الله ولم تكن وجهتهم في رحلتهم هذه التقارب بل كانت ريف العراق ومشارف الشام ولا تنكر حضرة المؤرخ عظم دولتهم في الخبرة بالانبار وفي سورية وفلسطين فلتقد احتلوا في الأولى جميع الأراضي التي بين دجلة والفرات حتي سميت العراق العربي وثانياً ثانية أكثر بلاد فلسطين وسورية وحب ولا شك ان هذه كانت اخصب من بلادهم وبقية اليمانيين الذين سكنوا البدو منهم فانما تراجعوا اليه بعد منافسات مع بني عمهم في الشمال مع بعد عهدهم باليمن وخصبه واما اكتفاء المؤرخين بذكر حادثة سيل العرم فذلك وهم سرى اليهم من تعقيب ذكر قصة السيل في القرآن الكريم بقوله تعالى (وضاوا أنفسهم فحملناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) فإن الظاهر من الآية ان التمزيق سببه ظلم أنفسهم والظلم يأتي بأسباب كثيرة اعتدائية لا بسبب خارجي فجائي لا يدخل لهم فيه مثل انفجار السد

(٤) واما دعوى اتحادهم في المعبودات فلانسلم انها كلها كانت عدنانية من كانت خليطاً من كل الاديان فقد عبد كثير من العدنانيين الشمس والقمر والكواكب

وهي من معبودات أهل الجنوب كما نهوّد وتنصر أهل الجنوب واليهودية والنصرانية من أديان أهل الشمال

(٥) وأما توافق اسمائهم فذلك إرث من طبيعة الجوار والينة وتمازجهم في كل شيء كما يسمي الاقباط الآن انفسهم بأسماء عربية وتركية بعد ما زالت سيطرة العرب واترك وكما يسمي الترك انفسهم بأسماء عربية مع انهم هم الخابون للعرب وكما يسمي السوريون انفسهم بأسماء انجليزية وفرنسية على ان هذا المؤرخ الذي أنكر في غير موضع من كتابه وجود اسماء عدنانية بين اسماء الحميريين قحض كلامه في صفحة (١٥٩) حيث نقل عن غلازر الالماني احد الأتريين اللذين وجدها في اطلال السد وهذا كته ابرهة قيل ظهور الاسلام وفيه يذكر الاقيال الذين قهرهم أو ولاهم عنه مثل يزيد بن كبش ومرة وعامة وحنش ومرند وكل هذه اسماء عدنانية كما ان مديكرب الزبيدي إسمه حميري وهو من القبائل التي ينكر المؤرخ حميرتها

وأما الادلة الوجودية على ان القبائل المذكورة قحطانية فأكثر من ان نثني بها جميعها في هذه المقالة وهي بالغة بسراحتها الى أفق البدييات فمنها اعتراف جميع هذه القبائل بأنها يمانية حتى بعد ان ظهرت مضر عليهم في وقائع عديدة وبعد ان خضعوا للمضر بين بعد الاسلام وتمصب المضرية واليمانية في القرن التي وقعت في الصدر الاول غصت به كتب التاريخ والادب ومنها اجماع النسابين والمؤرخين باعتراف حضرة علي ان القبائل المذكورة قحطانية ومنها ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مما يشير الى هذه التفرقة ولو أردنا ذكر الشواهد التاريخية من الوقائع والمفاخرات وقصائد الشعر من الحاسة والمدح والهجاء وجميع الاحاديث النبوية لاثبات ان هذه القبائل قحطانية لوضعنا في ذلك كتابا يزيد عن كتاب جرجي افندي زيدان اضمافا (لها بقية)

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الياضي (٥)

(الكلمة الثالثة) — في بيان ما استشكله الاستاذ الشيخ الياضي في تفسيرنا للآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن — ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى (مانسخ من آية أو نساها نات بخير منها أو مثلها) قد فنده الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسيره كما نقلنا ملخصه عنه في مقالة النسخ والمنسوخ ونقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأييد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره (يجو الله ما يشاء) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هناك (مانسخ) فالجرد للنسخ في الآيتين بمعنى واحد (ويثبت) ما يشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته (وعنده أم الكتاب) أي العلم التام بكل حال وما يناسبه : فالسياق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيهما وهما مفسرتان ببعضهما لبعض

يقول الاستاذ الفاضل : لو كان تفسيرنا لهذه الآية صحيحا لكان التقدير فيها : ما نسخ من مثل آية أو نساها نات بخير منها أو مثلها . وتقول نعم فليكن كذلك فهو كقوله تعالى (وما منعا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون) فان تقديره : وما منعا أن نرسل بالآيات التي تقترحونها إلا أن كذب بمثلها الاولون وقوله تعالى (نات بخير منها أو مثلها) فانما المثلية في قوة الحججة والاقناع لا في كنهها وماهيتها فأبي عيب يراه الاستاذ في هذا المعنى وكيف يفسر هذه الآيات وآية (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الخ الآية التي سبق ذكرها؟؟

فكل آية من آيات الانبياء السابقين التي نسيها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى بمثلها في الاقتناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان ويقدرها العقلاء قدرها فانها لا تشبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقها وأعم فائدة وأتم دليلاً وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآن أم الظهور فرى العلماء اليوم في أوروبا وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أتوا أنبياءهم معجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف . فلو لم يؤت صلى الله عليه وسلم سواه لكفى ولذلك قال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فما بالك وقد أعطي معجزات كثيرات غيره كما تواترت به الاخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فلو كان المراد آيات الاحكام كما يقولون لقال : ألم تعلم أن الله عليم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملائمة لما يقولون ولما قال بعدها (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل) فقد سأل بنو اسرائيل موسى من قبل مقترحين آيات غير ما اراهم عنادا وكفرا (فقالوا أرنا الله جهرة) . فاذا كان تفسيرهم صحيحا فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟ ، وإذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل الله تعالى أتى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثير من أحكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ مثلا قالوا إن آية الوصية للوالدين والاقربين قد نسخت بحديث « ألا لاوصية لوارث » فلم لم يأت بدلها في القرآن ؟ وأين البدل

للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله : عشر رضعات معلومات يحرم من ، الذي نسخ على زعمهم بقوله (خمس رضعات معلومات) ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بدل للفظ: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجهما البتة وغير ذلك كثير ! !

أما آية مناجاة الرسول التي فسرناها في مقالاتنا السابقة فتزيد على تفسيرنا لما أن قوله تعالى فيها (فان لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) الخ معناه إن لم تفعلوا ما نذرتم إليه من تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحال أن الله قد رجع إليكم بالتخفيف والتسهيل فيما شرعه لكم فلم يعاملكم كما كان يعامل الأمم السابقة ولم يعتمكم بشيء مما أوجبه عليكم فلذا نذبتكم إلى هذا الأمر ولم يجعله عليكم فرضا كما هي سنته في معاملتكم بالرأفة والرحمة فأقيموا الصلاة الخ فقوله (وتاب الله عليكم) قد ورد هنا بمعنى الرجوع الى التخفيف والتسهيل على هذه الأمة والعدول عن معاملتها كسابقها لا بمعنى التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب . وقد ورد بذلك المعنى أيضا في آية أخرى في سورة المزمل وهي قوله تعالى (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) أي رجع إليكم بالتخفيف ورفع عنكم ما يشق عليكم وليس معناه في هاتين الآيتين العفو عن الذنوب إذ لا ذنب هنا صدر منهم

قال الأستاذ الفاضل الشيخ الياضي متقدا على تفسيرنا لآية (واذا بدلنا آية مكان آية) أن السياق لا يدل على أن هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فإنه لم يتقدم لهم ذكر في السورة . وتقول ان صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في ترديده والمواقفة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكديبا له فذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب فأنهم واقفوا أهل الكتاب منهم في دعائهم بالباطة وعاتبوا بهم على تكذيب النبي عليه السلام ولذلك كانوا يقولون تقليدا لهم في تكذيب القرآن (أضغاث أحلام بل اقترأه بل هو شاعر فلباتنا بآية كما أرسل الآءاون) فأنهم لا يؤمنون برسول الاوين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقيه لهم أهل الكتاب وإن يخالف معتقداتهم مادام فيه تكذيب للنبي وإغاظة له ولذلك ترى في القرآن آيات

بعثه في آيات أخرى كثيرة كقوله (وكيف يحكونك وعندهم التوراة - إلى قوله -
وما أولئك بالمؤمنين) وقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين)
(الكلمة الرابعة) - بيان أسباب أن أحاديث الآحاد لا تفيد اليقين

أولا - قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومتظاهر بالصالح والتقوى
لسبب ما من الأسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فيفتخر
به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئا يجرحه لشدة احتراسه ونستره . وقد يكون
بعض المحدثين مؤمنا صادقا مخلصا صالحا لكنه ينخدع لظاهر هو لأه المناقنين فيأخذ
الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون اذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله
ظن أن أمثاله كثيرون وكثر انخداعه بأعمال المناقنين وظواهرهم وتجنب إساءة الظن
والتجسس لشدة ورعه وتقواه أو بساطته وسذاجته في بعض الاحوال . وكثرة الكذابين
وكثرة ما يضعونه من الاحاديث يشوش على الناقدن الباحثين عملهم ويوقعهم في
الارتباك والخطأ كثيرا فيقبلون أحيانا ما ليس صحيحا ويرفضون ما هو صحيح .
ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن جميع ما يقوله
كذب وقد يكون منفردا بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقا فيه .
وقد يكون المرء صالحا صادقا ولكنه يضطر في بعض الاحيان الى أن يكذب ولو
واحدة فلا يسلم ما يؤخذ عنه من ان يكون فيه بعض الكذب او المبالغة

ثانيا - قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه
يخطئ المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم معتقدا انه صحيح . والتحديث
بالمعنى كان عندهم جائزا . وقد ينسى شيئا مما سمعه ويقع في الغلط بسبب ذلك
بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت
لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولكن بطأني عن
ذلك أن رجالا من اصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت
ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم » كما رواه ابن
قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث

ثالثا - إثبات عدالة رجال الاسانيد كثيرا ما تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ولا يخفى على أحد فساد ذلك فان ما يقال في رجال الأسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم وربما أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا - أكثر الأحاديث والروايات مقتضبة فلا يعرف المقام الذي قيلت فيه ولا مناسباتها ومن المعلوم أن الأقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد تخرج عن المراد منها خروجاً كلياً أو جزئياً

خامسا - من المشاهد في جميع الأجيال وفي جميع الأمم أن حفظ الأحاديث إذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبدين ولا زيادة ولا نقصا عسير جدا على الناس إلا من شد وقليل هو وخصوصا إذا أقيمت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الأحوال فهو مفتر كذاب فالنقل في أغلب هذه الأحوال هو تقريبي ولا يخفى ما ينشأ من مثل هذا النقل من الافتراءات والاختلافات والأكاذيب فإذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة سادسا - - قبل زمن تدوين الأحاديث كان جل روايتها إن لم نقل كلمهم لا يكتبون الحديث ولا يعتمدون فيها إلا على ذا كرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الأستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الأغر . ومن اعتمد على ذا كرته فقط لانبرئه من الخطأ والنسيان في جميع الأحوال مهما كان

هذا شيء مما يقال في روايات الآحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطروء مثل هذه الاحتمالات عليها وبذلك قال أيضا الجمهور وان أراد أن ينكر ذلك الأستاذ الياضي زاعما أنها تفيد اليقين وإذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد

على أحاديث غيرهم أشد وأقوى وأكثر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف عن الأمة الإسلامية من العناية والنمحيص في الروايات والنقد والبحث في رجال الحديث ولم يكن يخطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك

ولا خوف على الدين الإسلامي المتين من هذه المطاعن التي أوردناها على

روايات الآحاد فان حجته ناهضة بانتواتر فيه والمجمع عليه فليهدأ المسلمون بالا

(الكلمة الخامسة) - في ذكر شيء مما خالفوا فيه القرآن لاجل الحديث

قال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا

حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخرضون) . في هذه الآية

- وأمثالها في القرآن كثير - يذم الله تعالى اتباع الظن والقول في دين الله بغير

علم أي بغير ما يفيد اليقين وهي واردة في سياق الكلام مع من حرموا أشياء

ليس عندهم دليل على أن الله حرمها عليهم . وقال أيضا قبل ذلك بقليل (وان

تطمع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا

يخرضون - الى قوله - وان كثيرا يضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم

بالمعتدين) ومنه ترى أن العمل بالظن في شريعة الله غير جائز اللهم إلا اذا

اضطررنا إليه كما في بعض الأحكام القضائية بناء على قاعدة : الضرورات تبيح

المحظورات المؤيدة بالكتاب والسنة وإلا فإنه محرم على الإنسان أن يحمل شيئاً أو

يحرمه لدليل ظني فما بالك بمن يعارض القطعي بالظني ؟ لا شك أنه يكون مرتكباً

لأثم كبير . وقد أقر الأستاذ الفضل الشيخ الياضي بأن الظن إنما يذم إذا عارضنا

به الأمر القطعي . يقول ذلك وقد غاب عنه أنه هو ومن على مذهبه كثيراً ما عارضوا

نصوص القرآن الشريف الصريحة وخالفوها لأجل أحاديث الآحاد وهي لا شك

ظنية كما عليه الجمهور . وإليك بعض الأمثلة على ذلك : -

(١) خالفوا قوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) الآيات لحديث « ألا

لا وصية لوارث »

(٢) حرّموا أكل الجمر الاهلية التي كانت تأكلها العرب كثيرا لما رووه من أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّمها مع أن القرآن الشريف يقول (قل لأجد فيما أوحى الي محرّما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة) الآية . ويقول (إنما حرّم عليكم الميتة والدم) الآية ونحوها كثير

(٣) قالوا بجمرة استعمال الذهب والفضة والحريير للاحاديث التي رووها والقرآن يقول (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فهي للمؤمنين يتمتعون بها في الدنيا ويستخلص لهم وحدهم يوم القيامة فيحطون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حريير (٤) حرّموا أن تنكح المرأة على عمّتها أو خالتها للحديث وخالفوا قوله تعالى (وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من يفتن المرأة على عمّتها أو خالتها

(٥) أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث ، والقرآن يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فهذه بعض أمثلة مما عارضوا فيه القطبي بالظني وهو مما نكرهه ونذمه وقدّمه الله تعالى في كتابه العزيز كما أقر به الأستاذ المناظر وإذا تتبعنا مذاهبهم وجدنا أمثلة غير ذلك كثيرة فهل يعقل أن الله يبيح للمسلمين ما كان يذم لأجله غيرهم في كتابه ؟ !!

أنا لأقول إن جميع هذه الاحاديث يجب ان تكون موضوعة ولكن لا يبعد أن بعضها كان كذلك والبعض الآخر يغلب الظن أن له أصلا صحيحا وأنه كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الاسلام ولا تخفى حكمة ذلك على الناقد البصير إذا تأمّلها . وما جاء به القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم تأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تدويرها كي لا تكون خالدة بينهم كقرآن الشريف ولتنزول من بينهم بزوال علل وأسبابها كما سنبيّه ان شاء الله تعالى في رسالة لنا في هذه المسائل سنطبعها على

حدة اطولما . فالسليمون اتبعوا كثيرا من مثل هذه الاحاديث مع اعترافهم بأنها ظنية وخالفوا لاجلها القرآن الشريف مع أن ذلك مذموم فيه . وقد نسوا عال ما كان صحيحا منها ولم يراعوا اسبابها ولا الظروف التي قيلت فيها مع أن معرفة أسباب الاحاديث النبوية يحتاج إليها أكثر من الاحتياج إلى معرفة أسباب نزول القرآن الشريف ولذا لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز . وهذه الاشياء هي مما تنكره عليهم وخصوصا لأن من الاحاديث التي يسلمونها ما يوجب الطعن في الكتاب المتواتر نفسه كما أشرفنا إليه في الكلمة الاولى . فلولا تغلبهم في اعتبار الاحاديث لما وقعوا في كثير مما وقعوا فيه من الاختلافات والاشكالات والشبهات وغيرها حتى جعلوا اليسر عسرا والسهل لغزا

وإني لاعجب من أهل الحديث هل إذا سمعوا أي قول منسوب إلى رسول الله يلزمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتوار يختمهم أم عليهم العمل به بمجرد نسبه إلى الرسول بدون بحث ولا تنقيب . أما الامر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فساده وأما الامر الاول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة إلى رسول الله أن يقضي حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على أمورهم وإذا لاحظنا ان التقليد في الاسلام منهي عنه وجب على كل فرد أن يبحث في أحوال الرجال ويقدم ويمحص كل ما وصله في الاحاديث وما يصله بنفسه والا بقي ديننا ناقصا . فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال المهدي على رجال الاسانيدو بعدد مكانهم وزمنهم عنا . والله يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (لها بقية)

مناظرة عالمين (*)

﴿ في مجلس المأمون ﴾

إذا أردنا من القرآن كلام الله كان قد بما لانه يكون اذ ذك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة ، وان أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع أو مصحف مصنوع كن حادثا

هذه المسئلة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني اسوأ الاتروآل الامر فيها الى أن يسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقتل ويغيب . وكان سواد الامة ومعظم علمائها من الفريق القائل بان القرآن قديم . اما الفريق القائل بالحدوث - ويسمى (المعتزلة) - فاتفقوا من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله ويحمل الناس عليه ، ومن ثم كانت صولته أشد ، وعامل جبروته انفذ ، وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث المأمون بن الرشيد ، فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح وعقل رجيح يشدد على الناس وينكل بهم إن قالوا بما يخالف رأيه ، فكان الناس لعده يستترون في بيوتهم ، وينقطعون عن شهود الجمعة والجمعة ، ويتسألون من بلد الى بلاد خشية الفتنة والارهاق ، وقد منع الفقهاء والمحدثون من تعود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرصافة وفي غيره من المواضع ، الا بشراً المريسي ومحمد بن الجهم ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن ، وكل من اظهر مخالفتهم قيد اليهم ، وعرض قوله عليهم ، فان أصر قتل سرا أو جها أو نفي من الارض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفا على أنفسهم وفي الباطن يراون الى الله مما أعلنوه .

شاع أمر هذه المحنة في بغداد وجعل أهل الامصار الاسلامية يتداولون خبرها

﴿ لصديقا عبد القادر افندي المغربي الطرابلسي تزيل مصر

(المارج ٩) (٨٨) (المجد الحادي عشر)

ويتعودون بالله من شرها : قال عبد العزيز بن يحيى الكفائي (الذي نلخص هذه المقالة من رسالة له ألفها فيما حدث له) انصل بي وأنا بمكة ما ابتلي به الناس في بغداد وكيف استطال عليهم بشر المرسي ولبس على أمير المؤمنين وعامة أوليائه ، فأطال همي هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي وأسأله سلامي حتى قدمت بغداد فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي . ثم إن عبد العزيز جمل بعد وصوله إلى بغداد يتهل إلى الله أن يسدده ، ويثبت عزيمته ، ويرشده إلى طريقة يتوصل بها إلى قهر تلك الفئة الجائرة وكف عاديها ، فبداله ان يخفي أمره عن الناس جميعا خشية أن يقتل قبل ان يسمع كلامه ، ثم ارتأى أخيرا أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرصافة ويرفع صوته بمخالفة أهل البدعة وتسفيه آرائهم وطلب محاجتهم ، فإن إشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون اغتياله قبل مناظرته ، واستماع قوله ، ولم يكذب ينتهي الامام من صلاة الجمعة في ذلك الجامع حتى سمع الناس من الصف الأول حياال القبلة والمنبر صوت رجس مكبي الربي واقف على قدميه ينادي بأعلى صوته ابنه الصغير الذي اقامه قبائله عند الاسطوانة الأخرى :

الاب — ما تقول في القرآن ياني ؟

الابن — كلام الله منزل غير مخلوق ياأبي

فارتاع الناس لهذه المحاورة وهر بواعلى وجوههم خارجين من المسجد ، وأسرعت

الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه إلى رئيسهم « رئيس البوليس اذ ذلك عمرو بن

مسعدة » وكان جاء ليصلي الجمعة في جامع الرصافة

الرئيس — أمجنون أنت ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — موسوس ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — معتوه ؟

عبد العزيز — لا والحمد لله ، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة

الرئيس - فمظلوم انت ؟

عبد العزيز - لا

الرئيس لاصحابه - مروا بهما سحبا الى منزلي .

فاحتلمهما الشرطة ، وجعلوا يعدون بهما سحبا شديدا ، وايديهما في ايديهم مينة
ويسرة ، حتى صاروا بهما الى منزل الرئيس على هذه الحالة الغليظة ، فادخلا عليه
وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه (۱)

الرئيس - من أين أنت ؟

عبد العزيز - من أهل مكة

الرئيس - ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟

عبد العزيز - طلبت القربة الى الله ورجاء الزلفى لدية

الرئيس - هلا فعلت ذلك سر امن غير نداء ولا اظهار المخالفة لامير المؤمنين !

ولكن أردت الشهرة والرياء والسؤدد لتأخذ أموال الناس

عبد العزيز - ما أردت الا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه

لاغير ذلك .

الرئيس - أو تفعل ذلك ؟

عبد العزيز - نعم ولذلك قصدت ، وبلغت بنفسي ماترى ، وتغريري بنفسي

وسلوكي البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في

كتابه ، وما أخذه علي وعلى العلماء من البيان (۲)

الرئيس - إن كنت انما جعلت هذا سببا لغيره من المطالب اذا وصلت الى

امير المؤمنين فقد حل دمك .

عبد العزيز - إن تكلمت في شي غير هذا ، وجعلت هذا ذريعة اليه ، فدمي حلال

فوثب الرئيس وقال لاعوانه أخرجوه بين يدي ، فاخرجوني أنا وابني بين يديه

وهورا كب على فرسه ، وجعلوا يعدون بنا على وجوهنا ، وأيدينا في ايديهم ، حتى وصلنا

(۱) الشوار : اللباس والزينة وكأنه يريد به هنا الملابس ذات الطراز الخاصة

برؤساء الشرطة والجند في ذلك العصر (۲) فليعتبر علماء هذا الزمان

الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد . فدخل الرئيس على المأمون ، و بقيت
أنا وابني في الدهليز واقفين على أرجلنا ، فأطال ثم خرج الى حجرة له وأمر بي :

الرئيس — اخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت وما سألته من الجمع
بينك وبين مخالفتك للمساطرة بين يديه ، وقد أمر أطال الله بقاءه وأعلى أمره باجابتك
الى ما سألت ، وأمر بجمع المناظرين على هذه المقالة الى مجلسه أعلاه الله في يوم
الاثنين الاذني ، ويحضر هو بنفسه معهم لينظروا بين يديه ، ويكون هو الحكم بينكم
عبد العزيز — أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين وأيد دولته

الرئيس — أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا
حاجة الى حبسك

عبد العزيز — أدام الله عرك ، انا رجل غريب ، ولست أعرف في هذا البلد
أحدا ، ولا يعرفني من أعلاه أحد ، فمن أين لي من يكفل بي ، خاصة مع اظهاري
مقاتلي ، لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لبرأوا مني وهربوا من قربي وأنكروني .
الرئيس — نوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم ، وتنصرف
فتصلح من شأنك ، وتفكر في أمرك ، فلعلك ترجع عن نيك ، وتوب من فعلك ،
فيصفح أمير المؤمنين عنك

عبد العزيز — ذلك اليك أعزك الله فأفعل ما رأيت . ولما جاءت غداة يوم
الاثنين حمل عبد العزيز مكرما الى دار الخلافة ، وأدخل الى حجرة ، نيس الشرطة
فسأله هذا عما اذا كان لم يزل مقبلا على رأيه ثم نصحه ، وحذره وخامة عاقبة مخالفة
أمير المؤمنين فيما اذا ظهر عليه مناظروده ، وانه نيس حينئذ إلا السيف ، وانه إن ندم
ورجع عن مقاله سأل أمير المؤمنين الصفح عنه ، وضمن له جائزة وقضاء ماله من
حاجة ، فأجابه عبد العزيز بأنه ما خرج من بلده إلا رجاء إقامة الحق .

الرئيس — وقد وقف على رجله . قد حرصت على خلاصك جهدي وانت

حريص على سفك دمك جهودك

عبد العزيز — معرفة الله أعظم وألطاف من أن يذاني ، وعدل أمير المؤمنين

وسم من أن ضمة

وسعت رجلا من جلسائه يقول - وقد دخلت الديوان - يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، في الله ما رأيت خلقا لله أقبح وجهانه، فسعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصا، على ما كنت فيه من الجزع والرعدة .

قال عبد العزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظرني وأنا ارتعد خوفا وانتفض، واحب ان يؤنسني، ويسكن روغي فطفق يكثر كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة (رئيس الشرطة) ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كله إناسي، وجعل يطيل النظر إلى الأيوان ويدبر نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد اتفخ . فقال يا عمرو ما ترى هذا النقش في الجص قد اتفخ وسيقع فبادرني قلعه وعمله . فقال عمرو قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون - ما الاسم ؟

عبد العزيز - عبد العزيز

المأمون - ابن من ؟

عبد العزيز - ابن يحيى بن مسلم

المأمون - ابن من ؟ (يسأله عن جده)

عبد العزيز - ابن ميمون الكناني

المأمون - أو أنت من كنانة ؟

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين

ثم سكت المأمون هنيهة لا يتكلم

المأمون - من أين الرجل ؟

عبد العزيز - من الحجاز

المأمون - ومن أي الحجاز ؟

عبد العزيز - من مكة

المأمون - ومن تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز - يا أمير المؤمنين قلّ من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . الارجل
ضوى (لجأ) ، اليها أو من جاور بها ، فاني لا أعرفه .

المأمون - اتعرف فلانا وفلانا (وجعل يعدد جماعة من بني هاشم)

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم

المأمون - وأولادهم وانسابهم . (و ذكر شيئاً من ذلك)

عبد العزيز - نعم . (وأجابه عما سأل)

قال عبد العزيز : وانما يريد أمير المؤمنين انبساطي ، و بسطي للكلام وتسكين
روعتي وجزعتي ، فذهب عني ما كنت فيه ، وما لحقتني من الجزع ، وجاءت المعونة من
الله عز وجل ، فقوي مفاظي ، واشتد قلبي ، واجتمع فهمي ، ثم اقبل المأمون عليّ وقال
يا عبد العزيز انه قد اتصل بي ما كان منك ، وقيامت في المسجد الجامع ، وقولك ان القرآن
كلام الله الخ . بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مستنك بذلك من الجمع
بينك وبين مخالفتك على القول لتناظرهم في مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت
المخالفين لك لتناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم ، بينكم فان تدين الحجة لك عليهم والحق
معك اتبعناك ، وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبناك ، وان استقلت اقلناك .
ثم اقبل عليّ بشر المرسي وقال : يا بشر قم الى عبد العزيز فناظره وانصفه .
فوثب بشر من موضعه كالاسد يثب الى الفريسة فرحاً ، فأنحط عليّ فوضع ركبته
وفخذ الايسر عليّ فخذى الايمن فكاد أن يمطمه ، وعمر عليّ بقوته كلها ، فقلت مهلاً
فان أمير المؤمنين لم يأمر بك بقتلي ولا بظلمي ، وانما أمرك بمناظرتي وانصافي ، فصاح به
المأمون وقال تنح عنه ، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني .

ثم اقبل عليّ المأمون وقال : يا عبد العزيز ناظره علي ما تريد ، واحتج عليه ، وبتحج
عليك ، وتسأله ويسألك ، وتناصفاي كلامكما ، تحفظا الفاظكما ، فاني مستمع عنكما
فحفظ الفاظكما . فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين ، ولكن عبد العزيز لم يرد ان
يشرع في مناظرة خصمه مالم ينتقم من ذلك البغيض الذي عابه لامير المؤمنين
بقبح وجهه ، وتشويه خلقه ، وملخص ما قال في هذا الصدد : ان يوسف صارت الله عليه
الذي هو احسن البشر وجهاً ، كان حسنه و بالا عليه ، فظلم وسجن رجاء تغير حلية وجهه

وان يذهب السجن بحسنه ، ولما وقف الملك على سعة علمه ، وحسن عبارته في تعبير الرؤيا ، صبره على خزائن الارض ، واعتزل الامور وصار كأنه من تحت يده ، وليست هذه المنزلة إلا بعلمه وكلامه ، لا بجماله وحسن وجهه ، وقال احطلي على خزائن الارض اني حفيظ عليم ، ولم يقل اني حسن جميل ، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أفتح مما هو معي ، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتزييله . فقال المأمون وأي شيء أردت بهذا تقول ؟ وما الذي دعاك اليه ؟ فقلت اني سمعت بعض من هنا يقول يا أمير المؤمنين « يكفيك من كلام هذا قبح وجهه » فأني عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل ؟ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ، فقلت يا أمير المؤمنين : قدر أيتك تنظر هذا النقش في الحائط ، وتكر اتفاح الجص ، وسمعت عمرا (رئيس الشرطة) يعيب الصانع ، ولا يعيب الجص ، فقال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع ، انما العيب على صانعه . فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وقت الحق . فهذا (يعني جليس سوء) يعيب ربي لم خلقتي قبيحا . فازداد المأمون تبسما حتى ظهر ذلك عليه ، ثم قال يا عبد العزيز : ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة . ثم أخذنا في المناظرة . ولا يمكن ان تقضى مسائل المناظرة او تلخصها لما ان المقام لا يحتمل ذلك ، وانما نشير الى بعض ما كان يجري بين المتناظرين مما فيه دلالة على أخلاق العلماء إذ ذاك ، وعلى كرم أخلاق المأمون : من ذلك ان بشرنا سأل عبد العزيز سوألاً ، وكلفه جوابه ، وواقفه المأمون قائلاً هذا يلزمك يا عبد العزيز فعند ذلك جعل ابن الجهم وغيره من شيعة بشر يضجون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون ، جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ، وطمعوا في قتل عبد العزيز ، وجنا بشر على ركبته ، وجعل يقول اقر والله يا أمير المؤمنين بخلق الهراة وأمسك عبد العزيز فلم يتكلم ، فقال له المأمون مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ فقال سأني بشر وهو المناظري ، فضجيج هو لا . ايش هو ؟ وأنا لم أقطع ، ولم أعجز عن الجواب ، ولست أتكلم ما لا يسكتوا ، فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره امسكوا ، فامسكوا ، واقبل عليّ وقل تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك ، فسكمت وأخذنا في المناظرة

قال عبد العزيز: وجعل بشر يصيح ويقول لو تركته يا أمير المؤمنين يتكلم
لجاء بألف شيء، قلت يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه
بالضجيج والترويح بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى
يظهر دينه ويقع الباطل بالحق فيزهقه، فصاح المأمون يبشر أقبل على صاحبك ودع
هذا الضجيج وكان المأمون قد قدم منا مقعد الحاكم من الخصوم .

قال عبد العزيز: وكثر تبسم المأمون من قولي حتى غطي يده على فيه واطرق
يكتب في الأرض يده على السرير

ومما استدلل به بشر على مذهبه قوله تعالى خالق كل شيء، والقرآن شيء، من
تلك الأشياء المخلوقة .

فأجاب عبد العزيز بما خلاصته: قال تعالى «ويحذركم الله نفسه» فله نفس وقال
تعالى «كل نفس ذائقة الموت» فتقول يا بشر ان نفس الله داخلة في هذه النفوس؟
فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوري الصوت مماذ الله معاذ الله .

هذا مثال مما كان يجري بين المتناظرين في حضرة المأمون ولم يزل عبد العزيز
يلحظ حجاج خصمه ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس حتى قال المأمون له
أحسن يا عبد العزيز ثم أمر بعشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف من
مجلسه على أحسن حال وأجملها

قال عبد العزيز فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من اظهار الحق وقمع الباطل
وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفا من النغم والحزن وجعل الناس يبيئون الي
أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا ،
قالوا لا بد أن تلي علينا ما جرى لنعرفه وتعلمه فببت ذلك وتخوفت سوء عاقبته ،
فلما ألحوا علي قلت أنا أذكر لكم بعض ماجرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حبر
في ذكره فرضوا فأملت عليهم أوراقا مختصرة لا تظلمهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

سياحة صاحب المجلة

﴿ في سوريا ﴾

بيروت

وافيت بيروت في السادس والعشرين من شهر شعبان وقد صحا الجمهور من نشوة الفرح بالدستور، وثابوا الى التفكير والتأمل بعد تلك الرياضة في روض الوجدان والشعور، وكان مما يحمد عليه أهل بيروت ويندكرون به أنهم قد انتقلوا من خمول الاستبداد الى نشوة السرور بالحرية ومن هذه النشوة الى السكون والروية، ولم يكن منهم غلو مذموم كما يحصل عادة في مثل هذا الانتقال بمقتضى قاعدة «رد الفعل» وقد اشتهر ما كان من تحوّل الضغائن والاحقاد بين المسلمين والنصارى منهم الى المسألة والوداد وكان المسلمون هم البادئين بهذا الخير، كما كانوا في الغالب يبدؤون وكان يقال بالشر،

وقد رأيت فضلاء المسلمين في هذه الايام مهتمين بأمرين عظيمين أحدهما مشترك بين جميع العثمانيين وهو ما تفكر فيه جمعية «الجامعة العثمانية» من انشاء مدارس لتعليم جميع الطوائف وتزويجهم على الوحدة الوطنية او نحو ذلك من الاعمال. ولا بد ان يكون فضلاء النصارى متفقين معهم على ذلك وانما اسندت الاهتمام به الى المسلمين عن علم وجعلت مشاركة النصارى لهم من قبيل الاستنباط العقلي لاني لم أجمع بأحد من علماء هؤلاء وفضلائهم فأعرف بالاختبار ما يهتمون به من الاعمال في عصر الدستور إذ كان أهل العلم والفضل من المسلمين هم الذين استقبلوني في البحر وأكرموا

مشواي في البر. وما كانت إقامتي بينهم الا ثلاثة ايام ضاقت عن ردّ الزيارة لجميع الزائر ين منهم ، ولو طالت لتصدت للقاء أهل الرأي من غيرهم ،
والامر الثاني مما يهتم به المسلمون خاص بهم وهو ما توجهت اليه همة « الجمعية العلمية » من إحياء المدارس التي استسما من قبل جمعية المقاصد الخيرية وكانت تدير نظامها شعبة المعارف التي قضى عليها الاستبداد فجعل هذه المدارس أثراً بعد عين .
ولا أذكر ما سمعته من الآراء في إيجاد المال لهذه المدارس واختيار كتب التعليم لها بعد النظر فيما بين الأيدي منها وجلب مثله من مصر وانما أرجو أن أكتب بعد قليل من الزمن من أخبار اعمال هذه الجمعية ما يحقق أفضل الآراء وأنفعها
رأيت مسلي بيروت مستعدين لقبول كل إصلاح ديني ومدني ورأيت فيهم نفرا من أهل الغيرة المليّة والميل للاعمال التي تنهض بالامة وترقي شأن البلاد وقد أحييت ان يكون لي حظ من معرفتهم وسعي في جمع صفوة أهل الاخلاص منهم ومكاشفتهم بما أراه من أصول الاصلاح وقد سرني من حديث من اجتمعت به منهم أنني رأيت التفاوت بينهم غير بعيد ، والخلاف بين طبقاتهم غير شديد ، والتنافس بين أهل الظهور لم يهبط الى دركة الحسد ، ومقاومة الجامدين للاصلاح لم ترتق الى درجة المقاومة ، والسبب في ذلك على ما ظهر لي أن أذكيا النابتة الذين يحبون الاصلاح لم يربوا تربية أوربية تبعدهم من الدين وتشوه مدنية سلفهم في أعينهم وتجبب اليهم الانسلاخ من كل قديم ، وتزين لهم الاقتان بكل جديد ، كما قن كثير من المترجمين في الاستانة ومصر وتونس ، ولم يتوسعوا في علم الكلام والفقه فيجعلوها مع فنون العربية كل المطلوب لارتقاء المسلمين ، ولم يحرموا منها حرمان من يعادي الشيء لجهله به ، — وان المشتغلين بالعلوم الدينية والفنون العربية لا يوجد كثير من المتقنين لها والبارعين فيها الذين يخشى ان يكونوا زعماء قادرين على تأليف العصيات لمقاومة الاصلاح كما هو شأن رجال الذين الجامدين في كثير من بلاد المسلمين
ونتيجة هذا ان قلة اشتغال مسلي بيروت بالكتب الاسلامية المتداولة وعدم اقتنائهم بالترنح قد جعل نفوسهم مستعدة للاصلاح الذي لا يرتقي المسلمون بدونه وهو الجمع بين هداية الكتاب والسنة وبين العلوم والمعارف المعاصرة بغير معارضة قوية

٧٠٨ حكومة بيروت - طرابلس . استعداد أهلها للإصلاح (المنار ج ٩ م ١١)

رأيت من النابتة المصرية من يقول يجب علينا ان نعمل بمزول عن الشيوخ
الجامدين ولا نبالي بهم رضوا أم سخطوا ، ومن يقول لا بد من مقاومتهم والقضاء
على نفوذهم ، ومن يتوسط فيقول بوجوب مسالمتهم ومداراتهم والاستعانة بهم لان
جانبه منهم ، والمرجح عندي ان العاملين في بيروت لا يجدون مقاومة يعتدُّ بها ،
وأحوج ما يحتاجون اليه المال والزعيم الذي تجتمع عليه القلوب ومتى وجد أصحاب
الهمم من الرجال سهل عليهم إيجاد المال ، والزعيم انما يشترط لاقان العمل وكاله
فلا يتعذر على أهل الغيرة الابتداء بالعمل مع فقهه . ومتى تكونت الاعضاء تكوننا
طبعيا ثبت لها رأس طبيعي ،

أما حكومة بيروت فهي سائرة في طريق النظام بهمة واليها ناظم باشا وحرزته
ودرايته ولكن هذا الوالي لم يأت بعمل ما في ملحقات الولاية كما يعلم من الكلام
الآتي عن طرابلس ولولا قرب عهده بالحجى الى الولاية لقلنا ان حسن حال الاهالي
هو الذي حسن حال الحكومة في مدينة بيروت فهو لا يدل على فضله ولا يقوي الرجاء
في إصلاح حال الولاية بحسن إدارته ولكنه لقرع عهده لما يتمكن من تنظيم إدارة
داره فلا مجال للومه

طرابلس الشام

وافيت هذه البلدة وقد أهوت شمس يوم الجمعة (وهو التاسع والعشرون من
شعبان) الى الغروب والناس يرقبون غروبها ورؤية هلال رمضان بعده فأقبلوا
يستهلون فبدأ الهلال لعين واحد منهم فحكم القاضي بشهادته وأصبح الناس من
ليلتهم صائمين

مكثت في دار صديقي الصديق الشيخ محمد كامل الرافعي أسبوعا كاملا
استقبل وفود الزائرين المهتمين من العلماء وعمال الحكومة والوجهاء ورجال الجمعيات
الثلاث : جمعية الأتحاد والترقي وجمعية الجامعة الميانية والجمعية العلمية . وقد ظهر
لي مما دار بيني وبين صفة الناس من الطبقات العليا والوسطى أن استعداد مسلي
طرابلس للإصلاح الديني والمدني دون استعداد مسلي بيروت
ذلك بأن مسلي طرابلس أكثر من أهل بيروت اشتغالا بدرس كتب

(المنار ج ٩ م ١١) أسباب ضعف استعداد الطرابلسيين . حكومة طرابلس ٧٠٩

الفنون العربية والعلوم الاسلامية التي وضعت منذ القرون الوسطى بعد انحطاط مدينة المسلمين ، ضعفهم في العلوم وهي مما يضعف الاستعداد لانه يشغل الفكرة ولا يكلمها فيكون عاقباً لها عما سواه كما أشرنا اليه في الكلام عن استعداد أهل بيروت وربما نريحه في فرصة أخرى ، على أن أهل طرابلس قد قلّ اشتغالهم في السنين الأخيرة لحكم الاستبداد ، التي اضطهد بها العلم وكتبه أشد الاضطهاد ، هذا سبب معنوي من أسباب ضعف استعداد أهل طرابلس وسيعده أكثرهم غريباً أو باطلاً بالبداهة محتجين بأن من كان أوسع علماً في فن أو علم ما كان أقوى استعداداً لغيره ، ولا محل هنا لدحض هذه الحجة أو إبطال هذه الشبهة . وثم سبب آخر وهو الفراغ والبطالة في طائفة كبيرة منهم وعدم المنافسة والارتقاء في العمل عند أكثر العاملين

ومن الأسباب في ذلك قلة احتكاك أهل طرابلس بمن هم أرقى منهم في العلوم والاعمال من الأجانب والعثمانيين فان طرابلس أصبحت كأنها بمنزل بمن العالم المدني ، لا يهاجر اليها المرتقون في العلوم إذ لا مدارس ولا تعليم فيها ولا المرتقون في الاعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية إذ لا رجاء لأحد في الكسب منها ومنها ما هو أثر طبيعي لما قبله من عدم وجود الجرائد اليومية فيها وعدم وصولها الجرائد اليها من بيروت لانها غير متصلة بها بسكة حديدية فالقيم فيها لا يعرف شيئاً يمتد به من أحوال العالم

من أجل هذا وذلك كانت حكومة طرابلس شراً من حكومة بيروت في وقت الاستبداد ، ولم تنل نصيباً من الإصلاح في زمن الدستور وقد كان فسادها الماضي وضعفها الحاضر علة لكثرة الاشقياء فيها المستعنين بها على السلب والنهب والنيل من اعراض الناس ودمائهم ، فان لهؤلاء الاشقياء زعماء يشتركون ذمة كبراء الحكام ويشاركونهم بما يتمتعون به من أموال الناس وأعراضهم ويرضخون لافراد الشرطة والزبانية بدريهمات يستعدونهم بها فإذا رفعت على أحدهم قضية كفاه أمرها رجال المحاكم فإذا جاء البلد حاكم جديد وحاول ان يقرر فيها الامن ويقوم ميزان العدل وانفذ الشرطة الى بعض هؤلاء الاشقياء المتهمين بالقتل والضرب أو

السلب والنهب عادت اليه الشرطة قائلة انهم قد فروا هارين فلا يعلم مكانهم وانما يكونون هم الذين لقنوها ما تقول

حادثة الاعتداء علي وسببها

ما كنت لا ذكر هذه الحادثة في المنار ، لو لم تشتهر في الاقطار ، ويظلم بها أهل طرابلس على الاطلاق ، حتى وجب علي ان أبرئ المظلومين ، وأبين سبب تقصير المقصرين ،

حقيقة الحادثة اني دخلت طرابلس باحتفال عظيم لم يسبق له نظير فيها فقد استقبلني عند الباخرة في البحر جمهور من أهل العلم والوجاهة ووفود من الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العلمية وجمعية الجامعة العثمانية ، وكان في الانتظار على رصيف الجرك في الميناء جماهير من جميع الطبقات وجوقة مويسيمي أرسلتها جمعية الاتحاد والترقي فلما اقبل عليهم الزورق الذي يحملنا مرفوعا عليه العلم العثماني (أعزه الله تعالى) صدحت المويسيمي وبعد السلام على كثير من المستقبلين ذهبنا إلى موقف الترام الذي بين الميناء والبلد فاذا بمركبة كبيرة من مركبات الترام معدة لنا من قبل جمعية الاتحاد فقبولناها مع خواص اعضاء الجمعيات وجوقة المويسيمي في مقدمتها والناس من حولها يطلقون البارود . فوقفنا في نافذة من نوافذ المركبة وشكرت للقوم أريحياتهم وسارت المركبة حتى إذا ما بلغت الموقف من البلد استقبلنا فيه جمهور آخر وسرنا حتى إذا كنا بالقرب من الدار التي نؤمها في أشهر شوارع البلد وأسواقها فاجأنا شقي من أولئك الاشقياء الذين أشرنا اليهم اسمه كامل المقدم فقال أين هذا الذي تسلمون عليه ؟ فعرفني بالقرينة فضررتني بعصا في يده وقعت على جانب رأسي ثم رفعها ثانية وأهوى بها فتلقاها الشيخ محمد كامل الرافي وكان عن يساري في مقدمة الناس . فأخرج الشقي مسدسا وأطلق منه رصاصة واحدة اعتقدت انه يريد به قتلني واعتقد الجمهور ذلك فيما يظهر فانهم ارجعوني واحدقوا بي وأرادوا إدخالني لأحد البيوت المجاورة لتلك المكان . وتقدم اليه أكثر من واحد منهم فظردوه ثم استأمننا الدبر إلى دار الرافي وكانت قرية منا وهناك اخبرني القوم بالمقتدي وانه ابن عبد الرحمن افندي المقدم الذي كان يجلي وأنا طالب علم أشد

(المارج ٩م ١١) سبب الاعتداء على صاحب المنار . اهتمام الناس به ٧١١

الاجلال على ما كان عليه رحمه الله من كبرياء حتى انه كان يستقبلي ويشيفني
عند الباب

ذلك انه كان قد اعتدى على اخوتي من قبل بايعاز عصابة من تلك العصب
التي اشرفنا اليها «والشر داعية الشر» فالظاهر ان تلك العصابة ثقل عليها ان يمتز
من اعتدت عليهم بأخ لهم لانها تحب ان يكون شرها دائما لا ينقطع . وقد رأيت جميع
الناس من جميع الطبقات يعتقدون ذلك ولولا هذا الاعتقاد لظهروا استياءهم ولقامت
قيامتهم على هذا الشبح البالي من حكومتهم على عدم ثقتهم بها بل لاستنفضوا همة
حكومة الولاية الى معاقبة ذلك المعتدي الذي عدوا جريمته إهانة لهم كلهم أي إهانة
لاهل البلد لانه أساء الى المئات من فضلائهم بالتعدي على الضيف الذي يحدقون به
تعظيما له وتكريما ، وقد سمعت من الناس وعنهم ماجزمت به وأيقنت بأن الاستياء
العام كان شديدا وأن بعض أهل الجرأة جهروا الزعماء عصابة ذلك الشقي وله بسوء
هذا العمل وحققت الناس لهم لاجله وحدثني بعض الكبراء والمتوسطين ان أولئك الزعماء
أقسموا جهد أيامهم بأن هذا الامر لم يكن بايعاز منهم وانهم وبخوا الشقي الفاعل
وكادوا يطلقون عليه الرصاص !! ولكنهم مع هذا يهددون من دعتهم الحكومة
للشهادة ليكتبوها او يحرفوها ويخفون الشقي عن عين الحكومة ويطلبون المصالحة
قبل القبض عليه !!

هذا هو السبب في سكوت جمهور اهل طرابلس وإغضائهم على القدي ولو
رثقوا بحكومتهم وأمنوا بهوتها شر تلك العصابة لظهروا سخطهم لها وللناس قولا
وكتابة فهم ممدورون في سكوتهم . على ان فيهم من تحمس ليذهب بوفد الى
الولاية ليخاطبوا الوالي في الامر فلم أرض بذلك ، ومن شجعانهم من تمنى لو كان
حاضرا لينتقم من المعتدي عند الاعتداء .

أقول هذا جوابا لأولئك الفضلاء الاخيار الذين كتبوا الينا من بيروت ولبنان
والشام ومصر يقولون اترك « فيحاء الاشقياء » تنعي من بني اول حجر فيها وارحل
اينا حيث تلني من الكرامة كيت وكيت ، ويقولون لو كنا معك لعلمنا أهل طرابلس
كيف يوجد من عارفي قدرك من يفديك بدمه ،

وكتب اليّ صديقي رفيق بك العظم ينصح لي بأن أقضي بقية إجازتي في بيروت ودمشق وحمص وحماه . وقد تحمس أهل النجدة من بيروت واشتروا بينهم ليرسلوا وقد منهم يحضرنني من طرابلس وعصبة من الشجعان لينتقموا لي من المعتدين بالهوة اذا كانت الحكومة عاجزة عن ذلك أو متهاونة فيه وكتب اليّ أكثر من واحد يستشيرني أو يستأمرني بذلك وقد تطوع نحو خمسين رجلا من فدائية بيروت (الابضيات) بذلك فكتبت اليّ بعضهم إنه لا حاجة اليّ ذلك واني في طرابلس عزيز كريم

أراد ذلك الشقي أن يحط من قدري غلوا في الانتقام من إخوتي ، فكان عدوانه مزيدا في كرامتي ، وإهانة له ولعصبة الاشرار ، في القرى والامصار والاقطار ، بل إهانة لاهل بلده الاخيار منهم والفجار ، فقد طار البرق بالحادثة منذ تلك الليلة إلى بيروت ونشر الخبر في جرائدها فعلم به الناس في سوريا ولبنان ومصر فطفقوا يذمون طرابلس وأهلها قولا وكتابة وقد نقل ذلك اليها كثير من كان من أهلها في بيروت . وتلك سنة الله : رجل يهين أمة ورجل يشرف أمة ، كما اطروني برسائل البرق والهريد وتحذثوا بخدمتي الصغيرة للاسلام وللدولة والملة فكبروها تكبرا بمثل البرقية التي وردت الي من شيوخين من أشهر أهل العلم والادب في مصر ونصها «نهني» العلم والدين بنجاة ركنهما الركين » ومثل البرقية التي وردت من فاضلين من أشهر أهل بيروت علما وأدبا ونصها «الثناء لكم ولنا والمسلمين بسلامتكم التي تهمننا جميعا» وهناك برقيات كثيرة بهذا المعنى من بلاد كثيرة منها برقية بامضاء بضعة عشر رجلا وهم خيرة أهل بيروت ولا تسئل عن رسائل الهريد ، وما فيها من الاطراء والتنديد

وليست الرسائل الواردة بما ذكر كلها من المسلمين بل منها ما جاء من فضلاء النصارى فكانت الحماسة فيها أشد ولسان الاطراء والقدح أحد ، كرسالة صديقنا قولا افندي شحاده من رحله التي تمثل فيها بقول السيد المسيح عليه السلام الذي معناه انه لا يهان نبي الا في قومه وبلده ، ورسالة صديقنا رثيف افندي شدودي مزجونه الذي تمنى فيها كما تمنى كثير من اهل بيروت لو كان معي وقت الحادثة فيري أهل طرابلس

كيف يفديني بدمه (حماه الله) فأشكر لجميع أولئك المهتمين أريحتهم وفضلهم وأكرر لهم الاعتذار عن أهل طرابلس في المنار كما اعتذرت عنهم فيما كتبت إلى الكثير من المهتمين ، وأصرح لهم بأنهم لم يقصروا في الحفاوة بي بل بالنوا وأغرقوا حتى كنت أخجل مما أسمع من شيوخ العلم وكبار الوجاه ، من جمل الثناء والاطراء ، مثل : بيضت وجوهنا ببيض الله وجهك ، شرفت بعملك سوريا والعرب ، أحييت بخدمتك العلم والدين ، عملت للدولة كيت وكيت . حتى قال لي أحد العلماء ان هذا المجد الذي نلته لم ينله أحد من أهل طرابلس فيها . وقال لي أحد أدباء النصاري إن الناس يستقبلونكم أيها الأحرار كما يستقبلون الفاتحين ، لا كما يستقبلون الأعراء الغائبين . واني أشهد قراء المنار على نفسي بأنني لا أستحق هذا الثناء والاطراء ولا بعضه ، واتي ذكرت منه ما ذكرت وأنا في حجل شديد ولولا قصد تبرئة أهل وطني الذي ربيت فيه مما جناه عليهم ذلك الشقي المسكين لما ذكرت ما ذكرت من الإشارة إليه . وسأذكر في رسالة أخرى ما كان من اهتمام دولة الوالي بالحداثة وما كان من أثر ذلك

ومن آيات رضي أهل طرابلس عن هذا العاجز دعوة الكثيرين من أهل الرأي والمكانة منهم إياه لترشيح نفسه لمجلس المبعوثين وتصريحهم في الملاء بأنه أجدرهم بذلك . وليكتفي لم أترك ما عندي من اليقين بسجزي لحسن ظنهم بي ولذلك كنت اعتذر لكل داع بما أرى أنه يقبله مني

طلاب العلم الاستقلالي بطرابلس

وقد سرتني في طرابلس سرورا عظيما أن رأيت فيها فتح من طلاب العلوم الدينية يرغبون عن التقليد ويدمونه ، ويميلون إلى الاستقلال في العلم ويتحلون به ، ويعترفون بأن حياة الدين إنما تكون بالرجوع إلى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وترك ما عداها من الآراء الكثيرة ، رأيت هؤلاء وإذا كرتهم بعد أن كتبت ما هدم من المقابلة بين أهل طرابلس وأهل بيروت ولم أر مثلم من الطلاب في

بيروت ولكنتي أظن أنه يوجد فيهم من هم على هذه الشاكلة وربما كان عددهم أقل لأن الطلاب في طرابلس أكثر،

وقد رغبت من لقيت من هؤلاء الطلاب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة العصرية، فألفت آذانا واعية وقلوبا راغبة وأذهانا مستعدة، ولكن وسائل العلم غير متيسرة لهم الآن وربما لا يتيسر السعي له إلا بعد حين من الزمن. ولهذا لم أرجع بعد لقي هؤلاء النجباء عن رأيي في ترجيح استعداد مسلي بيروت للعمل على استعداد مسلي طرابلس وإن كان في الكلام عن هؤلاء الطلاب نوع من الاستدراك على ما تقدم

الجمعيات في طرابلس

الف اهل طرابلس ثلاث جمعيات غير فرع جمعية الاتحاد والترقي كما فصل أهن بيروت. الأولى جمعية الجامعة العثمانية ولها ناد يجتمع فيه أعضاؤها وهم الآن يفكرون في عمل مالي يكون لهم منه ربح يمكنهم من الخدمة النافعة للبلاد التي توثق بها عرى الجامعة العثمانية وما أظن أن ذلك ميسور لها الآن فقائدتها محصورة في اجتماع أعضائها في نادها فتقترح عليهم أن يطالعوا فيها الكتب النافعة التي تغذي العقول وترقي الأفكار والآداب ككتب التربية والأخلاق والمجلات العلمية، وإن يترنوا فيه على الخطابة في السياسة والآداب وشؤون الاجتماع وال عمران، وإن يكون لهم في كل شهر مناظرة في مسألة علمية أو سياسية أو اجتماعية، فبذلك تكون جمعيتهم نافعة منذ اليوم، فإن تيسر لهم بعد ذلك جلب المال وانفاقه على عمل من الاعمال، كانوا به أبصر، وعليه أقدر،

والثانية الجمعية العلمية ورأيت بعض أعضائها يتحدثون بجمل تعليم الفنون العربية والعلوم الشرعية بطريقة منتظمة في مدرسة كبيرة يخرج فيها المستعدون للتدريس والقضاء الشرعي والمحاماة. ويقول آخرون منهم إن إنشاء هذه المدرسة لا يكون إلا بمال كثير، وهو عسير علينا غير يسير، على أنهم لو وجهوا همتهم إلى جمع المال لتيسر لهم جمع مقدار يكفيهم لاستئجار دار يعلمون فيها، وأكثر الشيوخ لا يسألون على التعليم أجراً، والطلاب هم الذين يشترون الكتب لأنفسهم، وليس

من مقاصد الجمعية تعليم العلوم الطبيعية التي يتوقف تعليمها على الآلات والمعلمين بالأجور فتحتاج إلى المال الكثير ، ولكن أعضاء الجمعية مختلفون في الأمر وهو غير عظيم ، فبعضهم يشعر بهمة في نفسه تصغر له الكبير ، فبرميه الآخرون بالفرور والتفرير ، ولعلمهم يشجعون في التعليم بالطرق المستحدثة والكتب المختارة ولو في المساجد إلى ان يتسرحم وغيرهم من المسلمين تحويل معظم الأوقاف الخيرية للتربية والتعليم ، وعسى ان لا يكون ذلك بعيدا

واما الجمعية الثالثة فقد أطلق عليها اسم الجمعية الخيرية ، والذي يفهمه القراء من هذا الاسم انها جمعية تجمع الاموال لإعانة الفقراء والمعجزة ، ولكن الذي وصل إلينا من خبرها انها شركة مالية أسسها بعض الاغنياء لاجل استغلال أموالهم بالأعمال الكبيرة التي يرجى ربحها ، وسمعت كثيرين من أعضاء الجمعيات الأخرى يطلقون على مؤسسي هذه الجمعية أو الشركة لفظ « حزب التقهر » ويقولون ان أكثرهم من الذين عزلوا بعد إعلان الدستور لخياتهم وفسادهم في الحكومة الماضية أو استقالوا لعلمهم بأنهم لا بد ان يعزلوا ان لم يبادروا بالاستقالة . ويقولون انهم أعداء الدستور ويطعنون دائما بجمعية الأتحاد والترقي ويكابرون أنفسهم فيدعون انها لم تعمل عملا وقد ذكر لي اسم ثلاثة منهم لم أسمع من أحد منهم شيئا مما يحكونه عنهم ، ولكنني سمعت من شابين من حملة الأقلام كلاما صريحا وتهكما شديدا في ذلك ، وقيل لي ان هذين الشابين من أعضاء هذه الجمعية أو انصارها وربما كانا لسان الجمعية الناطق وقلها الكتب

وفي هذا المقام اشكو مما سمعت في طرابلس من طعن الناس بعضهم ببعض حتى في المحافل والأندية العامة ، وأرجوا ان يفتح الله لهم في أيام الدستور من الأعمال ، ما يشغلهم عما يضر ولا ينفع من الأقوال ،

العمران في طرابلس

رأيت داخل طرابلس على ما تركتها عليه منذ إحدى عشرة سنة كأنه لم يتبدل ولم يتحول فيها شيء ، حتى خيل لي ان ما رأيته في الدكاكين ومخازن التجار هو الذي تركته فيها بعينه ، وقلنا رأيت أحدا من أعرافهم اتقل من دكانه سواء كان

مالكا أم مستأجرا . واما ضواحي البلد فقد تجدد فيها دور وقصور كثيرة على عدم نمو الثروة الطبيعية . فالزراعة لا تزال على حالها وعليها مدار معيشة السواد الاعظم . والصناعة كذلك على حالها وليس في طرابلس منها ما يعد مصدرا لارتقاء ثروتها ولم تتصل بها سكك حديدية ترتقي بها تجارتها فأكثر الذين أثروا فيها هم من عمال الحكومة آكلة أموال الناس بالباطل

شعائر الدين

لعل أهل طرابلس أشد أهل سوريا محافظة على شعائر الدين من صلاة وصيام، وأبعدهم عن الجهر بالمعاصي، وحبك من هذا أن صاحب قهوة احضر في هذه الايام بعض النساء الراقصات ليروج بها قهوته فقامت قيامة أهل السلم من المسلمين عليه، وتعصب لهم الجمهور حتى ألزموا الحكومة بمنعه من ذلك

تسامح الدين الاسلامي

جاء في جريدة اللواء تحت هذا العنوان ما يأتي مع تصحيح قليل :

« نشرت جريدة (ريج) الروسية أن مخبرها الخصوصي في الاساتذة العلمية قابل سماحتو شيخ الاسلام وطرح عليه أربعة أسئلة طالبا الجواب عن كل منها وهي :

- ١ - ما رأي شيخ الاسلام في تطيم المرأة المسلمة
- ٢ - ما رأي شيخ الاسلام فيما نشرته الجرائد التركية من وجوب ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

٣ - بأي نظر ينظر شيخ الاسلام إلى المدارس الفنية العثمانية

٤ - ماذا يفهم شيخ الاسلام من الاقوال القائلة بالحرية في الدين ؟

أجاب سماحته عن السؤال الاول بقوله « ان القرآن الكريم يأمر الرجال والنساء جميعا (بالعلم) فيلزم كل فرد من أفرادها أن يتعلم القراءة والكتابة ولهذا السبب تقابل - بانسراح صدر - انتشار التعليم بكل أنواعه بين النساء وزيادة

على تحصيلين العلوم الابتدائية لاني أرى من الاوفق والاصوب أن تنولى الطيبة أمر معالجة المریضة المسلمة، لذلك يجب أن تؤخذ الفتيات الى المدارس الطيبة، وأما مسألة قيام النساء بوظيفة المحاماة والقضاء فأمرها لم يتم بعد في البلاد الاخرى ولا أدري بأي نظر ينظر الاهالي هذه المسألة في بلادنا »

وقال سماحته مجيباً عن السؤال الثاني :

« فهم القرآن واجب على المسلمين مطلقاً، لذلك لا نعارض فكرة ترجمة القرآن الى اللغة التركية بل نعد بذل كل مجهود في ابراز هذه الفكرة الشريفة الى حيز الوجود دينا عظيماً علينا ولكن حيث إن في القرآن كثيراً من المواضع يصعب فهمها على العامة واشترطت حلها كثرة العلم والتعلم لذلك نرى من الواجب أن تعهد وظيفة ترجمة القرآن الى أفاضل الفلاسفة المسلمين الذين لهم الملم تام بلغة القرآن وروح الاسلام وأدبيات العرب حتى لا يخشى من تغيير معانيه الجليلة »

وأجاب عن السؤال الثالث بما ترجمته :

« إنا معشر رجال الدين وظيفتنا النظر في شؤون المدارس الدينية وأما الفن فأمره ليس بأيدينا بل هو راجع الى الحكومة والاهالي لذلك نحن لا نتداخل في أمره وعلى الحكومة أن تنتخب لمدارسها من الفنون ما ينجم عنه رقي الاهالي وقوة الدولة وحضارة البلاد ولا نطالب من الحكومة تسليمها لنا ولا أن تكون مدارسها الابتدائية تحت نفوذنا

ولا يوجد في المدارس الفنية من الدروس الدينية غير حصة واحدة وأكرر القول بأن الفن والصناعة ليسا من عمل رجال الدين بل من عمل الحكومة ولكنها ليسا بمخالفين للدين ولهذا السبب نسلم أمر هذه المسألة تماماً الى الحكومة »

وقال مجيباً عن السؤال الرابع :

« نحن على جانب عظيم من الحرية الدينية ولكن لا نتداخل في أمور ديانة الامم وخصائصها ووجدانها في أي حال واذا تداخلنا فإما يكون ذلك باللسان فقط . ويأمر الدين الحنيف كل مسلم متزوج بزوجة مسيحية ان يرسل زوجته مرتين في الاسبوع لزيارة أقرانها ولم يأمر نبينا الكريم الناس بما لا طاقة لهم به حتى أت

تركيا لم تضغط ولا في الازمنة التي كانت لها فيها قوة كبرى على رعاياها المسيحيين في أمورهم الدينية فينبغي أن ينفذ حكم الحرية التامة في أمور الديانات ليأمن كل على معتقده ودياته »

شأن المرتدين عن الاسلام

وهنا قطع المخبر كلام سماحته سائلا رأيه في المتقلين من الاسلام إلى المسيحية فأجاب قائلا « افرضوا أن فرقة عسكرية فرت من بين صفوف المقاتلين لاشك انكم تعتبرونها خائنة شر خيانة وحينئذ تحكمون عليها بأشد العقاب ونحن كذلك أمة واحدة ندوب أسفا على كل خارج من صفنا ونستاء منه استياء شديدا وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبينة على أساس أن كل الناس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومة أن تعاقب الخارجين من الدين أو تضغط عليهم بالتهوانين والتضييق كما لا يحكم على الخارجين عن الدين الا بالحكم المعنوي ولا يمكن اجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية واذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا يمننا مانع عن اظهار كراهتنا له ونفورنا منه

زواج المسلم بالمسيحية (١)

وسأل المخبر سماحته أيضا قائلا « ان الاسلام يصرح لمتحليه بزواج الفتاة المسيحية

(١) المنار : كتبنا منذ ست سنين تعليقا على كلام الاستاذ الامام بشأن زواج المسلم بالمسيحية في كتاب الاسلام والنصرانية هذا نصه :

« يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية ليعلم البشر التألف والتعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتابي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لانهم أقوى منهم فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره بيفضها ويفض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة ، أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم »

فأي شيخ الاسلام موافق لرأينا في روح المعنى وان خالفه في الاسلوب

(المنار ١١م ١٩١٩) مسلمو روسيا . علماء الدين والحرية الدينية . جريدة النظام ٧١٩

ولماذا يمنع الفتاة المسلمة من الزواج بالمسيحي ! فأجاب بقوله « تعرفون أن نفوذ الزوج فوق نفوذ الزوجة في المنزل وهي تابعة له ونحن معشر المسلمين نعد كلام اليهود والنصارى من أهل الكتاب ونؤمن بكتبهم ونصدق برسالتهم ولهذا السبب الصراح تقدر على الإقامة مع اليهودية أو النصرانية بلا أدنى تعد على عقيدتها ولا تعرض لامورها الدينية وأما اليهود والنصارى فليسوا بمؤمنين بالقرآن ولا بمصدقين بنبينا الكريم بل يعدونها كذبا محضا لذلك حرم على المسلمين إن يضعوا قديتهم تحت نفوذ قوم هذه حالهم مما يحرمه ديننا الحنيف »

مسلمو روسيا

ثم عرج سماحته بالكلام نحو مسلمي روسيا فقال « اني ما زلت أنصح لمسلمي روسيا بأن يكونوا مطيعين ومخلصين لوطنهم بيد أنه يجب عليهم أن يعضوا بالتواجد على حقوقهم الدينية وعلاقاتهم الجنسية »

العلماء الروحيون والحرية الدينية

ثم فتح باب الكلام أيضا بشأن الحرية الدينية اذ قال « اني في جانب من يقول بالحرية التامة نحو الدين وأعتقد أن جميع العلماء الروحيين إذا اعتقدوا أن جميع البشر اخوان وانهم عبيد مستوون عند الله الواحد القهار زالت من بينهم المجادلات الدينية وطمست آثار المظالم والفتن »

ثم قال المخبر تعليقا على ما تقدم « فليفهم القراء علو منزلة رئيس علماء المسلمين وليحكموا على بقية رؤساء الاديان الاخرى » اهـ

(المنار) : إن قراء المنار يعرفون رأينا في هذه المواضيع وربما عدنا اليها في جزء قادم

﴿ جريدة النظام ﴾

جاءنا من ادارة جريدة النظام ما يأتي :

« يسرني ان انهي الى علمكم انني قد عوات بعون الله وحسن توفيقه على اصدار جريدة يومية سياسية اسمها (النظام) بالحجم المعتاد للجرائد الكبرى ، سيكون شعارها

الدفاع عن مصالح مصر بالاخلاص والصدق اللذين اعتادهما القراء منا في الخمسة عشر عاما التي مضت من خدمتنا الصحافية . فاذا تفضلتم بالاشارة لذلك في صحيفتكم القراء بشكل يجذب الانظار فانكم تعجزونني عن النهوض بواجب الشكر لكم . واذا اردتم تلك الاشارة برجاء ممن يريدون مراسلة الجريدة أو التوكيل عنها في الجهات أن يخاطبونا منذ الآن في ذلك بحيث لا تتعدى طلباتهم منتصف شهر نوفمبر فانكم يعملون الفضل فضلين والشكر لكم عليه شكرين والسلام»

محمد مسعود

صاحب جريدة النظام بمصر

و (المنار) يرحب بالنظام ويرجوه نجاحا وفلاحا ، وتوفيقا للسير على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، وان في خبر صاحبه لمزاوته الكتابية بضع عشرة سنة ، وتفنه الصحافي ، وذوقه الادبي ، ما يرجى معه رواج النظام ، ورغبة محيية فيه

(الجزائر) - وجاءنا من عمر افندي راسم الجزائري انه عزم على إنشاء مجلة علمية أدبية تهذيبية « سماها الجزائر ولقد ضاق هذا الجزء عن التنويه بها بأكثر من هذا فدعوه بالتوفيق والنجاح

﴿ تصحيح ﴾

سقط السطر الاخير من (ص ٥٦٨ ج ٨ - ١١) وهو: «ثلاثون رجلا . اي صدقكم الله وعده ونصركم على قتلهم وكثرة المشركين واستمر هذا» فيكتب بالقلم

﴿ بيان ﴾

اصدرت هذا الجزء من المنار عبر مصدر بالتفسير والفتاوى لان صاحب المجلة لا يزال في سياحته

بوتني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المعجزة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ - ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ ﴾

اعجاز القرآن

« قطعة للجاحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة
وذهبوا مذاهب مختلفة في تبين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي
وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه (اعجاز القرآن) الذي
جمعه خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس
المنشئين سلك سبيلاً أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فانه لم يتعرض
الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومسالك النظم
والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتبار كونه ثابتا واقما واليك كلامه :

بث الله محمدا عليه الصلاة والسلام في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا وخطيبا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها وادناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي بمنهم من الأقرار المهوى والحمة دون الجهل والخيرة، نصب لهم الحرب ونصوبه، وقتل من عليتهم واعمامهم وبنو اعمامهم، وهو في ذلك محتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباح مساء إلى معارضته — ان كان كاذبا بسورة واحدة أو آيات بسيرة، فكلمها أراد محمداً يا لهم بها وقرىبا لهم بمجرهم عنها قالوا له انت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا.

قال فها تاولو مقتريات، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته، لأن سورة واحدة وآية بسيرة كانت انقض لقوله، وبلغ في تكذيبه، واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والنبيل بطبقات، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع واللفظ المشور، ثم يتحدى به أقصاهم، بعد ان ظهر به عجز أدانهم، فمحال — أرشدك الله — ان يجتمع هؤلاء، كلهم في الأمر الظاهر، والخطاب المكشوف الين، مع التفرع بالتقصير والتوقيف — على المعجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد أعمالهم، وقد احتاجوا إليه والحاجة تبت على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة، كما انه محال ان يطيقه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه، ويجدون السبيل وهم يندلون أكثر منه.

تتمت الخطبة الاولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

تابع لما نشر في (س ٦٤١ ج ٩ م ١١)

الاسلام هو الذي هدى المسلمين الى العلم ، وكانت عنايتهم بالعلوم تنمو بنمو سلطانهم وقوة شوكتهم ، ثم دالت دولة العلم ، ودولة السيادة والحكم ، وضمف الدين مع ضعف العلوم العقلية ، وقام الاستبداد يحارب العلم ويضطهده ، فان الحاكم المستبد يرى من مصلحته ان تكون الامة جاهلة ذليلة ، اذ الاستبداد في الامة العالة بمحقوقها أمر عسير غير يسير . قال حكيمنا السيد جمال الدين : العاقل لا يظلم ولا سباً إذا كان امة . فهذا سبب ما كنتم تقاسون من محاربة الحكومة التي سقطت منذ عهد قريب للعلم ، واضطهادها للمتهمين به وهو عندها أشد الجرائم !!!

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم لا يجارون أحدا من الامم في العلوم والفنون ، وقد ذاقوا مرارة ذلك ورأوا سوء عاقبته في أنفسهم ودولتهم ، فصاروا يفتنون من كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، كما قال الله تعالى في المناقبين : تنقص بلادهم من اطرافها وتسقط في أيدي الاجانب ولاية بعد ولاية بل مملكة بعد مملكة وهم لا يهتدون الى سبب ذلك ولا الى طريق تلافيه ، بل يعتمدون ويتكلمون على ما لا يتكلم عليه من كرامات الاولياء ومدد الاموات ؛ ولم يجعل الله ذلك سببا للنصر بل أمر باعداد ما يستطاع من القوة ، حتى في زمن النبي المؤيد بالآيات الإلهية ،

اذ كر لكم من الشواهد على ذلك ما يؤثر عن أهل بخارى : فانهم أندروا هجمة روسيا عليهم فلم يعدوا لها ما يستطيعون من قوة ، بل هزئوا بذلك وسخروا ، وقالوا ان بلادنا في حماية شاه نقشبند ، (هو الولي الذي تعزى اليه الطريقة النقشبندية) فلما

(المترج ١٠م) (٩٣) (المجلد الحادي عشر)

زحف عليهم جيش الروس لم يملكو من نجدة هذا الولي لهم شيئاً ، بل انقلبوا على أعقابهم خاسرين ، وخسروا استقلالهم وما كانوا معتبرين
 فيا أيها الناس تأملوا وتدبروا : إذا تركت الأمة أن تعدّ لأعدائها ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى وكما تقتضي طبيعة الاجتماع ، واتكلت في حياتها السياسية والاجتماعية على الاموات ألا تكون جديرة بالموت دون الحياة ؟ بلى وهذه هي حالنا في هذه القرون الاخيرة ، ولكن الله تعالى وعد بأن يظهر هذا الدين ، وان لا يندر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ولذلك سخر لنا من المجددين من يعلمنا كيف نحفظ شرف الاسلام ، ونكون أعزاء بين الانام :
 ظهر بين المسلمين أقوام تعلموا العلوم الاوربية وعرفوا أحوال العالم فرأوا ان جميع الامم تقوى والمسلمين يضعفون ، ودول النصرانية والوثنية تترقى وتعمز ، ودول الاسلام تتدلى وتذل ، وبحسب ذلك فرأوا ان المسلمين مؤلفون من كل جنس ، ومتبوئون لكل أرض ، فلا يمكن ان يكون سبب ضعفهم في كل قطر عدم استعداد جنسهم ، ولا شيء يرجع إلى طبيعة أرضهم ، ولم يروا سبباً مشتركاً بينهم لا يشاركون فيه غيرهم ، الا تقاليد دينهم ، فقالوا — كما قال بعض أساتذتهم من الافرنج — ان دين المسلمين هو سبب انحطاطهم ولا مطمع لهم في الارتقاء الا بتركه والاخذ بما عليه أوروبا ، وعلى هذا الرأي الفاسد كثير من نابتة الترك والهنود والمصريين والتونسيين

فهذا صنف واقف على طرف مقابل للطرف الذي عليه السواد الاعظم الذي يمقت العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية التي عليها مدار العمران ، والصنفان يتجادبان سائر المسلمين ، ذلك يدعوهم الى دنيا بغير دين ، وذلك يمسكهم ليقموا على ما هم عليه وما هم بياقين ،

بين هذين قامت طائفة معتدلة وقفت موقف الوسط بين الفريقين فالتفتت الى هؤلاء الذين يريدون ان يبقى المسلمون على ما هم عليه حرصاً على دينهم وقالت لهم ان نيتكم صالحة ولكنكم تنكبتم الطريق لتعليم الدين وحفظه حتى صار بين أمتكم وبين هذه الكتب الكلامية والفقهية مراحل كثيرة ، فلا هم يطلبونها ولا أتم

(المناج ١٠م ١١) السيد جمال الدين . الدعوة الى الاصلاح . الحاكم المستبد ٧٣٩

قادرون على حملهم على تعلمها والاخذ بما فيها ، فيجب أن تبحثوا معنا عن طريق آخر لتعليم الدين بسهولة تليق بفطرة الناس في أفرادهم وجمياتهم ، كما أخطأتم في ظنكم ان العلوم التي تبنى عليها الاعمال تنافي الدين فنفرتم المسلمين عما به قوام أمتهم ودولتهم

والتفتت الى أولئك الذين يريدون الدنيا بترك الدين فقالت لهم ان قصدكم الى تقوية الامة والدولة حسن ولكنكم تبنون من جهة وتهدمون من جهة فيقل نفكم فيما تبنون لعدم الثقة بكم ، ويعظم ضرركم بما تهدمون من أساس التقوى والفضيلة ، مع التقاليد والبدع القبيحة

هذه الطائفة هي التي تدعو الى حقيقة الاسلام الذي يجمع لاهله بين مصالح الدنيا والآخرة ومطالب الروح والجسد . وأول من دعا الى ذلك في بلادنا العربية السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى . طرق سمع كثير منكم اسم هذا الرجل الذي هز الآفاق هذا ، ولكن يوجد فيكم من لا يعرف شيئاً من أنبائه الصحيحة لكثرة خوض أهل الاهواء فيها ، وقد كان مخاطبكم من استقرأ أخباره ، وتبع آثاره ، وجمع كثيراً مما كتبه ، وقد علمت من ذلك انه دعا الى حقيقة الاسلام وإحياء القرآن في قلوب الناس ، ودعوتهم به الى ما يحبيهم ، ويجعلهم أمة عزيزة ، ذات دولة أو دول قوية ، ولكنه قد انفق أكثر أيام عمره في السياسة ، لما رأى ان الملوك يقاومون هذه الدعوة ، لأن البلاد التي تحكم بالاستبداد ، لا مقام فيها للاصلاح والاستقلال بالله عليكم كيف يرضى الحاكم المستبد بالدعوة الى هداية القرآن الذي يجعل

أمر المسلمين شوري بينهم ، وإنما استبداده عبارة عن جعل أمرهم بيده وحده ، وجعلهم عبيدا خاضعين له ؟ كيف يرضى بأن يكون شأنه في سياستهم كشأن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يبرم أمراً من الامور العامة الا بعد الشورى حتى انه كان يعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه ورأي بعض كبراء أصحابه كما فعل يوم أحد؟! (وذ كرنا ملخص الخبر فيها في الخطبة) ألا ان أولئك المستبدن يحاولون ان تكون رتبتهم فوق رتبة النبي عليه الصلاة والسلام وهم لا يصلحون ان يكونوا خدماً له ، بل يحاولون ان يكونوا آلهة تعبد ، يستخفون الامة ويستعبدونها بالفعل ، وان وجدوا مجال القول

ذاتة صرحوا بما يودعه الاستبداد في نفوسهم كما فعل الذي قال «أنا ربكم الأعلى»
لذلك أقول لكم عن خبرة و بصيرة ان الذي دعا السيد جمال الدين الى
الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده ان الدعوة لا تكون الا حيث تكون الحرية وحكومة
الشورى، ولهذا قام في مصر بتأسيس حزب له نفخ فيه روح حب الحكم الذاتي أو
النيابي، وكان من أعضاء حزبه توفيق باشا ولي العهد للإمارة المصرية يومئذ، وقد
عاهده على ان يجعل لمصر — اذ يصير الامر اليه — مجلسا نيابيا ويحول الحكومة
بذلك من النوع الاستبدادي المطلق الى النوع الشورى المقيد، ولكنه لم يك
يستقر على كرمي الامر حتى نفى السيد جمال الدين من مصر جبا في الاستبداد،
وتندأ بالاستعباد. ولكن السيد لم يمل ولم يأس، بل صبر ينتهز الفرص، فجدته الايام
الى بلاد الفرس فاستأنف فيها العمل لا إنشاء حكومة الشورى ففناه الشاه من البلاد،
ولقي من البلاء في ذلك ما لم يلقه الا قليل من العباد، ثم قذفت به القادير الى
الاستانة فأحسن السلطان اليه، حتى طمع فيه، ولكنه ما عتم ان يثس منه، حتى مات
هناك غير راض ولا مرضي عنه، هكذا قضى حياته في التطويق في البلاد ولم يتخذ
له زوجة ولا جنح الى شيء من حظوظ الدنيا

كان للسيد مريدون كثيرون يردون ينبوع معارفه، ولكن لم يصدر أحد منهم
ريان من مشربه، ويثبت على مذهبه، الا الشيخ محمد عبده، فقد كان هذا الامام
الجليل تربي تربية دينية صحيحة الا ما كان من غلوه في العبادة، فقد مكث زمانا طويلا
لا يكلم أحدا، وزمانا أطول من ذلك الزمن لا ينظر الا الى الارض ولا يهتم بغير
إصلاح نفسه، الا ما كان من درس يقرؤه لآخوانه المجاورين في الازهر، ثم رجع
الى الاعتدال ولكن لم يفارقه الخشوع ورقة القلب، ولقد دخلت عليه مرة يته فرأيت
يطالع في السيرة النبوية ودموعه تجري على لحيته، خشوعا واعتبارا بما لقيه (ص) من
الاذى في سبيل ربه، وكان في كل سنة أو أكثر يعتر به تنبه عصبي من إطالة الفكر
في سوء حال المسلمين حتى هم في ليلة من ليالي رمضان أن يطيع هذا الوجدان فينزل
الى جوار الاز بكية حيث مجامع اللهو وينادي: أيها المسلمون ماذا رأيتم في دينكم من
الصيب حتى تركتموه؟ اخبروني لعلني أبين لكم خطأكم. وأرسل الي مرة يخبرني بأن

مرضا ألمّ به فمنعه النزول من عين شمس الى القاهرة ، فجتته فاذا هو في حجرة النوم
واذا بين يديه ثلاثة كتب مفتوحة ينظر فيها ، فقلت له ماهذه الكتب وما هذا المرض ؟
فقال هذه كتب من أصول الفقه أشغل نفسي بمباحثها وعباراتها المقدمة عن القرآن
فقد اطلت الفكر فيه وفي أحوال المسلمين فحصل لي التنبه العصبي الذي تعرف حتى
أثر في ظاهر جلدي فاذا أنا وضعت أصبعي على جبتي أتألم

اشتغل الاستاذ الامام بالسياسة زمنا مع السيد ثم وجد في أواخر عمره حرية في
مصر فترك السياسة واشتغل بالاصلاح الديني والاجتماعي ، واشتهر أمره بذلك حتى
عرفه الاقارب والاجانب . أليس من العجب ان يوجد في كتاب فرنسا من يشهد
بأن طريقة الاستاذ الامام هي الطريقة المثلى لإصلاح حال المسلمين ، ويوجد في
المسلمين انفسهم من يقول بضرر تعاليمه عن جهل وغباوة ، أو تقليد للمرجفين عن
بني وحسد ؟

نشرت جريدة الاهرام منذ شهرين مقالة مترجمة عن جريدة الطان الفرنسية
الشهيرة جاء فيها : ان المسلمين في تونس ثلاث طبقات (الاولى الجامدة) وهي التي
تحرص على بقاء المسلمين على ما هم عليه وتنفر من العلوم العصرية والمدنية الغربية
وأهلها هم الاكثرون (الثانية المارقة) وهي التي تنكر الدين ولا ترى ان تقف عند
حدوده في شيء وأهلها هم الاقلون وهم يخفون مذهبهم هذا الضعيف ولا يرجي منهم
خير لأمتهم (الثالثة المعتدلة) وهي التي تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع
المحافظة على دين الاسلام وهي التي يرجي منها الخير للبلاد التونسية وأهلها يتبعون
التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشرها بينهم مجلة المنار . وقد
كتب اكثر من واحد من الافرنج مثل هذا عن مسلمي مصر وهو ما كتبه لورد
كرومر في تقاريره وتاريخه لمصر

فهذه طريقتنا أيها الاخوان في الاصلاح . نريد ان نجتمع لأمتنا بين مصالح
الدنيا والآخرة ، وقد عرف هذا كتاب الافرنج واعترفوا بفائدته فلا ينبغي للمسلمين
انفسهم ان يجهلوه !

نحن في حاجة عظيمة إلى العلوم والفنون والصناعات العصرية التي تقوى بها

أمتنا وتميزها دولتنا . ولا يكون الخير في ذلك تاما لنا إلا اذا أقننا معه أصول ديننا وهي القرآن الحكيم والسنة السنية التي جرى عليها سلفنا الصالح ، ولا تنافي بين الأمرين ، فنحن اذا لم نجمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين لا تقوم لنا قائمة . فهذه الطريقة الإصلاحية التي دعانا اليها حكما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده هي التي يدعو اليها المنار ويناضل عنها ، وهو مستعد بمعونة الله تعالى للتوفيق بين العلوم الحقيقية وأصول المدنية الصحيحة وبين الكتاب والسنة ، ومن اشبهه عليه شيء في ذلك فليكتب اليه به يفصله له تفصيلاً

قد انتشرت دعوتنا هذه في جميع الاقطار حتى ان جماعة من علماء الترك أنشأوا مجلة إسلامية في الاستانة سموها « صراط مستقيم » فكتبوا إليّ يطلبون مجلدات المنار كلها ليستعينوا بها على خدمتهم هذه . فهم على علم بطريقتنا في الإصلاح على كون المنار كان ممنوعا عنهم وقلما يصل الى الاستانة جزء منه ، فدعوا جميع علماء المسلمين هنا وفي كل مكان الى هذه الطريقة بل ندعو اليها كل مسلم « وتعاونوا على البر والتقوى » وينبغي لسكل مسلم أن يكون له حظ من اصلاح حال أمته في دينها ودنياها ، فمنهم من يدعو ومنهم من يستجيب للداعي ومنهم من يساعده بحاله ، ومنهم من يساعده بحاله ، والسلام على من اتبع الهدى » ورجح العقل على الهوى ، اه ما كتبه ذلك الاديب من الخطبة مع تصحيح وتوضيح وزيادة فاتته

(استدواك) بعد النزول عن المنبر تذكرت ما كنت عازما عليه من التنويه بصدقنا عبد الرحمن افندي الكواكبي فذكرت فضله بمساعدة الإصلاح الديني والاجتماعي بكتابه (سجل جمعية أم القري) والاصلاح السياسي بكتابه (طبائع الاستبداد) رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه

الانقلاب العثماني (*)

﴿ وركيا الفتاة ﴾

٢

بروتوكل لندره ورفضه

سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك (اوت افندم) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم - والحق يقال - فئة عارفين بمصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافعها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لندره وليس للدولة العلية مندوب معهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارت (مارس) سنة ١٨٧٧ على (بروتوكل) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقدا الصلح مع الجبل الاسود ، والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لكون لسانهم سلافا ودينهم مسيحيا !! كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعود بها تحت مراقبة الدول وإشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان (ابريل)

سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجية الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون نتيجته اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا تقود في خزيتها . وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا في المجلس

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١) من رسالة محمد روجي افندي الخالدي العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

العالي لدى مذاكراته في لائحة مؤتمر الاستانة ، وكانت اكبر الصعوبات من
السيرة المالية ؛ وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكرية . فاعترض اكثر المبعوثين
على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحماسة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ،
وكان مبعوثو الارناووط المجاورة بلادهم للجبل الاسود أشدهم اعتراضا ، وقام
مبعوث الاكراد فقال ما ملخصه : تزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا
تصديق ذلك وأتم في هذه البهجة والالبسة الغالية والدور المفروشة بأحسن
الاثاث والرياش والعربات والخليل المطهمة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا
بؤس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! لما كنت في بلادي لم يكن علي إلا
البسة مرقعة بالية كبقية اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتم ترتدون أحسن
الالبسة وتتألق على صدوركم النياشين المجوهرة خجلت من نفسي فاشتريت الثوب
الذي ترونه علي من سوق الدالين !! وأنا مرهق ، لا من المخازن الكبيرة وأنا
موسر ، واذا كانت سلامة الوطن والمحافظة عليه تقضي علي بيعه فأنا أبيعه وأنا
مقبوط وأعود الى ثوبي المرقع .

ثم قال الرئيس في ختام المذاكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل
لملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية
عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم ابلي ومن الارمن . فنظم الباب العالي نشرة
مؤرخة في ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧ احتج فيها على بروتوكل لوندرة المنظم
بدون اطلاقه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على
ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة
باريس ، فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وأقرها وشكر الباب
العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس غورجاكوف في بطرسبرج بنشرة رفعها الى
الدول في ١٩ نيسان (ابريل) مضمونها : ان الباب العالي رفض اجراء الاصلاح
الموعود به فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مضطرة الى ايهاء واجباتها نحو
الاهالي المسيحيين !!!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

الاصلاحات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطا لحقها
وايزراء بشرفها وعبثا باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقمة على معاهدة باريس .
وصارت الفشرات (سيركولير) والمحمرات السياسية تنطير من عواصم أور باوالانذارات
(ميموراندم) والمذاكرات تنساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعا
بل اعلنت الحرب في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧

مناقشات مجلس المبعوثان وانفضاضه

بمآ المجلس بعد ذلك في لأئمة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذكر
في اللأئمة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة أعضاء يتخب نصفهم من المسلمين
والنصف الآخر من المسيحيين ، فاعترض بعض المبعوثين على هذا التخصيص الذي
هو داعية للتفريق ، وقالوا : إن القانون الاساسي أطلق على جميع الرعية اسم (عمانيين)
بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ، وان الاكثرية في مجالس الادارة تكون
من حق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدقردار (رئيس المحاسبة) والمكتوبجي
ونحوهم أعضاء دائمون في مجلس ادارة الولاية ، وطلبوا إخراج المفتين من بين الأعضاء
الدائمين لكونهم بمثابة الرؤساء الروحيين .

فقال الرئيس : ليس للمفتين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحيين ، ورغم انتشار
هذا الزعم الفاسد فالفتي ماهو الا مأمور القانون أي المحامي عن القانون والشريعة ،
وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحي على ابناء ملته ، وانما هو من
علماء الحقوق المعروفين عند الافرنج باسم (Jurisconsulte) واعترضوا أيضا على
تسمية (متصرف) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد
والاذلال والاستعباد ، فهو لا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المبعوثين
عن احوال معسكر الاناضول ونقصان التجهيزات العسكرية ، وعلى تعيين احد الخدمة
قائمقام وقد كان (شوبجي) اي حامل قصبة التدخين عند بعض الكبراء ، الى
غير ذلك .

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثا للتدبر بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فحاولوا اقتراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت إقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقرروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ما طلبته الحكومة منه وختم جلساته في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس : ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بان ترسلوا الينا مبعوثين او فر عقلا و اكثر وقوفا على ما تحتاج اليه البلاد !!!

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبدايتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير أن الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياستها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم نظرا الوصي إلى الصبي !!!

الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر (نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧) وبرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة ما دل على حياة الامة وقتوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الإدارة كانا سببا في انتصار الروس في أوروبا وآسيا ، وتجاوزهم نهر الطونة (الدانوب) وجبال البلقان ، وأخذ القرص ومحاصرة ارضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلغنا في الروم ايلي . وقد أظهر عثمان

باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروس وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم
وقدروهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الأعداء » ١٠ كانون الأول (ديسمبر)
سنة ١٨٧٧

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضفت قوتها وافرغت صناديق الحكومة
من الاموال ، لكثرة الإنفاق واقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ،
فقرر إعادة التثام مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوربا ، وعقد قرض
لوندرة ، وعقد الصلح مع روسيا ، فجرى انتخاب ثان بأمر (أوامر) مؤقتة لا كما
يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ٧ ذي الحجة سنة
١٢٩٤ و ١٣ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٧٧ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء
الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية
الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة
العلية السلطانية أدهم باشا الصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجالس
العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة
وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان
عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا
ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفريقان) الكرام وفريق
من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من
ناحية اليمين على صفين ، واطراف مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة
صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم
الرقم المشتمل على نطقه لسعيد باشا ماشكاتب المابين فتلاه على الحاضرين وهو :

د يا أيها الاعيان والمبعوثان

د اني اکتسبت المنونية بفتح المجلس العمومي وبشاهدة مبعوثي المسلة (الامة) - ثم ذکر الحرب مع روسيا والمحافظة على الملية أي التومية واللغات وحتى المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم الهوانين - وختمه بقوله:

د يا أيها المبعوثان

د ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وضمان منافع البلاد يتوقفان على مجاهرة ارباب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فاني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رئاسة حسن فهمي افندي (وهو اليوم باشا من النظار) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) وأوائل شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ وكثر الجدل بين المبعوثين وبين الحكومة - لابين الاعضاء المختلفين بالدين واللسان - وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة (فرسان الشرطة) في الولاية التي بعثت منها تنهب الاهالي ، والمحاكم ترتشي على إبطال الحق وإحقاق الباطل ، والضابطة تعذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذابح التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد المساكر ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

إلغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية « إن اعتزال أدهم باشا مدة للأعمال كان مراعاة لصحته هذا مع التسليم بنزاهته ودرايته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى ٠٠ » الخ . وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوما ، وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ و ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ صدر فرمان القاضي بإلغاء لقب (صدر أعظم) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرياسة إلى أحمد وفيتق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية (تبعة) الوكلاء أي النظر كما هي الحال في وزارات أوروبا ، فحضر (الباش وكيل) الأقم إلى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الأعظم تريد في الحقيقة باطنا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي أحكام القانون الأساسي ، ولذا استبدلت رئاسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسؤولية لا ترغب إلا في سلامة الدولة وترقيتها ، والوكلاء مستعدون للحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، ولكنهم يرجونه أن يقبل في بعض الأحيان وكلاء عن أعضائه لكثرة شواغلهم وحرصا على أوقاتهم !! »
فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

ان مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة إحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، تقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الأساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لأننا نحن الذين نمثل القانون الأساسي ونحافظ على أحكامه ، وأنتم الذين تحاولون نقضه وإبطاله . . . » فأحيلت المسألة على قوميسيون مخصوص ليدقق فيها في ٥ شباط (فبراير) وكانت الحرب أوشكت أن تضع أوزارها ، وعسا كر روسيا استولت على أدرنه ونجاوزتها ، وطلبت اوستريا (النمسا) أن تجتمع في فينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتقبح المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، والتوفيق بين أحكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبثت

انكلترا بأسطولها الى بحر مرمره في ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨

المجلس العالي

تداخلت دول اوربا في المسألة الشرقية بعد ان تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعدن الى المناقشات والمحاورات — على عاداتهن — في هذه المسألة واعتمد المايين على ما يئمنن من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحانيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الأستانة وهو الحاج احمد افندي كتبخدا الاسترجية (الككش) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج احمد افندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فمجلس المبعوثان يتنصل من كل تبعة تلقى عليه لامر وقع بغير علمه ، ولم يكن برأي من آرائه ، وكرر القول بأن المجلس يرفض كل تبعة في الحال الحاضرة .

تعطيل مجلس المبعوثان الى اجل غير مسمى

صمم السلطان الاعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وجنح لسياسة جده السلطان محمود خان في أعمال القهر والاستبداد ، مفضلا هذه السياسة اعتقادا منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسييرها الا بالقوة !! . وكان حضر المندوب الروسي الى الأستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان نخلو بطرسبرج من مثله ، واستبداد القيصر برعيته ، ففي ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية القاضية بتعطيل مجلسهم الى أجل غير مسمى !!!

استخفاف المبعوثين والاداة لتعطيل مجلس المبعوثان واسبابه

خرج المبعوثون يتعزرون بأذيالهم ، وأنذرت الضابطة المتطرفين منهم بالجسورين على التكلم وإيقاظ افكار الامة . وجوب المهاجرة من الأستانة !

فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية . ولم تعلق الامة أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان ، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات ! كأنها جل المحامل

يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجريز
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا تكبير

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل كبعوث القدس الذي كان - بجزائه - يثبت على بطاقة الزيارة (كارت فيزيت) انه مبعوث القدس ، ويقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لم في الاستانة ، والى سفراء الدول الاجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوروبا . ولما اجتمع بصديقه خليل غانم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنشي المقالات الرنانه في جريدة الدنيا وغيرها من جرائد باريس وذلك قبيل وفاتها - آخذة لكتابه في بطاقة الزيارة كلمة المبعوث السابق (Ex - Député) فحكا كلمة « سابق » لان صفة المبعوثية انما هي بارادة الامة وانتخابها ، فهي لا تزول عن صاحبها إلا بانتخاب آخر ، ومجلس المبعوثان لم يبلغ إلقاء وانما عطل الى اجل غير محدود ، فكان اجتماعه في كل سنة من قبيل الممكنات الجائزة عقلا ونظاما . ولكن اكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد عزلوا منها ، ولم يجسر احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ، ولم يذكرهم بها مذكرا ولا وعظهم واعظ !! ولا حيرت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السكوت والاستخذاء اسبابا كثيرة . منها ان الحرية امر تستحوذ عليه الامة بالغلبة والاستيلاء ، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا ، ولقد كانت الامة حينئذ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب ، لا دار الا وفيها أتم ، ولا اسرة الا وقد أصابها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البحران المالي ، ونزول قيمة المسكوكات (النقود) فكانت الاسرة تبعث خادمها الى السوق ليشتري القوت الضروري فيعود اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود ، فتطوي على الجوع وتفتت اكباد الوالدين

لبكاء اطفالهم . ثم ان الامة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات واقرى ، والعساكر المنظمة ، المدربة على الحرب ، المسلحة بالاسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الاستانة ولا سيما المسلمون فإنه لا يتصور قيامهم لطلب الحرية لأن جلهم — ان لم نقل كلهم — موظفون أو عاثنون في ظل الموظفين ، والعساكر المسلحون واقفون لهم ولاهل الولايات بالمرصاد ، وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها لطلب الحرية مما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن العساكر وحزب الاحرار العقلاء لا يرضون به ، لان قيام كل ملة على انفراد يقضي بتقسيم الممالك وتفريقها وضعفها ، وإثارة اضعاف العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المظلمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنائس والأديار بإيعاز الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين ، فكان سببا لايجاد المذابح والفظائع ومداخللة الاجانب

أما حزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخايل شريف باشا فإنه لم يكن في عهد مدحت باشا الا فئة قليلة من صفار الموظفين وضباط العساكر والمتعلمين في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنسي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكلز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكلز سعيد باشا ، انكلز كريم افندي ، انكلز علي بك والد أحمد رضا بك ، روح هذا الانقلاب ، أو الذين أصلهم من الأوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا المجري ، ونوري بك ابن المرعي دوشاتونيف الفرنسي ، وكثير غيرها ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوربيات وربوا أولادهم تربية أجنبية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدنية الأوربية وميلها اليها ، ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المعنوية الفكرية ، لانهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطروهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لا مريهم إطاعة يفرضها العقل والسياسة والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامدين من المسلمين لم

(التاريخ ١٠١٠) حادثة جراجان . استبدال الصدارة بمجلس الوكلاء ٧٥٣

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الاوربية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفا للدين والآداب الاسلامية ، وشتان ما بين المدنية الاوربية والدين المسيحي ،

سماوي افندي وحادثة جراجان

على ان بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا بزعامة علي سماوي أفندي ، وكان من طلاب العلم المعروفين بالصوفيات ، مطلعا على العلوم العربية والفنون الرياضية ، وواقفا على الافكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وفرالى باريس ولوندره ونشره الرسائل والمقالات ، وكان ينفق على نفسه فيها مما ينفحه به بعض رجال الاستانة ، ثم عاد اليها وصار من حزب مدحت باشا انصار القانون الاساسي ، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ، فاتفق مع صالح بك الارناؤط احد الضباط وجما فئمة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ، وهجموا على سراي جراجان لاجراج السلطان مراد منها ومبايعته ، واسترداد الحرية والقانون الاساسي ، ففاجأهم الصاكر بالسلاح فشتت شملهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رياسة صادق باشا لمجلس الوكلاء .

صدارة رشدي وصفوت وخير الدين التونسي

لبث احمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ، ثم وجهت الى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ، ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام ، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فاكسب فيها ثقة الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته ، وعين لها خير الدين باشا الجركسي الاصل والتونسي النشأة ، وهو مؤلف التاريخ العربي «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنسية ، ويجول في ممالك أوروبا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الافغاني وغيره ، وعين رئيسا لشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ وبقي في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال وبقي

(التاريخ ١٠) (٩٥) (المجلد الحادي عشر)

جلس بيته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الأستانة. فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بانسلاميزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان: المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمة والعباسيين ، وهو مخالف لحقيقة الاسلام ، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة — والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية ، ولكنه يخالف مسلك المستبدين بالأمر ، ويحول بينهم وبين مآربهم ، وهو اشد وطأة عليهم من القانون الاساسي وحزب تركيا الفتاة .

صدارة كجوك سعيد باشا واعماله

ثم عين لمسند الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير (كجوك سعيد) تمييزا له عن سمية ناظر الداخلية الكردي الاصل والمتوفى قبل بضع سنين . وكان سعيد باشا الصغير محررا في جريدة «حوادث» فاتصل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته الماين وصار باشكاتب له ، وهو المنسب في إبعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الاساسي ، وإعلان الحرب ، وعزل القائد (السرदार) عبد الكريم باشا وإخلائه موقم (بيله) امام بلقنا ، ومداخلة الماين في إدارة جميع الشؤون العسكرية ، واصدار الامور من السراي السلطانية اثناء الحرب ، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستفانو التي تقعتها معاهدة برلين . الخ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب الماين وتوقيعه ، ولهذا كان مفوضا من حزب تركيا الفتاة لانه كان آلة وعونا على الاستبداد ، وعلى ادارة المصالح بدون رأي الباب العالي . مع أن باشكاتب الماين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة العظمى ، وكان الصدور لا ينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه لعرض المضابط والمقررات والانهآت واستصدار الارادات السنية بها ، ولم يكن للباشكاتب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في ادارة المملكة ، ولا سيما في أيام رشيد باشا وفؤاد باشا وعالي باشا ، فلما توفي عالي باشا وتولاها محمود نديم تدنت اهميتها بسبب نفاقه وتملقه للماين وتقديمه اموال الخزينة اليه بغير عد ولا حساب . ولما ولي سعيد باشا باشكاتبه زالت اهمية الصدارة بته ، وانحصرت

الاعمال والادارة في المايين ، وصار للباشكاتب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا الصدر الاعظم الى المايين ويبلغه الارادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين!!
تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالنزاهة والاستقامة ، فلم يسمع عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها ، ولهذا كان أقل الصدور ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكبين ، كثير البطش بهم والاستبداد فيهم ، ولكنه عادل في احكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست المدارس على النسق الجديد ، وصار للمعارف إيرادواف من واردات الحصة التي أضيفت الى الاعشار ، ونظمت نظارة العدلية وأصول المالية، وأسست إدارة الديون العمومية ، وبوشر في مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح الطرق والمعارف ، من دون ان يؤدي اعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور الاخير ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الا استبداده ومقاومته مشروع مدحت باشا وتوقيف أحكام القانون الاساسي وجميع ما صنعه وهو رئيس كتاب المايين ، لم يصد سعيد باشا كونه من رجال الكامريلا - لانه نشأ وتربى في المايين - ان يحاول الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها ورفع مكانتها ، وتمشية المصالح بالعدل على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك أعمال سعيد باشا موضعا للريبة ، وكثرت الوشائيات به فصار مبعوضا منفوراً منه ، ووضعت عليه العيون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب مراقبة دقيقة فأحدث قلم للترجمة في المايين وانجمن التفتيش (مجلس التفتيش) والمعاينة في نظارة المعارف لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها (١) على زعمهم وبحسب اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والاجنبية في الباب العالي . هذا ما عدا دوائر وشعب الخفية (الجواسيس) المتعددة المحدثه التي مركزها في المايين تحت نظارة السرخية (رئيس الجواسيس) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في الحقيقة والواقع فذهب باصلاحاته ادراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب احتلال البلغار للروم ايلي الشرقية ، واصراراه على ارسال العساكر كما تصرح بذلك معاهدة برلين .

صدارة كامل باشا الصدر الخالي

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الخالي بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص ومرباه في مصر ولهذا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الأجنبية وبإدارة الدولة ، لأنه تقلب في جميع وظائفها ، فن قاتمقام الى متصرف الى وال الى ناظر ، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقل شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آله في يد المايين ، مطيح لما ياتي عليه من الامور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ما أصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والريية في أعماله وشؤونه مما قضى بفصله

صدارة جواد باشا ونصف الدولة

لما ولي الصدارة جواد باشا قوبل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يخطر تعينه ببال ، لانه من أمراء العسكرية وهو صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية ، على انه كان من النابتة الجديدة ، وتخرج في المدارس العسكرية ، وربما كانت الغرض من تعينه هو الأيهاام بالعود الى الاصلاح واطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقى اليه !! ، كما كان رئيس الوزارة الالمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسؤول امام الريشستاغ ، فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال المايين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافمة ، وكانوا يتناولون الرشي من وراء ذلك بصورة فاحشة . واستولوا على الاوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بانتراع الممتلكات من أيدي أصحابها بالثمن البخنس ، وإقامة الموظفين فيها بعارضون بنفوذهم موظفي الحكومة ونفوذها ، حتى أصبح المايين حكومة صغيرة قوية !! داخل حكومة كبيرة ضعيفة ! لان مركز الحكومة نقل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية !!

الجاوسية في الدولة الطيبة

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تندهور بسرعة إلى دركات التأخر والأنحطاط، بعد أن خطت خطوات محمودة في سبيل التقدم أيام صدارة سيد باشا، واقطع أمل الأحرار العثمانيين وخاب رجاءهم بعد أن كانوا يؤملون تخليص الدولة والملكة من المرض الذي منبتا به قديما . فاضطهد هؤلاء الأحرار واهينوا وعوملوا أسوأ معاملة ، حتى ذاقوا أشد المذاب الوجعاني والأدبي، وصار أرباب الدناءة والفساد يتقربون إلى المايين بالتملق والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم ! ومنهم من تجسس على أمه وأخيه فنفيا من الأستانة ، فكانوا — بمقترياتهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الأعظم كالوحوش الضارية تريد اقتراسه ونزع تاجه ، ويزينون في عينه الاستبداد ، ويبعدون عنه الخبيرين بأمور الدولة العارفين بطرق الإصلاح ، زاعمين انهم من ذوي الأفكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة ، حتى اختل نظام المملكة ، وبطلت مراعاة الأحكام القانونية ، والسير في إدارة الدولة على الأصول والتقاليد المعروفة من القديم ، وفسد التعليم في المدارس ، وانحرفت إدارة الأمور الداخلية والخارجية عن محورها ، ومالت إلى التبذير والأنحطاط ، رغم الأبهة الظاهرة ، والعظمة الكاذبة ، ولا سيما في موكب صلاة الجمعة إذ تصطف المساكين في ساحة المسجد الحميدي امام باب السراي صفوفًا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا ، وتتسابق مركبات الكبراء والسفراء الأجانب ، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي وده المشيرون وكبار رجال المايين حاقون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ، ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الإيمانية ، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا ، وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم ياشين الجواهر تحطف الابصار . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والعسكرية (الحفانية) واليالية والشيخة الاسلامية وغيرها رجال معروفون يبعون الوظائف والرتب بأسعار معلومة ، ويتقسمونها هم وكبار الموظفين ، فمن اشترى وظيفة بمئة

أيرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضماف ما بذله بإرهاق الاهالي وظلمهم
أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليهما !!

الميل عن انكلترا الى ألمانيا والحوادث الارمنية

انحرفت سياسة الماين عن انكلترا الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير
الادارة المستبدة الظالمة ، واتجهت نحو ألمانيا التي لا ترى بأسا في ادارة الدولة بالقسر
الاستبدادي ، فجنح بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جميعتهم
السرية التي في لوندرة ، و اشار عليهم بعض رجال السياسة كغلاستون بالقيام والهيجان
حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذاب البغار هاجت الافكار العمومية في أوروبا ،
وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمنيا ، كما حدث في البلغار والجيل
الاسود والصرب . ويساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين
فقد جاء فيها ما معناه «تعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات
التي تقتضيها حال البلاد الداخلية في الولايات الآهله بالارمن ، وبمحمايتهم من الجراكسة
والاكراة ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في
هذا السبيل للدول المشرفة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية انقلابية ارمنية (١) لتحرير الارمن التابعين
لادولة العلية وروسيا والعجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها
اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الانقلابية والسياسية ،
وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الامة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير .
فأحس احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشاوروا ، وخبر بعضهم
كبراء الارمن وعقلاءهم وقالوا لهم ما حاصله :

لا محل لاصلاح ولايات ارمنيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، فالواجب
طلب الاصلاح للمملكة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة
الحاضرة ولكن الظلم والاستبداد يساهم وجيهين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تأسست جمعية هنجاق الارمنية ومعنى اسمها الجرس

والاترك وعموم المسلمين والمسيحيين ، فانهم جميعهم يثنون تحت اثقال التكليف وارتكاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك اكبر ، لقيامهم وخدمهم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقعدهم عن زرع الارض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد، وان اتفاق الارمن والترك على القيام بطلب الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يعد من الحمية والغبرة الوطنية ، ولكن قيام الارمن أو طائفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيبه لا تعده تركيا الفتاة إلا خيانة وجناية وضرا بمنافع الوطن المشتركة . على أن الارمن كانوا لدى تجنسهم بالجنسية العثمانية لا يزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين . وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الغنى والثروة والرفاه ، ويدهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق واتلاف تام مع الاترك حتى اذا أطلقت كلمة « ملت (١) صادقة » لا تنصرف إلا الى الارمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طاب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم إفهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوروبا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبد التهور في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا وجواد باشا الصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالاصلاحات في جميع ارجاء المملكة ، ولقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وسلوك سبيل الماطلة والإرجاء ، واوروبا — ولا سيما انكلترا — واقفة للدلة بالمرصاد ، تخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فن الحادثة الارمنية

(١) المنار : يراد بكلمة « ملت » عند الترك الأمة ، والملية هي القومية فكل ما يرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ما ذكر ، على اننا وضعنا عند معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيرا لها

٧٩٠ جمعية الأتحاد والترقي . مبادئها . أحمد رضا بك (المخرج ١٠م ١١)

الى المشكلة الكريديفة الى المسألة المقدونية وهلم جرا . . . ورجال الماين أكثرهم جهلاء
أغبياء ، لاخبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم
شياطين ابالسفة لا يتأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولو ادى ذلك الى
خراب الوطن وسقوط المملكة . فكانوا يخوفون السلطان من حزب تركيا الفتاة ومن
اقيام بالاصلاحات . ويشيرون بانخاذ التدابير السيئة حتى حدث ما حدث من
المذابح والفظائع التي نسبت الى الاسلام . والاسلام يبرأ الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لا آبي الحق ان وجبا
والمرء يعيه قود النفس مصحبة للخير وهو يقود المسكر اللجبا

تأسيس جمعية الأتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخلل في الادارة والاستبداد والفسف بالامة أن تأسست
في الاستانة جمعية الأتحاد والترقي لاخاد نار الفتى المشتعلة في البلاد، وطلب الحرية
والعدل لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامة — المؤلفة من
السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بنيت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤)
فريقا من الشبان الاحرار — أكثرهم من طلاب المدرسة الطيبة — الى
باريس ليؤسسوا فرعا للجمعية فيها ويقوموا بنشر الجرائد والرسائل . وكان في
باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العثمانيين ، بعضهم يدرس على نفقة
الحكومة العثمانية او نفقة الخاصة ، و بعضهم يدرس ويشغل بالمسائل السياسية وأشهرهم
احمد رضا بك صاحب اللائحة المشهورة .

احمد رضا بك ومبادئه . جمعية الأتحاد والترقي

ولد أحمد رضا بك في الاستانة منذ خمسين سنة تقريبا ووالده انكاز علي
بك وأمه مجرية ، وسمي انكاز لعله الانكليزية ووقفه على المدينة الاوربية كما
مر ياتيه ، والا فهو من الاتراك المسلمين وكان من معتبري الموظفين الذين نشأوا
في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فتخرج أحمد رضا بك في مدارس الاستانة

وعين مديرا للمدرسة الاعدادية في مدينة بروسه فأحس من نفسه بلزوم السفر الى أوروبا للاطلاع على علومها ومدنيتها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختلف الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية ، وتعرف الى علي شقبي بك الذي كان يصدر جريدة « استقبال » في ايطاليا ثم في فرنسا وهو من رجال السلطان مراد . وكان رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ؛ فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرر لأئحة مفصلة مشتملة على رسائل في إصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لأئحة مصطفى فاضل باشا ووصية فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرها من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أسباب الانحطاط وعلاؤه الفلسفية .

سلك احد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أو كوست كونت وخليفته بيير لافيت ، وصار إماما في هذه الطريقة المؤسسة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم الثنائي في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجموع ، وهم ينفرون من الانغماس في الشهوات وتبذير الاغنياء لان المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون التكير على الذين يتزور الاموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويعشون بالحقوق العمومية ، فالمرتكب الملوث بالرشوة يعدونه ساقطا مما بلغ علمه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الخلال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبداه ، ورفض قبول الالوف من الدنانير وهزى بالمناصب العالية التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الاذى والمكاره ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قائلا : لو وضعتم الشمس في يميني واقمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من اولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الديني » ود فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتعصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

والاحاديث النبوية مما دل على غزارة علمه . واما اللائحة التي مر ذكرها فهي رسالة باللغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح إدارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في ككل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصر على القسم الفرنسي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الأهلية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع موج في بيت صغير (Appartement) في الطبقة السادسة فقصد اليه الوفد وذا كروه في انضمامه اليهم ، فتردد في بادئ الامر وقال اذا عزمتم على شيء فاني لأرجع عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أم مختلفة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة اليزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أو ادارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ونفاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس سنتين أو أكثر في مدرسة طبية لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية ناطقة بمقاصد الجمعية

معاكسة المايين للأحرار في اوربا

أم باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العاظم والفراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والورقات ، وادبوا مادب وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرفت هم رجال المايين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترضاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب دُعط » كما ينقل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة وليلة . وكان العطاء حاتما

بل اكثر ، كان سلطاننا شاهانيا !! وصار طلاب الوظائف أو المعزولون يقصدون باريس فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم . ودخل في حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة ، والتونسيون حتى الاجانب من الطليان واليونان ، وأصبحت سفارة باريس مرجعا للجميع كأبأعظم دائرة من دوائر الباب العالي !! . واقدم الجرائد التي ابطلت جريدة المرصد العربية التي تعين صاحبها عضوا في شورى الدولة ، فحسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة قتله وذ كنه في سبيل الوصول الى ما وصل اليه . وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية والالبانية وغيرها ، منهم أصحاب صدق وقناعة ، ومنهم ذوو طمع وشعوذة . ورجال الدولة يتقربون باسترضائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يتقربون بجلب أهل الظلنة من الشيوخ وأصحاب الكرامات كالمرحومين الشيخ ابي السعود من القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان ، والشيخ السن من صيداء والشيخ العمري من طرابلس الشام ، وكذا المشايخ الذين كانوا في المايين وخاتمهم استاذنا الشيخ حسين الجسر مؤلف الرسالة الحميدية . فلو اطلمت على تراجم هؤلاء الشيوخ ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم لعرفت ارتقاء الفكر التدريجي الذي حدث من عهد السلطان محمود ، ولرايت للانقلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدية التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوروبا الا اىصال الشككية من سوء الادارة الى مسامع الحضرة السلطانية ، وافهام الدول الاوربية الموقعة على معاهدة برلين بأن لحزبهم السياسي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي ، فكادت أوروبا تعتد بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة « مشورت » يوم محاكته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيرامييه القاضي بالساح عنه . وبينا كان المايين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واعادة القانون الاساسي واذا بالمتكلمة الكرديدية ولدت الحرب بين الدولة العلية واليونان (نيسان - - مارس ١٨٩٧) وتم النصر فيها للمساكر العثمانية فأخذته العزة ودأب على سياسته الاستبدادية وقعدت همه الاكثريين

من حزب تركيا الفتاة فخصوا لاحكام الاستبداد جبراً وقهراً، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذاباً شديداً بسبب غلاء أوروبا وكثرة الأتق فيها مع قلة ذات يدهم وفراغهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من عليهم باللغة التركية أو العربية ومعاونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدهم بشيء ، الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم أمدوا بمضهم بالاموال وكانوا عوناً لهم . اما الجمعيات الارمنية والمقدونية الانتقالية فان أصحابهم وأغنياء أمتهم أعانواهم بالمال وأيدوهم بكل ما في طوقهم ، وقد علت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فأين هذا من جمعية الأتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان الميانيين لجمعياتهم هو موت النعمة الوطنية في نفوسهم وقد الحماسة القومية وكونهم لم يفقهوا معنى الاجتماع والتعاون .

غرور المايين واستئصال الاستبداد

أظهرت الحرب اليونانية العثمانية فتوة الامة العثمانية وحميتها وولائها من عوارض المرض أو الهرم كما يصفها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط الميانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد المساكر وكنهم عن النهب والعبث بالأداب وغير ذلك من الافعال الحمجية ما يخلد لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وبرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقناعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابتلاء بالمساكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوروبا

زاد غرور المايين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصوره ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لاعمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان الائتفات والاقبال والتقريب والنفوذ كان ينقل من الباشكاتب الى الكاتب

الثاني الى كاتب الشفرة (۱) الى (الشيخ) الى (العابد) الى (الملاحه) الى غني آغا الى لطفي آغا الى فهم باشا الجبار العاتي - أولئك الذين أقروا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب مذنب حيران ، حتى لم يعد لاحد ثقة بالحكومة ، وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أميون ويندر في كتاب المايين من يعرف اللغة الفرنسية بله غيرها من لغات أوروبا ، وهم في جهل مطبق بالسياسة . ولذلك كثر الخطأ السياسي وسوء الادارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

(لها بنية)

البلاد العربية والسكة الحجازية *

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أخصب البلاد أرضا وأجودها تربة وأعظمها خيرا اذا اعتني بها وتوفرت وسائل الامن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب بقاعا وأكثرها سكانا وأعظمها ثروة وخصبا ، ولهذا كانت تسمى قديما (العربية السعيدة) الا انها محاطة بصحاري رملية منخفضة شديدة الحر قليلة المياه ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحاري ورمال مع ان هذه الصحاري لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين إلى ستين ميلا يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال التراة وبلاد شحر وحضرموت وجبل صعدة وضما

(۱) المار : الشفرة في اللغة العربية هي المحاطبة بالارقام بطريقة لا يعرفها الا

المخاطبان وهي مأخوذة من كلمة (جفر) العربية

(* بقلم رفيع بك العظم المورخ المشهور

حيث الوديان الفسيحة المحصبة والسهول المكسوة بالحضرة والجبال ذات الينابيع
الغزيرة والأشجار الباسقة

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متوفرون على الزرع والتجارة بقدر ما يتسع
لهم المجال وتساعدهم الحال ومع هذا فان بلادهم مفتقرة الى إصلاح كثير
وعناية من الحكومة كبيرة، لتقد الوسائل الحديثة في تعميم الري واستنابت أنواع
الزرع وفقد الراحة والأمن في أيام الحكومة الماضية التي كانت كلها أيام خصام
ولتزام بن الحاكم والمحكوم له كادت تنفضي الى خراب البلاد

ولو صرفت الحكومة الآن وجهتها الى اصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران
الطبيعية ثمة لكان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم ببضعة عشر مليوناً من
الليرات ، وأهم أصول الاصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة
والأهلين هي :

(أولاً) إن مياه الامطار الغزيرة التي تنهمر في اليمن تكون مجاري وسيولا
لا تصل الى البحر بل تغور في الرمال ، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الارض
على عمق أربعة أو ثلاثة أمتار ، فإذا تبعت مظان هذه المخازن وحفرت فيها الآبار
ثم استكثرت من عمل الخياض والخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقيا
طامة في أكثر اطراف اليمن ونحوها تلك الصحارى القاحلة الى جنات ناضرة
حافلة بالزرع والضرع ، ويساعدها على ذلك ما منحها إياه الطبيعة من قوة الانبات
والخصب ، وهي تصلح لكل أنواع النبات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن
والقطن والنبيلة وأنواع البهارات وغيرها ، ويمكن ان تزدرع في السنة ثلاث مرات
ويستخرج منها ثلاث غلات ، والبلاد الجبلية صالحة لاستنابت جميع أنواع النبات
التي ينبت في البلاد المعتدلة ، ناهيك بقطر عظيم كاليمن اذا بلغ نظام الري
فيها ما بلغه في الهند ومعهم فانه يكثر بل اريب من اثنى البلاد العثمانية
باعتبار ما يزرع في بلادهم من ثمرات الحكومة والأهلين اذا أضيف الى ذلك ثمة

التي هي :

١- ان تقسم رئاسة اليمن الى ثلاث ولايات احداها صنعاء والثانية حيدر

والثالثة تعز، لكي يتسنى بهذا التقسيم ادارة شؤون اليمن ادارة منتظمة تشرف بها الحكومة على أمور الرعية والبلاد اشرفا حقيقيا يضم اليه اطراف البلاد المتناثية وينشرواية العدل والراحة والأمن على كل البلاد ، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي ستقوم بها خزانة الدولة فانه يعوض على الحكومة تلك النفقات اضعافا مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن الى أربع أو ثلاث ولايات كل العارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من اخواننا الأتراك ، فلا مندوحة للحكومة عن هذا التقسيم اذا عازمت عزما أكيدا على اصلاح البلاد اليمنية وهي عازمة على ذلك ان شاء الله

(ثالثا) إصلاح مرفأ الحديدية وجعله مرسى امينا للسفن ، ومد خط حديدي من الحديدية الى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدرج بقدر ما يمكن مالية الحكومة لان سهولة المواصلات ضروري لبلاد متباعدة الارحاء يراد اصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها ، ولا سيما وان بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الأرضية التي لا يتيسر استخراجها والعمل فيها الا بسهولة المواصلات ، ولقد عرفت اليمن قديما بغناها بمعدن الذهب و يظن بعضهم ان هذا المعدن النفيس فقد منها مع انه لم يزل موجودا بكثرة فيها ، ولقد رأيت بعيني رأسي قطعاً منه ممتزجة اجزاء ذهبها برمل متحجر كان استحضرها صديق لي من بعض اطراف اليمن لاجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسعى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجها فعاجلته المنون واصبح مطويا في التراب

ومما لا ريب فيه ان السكة الحديدية الحجازية اذا امكن ايصالها الى القطر اليمني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة وللدولة خاصة ، فانها متى باغت مكة ومد منها ناشط الى جدة سهل مدها الى الحديدية عن طريق القنفذة أو طريق آخر أقرب منها وهناك تتصل بخط الحديدية الذي يتصل بصنعاء ، وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وافصاها في الشمال والغرب . وتصل بين خط الاستانة والحجاز بخط برجيك المنوي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته ولا سيما بعد

ان صار البحر الاحمر مزدحما لعدة دول اجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية
ومجدد بنا أن نطلب من رجال حكومتنا النظر فيما تقدم من الامور ، وفي اصلاح
شؤون بلاد العرب والتوفر على عمرانها . وقد يرون ان الدول الاجنبية تبذل مزيد
الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الايدي التي تعمل فيها
وضف الامل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمرانها والانتفاع من
ثمراتها كستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فما أحرى الدولة العثمانية بأن
تنافس الدول بقطر عظيم فسبح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل
العمران اذا أعطي كل العناية والالتفات ونال حظا من الاصلاح عظيم ، ولاسيما في
عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة
العثمانية جماء ان شاء الله

أما السكة الحديدية الحجازية التي نتمنى أن تكون خير واسطة لعمران شبه
جزيرة العرب في مستقبل الايام اذا اتصلت باليمن فقد انتهى منها الآن قسم
عظيم وبلغت المدينة المنورة على ما كتبها الصلاة والسلام . وقد افتتح هذا الخط
باختقال عظيم في شهر اغسطس الماضي ، والادوات التي تلزم لاتمام الخط الى مكة
البالغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسون الف ليرة كلها معدة على ما نعلم ، وطول الخط من
دمشق الشام الى المدينة الف كيلومتر وثلاث مئة وكيومترات يضاف اليه الخط من
حيفا الى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومترا ، فيكون مجموع ماتم من الخط الى
الآن الف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستون كيلومترا بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين
ليرة عثمانية ، وكانت نفقة الكيلومتر الواحد ما عدا آلات السكة نحو الف ليرة
وثلاث مئة ليرة

وطول الخط من دمشق الى مكة ١٧٥١ كيلومترا وطوله الى جدة ١٨٣٥

كيلومترا

والخط يمر من الشام الى معان في سهول منبسطة وأراضي خصبة مبرثة فيها
اقربى الأهلة بالسكان ، الا ان حوران أكثر سكانا وعمرانا من معان وربما كانت
أراضي معان أخصب من أراضي حوران

(المار ج ١٠م ١١) السكة الحجازية . الاراضي التي تجازها . محطاتها ٧٦٩

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواء وأعلاها عن سطح البحر هي عمان فانها تعلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤ مترا وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شيء كثير ومنها الملعب (Amphithéâtre) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخارطة سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر (بلاطة) وهي أعجب وأبدع ما رؤي في اطلال عمان وخرائبها

وسكان معان و عمان أكثرهم من عرب البادية ويشغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى لمهاجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار الى الاعمال في الارض ونشر الاصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجملها بقاعا . وقد هم كثير من الناس باتباع الاراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان و عمان لحياء مواتها واستغلالها فأبت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل ان تضم تلك الاراضي الفسيحة الى الجفالك (المزارع) السلطانية أو يستأثر بها أفراد من المقربين ولم يكن شيء من ذلك الى الآن . فارجو ان توفى الحكومة الحاضرة لإطلاق يد الناس في استثمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين واذا مضت المدة ولم تصح الارض وتستثمر ساغ للحكومة استردادها . وفي يقيننا ان كثيرا من أغنياء البلاد السورية يتقدمون الى إصلاح تلك الاراضي وإحيائها متى انتظمت أمور السكة الحديدية وانصرفت همه الحكومة الى عمران تلك الجهات ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل (ورشة) لاصلاح القواطر ومخازن للسكة الحديدية ، ويلبها في العظم محطة تبوك والاراضي التي بعد عمان ومعان الى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار الا العلا فانها قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزوع فيها أنواع البقول والفاكهة والنخيل ونجود في أرضها فواكه البلاد الحارة كالنخيل والموز والليمون ، وأهلها بارعون في فن الزراعة لان أكثرهم يذهبون الى دمشق ويزاولون فن

الزراعة عملا في غوطتها ولا سيما في قرية جوبر المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة. ثم يعودون الى بلدتهم لاجل الاعمال في الارض . ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام يمنهم من التوسع في إنشاء الحدائق والاكثر من زرع أنواع الفواكه والبقول والأتجار بها واما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزراعة النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لاتفعوا بذلك كثيرا لان دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لان جوها لا يناسبها في الشتاء لشدة البرد والصقيع

هذا ومن الضروري ان يمدَّ ناشط من هذه السكة الحديدية من مهران الى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلو مترا أو من المدور وهو أقصر مسافة من ذلك لان هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جدا ريثما يصل الخط الى اليمن وكل من رأى خط السكة الحجازية لا يسعه الا شكر القائمين بالعمل فيه كسير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس إنشاء الخط الذي بذل من الهمة في انجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله وأنا لارجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز ان يساعد على اتمام هذا الخط ووصوله إلى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ليكون شكر الامة له مضاعفا جزاه الله وكل العاملين لأنجاز هذا الخط خير الجزاء

باب المراسلة والمناظرة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر واخبار الاحاديث والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الياضي (٥)

(الكلمة السادسة) — في التواتر

أهم ما يطمئن به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الآحاد للتعليم وللحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرائن أخرى قطعية، فهو هؤلاء الآحاد الذين كان يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها ان يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والنسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات تحقروا أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم إطاعتهم والأخذ منهم، وقبل أن يحقروا ذلك لأجب عليهم طاعتهم ولا الأخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعد تيقنهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنما هم مطيعون لله ولرسوله ولأولي الأمر، فإذا قالوا لهم ان الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول ووجب عليهم العمل به لا لانهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لانهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا اذا علموا بكذبهم وحينئذ يرفعون الأمر إلى رسول الله فيحكم بعزله عن تولي أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهو هؤلاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لأمر بسمعونه من أولياء أمورهم

(٥) تابع لما نشر في (ص ٨٦٦ ج ١١م) من مقالة الدكتور محمد توفيق افندي صديقي

بآذانهم يأخذون به ويسلمون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أولم
يقله فالعبدة فيه على روايته

فإن قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن وإلا فكيف
يوفق بأن هؤلاء اتقوا لا يبلغون عنه إلا ما يريدون؟ — قلت إن الرسول إن لم يعلم ذلك
بطريق الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن أصحابه البصيرين عنه
كأهو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والايان
وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم اخلاقهم وأمياهم
وأحوالهم وسبر غورهم فهو يكاد يجزم بصدقهم واخلاصهم كما يجزم أحدا — وإن كان
نظره أضف من نظر الرسول — يصدق صاحبوا اخلاصه بعد معاشرته له زمنا طويلا
في أحوال مختلفة . وإن بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجوز للخطأ أو النسيان عليهم
فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات مقطعة عن المسلمين بل كان بينهم
و بين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين
مرات عديدة في السنة للزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك وينهب إليهم
المسلمون لمثل هذه الأغراض فإذا حاد المبعوثون عن شيء مما تلقوه عن رسول
الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فيصح هذا الخطأ
أو يعزهم أو يعاقبهم . فبالوحي وبقوته الأكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا
طويلا وبأخبار الناهيين إليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ
عنه في تلك الجهات ومهيئا عليه فإن حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به
مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب إلا
قليلاً فينمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية
في مبدأ الدعوة حتى يم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستفيضا
متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع
معلمي المدارس وتلقيهم العلم عنهم وعملهم به فإن الأمة رقية عليهم فإن أخطأوا في
شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان ما يصل الى علم الأمة وأولياء أمورها فيتلافونه
في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا لان رواها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى يجب طاعتهم من هذه الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الأمر ولم يقيم رقبيا عليهم لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الخاتين عظيم

أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فالغرض من ذلك إلفات نظرهم إليه وتبنيهم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الإيمان لاجلها إلا بعد الثبوت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كاتمهيد للدعوة الحقيقية بوصول الدين اليهم متواترا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته

والخلاصة أن القرآن الشريف يذم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن ان الله سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان أمرهم بما يذم به غيرهم ويلومهم على اتباعه

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما بيناه في الكلمة الرابعة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الاخذ به في الدين فدلينا على ذلك مبني على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) — معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنة صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها وهي واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدق صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بما جاء في الحث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا كما لا يخفى على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» أي عليكم بطريقي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلانزاع في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لأصحابه فهي موضوع بحثنا وهي المقصودة في مقالاتنا الأخيرة تلك التي رواها الآحاد وافردوا بها ولو كانت واجبة الاتباع لعلها الناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم

وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن ديناً عاماً لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت اليهم لاحوال خاصة وظروف مخصوصة أو انها كانت للإرشاد والندب لالوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاماً بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ (السنة) ولفظ (الاحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيداً حتى لا يقع في الخلط والخطب . وقد أدرك الامام مالك هذا الفرق فكان - رضي الله عنه - يقدم عمل اهل المدينة على الاحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صحت أسانيدها وقدرت من ذلك مئات كثيرة

أما نسية الاحاديث مطلقاً بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالنا الى تقييد لفظ السنة بقولنا (العملية) فان السنة لا تكون الاعمالية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأ يجري عليه العمل دائماً فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلاً قد أكون متبعاً لسنة الاستاذ الامام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعاً سنته فان سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب لافي التزام كل قول من أقواله التزاماً أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية المحضه وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصلحة في زماننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعاً سنته صلى الله عليه وسلم فان سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الاخبار المتعددة المصادر المختلفة المبني المتحددة المغزى وكما جرى عليه عمل كبار المسابن وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما أوحى به اليه أو ما وافق الصواب والمصلحة من آرائه واجتهاداته وليست سنته في الجود والتقليد

(التارج ١١م١٠) السنة العملية حقيقتها . آراء الأئمة في أخبار الآحاد ٧٥

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كانت أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لآرائهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنته فان سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح العباد ونهري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خالف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته وبمسد مائة بعض أقوائه وبعض ما حكم به مراعاة للصحة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئا من ذلك كثيرا وقد وفيت هذا البحث في رسالتي طوييلة وقفنا الله لطبعها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الأمور تعلم من نصوص الكتاب العزيز وماتواتر بين المسلمين عنه قولاً وعملاً ومن مجموع ما روي عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة . فسنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين . وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الأمر باتباعه والاقداء به والجرى على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضا المراد مما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها العمل بلا اقتطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة الثامنة) — آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها

وكيفية معاملة الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل ما معناه : إن الأحاديث الواردة في تفسير

عبارات القرآن الشريف لا أصل لها . كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الاتقان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل

بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الأصوليين « إنها ظنية »

(٥) وقال جمهور المسلمين « إنه لا يجوز الاخذ بها في العقائد »

(٦) وقال كثير من الأئمة كلقاضي عياض « إنه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدينية المحضة ولو كانت موثوقا بها »

(٧) وقال جميع المحدثين « إن الموضوع منها كثير وتميزه عسير وفي بعض الأحوال مستحيل » راجع ما ذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس « إن الصحيح منها قليل جدا » حتى أنه لم يأخذ إلا بيضة عشر حديثا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه « إن عمل أهل المدينة مقدم عليها » وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن ناقضها كثير ومعرفة ناسخها من منسوخها عسير أو مستحيل وكذلك

أكثر أسباب قولها

(١٢) قام الدليل الحسي على أن الله لم يتكفل بحفظها من التحريف والتبديل

والزيادة والنقصان

(١٣) لم يجمعها الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يبلغوها إلى الأمم بانوار مع علمهم بأن اتباع الفتن غير جائز في الإسلام

إلا لضرورة

(١٥) أنهم نهوا عن كتابتها وأمروا بحرق ما كتبه منها كافي الروايات التي

صحت عندكم

(١٦) قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أفاضلهم أقل الناس حديثا ويصدقون عنه ولو كان واجبا لما كان

هذا حالهم

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجره كما فعل عمر

بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوه للجنون كما في كتبكم

(١٩) إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أحد إلا خالف في

مذهبه كثيرا منها

(٢٠) لم يعن المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فاذا كان هذا حال الاحاديث وما قاله المسلمون فيها وما عملوه بها فأبي فائدة منها ترجون؟ وأي ثقة بها تتقون؟ وأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدغته حتى أرمى بالكفر أو المروق؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يخل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم . فيجب علينا أن تقدر أخبار الآحاد قدرها ولا يهيننا الجهل والتعصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ الياضي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة . فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا في الصدور لم يسبق له مثيل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وباملائه على ما عرفوه إذ ذاك من أنواع القرطاس (كل ما يكتب عليه) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع سورته مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وانما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد (كالورق الآن) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فان الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتابا ما كان معروفا لهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو رقي في الصناعة التابع لرقبهم في المدينة بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا علموه من قبل لعلموا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثناث (راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقا في المنار) . ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدنيوية التي يمكنهم أن يصلوا اليها بقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الأمم الأخرى الراقية فلذا لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتابا كما أنه لم يوح اليه بتعليمهم أي

(المناج ١٠) (٩٨) (المجلد الحادي عشر)

صناعة أخرى بل تركوا شأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان
والخلاصة أن القرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول
وبأمره لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجازاة الترقى في الصناعة .
وقد ترقى صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت
الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي

وأما كتابة الاحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلمه الواسع
استاذ المئارج فلا حاجة للتكرار

(الكلمة التاسعة) - أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي -
إعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالاقناعي) وذلك ان محتج على الخصم بما هو مسلم
عنده كأن محتج على النصراني ببعض ما في الإنجيل الحالي وان كنت غير معتدله .
فأنا أورد الاحاديث غالباً لا لا ثبت معتدي نفسي بل لا تقع من لا يقع الا بها
ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين فما اذ كره من الاحاديث إما
لاقناع المسلمين وإلزامهم بها او الكثير من الادلة بضم ضعيفها الى قواها ليقوى بها مع
استعمال مبدأ الاستنتاج والتقدم فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ المصريين
فانهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعثرون عليه من الروايات ولو كانت
من الاساطير ويستنبطون منها ما لا يستنبطه الجاهل من الحقائق بعد ان يستنبروا في
دياجير ظلماتها بمصاييح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين
حكاياتهم شيئاً من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من
وسط الخرافات ويتثبتون من صحة ما التقطوه بالقيسة المنطقية والقضايا العقلية فاذا
أراد بعضهم ان يعرف مثلاً أصل الحجر الأسود عندنا عمد الى رواياتنا فيه وحكماء بمحك
القد والعقل فاذا سمع رواية « ان الله استودع الحجر ابا قيس حين اغرق الله
الارض زمن نوح عليه السلام وقل له اذا رأيت خليي يتي بيدي فأخرج به فإنتهي
ابراهيم لمحل الحجر نذري ابراهيم فإذ فخر عنه فجعله في البيت » استنتج
بها بعد ان يزبل قسورها واولعها بحميتها هذا الحجر وهو ان اصله قطعة من الحجر ابراهيم
فيه السلام من اجار جبل ابي قيس السوداء القريية من مكة عرضها في احد

أركان الكعبة علامة على الركن الذي يتبدأ منه بالطواف يعرف الطائف كم مرة طواف بالبيت وليتدئ الناس بالطواف من قطعة واحدة حفظاً للنظام وتسهيلاً للطائفين (١) وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيراً من حقائق تاريخ اليونان مثلاً مما يجدونه عندهم من الأشعار والحكايات القديمة كإلياذة (هو مير) فإذا كان هذا ما يفعله العلماء في الأساطير فهل يستنكر مني أن استشهد لهم بأحاديثهم الصحيحة المسلمة عندهم وهي التي يقولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أؤيد مقالتي بشيء من ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من القول ولو كان صحيحاً ما خلت أحاديثنا منه فاتها تكاد لا تقادر شيئاً (إني والله لفي حيرة من أمرهم ١١) على أن كثيراً مما أذكره في مقالتي مروى عن كثير من الصحابة بالأسانيد المسماة عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول بأنها جميعاً موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لأرواء غلظهم وإشباع نهمتهم في العلم فلا بد إذا من البحث والتقيب . ولو رفض المسلمون الآت ما ألزهم به من الأحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لها صحيحة أفما

(١) حاشية للكاتب - قبيل الحجر الأسود هو قبيل آثار رجال التاريخ العظيم احتراماً لهم واجلالاً لشأنهم وحبا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أودواة شكير وقلمه ان وجدت ولكل أمه آثار موروثه عن رجالهم العظام ويقبلونها وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بنائه الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الأمة العربية فلذا قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبعه المسلمون في ذلك إلى اليوم وإن لم يقل أحد منهم بوجود ذلك ولم يذكر هذا الحجر في القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئاً من هذه الآثار يضر أو ينفع فقد خرج عن عقله وكفر بالله ورسوله . ومن العجيب أن الأفرنج يسمون قبيلنا لهذا الحجر عبادة - مع أن التقييل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة - ولا يسمون سجودهم لصورهم وصلبانهم وقديسيهم وقديساتهم والخبزي في قربانهم - لا يسمون ذلك عبادة لهذه الأشياء مع أنه شتان ما بين السجود والتقييل فانظر وتعجب !!!

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التمييز عندهم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟
فاللهم اجعل العقل رائدنا . وأثر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبيلك
إمامنا وقدوتنا ولا تخزنا يوم يعشون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

المامة

﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾^{*}

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالنا الآنف الأمر الأول من الأمور التي تؤخذ على المؤلف وهو
« تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع . وتشبته بتحقيق
بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذمته
قط » ومثلنا للشق الأول من هذا الأمر وأدحضناه بما عرفه القراء . والآن نمثل
لثاني ونأتي على بقية الأمور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني — انه عند ما تكلم على دولة النبط في بطرا نقل عن التوراة وعن
كاهن مير الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا
عرباً وانهم آراميون اتوا من الشرق فأجلوا الأدميين عن بطرا واحتلوها ثم رفض
كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر
الأول من أسفار المكابيين وفي تاريخ يوسفوس من غير أن يذكر برهاناً واحداً
على تقضاها واستنبط هو بنفسه انهم عرب وذكر لذلك دليلين : الأول ان اليونان
حينما ذكروهم سموهم عرباً (ولعله يعني تقسيمهم جزيرة العرب إلى عرب بترية
في الشمال وسعيدة في الجنوب) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليلان

(*) تابع لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الأسكندري

يتضاء لان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين
 انعكاسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لاله . ونحن ننفي أولا هذين
 الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية
 اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البترية هي تسمية جغرافية
 كما اننا نسمي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسمي
 الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من البشارية والبيجة
 لا يعرفون العربية . على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني اتيفونوس وابنه
 ديمتريوس أنه وجد حولهم قبائل يظهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك
 ما نقله حضرة العلامة المفضل جبر ضومط عن يوسفوس (جزء ثالث . مجلد ٣٣
 مقتطف) على ان سفر المكابيين من التوراة سماهم نبطا وجعل العرب احلافهم
 حينما استعان بهم يهوذا المكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ما عثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان
 الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاة
 وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد
 من تاريخ يوسفوس . وكما اننا لا نسمي الامم الهندية انجليزا لان امبراطور الهند
 انجليزي كذلك لا نسمي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على
 ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصبغة الآرامية والعبرية مع اننا
 عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف
 واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو مما لم يبق عليه دليل وما كان
 أحوج المؤلف الى ذكره لو وجده

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن
 الآراميين الذين جاءوا مع بختنصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ما هو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعده ان النبط غير
 العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء

العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه كانوا كنبط السواد إذا سئل عن نسبه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لغتهم لغة خاصة بهم تخالف العربية وتنال حظا من الآرامية وحظا من العبرية وحظا من العربية . بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخية من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد ان النبط غير العرب وان الآله انتم من الادوميين وضربهم بغارة يختصر فدمر عليهم وأورث الأرض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وان النبط كانوا في بعض أدوارهم احرافا لليهودا المكابي وانهم استأجروا جيوشا من العرب يظهرونهم وهذا يدل على ان المستأجر غير الاجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفوس من ان النبط بقوا مستقلين عن العرب الى أيام الاسكندر مانيوس بن ارستو بولوس بن يوحنا هر كاتوس بن سيمان أخي يوناتان ويهوذا المكابي اليهودي فانه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وان كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك الى ان استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاترمير الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار ان سكان بطرا بعد الادوميين هم أم نازحة من العراق وبابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن يختصر اذ سكان بطرا قبل يختصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع انه من الثابت ان يختصر أباد الادوميين تحقيقا لوعيد حزقيال وأرميا النبيين من ان الله ينزل عليهم بلاء ويجعل جبال عيصو خرابا وميراثا لذئاب البرية وانه حارب العرب حتى كاد يقينهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها يختصر في بطرا ليكونوا حراسا وثقاة لتجارة بابل لان فتوحاته كانت كلها تجارية ثم امتزجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما يرى في لغتهم من الالفاظ العربية لا يربو على ما يوجد في العربية المضربة من الالفاظ العبرية

على ان المؤلف لما أحسن تضعف دليله عن تبريره تلك الحجة التي هاجها في

اكثر من خمس صفحات من كتابه مع يقنه ان المكتوب من آثارهم ليس عربيا
زعم بلا دليل ان لغة تخاطبهم غير لغة كتابهم ثم رجع وقال:

«على اننا لانظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة
العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الارقاء»
هذا مع علمنا ان النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد
واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا
تمام الاظهار ان هذه اللغة العربية الفصيحة باعراها واشتقاقها وكثرة اساليبها التي
لا تنهاى قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل
قبل هذا الوقت ولا سيما اذا علمنا ان اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم أبعد الناس
عن الانقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه
(٦) ان النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات

وبقوا متميزين عن العرب الى ما بعد الاسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون
نبط الشام من أكثر الوجوه بدليل أن ما وجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم
يدل على أنهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنوا لنبطي تشهد بذلك
فان كان نبط الشام خالطوا قضاة فنبط العراق خالطوا الحماو جدا ماو بكر او تغلب وعبادا
ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبهه بتحقيق بعض الظنون الخ انه عندما تكلم على دول
اليمين ذكر من بينها دولة زعم ان العرب لم تعرفها وهي أهل (معين) وقفى على أثر
ذلك بأن استظهر انها أمة قديمة جدا بتنديء أخبارها منذ أربعين قرنا قبل الميلاد
لعشورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسامري «ان زام سين حمل
على مغان وقهر ملكها معنيوم» واستنتج ان مغان هذه هي مغان طورسينا وأن الميم
في «معنيوم» للتوين وبالطبع يعتقد ان اللفظ حرف واختزل حتى صار (معينا)
وكذلك نقل عن سفر الاخبار «أن الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين
بجوار بعل وعلى المعونين» أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث
حدثت في برية الشام والامة يمانية

أيها المنكح الثريا سهيلا عرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماي
ولو كان الشبه بين لفظين يكفي ان يبنى عليه تاريخ أمتين لقد حق لنا ان نقول
على التاريخ العفاء

ثم اقتضب الكلام ورأى رأيا أخيرا أنهم من جالية الآراميين أنوامن العراق
في هذه العصور السحيقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الامر بأن المعينين لو كانوا
من العراق لكتبوا بالخط المساري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من
الفيثقي فلم يرحلوا لهذا المشكل سوى ادعائه بأنهم استبدلوا بالخط المساري الخط
الفيثقي لسهولة هذا الأخير في نظره !! ولكن كل هذه العراقة في القدم لم تمنعه من
وصفهم في موضع آخر أنهم كانوا معاصرين للسبثيين الذين لم يتديء دولتهم على
رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد ونقل عن اليونان في صفحة (١١٦) ان هذه
الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) ثم ينسب في موضع آخر بأن
القحطانيين السبثيين كانوا بعد المعينين أو أنهم ورثتهم أو أنهم حبشان أو أنهم
عمالة جاءوا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة
وارتباك يهون عليه معهما نبذ كل هذه التخريعات والاعتقاد بأن كل هذه الامم كانت
قبائل متجاورة في محاليف متقاربة أعظمها مأرب
الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في

عدة مواضع

منها ادعاؤه ان اسماء ملوك حمير لم يكن بينها اسماء عدنانية حتى قال في صفحة
(١٦٦) لم نجد لذلك أثرا في الآثار المنقوشة ثم نقل في صفحة (١٥٩) اثرا عظيما لا برهة
الجبشي وفيه يسمي ولاته من حمير واقبالهم يزيد وكشة ومرة وئامة وحنشا ومرند
كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبثيين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدهم ثم ذكر
في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قال دجبا مدينة الفاخر
وهي لآل الكرندي من بين ئامة آل حمير الاصغر مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر
من انها قبيلة تجارية

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئيين حبشان ثم ذكر في صفحة (١٣٦) ان المعينيين القادمين من العراق نقلوا معهم حضارة العراق ونظام حكومته وقسموا اليمن الى محافد وقصور وطمعوا في جيرانهم واخضعوهم وانشئوا الدولة المعينية والسبئية والحيرية

ومنها تناقضه في ان المعينيين لم تعرفهم العرب مع انه نقل في صفحة (١١١) عن الهمداني في كتاب الاكليل ان «محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف الرحب مقبلتان فمعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة» وروى ان مالك بن حريم الدلاني يقول فيها

ونحى الجوف ما دامت معين بأسفله مقابلة عرادا

وفيهما وفي براقش يقول فروة بين مسيك

أحل يجابر جدي عطيفا معين الملك من بين البنينا

وملكنا براقش دون أعلى وانعم اخوتي وبني ابينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث انهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث نقل عن ابن خلدون وحزرة الاصفهاني معرفتها لنبط الشام وان بطرا كانت تسمى بعد الاسلام الرقيم ولم فيها شعر هذا الى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه العجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسارته على وضع الاسماء والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كتقسيماته ادوار تاريخ العرب وكتسميته الامة التي سماها استرابون اليوناني جرهيين بالقريين نسبة الى قرية وهي اسم اليمامة قديما وهم الذين قال فيهم استرابون «انهم أغنى أهل الأرض ويكثرون من آنية الذهب والفضة ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة» فتي كان أهل اليمامة أغنى أهل الأرض ومتى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة؟! ليس كلام استرابون أشبه بالخرافات التي تقال عن مدينة شداد بن عاد (إرم ذات العماد) التي ييكت حضرة جرجي افندي زيدان جهلة مؤرخينا على ذكرهم (المناج ١٠م ١١) (٩٩) (المجلد الحادي عشر)

٧٨٦ ذهاب مؤلف تاريخ العرب وراء الظنون (المئارج ١٠م ١١)

ها! ولكنه لا ييكت استرابون بل لم يكتف بقوله حتى حرف لفظه (جرها) بلفظ (قرية) وجعل اهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسومها على المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف اوتياب القارئ في تهجينه اخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر برعش وأسد ذي كرب في آسيا وأفريقيا في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصديقه خرافات استرابون وهيريدوت مع انها لم يدخلها بلاد العرب ولم يراها . واقرأ ما نقله عن استرابون في صفحة (١٣٨) تتحقق صدق ماقول وهذا نصه :

« وذكرا استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريباني بابه فبعد ان أورد اشترك كل عائلة بالاموال والمتاع بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجالها سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فن دخل منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة بأرعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى ملتهم واحتالت على منهم بعصي اصطفتها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطفتها على مثلها فيتوهم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيء أحد يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبدل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم باب أخته عصا وليس من إخوته أحد غائبا فظن فيها سوء فشكاها إلى أبيها ولما اطع على عذرها برأها . هذه حكاية استرابون ولم نذكرها إلا لغرابتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » اهـ

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويعتذر بهذا العذر مع انه عند ما يقتضي المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدعجه ويجميل فيه ويحيل القارئ على الكتب الأخرى !!

الامر الخامس سوء التصير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقر بها إلى الصحة القرآن (٩) الامر السادس من الامور التي تؤخذ على المؤلف انه أغفل مدة حكم الفرس على اليمن بعد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم هم ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام الامر السابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في اكثر الحوادث حتي انه لا يرى المطلع على كتابه خيرا مبرهنا على صحته بدليل مقنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية الامر الثامن من الامور التي تؤخذ على المؤلف تخريبه الاعلام تخريجا غريبا قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن مرقس ١١ وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجيوس واسم صخر ترجمة بطرس ١١ الخ ما ذكر من التخريج الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد العيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكمال لله وحده

أثر علي بن ابي ربيعة

ترجمة الخنساء (*)

هي السيدة ثماضر الصحابية الشيرة الجليلة بنت عمرو بن الحرث بن الشريد من سراة سليم ، كانت رضي الله عنها من شواعر العرب المشهود لها بالتقدم ، وإنما لقبت الخنساء تشبيها لها بالظبية لان الخنس من صفات الظباء وهو تأخر

(*) خلاصة درس القاه على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي

الاستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء

الانف عن الوجه مع ارتفاع في الارنية ، ويقال لها خناس على سبيل التلميح ، وقد كانت من أجمل نساء العرب وأفصحهن ، نشأت عزيزة حرة لانتفات عشرينها عليها بأمر مربها دريد بن الصيرة فارس هوأزن وسيد نبي جشم وهي تنها بعبدا لها فأنخلع لبه على كبر سنه وأنصرف الى رحله وهو يقول :

حيوا ثَمَّاضِرَ واربعوا صحي وقفوا فانت وقوفكم حسي
أخناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تيل من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع القب (١)
متحسرا نضخ الهناء به نضخ العير بريطة العصب (٢)
فслиهم عني خناس إذا غص الجميع هناك ما خطبي

ثم غدا إلى أبيها فخطبها إليه فردته أحسن رد ثم طلب إلى أخيها معاوية ان يشفع له عندها فأبت بعد امتحانه وقالت : أترك أولاد عمي كعمالي الرياح وأنزوج شيخا من نبي جشم هامة (٣) اليوم أو الغد !! فألح عليها فقالت القصيدة التي مطلعها أتكرهني هبت على دريد وقد أصفحت سيد آل بدر

معاذ الله يرضعني جبركي قصير الشبر من جشم بن بكر (٤)

فهبها دريد فقيل لها الاتجيينه ؟ فقالت والله لا أجمع عليه أن أردده واهجوه

ومن هنا تعلم مقدار أدبها وحريتها وعزتها عند قومها

وقد كانت في أوائل أمرها تقول اليتين والثلاثة فلما قتل شقيقها معاوية يوم حورة الاول سنة ٦١٢م وقتل أخوها لايتها صخر يوم كلاب سنة ٦١٥م في خبرين طويلين ، أكثرت من الشعر واجادت وأنسيت بهما من كان قبلهما واكثرت المراثي ، وأجود مراثيها ماخط فيه مدح بتفجيع فانه يكاد يكون الغاية من كلام المخلوقين ، كقولها في معاوية :

(١) الهناء : القطران ، والقب : القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير

(٢) النضخ كسفع : الرش . والعير اخلاط من الطيب والريطة هي الملاءة

أو الثوب اللين الرقيق ، والعصب : ضرب من البرود (٣) الهامة طائر صغير يألف

القبور (٤) الجبركي : القصير الرجاين الطويل الظير . والشبر : الخبر والعطاء .

سأحل نفسي على حالة
 مهين النفوس وهون النفوس
 فإما عليها وأما لها
 فإت تك مرة أودت به
 س يوم الكربة أبقى لها
 فقد كان يكثر تقاطعها
 أنا الحرب يلبس سرابها
 فيوما تراه على هيكل
 ويوما تراه على لذة
 وعيش رضي فقد نالها
 وزلزلت الأرض زلزالها
 فخر الشوامخ من فقده
 وكقولها في صخر

ألا يا صخر ان أبكيت عيني
 دفعت بك الخطوب وأنت حي
 فقد أضحكنتي زما طويلا
 فمن ذا يدفع الخطب الجميلا
 رأيت بكاءك الحسن الجميلا
 إذا قبح البكاء على قتيل
 وقولها فيه

أعني جودا ولا نجمدا
 ألا تبكيان الجري الجميلا
 ألا تبكيان القبي السيدا
 طويل النجاد رفيع العما
 د ساد عشيرته امردا
 إذا القوم مدوا بأيديهم
 إلى المجد مد اليهم يدا
 من المجد ثم مضى مصعدا
 فقال الذي فوق أيديهم
 وان كان أصغرهم مولدا
 يحملهم القوم ما عالهم
 تآزر بالمجد ثم ارتدى
 وان ذكر المجد الفيته

وقولها:

يا أم عمرو ألا تبكين معولة
 فابكي ولا تسأمي نوحا (١) مسلبة
 على أخيك وقد أعلى به الناعي
 فقد فحمت بيموت تقيته
 على أخيك رفيع الهم والباع
 فس لنا ان رزئناه وفارقنا
 جم الخارج ضرار ونفعا
 قد كان سيدنا الداعي عشيرته
 بسيد من وراء القوم دفاع
 لا تبعدن فنعم السيد الداعي

(١) النوح جمع نائحة على غير قياس

وراثيتها المشهورة التي تقول فيها

كان لم يكونوا حتى يتقى
هم منعوا جارهم والنسا
بييض الصفاح وسمر الرماح
وخيل تكدس بالدارعين
جززنا نواصي فرسانها
فمن ظن ممن يلاقي الحروب
نعف ونعرف حق القرى
ونلبس في الحرب نسج الحديد

اذ الناس اذ ذلك من عزبزا
ء يحفز أحشاءها الموت حفزا
فبالبيض ضربا وبالسمروخزا
وتحت العجاجة يجمزن جمزا
وكانوا يظنون ان لن تجزا
بأن لن يصاب فقدظن عجزا
وتخذ الحمد مجدا وكنزأ
ونلبس في الامن خزا وقزا

وراثيتها السائرة مسير الامثال

اغر البلج تأتم الهداة به
جلد جميل الحيا كامل ورع
جمال الوية هباط أودية
لا يمنع القوم ان سالوه خلعتة

كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروم مسمار
شهاد اندية للجيش جرار
ولا يجاوزه بالليل مرار

وقد فاخرتها سلمى الكنانية وكذلك هند بنت عتبة في عكاظ فقخرتها

في حديث مشهور

رتبة الخنساء بين الشعراء

اجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قط قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها
وقد كان النايفة الذياني تضرب له قبة حمراء فيجلس لشعراء العرب بعكاظ على
كرسي فينشدونه ، فيفضل من يرى تفضييه ، فأنشده الخنساء فأعجب بشعرها وقال
لولا أن أبا بصير انشدني آنفا لفضلتك على شعراء الموسم . فأعناظ حسان بن ثابت
(رض) من تفضيل الاعشى على شعراء الموسم وقال للنايفة انا أشعر منك ومن
أيك ، فقال له النايفة يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء انشديه ، فأنشده فقال ما رأيت امرأة أشعر منك قالت ولا أفلا

قال حسان أنا والله أشعر منك ومن أيك حيث أقول
لنا الجففات الفر يلعبن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني الضقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا
فقلت الخنساء ضمنت افتخارك وانزرت في ثمانية مواضع، قال وكيف!! قالت قلت
لنا الجففات والجففات مادون المشر فقلت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر،
وقلت الفر والفررة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكانا أكثر، وقلت يلعبن
واللعب شي يأتي بعد الشيء، ولو قلت بشرقن لكان أكثر لأن الاشرار أكثر
من اللعنان، وقلت بالضحي ولو قلت بالدجى لكان أكثر في المدح، لأن الضيف
بالليل أكثر طروقا، وقلت أسيفنا والأسياف دون العشرة، ولو قلت سيوفنا لكان
أكثر، وقلت يقطرن فدللت على قلة القتل ولو قلت يسبن لكان أكثر لأن صباب
الدم، وقلت دما والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك!!
فسكت حسان ولم يجر جوابا وقام منكسرا مقطعا، وقد سئل جرير من أشعر
الناس؟ فقال انالولا الخنساء، قيل بم فضلتك؟ قال بقولها

ان الزمان وما يقنى له عجب ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس
ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه قبيل له او كذلك
الخنساء؟ قال تلك غلبت الفحول

الخنساء في صدر الاسلام

اتفقت كلمة الرواة على ان السيدة تناصر الخنساء رضي الله عنها كانت صحابية
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وقومها بنو سليم واسلمت معهم، بيد
انها لم تدع ما كانت عليه في الجاهلية من تسلبها (١) على ايها واخويها، وقد بلغ من
وجدتها على صخر انها عمت من البكاء، فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه اقبل
بها بنو عمها عليه وقالوا يا أمير المؤمنين لو نهيتمنا، فدخل عليها فوجدها على ما وصفت
من تهريج ما يقبها، فقال لها ما افرح ما في عينيك يا خنساء؟ قالت بكائي على السادات
(١) تسلبت المرأة لبست السلاب وهو الحداد والتسلب هو الإحداد على الميت

من مضر ، فقال حتى مني ؟ اتق الله ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام ،
وانه لو خلد احد خلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الذين تبكين هلكوا
في الجاهلية وهم اعضاء الاله وحشو جهنم ، فقالت ذلك أطول بعويلي عليهم ، ثم
استشدها فأشدها ارتجالا :

مضى جدنا اكناف غمرة (١) دونه من الغيث ديمات الربيع ووابله
وكنت اعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بمدك شاغله
فرق لها عمر وقال خلوا سبيل عجزكم فكل امرئ يبكي شجوه
وقد رآها مرة تطوف بالبيت محلوقة تبكي وتلطم خدها وقد عقلت نعل صخر
في خمارها فوعظها وقال انه لا يحل لك لطم وجهك ، ولا كشف رأسك ، فكفت
عن ذلك وقالت

هرיתי من دموعك واستفقي وصبرا ان اطقت ولن تطيقي
بماقة فان الصبر خير من النملين والرأس الحليق
ولا لامتها السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقالت لها ان الاسلام قد
هدم كل الذي تصنعين انشأت قول :

الا يا صخر لا انساك حتى أفارق مهجتي وبشق رمسي
يذكرني طلوع الشمس صخرًا واذا كره بكل منيب شمس
فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم قتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي
فقد ودعت يوم فراق صخر ابي حسان لذاتي وأنسي
فقات عائشة ما دعاك الى هذا الا صنائع منه جميلة ، فقالت نعم ان لشعاري
صبا ، وذلك ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال ، يقامر بالقداح ، فاتفق فيها ماله
حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرًا ، فأنبته
وشكرت اليه حالنا وقلته ذات اليد بنا فشاطرني ماله ، فانطلق زوجي قماره به فقبر
حتى لم يبق لنا شيء ، فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فعاد لي بمثل ذلك

(١) غمرة مكان والاكناف النواحي

فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة خلت بصخر امرأته فعذلته ، ثم قالت ان زوجي
مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء ، فان كان لا بد من صلتي فأعطيها أخس مالك فانما
هو متلف ، والخيار فيه والشرار سيان ، فانشأ يقول :

والله لا أمنعها خيارها وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت قددت خمارها واتخذت من شعر صدرها (١)

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه ، فلما هلك اتخذت هذا الصدر ، والله
لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حييت . وقد مكثت أكثر من أربعين سنة
وهي أحزن نساء العرب على قعيد ، غير أن الاسلام اجتث جاهليتها ووجهها الى
رضوان الله وابتغاء ثوابه ، يشهد لذلك ما كان من خطبتها في بنيتها الأربعة يوم
القادسية سنة ١٦ هـ وذلك انه لما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت
مع بنيتها الأربعة وحضرت الوقعة وأوصت أولادها من أول النهار فقالت : يا بني
انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل
واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت
حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل
في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله
عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) الآية فإذا أصبحتم غدا ان شاء
الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وباللغة على أعدائه مستنصرين ،
فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لظى سباقها ، وجلت نارها على
أرواقها ، فتميموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خميسها ، تظفروا بالمقنم
والكرامة ، في دار الخلود والمقامة . فقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين
فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم
في مستقر رحمته . ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أجرى عليها أرزاق

(١) الصدر ثوب بلاكين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن ويصح

أن يطلق على ما يسميه المصريون الصديري وانشاميون الصدريه

(المنارج ١٠) (١٠٠) (المجلد الحادي عشر)

أولادها الأربعة وكان لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضي الله عنه ، وكانت وفاة الخنساء زمن معاوية بالبادية سنة ٥٠ هجرية ٦٧٠ ميلادية

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِسَاءِ

حادثة صاحب المجلة بطرابلس الشام

(أقوال الصحف فيها)

لم تكن الرسائل البريدية والبرقية التي وردت على منشي هذه المجلة وهو في سياحته معلنة الأسف العظيم لوقوع حادثة الاعتداء بطرابلس — بأكثر مما ورد على إدارة المجلة من سائر أنحاء القطر المصري ومن الشرق والغرب وسوريا أيضا والاستانة وكلها تبدي الاستياء الشديد والتعريض والتنديد وتنهى صاحب هذه المجلة بسلامته مما كيد له وتعدت نجاته عناية من الله بالعلم والاسلام وانا كما بدأنا الشكر للكاتبين الأولين نعيد الثناء عليهم وعلى الآخريين وقد تناوت هذا الموضوع جرائد سوريا ومصر الكبرى باهتمام زائد وإلى القراء ما كتبته بهذا الشأن :

شاع أمس في الثغرانه بوصول الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشي المنار الأغر إلى طرابلس تصدى له بعضهم وضربه بعضا فجرحه في رأسه ثم ابتدره باطلاق الرصاص فخطأه فكان لهذا الخبر رنة أسف لدى الجميع ، وانا نبشر الكل بان الاستاذ في سلامة وعافية والحمد لله وهذا نص تلغراف تلقيناه في هذا الصباح من طرابلس بتفصيل الحادثة :

« وصل الاستاذ الرشيد مساء الجمعة فكان له استقبال حافل وعدد المستقبين يربو على الخمائة شخص ، أرسلت شعبة جمعية الأتحاد والترقي العثماني عربية

خصوصية لركوبه والموسيقى الوطنية فوصل البلدة بكل احتفاء تحفه الامل والاحباب إلى ان اقترب الجميع من سوق المطارين قصدي كامل المقدم الذي كان ضرب صالح وأدهم رضا سابقاً ووقف امام الاستاذ وابندره بضربة على رأسه بعصا فلم تصبه تماما فأراد أن يضربه ثانية فلقاها الشيخ محمد الرافي بيده وتمسك بالمصاحي أخذها من كامل فما كان منه إلا أن أشهر مسدسين وخطر كل من يقترب منه بالموت العاجل فاقرب منه رجل لم تؤثر به تلك التهديدات وأراد رده فاطلق عليه عيارا ناريا فلم يصبه وبعد ذلك فرّ

وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القرية فأخذ بعد ذلك لدار الشيخ محمد الرافي ولم يزل هناك

لم يهتم كما يجب من يدهم أمر الضبط، الكدر عمومي من جراء ذلك، الاستاذ لم يبد عليه أثر كدر بل تحمل ذلك بصبر كما هي عادته . لم يبق أحد من الوجوه إلا وقد هرع للسلام عليه . أمور الحكومة ليست هي على ما يرام وقد استغنى أكثر أفراد الضبطية ، التفصيل بالبوسة »

فهنيئ صدقنا الاستاذ بسلامته ونطلب من الحكومة بكل إلحاح التحري على المعتدي ومجازاته أشد المجازاة تكيلا له وارهابا لغيره (الأنجاد العثماني)

كتب إلينا من طرابلس أن حضرة العلامة السيد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار وافي الفيحاء مساء الجمعة الماضي على انه قبل وصوله إلى الدار المدة لتزوله هجم عليه أحد الاهالي وضربه بعصا على رأسه ونحا عن شدة ازدحام الناس الملاقين حوله . ثم اطلق عياره الناري في الهواء وأخذ يطوف في الاسواق كأنه لم يأت شيئا مذكورا

قول وهذه الحادثة السيئة غريبة في بابها ولا نظن الذي أقدم على هذا العمل الفظيع إلا مغري مدفوعا بيد أعلى فغسي أولياء الامور ان يبحثوا ليقفوا على الحقيقة لكي يقطعوا تلك اليد أو يقيدوها على الاقل (لسان الحال)

صرف حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية ١٢ سنة في القطر المصري بعيدا عن أهله ووطنه وأصاب أهله وذويه ما أصابهم من اضطهاد المتدين كما يذكر أكثر قراء هذه الجريدة التي وقفت وقتئذ في وجه الظالمين وقمة طويلة . ولما أعلن الدستور سافر السيد رشيد إلى طرابلس فمر ببيروت حيث قابل مقابلة شائقة جديرة به وبعد الإقامة في بيروت أيا ما سافر إلى طرابلس فوصل مساء الجمعة ٢٩ الماضي . فنزل لمقابته على ظهر الباخرة جمهور من مشايخ طرابلس وأعضاء جمعياتها وجمهور من أهالي القلمون . وكان في انتظاره على الرصيف خلق كثير ومعهم الموسيقى فاستقبلوه بكل اجلال وأعدت له في الترام عربة خاصة ركب معه خواص المحبين وهكذا سار موكب المقابلة بين عزف الموسيقى وإطلاق البارود إلى منزل فضيلة مضيفه الأستاذ الشيخ محمد الراهبي حيث توافد العلماء والوجهاء للسلام عليه . وحدث في أثناء الطريق ان شقيا من أشقياء طرابلس المشهورين هجم على السيد رشيد بعضا وضربه بها فأصابت شطر رأسه ولم تؤلمه

فهجم الجمهور على ذلك الشقي كامل المقدم فأخذ بإطلاق النار على الجمهور وفر هاربا وكان هذا العمل مدعاة للمغامرة بالسيد رشيد ووردت عليه تلغرافات التهينة من والي بيروت وجمعية الأتحاد والترقي والوجهاء والأعيان والعلماء . وزاره القومندان وأعرب عن أسفه وظهر ان الشقي مدفوع بأيدي اناس من الحساد ثم زار القومندان والضباط وأعضاء نادي جمعية الأتحاد والترقي السيد رشيدا وطلبوا منه ان يحضر الاجتماع الذي عقد في النادي ففعل وألقى خطابا جميلا كان له احسن وقع

وقد اهتم والي بيروت بالاعتداء على السيد رشيد اهتماما عظيما فأرسل وكلاء لتصرفية طرابلس وأمره بالقبض على الجاني فنحن اذا شكرنا أعيان طرابلس للحفاوة بعالم منهم هو فخر بلدهم بلا نزاع ولا جدال فاننا نأسف لوجود انذال في تلك المدينة يحرضون السفاحين على ارتكاب مثل هذه الجنايات وأملنا ان يعاقب والي بيروت ذلك الشقي والذي أغروه عقابا صارما شديدا يكون عبرة لسواهم (الأهرام)

اعتداء ذمير — ورد كتاب من طرابلس ينبيء بأن أحد الاشقياء المدعو كامل

المقدم هجم على حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنارينما كان جمهور عظيم يحتفل بقدمه وضر به بمصاعلي رأسه ولكن فضيلة الشيخ محمد كامل الرافعي تقي الصاقبل ان تصيب السيد رشيداً بسوء . فكان للحادث وقع كبير وازداد على أثره ميل الجمهور الى السيد رشيد وكتبت لجنة الاتحاد والترقي في بيروت الى لجنة سلايك تستشيرها في إعلان الاحكام العرفية في طرابلس بعدحادثة السجن وهذا الحادث الموجب للاسف . أما الجنائي فالهمة مبذولة للقبض عليه وعلى من يظهر التحقيق اشتراكهم معه ولقد طلب والي بيروت قوة عسكرية من دمشق لاستخدامها عند الضرورة في توطيد الامن (الجريدة)

اتانا من غير مكاتبنا في طرابلس الشام ان حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وصل اليها يوم الجمعة الماضي فاستقبله جمهور كبير من العلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي على ظهر الباخرة ووقفت الناس على المرفأ لرؤيته واعدت له الجمعية عربة خصوصية ركب فيها والموسيقى تصدح امامه حتى قرب من دار الشيخ محمد كامل الرافعي ففجأه هناك شقي اسمه كامل بن عبد الرحمن المقدم بضربة عصا على رأسه ولكنها لم تكد تصيبه حتى تلقاها عنه العلامة الرافعي ونزعها من يد ذلك الشقي . فشر هذا مسدسين وجعل يطلقهما على الجماهير التي حاولت صده ثم فر هارباً ولم يصب أحد بسوء والحمد لله . وظل حضرة الاستاذ مع ذلك ساكناً رابط الجأش كما ينتظر من امثاله من ذوي النفوس الكبيرة . وقد وردت الرسائل من أنحاء سورية تهنته واستنكار فعلة ذلك الشقي . وقد طير البرق خبر ماجرى الى دوة والي يبرت وجمعية الاتحاد والترقي فيها فأرسل دوة والي وكيلاً لتصرفية طرابلس وطلب قوة عسكرية من دمشق بعدما ظهر احتياج طرابلس الى زيادة عساكرها وأوصى دولته بالقبض على الجنائي الذي يقال انه فعل ما فعل باغراء واحد من اقاربه . ولا يزال العلماء والوجهاء وكبار رجال الحكومة يؤمنون بمنزل الشيخ الرافعي تهنته ضيفه الكريم بالقدم والسلامة (المقطم)

كان حضرة الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر قد

سافر في الاسبوع الفائت إلى بيروت ومنها إلى وطنه طرابلس الشام بعد أن حالت الأحوال الماضية دون ذهابه إلى وطنه زمنا طويلا. وقرأنا اليوم في جريدتي الاتحاد العثماني والأحوال ما خلاصته ان حضرة الشيخ رشيد رضا وصل إلى طرابلس مساء الجمعة في ٢٥ الماضي فاحتفل باستقباله حتى إذا اقترب من سوق العطارين تصدى له كامل المقدم (وفي رواية الأحوال انه عبد القادر مؤذن) وابتدره بضربة على رأسه وضربة ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافي ونزع العصا من يده فما كان من الرجل الا أن أشهر مسدسين ثم أطلق عيارا ناريا فلم يصب أحدا وأركن إلى الفرار وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القرية فأخذ بعد ذلك إلى دار الشيخ محمد الرافي ولم ينزل هناك وقد اتفقت الأحوال والاتحاد العثماني على تواني من بيدهم أمر الضبط في هذه الحادثة . والمؤيد يأسف لهذا الحادث ويستنكر هذا الاعتداء ويرجو أن يكون ناشئا عن تهوس فرد واحد فقط وأن يتمتع حضرة صاحب المنار بكل هناء وسرور في زيارته لوطنه

(المؤيد)

الدولة العلية وبلغاريا والنمسا

ما أ كثر العبر في أعمال البشر وما أقل المعبرين ! إن الخطيئة التي يأتيها الفرد في بيته عسى لا يشعر بها أحد أو الذنب الذي يصدر من بدوي في العراء لا يحس به سوى خياطه أو رهطه قد يصدر من أمة برمتها ، وتأتيه حكومة بعد تقريره في دار ندوتها ! ! وإن ما يمر على الذاكرة من اشباه هذا ونظائره كثير جدا ولكن قل من يتدبر ويعي ، ذلك ان أعمال الافراد لا يلاحظها إلا علماء الاخلاق والاجتماع وهم أطباء النفوس والامم ، ولكن أعمال شعب بأسره مما لا سبيل إلى كتمانها واخفائها ، بل هو مما يصل إلى كل حس ويقع تحت كل نظر

يقول الفلاسفة الاجتماعيون ان اقرار مجموع عاقل على الخطأ مستحيل ولكن هذا القول لا يصح على إطلاقه إلا اذا كانت النهب والاحتلام في عرف الفلاسفة

أمرًا حلالًا طيبًا ، والحق الذي لا مرأى فيه أن الإنسان مهما استكنه أحوال البشر فإنه لا يحيط علمًا إلا بجزء يسير من كلِّ كبير ، وعليه فلا تريب على من قال وهو يظن نفسه مصيبًا ، بل على من فعل وهو يوقن أنه مخطئ .

أعلنت النمسا في السابع من أكتوبر الماضي أنها ألحقت مقاطعتي بوسنة وهرسك بمملكتهما وانها صارتا بهذا الأملق جزءا منها ، قلب هذا الحادث كيان السياسة الأوربية وحول انظار الدولة الدستورية الجديدة إلى ما يراد بها فصرها عن القيام بالأصلاح الداخلي ، وكانت بلغاريا سبقها فأعلنت استقلالها قبيل ذلك يومين ، فكان هذا وما سبقه صادقا بالدولة العلية عن الأهتمام بما تقتضيه أحوال البلاد الداخلية بلبه الخارجية

توقع الناس من وراء هذا الانقلاب المفاجيء في عالم السياسة حربا ضروسا تشتعل جذوتها في (ترنوفو) ثم تمتد الى سائر أنحاء شبه جزيرة البلقان ، وتنبأ فريق بأن ذلك قد يحمل بعض دول أوربا الكبرى على خوض غمراتها ، فيكنّ إذ ذاك من جناتها وكماتها ، وفي ذلك من الولايات والمصائب ما فيه على أن هذا الفكر والذهاب إليه ليس من باب الحدس والتخمين ، ولولا حلم الدولة الدستورية الجديدة وأناة الامارة النزقة لحمّ الأمر وجف القلب ، ولكننا الآن نكتب بدل هذه الكلمات اخبار الفلج والخلدان

عظم على العثمانيين صنع بلغاريا والنمسا واستغرب صدورهم آخرون ، على أنه لا محل للفرابة فإن بلغاريا تتحفز لهذا الأمر منذ أمدهيد ، وإنما دعاها الى التسرع ما توقعه من سيدتها (الدولة العلية) إذا هي استجمعت قواها ومضى عاينها نصف عقد من الاعوام وهي دستورية حرة ، فانها إذ ذاك تخشى أن تعبت بحقوقها وتستهين بسيادتها فأسرعت الى اعلان استقلالها وهي تكاد لا تتوقع من وراء ذلك الا احتجاجا يتلوه سكوت ورضى ، لأنها مستيقنة بأن رجال الدولة العقلاء لا يرون من الصواب الدخول في حرب أقل ما يخشى فيها من الخسار ان تقلب الحال الى ما كانت عليه - لا قدر الله - وفي ذلك البلاء الجم والمصائب العم

إن استقلال بلغاريا يتألم له العثماني الصادق ولكنه ليس مما يؤبه له في الحقيقة

فان بلغاريا قد استقلت فعلا في أيام حكومة الجواسيس الخائنين ، فليس من الكياسة ان يجعل استقلالها قولا من المصائب التي نزلت بالعثمانيين ، على اننا ربما ننال شيئا من حقوقنا التي اغتصبناها من قبل بسبب هذا الاستقلال الا أن صنع النمسا لموشر صنم يقع أو يتصور ، وشر منه أقوالها بعد وقوعه ، ومن العجيب أن يكون القول انكى من العمل !

لم تكده هذه الدولة النبهة نعلن الخاق هاتين المقاطعتين بملكتهما حتى قام العثمانيون من سائر النحل والملل في كل أرض يتبأونها يعلنون استيائهم واستهجانهم عمل النمسا ، وعز عليهم أن تؤذيهم بالفعل وأن يؤذوها هم بالقول فصمموا على الأعراض عن مشترى سلمها ، وهذه الحرب الاقتصادية — كما يسمونها — من أجل ما تحارب به أمة عدوا لها ولا سيما إذا كان هذا العدو كالنمسا : أمة تجارية بحتة . ومن دلائل الحياة في الأمة العثمانية اجماعها على ذلك في جميع بلاد الدولة ، فقد كانت البواخر النمسية تغادر الأستانة كما تغادر بيروت ويافا واللاذقية وغيرها من دون ان تأخذ شيئا أو تعطي شيئا حتى أضبارات البريد ، وغلا كثيرون في ذلك فطفقوا يمزقون مالدنيهم من الملابس النمسية على كونها — حال تمزيقها — ملكا لهم !! وكان لمصر وغيرها من مدن القطر حظ من هذا العمل ، فكان لمجموع هذا الأعراض أو المقاطعة — كما يقولون — تأثير شديد في معاملة النمسا ومصانمها حدا بالأكثريين من اصحابها الى مخاطبة حكومتهم ناعين عليها ذلك الاطلاق ، الذي يخشي ان يؤدي الى إملاق أي إملاق ، فما كان من هذه الحكومة المنصفة (؟) إلا أن أوعزت الى مقمدها في الأستانة بأن يحتج على حكومتها !! طالبا منها حمل رعبتها على نبد المقاطعة !! هذا هو القول الذي قلنا عنه فيما تقدم انه انكى من العمل ! اليس من الاعاجيب ان تقرر النمسا في دارندوتها الخاق بوسنه وهرسك بملكتهما وسلبا من الدولة العلية جهارا وتحظر على الأمة العثمانية أن تسير وراء ميولها ورغائبها ؟ ان من المتعذر على دولة مستبدة ان تحمل رعبتها على مشترى سلعة دون أخرى قسرا فكيف يكون ذلك ميسورا للحكومة دستورية ؟ !! ان في هذا المواطن للعبر ومواضع للتذكير فهل من معتبر أو مذكر !!

حسين وصفي رضا

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

المعراج

١٣١٥

فيشرح عبادي الذين يستمعون القول فيقيمون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الخميس ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٦ - ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨ ﴾

الاسلام والمدنية الحديثة *

﴿ هل يتفقان ؟ ﴾

اني اخترت موضوع البحث في الاسلام لأول مرة في مؤتمر أفريقية الشمالية لسيين : الاول ان المسألة الاسلامية هي مركز دائرة جميع المسائل في أفريقية الشمالية وذلك لان هذه المسألة مهمة في أفريقية أكثر منها في البلاد الاسلامية الاخرى اذ كان بين الاسلام والنصرانية على شواطئ البحر الابيض المتوسط نضال قديم وما زال أثره باقيا في القلوب . والثاني لأننا نحن الفرنسيين نعيش مع المسلمين في تونس والجزائر ونحن مضطرون الى الاختلاط بأهلها لارتباطنا معهم بمصالح دائمة

ان الهند الانكليزية فيها زهاء أربعين مليوناً من المسلمين ولكن الانكليز لا يختلطون بهم اختلاطاً دائماً وفي مصر وهي أكثر بلاد الاسلام مدنية لا يختلط الانكليز كذلك بأهلها اختلاطاً يفضي الى الاستعمار الحقيقي والاوربيون لا يقطنون سوى المدن الكبيرة وليس لهم من العلاقات مع سكان القرى ما للمستعمرين منا مع العنصر الوطني في مستعمراتنا الافريقية على ان المسألة الاسلامية يجب أن تقدم على غيرها من المسائل الاخرى التي يبحث فيها المؤتمر بقطع النظر عما تقدم لا يكون الاستعمار موطد الاركان قائم البنيان الا اذا أمكننا الوصول الى طريقة نجعلنا على صفاء ووداد مع أهل الدين الاسلامي الذي يربط الامم المختلفة الاجناس والمشارب المنتشرة بين المحيط الاطلانطي وخليج قابس

* خطبة لموسيو رينيه ميليه القاها في مؤتمر أفريقية الشمالية المنعقد في باريس من عهد قريب ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية وترجمتها بعض الجرائد المصرية بالعربية فأرنا تلخيصها لقرء المنار لما فيها من الحقائق والانصاف

(المراجع ١١م ١١) الافرنج فانونهم بالشرقين والاسلام . الاسلام سرعة انتشاره ٨١٩

ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار اعتبارا آخر أكبر منه شأنًا وأعم فائدة وهو أن ظنون الغربيين بالامم الاخرى قد بدأت تتغير تماما وأذكري اني كنت أسمع وانا يافع ان الامم الآسيوية لا تقوم لها قائمة وانها ستبقى رازحة تحت اجواء الأنحطاط والجمود ، وفي الغالب كانوا يلصقون التهمتين مسابها على ما فيها من التناقض اذ حينما توجد حركة تأخر لا بد وأن تتبعها حركة تقدم . وقد كان من الامور التي لانزاع فيها ان الصين امة جامدة وان اليابان امة ليس لها الا مدينة سطحية وان الهند لا يمكن أن تصلح شؤونها وكانوا يتهمون الاسلام بهذه التهم نفسها وان الذين هم في سن مواهقة يدكرون ان الغربيين كانوا يرددون نظرية مؤداها ان المسلمين في جمود تام بسبب اعتقادهم في التوكل والتفضاء والتقدير وولست في حاجة الى القول بأن هذه التهم التي كانت تجسها كبرياء الغربيين قديتين فسادها فان المدافع التي أطلقت في موكن دوت في أقاصي آسيا وأصبحت الامم التي كنا حكمنا عليها بالموت والجمود يقظة نامية سواء كانت في الصين أو الهند الصينية أو الهند الانكليزية أو في ايران التي أخذ أهلها يطلبون دستوراً وهاهي الاستانة ظهرت فيها حركة أهلية أدهشت العالم بأجمعه وما كان يخطر ببال طلبة مدرسة العلوم السياسية انه سيطراً تغيير على برنامج دراستهم وهو الامر الذي أصبح لا بد منه الآن بعد ان تغيرت المسألة الشرقية ودخلت في طور جديد

واننا ازاء هذا الانقلاب الذي حصل لانجديداً من التساؤل عن الجمود الذي وصفوا به الاسلام اذ قد يكون شينها بتهمة الخمول التي ألصقوها باليابان وما لبثت أن اضحلت وظهر بطلانها !!

واني لا أريد ان أذكر انتشار الاسلام لانه هو الدين الوحيد الذي ينتشر ويزداد أهله بسرعة في آسيا وافريقية على حين ان الاديان الاخرى بقيت واقفة عند حدود لا تتجاوزها البتة وقد أصبحت هذه المسألة لانزاع فيها ولكن ماذا يقولون اذا أثبت لكم ان الاسلام شرع يطبق العلوم الحديثة ويستفيد منها ومن ذلك انه أنشأ بقوته الذاتية وبالهندسين المسلمين ذلك الخط الحديدي العظيم المتدين دمشق

والمدينة المنورة الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ كيلومتر!! وماذا يقول اليوم فطاحل الفلاسفة الذين قالوا ان أهل الاسلام مصابون بنوع مخصوص من أنواع مرض النوم ؟ ماذا يقولون الآن اذا علموا أن المسلمين تبرعوا بمقدار ثمانين مليوناً من الفرنكات مما أنفق عليه ؟

وان لفرنسا فائدة كبرى بالاشتراك في هذا البحث العظيم فاذا كانت مدينة الاسلام هي تلك المدينة الجامدة المزعومة فيجب علينا ان نعلم ان تعامل هؤلاء المسلمين الذين نحن مرتبطون بهم بسياسة الضغط والشدّة خلافا لما جبلنا عليه من انعطافنا لجميع الناس ازاء ما يبدو من حركاتهم أو يظهر فيهم من روح الحروب الصليبية التي بقيت بكيفية غريبة كامنة في صدور المسلمين حتى البعدين عن الدين منهم (؟) ومن الامور المدهشة أن الانسان قد يلاقي في فرنسا أناسا مازالوا محافظين على بقية من أوهام الحروب الصليبية ضد المسلمين

وأما إذا اعتقدنا في الحركات التي تجلت في كل مكان عكس ذلك فن الواجب أن نمد أيدينا بحرية الى شعوبنا الاسلامية ونقودها معنا في طريق المدنية وهذه القطة هي التي أريد أن أبحث فيها اليوم أمامكم ان امامنا طرقا لحل هذه المسألة الكبرى

فمنها الطريقة التي يمكّني أن أسميها الطريقة المباشرة وهي أن نفتح القرآن وكتب السنة ونستخلص منها النصوص التي تثبت أن المؤمنين الصادقين في كل عصر يهشون للعلوم ويقبلون عليها . منذ عهد غير بعيد جاءني كتاب من أحد المسلمين الجزائريين وهو السيد عبد السلام بن شعيب فرأيت فيه بعض تلك النصوص مثل « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها انى وجدها » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » وغير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار

هذه الطريقة تصلح لاقتناع قومنا بان الاسلام يحث على العلم ولكن هناك عقبتين تقفان في سبيل نجاحها (الاولى) انني وزملائي الذين يدافعون عن الاسلام اننا نبحث في تفسير الآيات والاحاديث واستخلاص المبادئ الاسلامية الصحيحة

منها (والثانية) ان المتدينين لا يتبعون دائما ما ترمي اليه نصوص دينهم بل كثيرا ما يجيدون عنها ويأخذون بأقوال الفقهاء والشراح الذين يذهبون في أقوالهم كل مذهب فلا يكفي أن ينص الدين على شرف العلم ليكون أبناء ذلك الدين راغبين فيه مقبلين على تحصيله

وهناك طريقة أخرى وهي الطريقة التاريخية :

في اعتقادي أن خطأ المشتغلين منا بالاسلام هو في درس هذا الدين مستقلا عن الظروف التي كانت محيطة بظهوره فلم عرفنا كيف كانت حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش

ان الذي ساعد الاسلام على الانتشار هو ماقرره الامبراطور بيزانطين في القرن الثالث للمسيح من جعل المسيحية دين الحكومة وقد جر هذا القرار على الدولة البيزنطية من المشاكل أعقدها .

وتقدم كان الدين الروماني القديم دين حكومة أيضا ولكنه كان ديناً يتبع الديانات الأخرى بمعنى ان روما كانت كلما تغلبت على أمة جعلت آلهتها آلهة لروما . وبخلاف ذلك كانت الحال في بزنطية ومنذ اليوم الذي استخدم فيه الامبراطور السيف لنشر الدين انفتح في وجه الدولة البيزنطية باب الآلام والمهموم ولو أعدتم النظر في تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم الامبراطورة متوفرين على توحيد الدين وموجهين اليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضعف ملكهم واتقراضه . فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من عقائد المسيحية وكم من مقاطعة ضيعها الامبراطور على أثر كل قرار كان يصدر من مجمع « نيقية » !!

وان مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الاقانيم التي نعتقدها الآن بكل سكونة واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة ونشأت من الجدل فيها حروب هائلة — هذا وإنه قد بلغ من عناية الحكومة بنشر الدين انها غفلت عن احتياجاتها الأولية فاحترمت الصوامع ورفعت عن أهالي الخدمة العسكرية وعاقبتهم من دفع الضرائب

فلم يكف يدخل القرن السادس حتى كانت الدولة في غاية الضعف ومثلت جوانبها بالخلافات الدينية

إذا فما هو الإسلام ؟ الإسلام دين جاء بخلاف كل ذلك فقد اعتاض عن تعدد درجات الإدارة بسطة واحدة يرجع إليها الحل والعقد في كل الأمور ولم يقرر شيئاً من وساطة القسيسين بين الآلهة والشعب ولم يسن نظام الصوامع وقضى على عادة العزوبة التي كانت متبعة مستفيضة بين المسيحيين في ذلك العصر وقضى أيضاً على عادة التنسك والخروج من الدنيا فقرر الاشتغال بالدنيا والآخرة معا وبالجملة فقد أتى الإسلام بنظام مضاد للنظام المسيحي في ذلك العهد ملائم لحاجات الناس وهذا هو سر غلبته على الدين المسيحي

ثم ان الإسلام ارجع الدين الى حالة الطبيعية ولم يأت بشيء من تلك العقائد المسيحية الفلسفية بل قال بكل وضوح « لا إله إلا الله » وبذلك خلا الإسلام من ذلك الاعتقاد الذي قسم الدول الاوربية والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى في حالة اسياء من تسلط الدولة البيزنطية

وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة الى أهل الإسلام وهم يعلنون أنهم أهل التسامح مع مخالفهم في الدين لا يطلبون منهم الاضريبة يستعينون بها على اصلاح شؤونهم وشؤون الدولة الاسلامية ولقد بلغ الامر بأحد الولاة الى تسيط دخول الذميين في الإسلام بدلا من أن يرغبهم فيه أو يكرهم عليه لان اسلامهم يقلل من دخل بيت المال

ومن هذا الوصف التاريخي الموجز يمكنكم ان تتصوروا كيف نضبت ينابيع الحياة في الدولة البيزنطية واتم تعرفون كيف انتشرت عادة التنسك والتشف مع انها لم تقلل من فساد الاخلاق — ويمكنكم ان تدركوا كيف ان التبعة الآسيوية اعتبرت ظهور الإسلام ايذانا بنجاتهم وسعادتهم .

وأذكر أنني أيام كنت أدرس تاريخ الإسلام كان الأساتذة يقررون سرعة انتشاره من دون ايقافنا على أسبابه، وغاية ما كانوا يذكرونه هو ان طبيعة العرب طبيعة

(المارج ١١ م ١١) الإسلام . ارشاده الى البحث . نبوغ العلماء من اهل ٨٢٣

حرية وان خيولهم جيدة تكاد تسبق ظلالها! مع ان الحقيقة ان الفتوحات العربية كانت على البنال الا ان العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تثقل الجندي المجاهد ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الاقلاب العظيم الذي أعطاهم ملك آسيا وأفريقية ونصف أسبانيا :

وإذا كان ذلك كذلك أدركتم ما تبع هذه النهضة من الاعمال الجليلة .

أنى العرب بعقائد سهلة ملائمة للفطرة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فترقت العلوم والفنون والآداب باجتهادهم الذي عجز عنه المسيحيون الذين عاصروهم واني ليخيل إلي انه كانت على أبصار مسيحي القرون الوسطى غشاوة من تنسك منعتهم من إدراك الأشياء على حقائقها

وقد جاء العرب في الوقت نفسه بمبدأ في البحث جديد مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ التأمل والبحث .

ثم هل تعرفون بأي كتاب من كتب العهد العتيق كان يتعلق المسلمون ؟

كان اهتمامهم بكتاب ارسطو أكثر منه بخيالات أفلاطون ، نعم كان كل اهتمامهم يكتب ذلك الحكيم المدقق وواضع أساس العلم في الحقيقة ثم انهم مالوا الى الاشتغال بعلوم الطبيعة وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء وقد وجد فيهم كبار الاطباء — ولفرط تقديرهم للحياة الدنيا نبع فيهم الشعراء المجيدون الذين قالوا شعرا اذا وصفناه بانه أرضي فذلك لانه قريب من العقول يفذيها وينعمها وانه أفضل من خيالات شعراء القرون الوسطى بألف مرة فأين هذه الحياة من تخبط الغرب المسيحي في تماثيله وأوهامه وانزواته!!

هذا واني لا أطيل القول في الشيء المشهور من أن الحضارة العربية بلغت شأوا عظيما في بغداد وقرطبة وانا يسرني ان أبحث في أسباب هذه المدنية الراقية وحدودها

واليكم أول ما يتبادر الى ذهن الباحث النزيه وهو ان الإسلام أعطى أشهى ثمرة لما سرت اليه روح المدنية القديمة خالصة من الشوائب .

ففي بغداد استفاد الاسلام قوته السياسية من تلك المدينة الفارسية التي قاومت عوادي الزمان والتي نشأ فيها من الفلاسفة والعلماء عدد عظيم وكذلك في اسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية وسأين لكم الآن ان اقتراق هاتين الروحين كان وبالاعليهما معا

كان الباحثون في الاسلام يعتقدون ان الدين نظام كامل لا يتبدل ولا يتغير فيكفي ان يدرس مستقلا عن كل عامل اجنبي عنه للوقوف على قيمته واماكن الحقيقة ان كل دين يستمد جل قوته من العوامل الاجنبية التي كان له معها شأن ومن مقدار قبول الدين نفسه لتأثير هذه العوامل . وان لي كلمة على دولة الاسلام في الاندلس التي فتحها مسلمو افريقية الشمالية : انظروا الى قرطبة تلك المدينة التي سقطت الآن الى حضيض الهوان والفقر وانظروا اليها لما كانت في عهد الدولة العربية عامرة آهلة يبلغ عدد سكانها زهاء خمس مئة ألف نسمة وعدد مساجدها ثلاثة آلاف وعدد منازلها مئة وثلاثة عشر ألفا عدا ثلاث مئة من الحمامات العامة ثم اذا أردتم أن تقفوا على اخلاق أمراء المسلمين في تلك الدولة ودرجة آدابهم ورقبيتهم فاليكم صورة الوصية التي تركها عبدالرحمن الاول أحد خلفاء قرطبة لابنه وقد اخترتها عفواً من بين المستندات الكثيرة التي تتعلق بتاريخ الاسلام في اسبانيا:

«اعلم يا بني ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه من يشاء فاحمد الله على ان وهبنا ملك الاندلس ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، واعمل خيراً مع الناس كافة وخصوصاً أولئك الذين وكل الله شؤونهم اليك ، وساو في حكمك وقضائك بين الفقراء والاعنياء ولا تولّ أمور الناس الا من عرفت فيهم الحكمة والخبرة ، وعامل جنودك بالشدّة واللين معا ليكونوا حماة الدولة لا عوناً للظلمة من الحكام . وواجب عليك أن تظلّ الزراع بحمايتك ، وأن تودهم بموتك ، لانهم مورد حياتنا واحرص على محبة الرعية لك واملقهم بك . . الخ

اتي أود أيها السادة أن أسمع منكم هذه الوصية من رئيس وزارتنا في زمننا هذا ولا أفكر في وصف ما كان يجري في بلادنا في القرن العاشر أي العصر الذي

قال فيه الخليفة عبد الرحمن هذا القول لاني أخشى أن تهموني بعمل مقارنة تشوّه سمعة العالم المسيحي وتظهره بمظهر مخجل

لبثت هذه المدينة التي أتت بالمدهشات والتي لا يزال الناس في حيرة من أمرها زاهية زاهرة ثمان مئة سنة . فتح العرب الأندلس في سنة أو سنتين ثم لم تنتزع من أيديهم الا بعد ثمانية قرون من حكمهم . أليس ذلك مما يدعو الى العجب " واذ أضفنا الى هذه المدة المئتين أو الثلاث مئة سنة التي اتسعت فيها دولة الأتراك وبلغت شأواً بعيداً من العظمة الحربية علمنا ان الدول الاسلامية ظلت صاحبة السيادة على العالم مدة ألف سنة تقريباً وهي مدة تناهز عمر الدولتين اليونانية والرومانية

ولكن ثمة أمرا يرتبط بالموضوع الذي نبحث فيه الآن (موضوع التوفيق بين المسلمين) وهو نتائج ماجرى في القسطنطينية وما جاورها من شواطئ البحر الايض وفي الأندلس من تعارف الاسلام والمسيحية وتآلفها

ابتداء هذا التعارف في الأندلس بعد فترة قصيرة من الفتح الاسلامي ولا يفوتنكم أن ما يرويّه القصاصون من الجهاد بين النصارى والمسلمين في اسبانيا لا يطابق الحقيقة في جملة لانهم يمثلون « السيد » في قصة الفبا (كورنيل) بطلا مقداما أعده قومه لمجاهدة الكفار (يريد المسلمين) في حين ان الحقيقة هي ان هذا البطل انما قدم نفسه لخدمة المسلمين وحارب في صفوفهم ومات وهو بين المسلمين يحارب اعداءهم . إن المستقرئ لاطوار العلاقات بين النصارى وأمرء الاسلام في الأندلس يعلم ان الأمرء المسيحيين كانوا يستشيرون اطباء المسلمين اذا أصابهم أو أصاب أبناءهم مرض وكثيرا ما كانوا يفتدون الى قصور الخلفاء و يقيمون بها حتى يتم شفاؤهم قرون أيها السادة ان هذه العادات تناقض بة ما يرجف به القصاصون من خرافة الحرب الصليبية الخالدة بين النصارى والمسلمين

لقد لزم مسلمو الأندلس التسامح مع النصارى وموتهم حتى في الدور الذي

٨٢٦ الاسلام في الاندلس . تسامحه . تأثيره في أوروبا (المارچ ١١ م ١١)

اضحلت فيه دولتهم وأخذاء المسيحيين يقصونها من أطرافها فاذا اتيج لاحدكم أن يتجول في أنحاء اسبانيا الآن يمكنه أن يقف على آثار العرب هناك وعلى بقايا ما شيده في دور اضمحلالهم ليستخلص من دراسة تلك الآثار ان الاندلس كانت بلاد غنى ورفاهة حتى في دور لضعف سلطان المسلمين ويدهش من أنها كانت في ذلك العهد أيضا بلاد تسامح وتساهل .

في هذا العهد كانت دولة غرناطة زهرة أوروبا وكان كل من يريدون أن يستنشقا نسيم الحرية المدنية يذهبون الى تلك البلاد فارين من البلاد التي كان يحكمها الامراء المسيحيون وهي مهد القسوة والظلم هناك يعاقب الامراء من بأسروهم في ساحة الحرب بانفاسهم الى كلاب مفترسة تمزق أجسامهم إرzá إرzá

لم يكن ذلك مقصورا على الاندلس بل كان بين المسلمين والمسيحيين علاقات متينة محكمة لبثت من انتهاء الحروب الصليبية الى فتح القسطنطينية . فانكم تعلمون أيها السادة ان عظمة البندقية وجنوه في العصور الوسطى راجعة الى تجارتها مع الشرق وتعلمون ما استفدناه من احتكاكنا بالمسلمين اذ ذاك فقد كان لا كثير من البيوت التجارية في فلسطين وسوريا واليونان ولا يخفاكم ان من أسعدهم الحظ من الغربيين بازدياد احتكاكهم بالمسلمين كان يسري اليهم كثير من عاداتهم وأخلاقهم الشريفة حتى قلقت الكنيسة الكاثوليكية على أبنائها من سريان روح الاسلام اليهم ونظرت بعين الخوف الى تنازع المبادئ الاسلامية والمسيحية وخصوصا الى مبدأ التسامح الذي كان آقهم وعدوهم اللدود !

هذا وان هناك حقيقة يجب أن ندينها وهو انه في هذه الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون أي من انتهاء الحرب الصليبية الى فتح القسطنطينية في هذه الفترة التي تعارف فيها المدينتان المسيحية والاسلامية - كان الاسلام هو العنصر المؤثر والعالم الاوربي هو العنصر المتأثر ، فكانت أوروبا تجلب من المشرق كل ما كانت تحتاج اليه من المصنوعات والمنسوجات وضروب الرفاهة حتى لم يعد في امكانها ان تدفع ثمن كل ما اشترته ، ومن ذلك تعلمون ان سبب اندفاع امراء أوروبا في

سبيل اقتناء الذهب بأية وسيلة راجع في الاكثر الى فقر أوربا واعوازاها من
الحاصلات التي تبادلها مع تجار المشرق

هذا من جهة الماديات وأما من جهة العلوم والآداب فان أوربا لبثت ثلاث
مئة سنة تقتبسها من الاسلام وكانت المدينة القرية بحجي ثمارها البانعة
ولكن حادثين عظيمين أوقفا سير ذلك التيار الكهر باني الذي كان يحيط
بالبحر الابيض المتوسط وهما : استيلاء الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣
واستيلاء الأسبانيين على غرناطة سنة ١٤٩٢

فمن ذلك اليوم قامت حرب الأحماد الدينية حتى انك ترى آثار التعصب
الاسباني في تاريخ عرب الاندلس كالقطة السوداء في الصحيفة البيضاء الناصمة
ولاسيا في ذلك الوقت الذي حالف فيه الأمير يوسف جماعة القسيسين . وفي
رأيي ان تعصب الأسبانيين كان أفضع وأقل عذراً لانه جاء في زمن كانت القوة والعدد
لهم . وان الاستيلاء على غرناطة الذي يفخر به الأسبانيون والذي يحسبونه يجمل
عصر فرديناند وايزابلا لم يكن في الحقيقة الاعمال وحشياً برياً لم أعهد في التاريخ
أقبح منه ، خصوصاً وان اماره غرناطة لم تكن تهدد أسبانيا في شيء لا استيلائها على
ما حوالها من الأراضي والمدن ، وانما كانت غرناطة عروس أسبانيا وزينتها - ولا
بد ان يكون الاكليروس الاسباني أو الطليطلي رأى ان يحقق هذا الجمال ويزيل
المدينة البديعة خدعة للمسيحية والمسيحية بريته منه .

والأدهى من ذلك ان المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم
أخلفوها وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها قتلذوا بمنظرها وظنوا أنهم بمعلمهم هذا
قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم . ثم إنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا في المسيحية
كافة ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعهم زمرا زورا وحبسهم في غرف واسعة ورشومهم
بالماء اشارة إلى تعميدهم وتنصيرهم ! -- ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المنتصرين
لا يزالون يفتنون طمعوا في أموالهم وصاروا يظلمونهم من آت لا آخر . ومن ذلك
ما وصل الينا من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمال

اللغة العربية والاستحمام في الحمامات العامة والسبب في هذا الامر الاخير ان الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرما لا يفكر !!!
ولقد زرت غرناطة ورأيت آثار تلك الحمامات المحيطة البناء البديعة النقوش التي أمر فيليب الثاني بتهديمها حقدا منه على المسلمين ومطابوعة لاعتقاد الكنيسة الاسبانية انها مأوى الشياطين !! . في هذه الحمامات كان العرب ينتظفون وبها يتطيبون مع اننا نلاقي مصاعب عظيمة في تعويد بني وطننا على عادة الاستحمام النافع وانكم تعلمون كيف طرد المسلمون المجرى برون على التنصر من وطنهم سنة ١٦١٠ ثم كيف خانهم أصحاب السفن فألقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم في أرض لا أنيس بها .

وبذلك انقلب الاسلام المتمدين بربريا نعم لما انفرد الاسلام بنفسه بينما كانت أوروبا تخطو خطوات واسعة وترقى درجات عالية أصبح كاشجرات الزيتون المشوهة التي نراها في جبال تونس فهي غليظة الجرع ولكنها تثمر ثمارا غير جيدة هذا ولا تظنوا ان أوروبا لم تتأثر من مفارقة المدينة الاسلامية فانها بدأت تشعر اليوم بالنعص — ثم هل نحن في حاجة إلى بيان ما وصلت اليه أوروبا من الرقي وما انعكس من تقدمها على البلاد الاجنبية ؟

الا أنها في علاقاتها مع الاجانب عنها كانت فظة غليظة القلب ويكفي أن أذكركم بفظائع دخول الاسبانيين أمريكا لتبينوا بأنفسكم قيمة المسيحي أيام طرد العرب من أسبانيا ولقد ضاع رشد الاسباني حتى لم يعد يدرك معنى الحياة فيعود الامم الاجنبية .

ولو أنكم تطالعون تاريخ الاستعمار في القرنين الاخيرين لتمثلت لكم روح الظلم والعدوان ولرأيتم ان اتساع سلطة أوروبا وانتشار نفوذها انما كان باسترقاق السود وتعذيبهم ولرأيتم ان غرضها انما كان جمع المال لا تخرج من اتيان الشر والاعتساف كل ذلك جاءها من مفادرة الاسلام لها واقترافه عنها — ولقد بلغ من غلوها في الظلم والاعتساف أنها رأت في بعض الاحياء أنه لا يستقيم لها بلدا الا اذا استأصلت أعلاه وأهلكتهم وهكذا فعلت انكلترا في أمريكا

نعم ان براعة الاوربيين قد ظهرت في المسائل المادية فترقت العلوم والفنون والصناعات بين ايديهم . ثم انهم تحملوا المشاق وقاموا بالاعمال الجسام ولكنهم عجزوا في كل وقت عن أن يفقهوا مدنية اجنبية عن مدينتهم وأن يقفوا على كنه عقول ليست من عقول اخوانهم في الجنس وقد أدركوا اليوم ضلالمهم في خطتهم الاولى وشرعوا بلمسوت خطة جديدة غايتها تقدير نفوس الاهلين الاصليين ومعرفة صادقة

فهذا التفسير التاريخي كاف لايقافكم على أسباب ارتقاء الاسلام تارة وأسباب أفول نجمه تارة .

اني أيها السادة أتبع في بحثي هذا الطريقة التاريخية فلا أقصره على الوجهتين الدينية والفلسفية لاننا اذا قصرنا ابحاثنا على ذلك انسدادا أمامنا مجال البحث وعجزنا عن الوصول إلى حقائق الأشياء فنجدير بنا اذن أن نتبع الادوار التاريخية التي مر بها الدين لنعرف طبيعته واستعداده للارتقاء

ان لنا أن نحكم على بعض الاجناس من البشر بانها لا تقبل الارتقاء والمدنية ولكن اذا رأينا أمة كان لها في خلال العصور مدنية زاهية زاهرة فمن الظلم أن نحكم على تلك الأمة بالسقوط الابدي و باستحالة يقظتها وارتقائها لان الأمة التي أمكنها أن تهض في وقت ما يمكنها أن تعيد عهد نهضتها في المستقبل

يقولون ان عقيدة القضاء والقدر هي السبب في استحالة ارتقاء المسلمين ويهمني أن أتناول في بحثي هذه المسألة التي طال عليها القدم والتي قال العلماء وكتبوا فيها كثيرا . أليس فيما يقولونه عن هذه العقيدة شيء صحيح ؟ وما هو تأثير تلك العقيدة التي يفهم الناس منها انها تحمل صاحبها على الاستسلام للحوادث من غير ان يبدي مقاومة ما ؟

الا ان مبدأ القضاء والقدر لم يختص به الاسلام بل قرره المسيحية بصفة اوضح وأجلى فاذا قلنا ان سبب انحطاط المسلمين تقرير دينهم لهذا المبدأ فاذا نقول عنه في المسيحية ؟

ان لكم ان تسألوني لماذا لم يؤثر هذا المبدأ في أبناء المسيحية واني أبدأ الجواب بقولي ان هذا المبدأ مبدأ الاستسلام للحوادث قد كان له أثر فعال في حياة المسيحيين فترة من الزمن ولكني أجيّب عن هذا السؤال متبعا للطريقة التاريخية التي توخيتها في هذا البحث وهي ان كل دين لا يثمر ولا تبدو نتائجه من نفسه بل لا تظهر قيمته الا بعد ان يتحلله شعب من الشعوب

فالمسيحية ظهرت في ربوع الشام تلك البلاد الغنية الجميلة ولكن انتحلها اقوام أشداء بعيدون عن طور الحضارة في بلاد ذات هواء قاس تحدو بأهلها الى اجهاد أنفسهم فلم يأخذوا من المسيحية الا ما يلائم طبائعهم ويتفق مع اخلاقهم الشديدة، وكذلك كان الامر في الاسلام إذ لم يعرف المساهون الاولون الاستسلام للحوادث، بل كانوا لا يتركون من يعتدي عليهم من غير أن يثاروا منه لانفسهم وتلك كانت حالهم في زمن الفتوحات فلما سرى اليهم الضعف والانحلال أصبحوا قوما جبريين يتركون المصائب تنزل بهم وتعمل فيهم ولا يقدرّون على الخلاص منها مكثفين بالتسلي وقولهم « كل ذلك كان في الكتاب مسطورا » فالمبادئ الدينية تفسرها الامم بحسب ماتوحيه اليها طبائعها وأخلاقها فتأخذ اشكالا متباينة ولذلك تكون في عصر ما سببا في ارتفاع الامة وفي عصر آخر عاملا من عوامل انحطاطها

أفل نجم المدينة الاسلامية بعد ما أثمرت واينعت فترة طويلة من الزمن ولكن هذه المدينة تكفيها نفحة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجدتها

أيها السادة: اذا كان الاسلام قد أخطأ فخطؤه في تلك السذاجة التي اختص بها من دون الاديان والتي لم تأت على ما كان يقصد منها . لست ادري ان كان لنا أن نقول عن تلك الميزة انها خطأ فقد كانت في العصور الوسطى نعمة على المسلمين الا انها انقلبت ضررا فيما بعد

ان الاسلام لم يتوسع في مبادئه وقواعده ولم يحلها تحليلا يتناول أصول الاشياء وفروعها سواء كان ذلك في دائرة الفكر أو في دائرة العمل . انظروا مثلا الى نظام

الخلافة في صدر الاسلام : كان الخلفاء يقومون باعباء الخلافة كلها أو يسندونها كلها الى عمالمهم في الولايات فلم يكونوا متبعين قاعدة تقسيم العمل في ادارة شؤون الدولة كما هي الحال في الممالك الحديثة بل كان الامير أو القائد البعيد عن رئيسه ينوب عنه في جميع مظاهر سلطته وهو نظام كامل في عهد الفتوحات والحروب ولكنه مستحيل اذا جاء طور الحضارة وتشتت الاعمال فلا يعود في امكان فرد واحد ان يمثل السلطة العليا التي أنابته في فروعها كافة

وإذا أردتم ان تهفوا على اضرار هذا النظام فانظروا الى الطريقة المتبعة الآن في مراكس لجباية الاموال والضرائب تجدوا ان وظيفة الجباية أشق الوظائف وأصعبها فان قائد الجند هو الموكل بالجباية ولا يمثل السلطان الا بقيادته للجيش ولذلك لا يمكنه ان يجبي الاموال الا اذا سار بجيشه نحو القبائل فيصادف كثيرا من المشاق والمتاعب في سبيل القيام بوظيفة تقوم بها نحن على أسهل الطرق لما لدينا من مصالح منتظمة تعيد فيها الحسابات فلا يحدث في الجباية ارتباك وتعقيد البتة

إني أذكر ان سلطان مراكس السابق قضى حياته في الحروب الداخلية فضاها على ظهر جواده متقلًا من قبيلة الى أخرى كل ذلك ليصل الى جباية الضرائب في حين ان الذين يقومون بهذه الوظيفة في بلادنا مثلاً هم جباة من آحاد الناس يؤدونها وهم بمنجاة من التعب والنصب

فبالطرق النظامية التي تتبعها لا يحتاج في جباية الضرائب الى ازهاق الارواح بل يكفي ان تتبع الوسائل النظامية التي تسكفل القوة العامة بحمايتها وتحقيق غايتها هذا هو خطأ الاسلام في دائرة العمل على أن هذا الخطأ — ان صح ان نسميه كذلك — ليس مما لا يمكن تداركه فان تلك الصبغة العامة اللينة التي انصفت بها مبادئ الاسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا ينافيها بل يقابلها بصدر رحيم ولذلك ترون المسلمين المستنيرين لا ينفرون من المنظمات التي أنبتتها مدينتنا بل ترونهم يقبلون عليها ولا يجدون من دينهم حرجا في اتباعها أما في دائرة الفكر فينقص الاسلام أمر واحد لم يحرم منه في عهد عزه بل في

٨٣٢ الاسلام . حاجته الى توزيع العلوم . الجمعية الخلدونية (المراجع ١١م ١١)

المصور الاخيرة وهي طريقة التحليل العلمي طريقة توزيع العلوم حتى يسهل على كل فريق ان يبتغ فيما اتدب له وانه يحضرنى الآن مثال على ذلك :

كنت منذ عهد بعيد مشتغلا بالبحث عن حال المسلمين الفكرية وأدى بي البحث مرة الى محادثة بعض علماء المسجد الأكبر في تونس . اجتمعت معهم خفية لان المسلمين والفرنسيين كانوا لا ينظرون بعين الارتياح الى التقرب بين زعماء كل من المدينتين فقلت لاحد اولئك العلماء :

« كيف تفسرون ان كلياتكم كانت زاوية زاهرة في العصور الوسطى وانها أمدت أهل أوروبا اذ ذاك بالعلوم والمعارف ثم اصبحنا الآن أعلى منكم كعبا في العلوم كافة — حاشا الدين — وسبقناكم في هذا الميدان بمراحل ؟

ان السبب الذي أراه هو انكم متبعون الآن نفس الطريقة التي كنا نتبعها في القرون الوسطى ، انكم لا تتبعون نظام التقسيم في العلوم وتخصيص كل فريق بفرع منها بل يعمل كل منكم «معتقدا أن في امكانه تحصيل العلوم كلها ، أما نحن فقد وصلنا الى درجة راقية في العلوم باتباعنا طريقة تحليل العلوم وتوزيعها وكما اننا أمكننا أن نخرج من حالنا السابقة فيمكنكم أنتم أيضا أن تخرجوا من حالكم الحاضرة الى حال أرقى منها باتباعكم هذه الطريقة نفسها »

تقد شاهدت بنفسى أيها السادة أهل تونس يقبلون على العلوم الحديثة وآنت فيهم صفات ومواهب ساعدتهم على الارتقاء في هذا المضمار . وكان محادثي مع علماء تونس وترغبي إيائهم في اتباع الطرق الحديثة لتحصيل العلوم دينية كانت أو غير دينية قد أثمرت وأتت بالنتيجة المتبغاة لانها حركة اصلاحية ابتدأت في تونس وسيكون لها مستقبل كبير

أسست في حاضرة تلك البلاد جمعية بمساعي بعض التونسيين الثيرين دعواها الجمعية الخلدونية نسبة الى المؤرخ المغربي الشهير عبد الرحمن بن خلدون وقد وجهت اهتمامي الى تأسيسها وأخذت أساعدها ورغبت رؤساءها في أن يقصروها على الأعضاء المسلمين وكان غرضي من ذلك ان أثبت درجة استعداد الاسلام لتلقي العلوم الحديثة وكفاءة المسلمين لتلقي اخوانهم ثمار هذه العلوم

ولقد سبقتني الى هذا الموضوع الذي أخطب فيه الآن أحد علماء المسجد الأبر وأحد أعضاء هذه الجمعية فطفق يسرد الأدلة على اتفاق الاسلام مع المدنية الحديثة وعلى مقتضى آرائه في هذا الموضوع رسمت الجمعية خطتها ولا تزال تسير بمقتضاها الى الآن

ولا يفوتني أن أذكر لكم الصعوبات التي يلاقها القائمون بالحركة الإصلاحية من أنصار القديم فإنه وإن كان أهل الرأي والبصيرة من المسلمين يرون اتفاق الاسلام مع فضائل التمدن الغربي سهلاً فإن هناك فريقاً كبيراً يطعن على هذه الحركة ويحاربها . فكر أعضاء هذه الجمعية في تجنب الاندفاع في قلب نظام التعليم القديم فلم ينشئوا دار الجمعية في مسجد الزيتونة بل تركوا المسجد على نظامه وأقاموا بجواره هذه الدار . وإنما تركوا المسجد حتى لا يثيروا عليهم سخط الجمهور

حيث الجمعية وانتشر مبدؤها بالرغم عن المعاكسات التي اعترضتها في مبدأ أمرها لأن كل اصلاح لا بد وأن يلاقي في طوره الاول معارضة ولقد كثرت أعضاء هذه الجمعية وصار طلبه مسجد الزيتونة بعد أن يتلقوا العلوم فيه على الطرق التقليدية يندون إلى دار هذه الجمعية فيستثيرون بما يلقى فيها من العلوم الحديثة وإن هذه الجمعية لا تزال في مهدها ولكن من المحقق أن سيكون لها في نهضة الاسلام يد طولى فيتحقق مبدأ القائلين : ان الاسلام لا ينافي المدنية .

بقيت مسألة جديدة بان نبحث فيها وهي ما يتخوفه بعضنا من قرب احداق خطر تيقظ المسلمين بنا . واني معبر لكم عن آرائي في هذه المسألة بالصراحة التي سمعتموها في جميع النقط التي تناولها بجني اليوم

ان هناك أمراً يجب أن نتقف على حقيقته وهو هل تقدر على ايقاف تيار هذه النهضة الاسلامية وهل في وسعنا أن نقضي عليها ؟

اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا قويت وكملت بعد أن كنا محاربين لها فلا بد أن تقلب علينا وتوجه ضدنا وتم على ما لا نرضاه ولا يتفق مع صالحنا البتة

ليست نهضة الاسلام بالامر الهين وليست الجزائر وتونس هما البلدين اللذين
ينهض فيها الاسلام بل هناك مصر التي حدثكم عنها والتي خطت خطوة كبرى في
نهضتها وهناك كثير من البلاد الاخرى التي حي فيها الاسلام حياة جديدة
على ان هناك اعتبارا اشرف من هذا الذي ذكرته لكم يدعوننا الى ان
لا ننظر بعين الكره والسخط الى يقظة المسلمين وهو ان هذه الحياة الجديدة التي
ابتدا يسري روحها في العالم الاسلامي من شأنها ان تقرب بين العالمين المسيحي
والاسلامي وتوفق بين المدينتين الغربية والشرقية

يقول بعضهم : اذا كنا نفرض ان المسلمين يسبرون في طريق المدينة الغربية
سيرا حثيثا فلماذا نعتبر ان ستكون هناك مدينتان ولماذا لا تفتى المدينة الاسلامية في
جسم المدينة الغربية مادام المسلمون يأخذون العلوم عنا ولان العلوم هي أساس كل
مدينة ؟ على اني لا أشارك أصحاب هذا الرأي في رأيهم لان العلم له دائرة محدودة
لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات لها تأثير كبير في أحوال
الشعوب وهذه المعتقدات هي دائرة الدين

ان الذين يقفون على الحركة العلمية في بلادنا يعتقدون ان العلم يعترف بوجود
دائرة مجهولة لا تزال بعيدة عن مداركه فقد ابتدا الفلاسفة والعلماء يوضحون تلك
الحقيقة الثابتة وهي ان العلم مما اتسعت دائرته فلا يزال أمامه عالم غامض ومهما
استجلى العلم من حقائق ذلك العالم فستظل دائرة المجهول أوسع بكثير من
دائرة العلوم .

انه لا يمكن للعلم ان يمحو سلطان الاديان على النفوس مادام عالم ما وراء المادة
مكتنفا بالمدهشات وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الدين الاسلامي ذلك الدين
الذي أتى بأحسن العقائد وأكثرها ملائمة للفطرة والذي سعد حظه بان امتد ظله
على ضفاف البحر الابيض تحت سماء صافية الاديم لم تلبد بالغيوم كما تلبدت سماء
بلادنا في الزمن السالف فظل نوره متلاثا في تلك البلاد المتناثية الاطراف ولم
تقدر الحوادث على اطفاء ذلك النور الرباني الساطع

أيها السادة : ان مبدأ التفريق بين عالم الادة وعالم ما وراء الادة قد تبينه المسلمون فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ولا أريد أن أتخذ من التونسيين برهاناً على ذلك خشية أن يقال فيهم انهم انما يتبعون الخطة التي نوحيا اليهم والتي تقصد منها إفراغهم في قالب فرنسي يتفق مع أغراضنا الاستعمارية . بل أقول لكم انظروا إلى الاتراك وكيف وقفوا بين الدين وجنسياتهم العثمانية فأظهروا بذلك ان الحكومة الاسلامية قابلة لمبدأ الجنسية وان مبدأ الدين فيها لا يمنعها من ان تصطبغ بمبادئ حكوماتنا الحديثة

ان الحكومات الاسلامية لسعة مبادئها قابلة للتشكل باشكال مختلفة وهذا التشكل هو الكفيل بارتقائها . اتذكرون أيها السادة ما قاله الاقدمون في المسيحية؟ قالوا انها اذا ارتبطت بشكل الحكومة الملكية ولم تتحول عنه كان في ذلك القضاء عليها وكذلك الحال في كل دين من الاديان فلو ان الاسلام اتخذ شكلاً من اشكال الحكومات وظل باقياً عليه لا يعدل فيه ولا يغيره لآت موته أبدية وافضى ذلك الى ضرره وضررنا .

واسمحوا لي ايها السادة ان أختم كلامي بتذكيركم بتلك الكلمة التي قالها ماسيو جوناك حاكم الجزائر العام تلك الكلمة التي املتها الحكمة والدرية وهي : « ليس المقصود من الفتوحات مجرد الاحتفاظ بالبلاد بل هناك ما هو اسمى غرضاً من ذلك وهو الاحتفاظ بالقلوب والارواح » .

الخطبة الثانية (*)

﴿ من خطبنا في الديار السورية ﴾

وهي من الخطب السياسية

أيها الاخوان الكرام

اقترحتم علي ان أقول شيئاً في الدستور والاجتماع وماذا عسى ان أقول في موضوع قد تبارى فيه الخطباء الكثيرون من قبل فلم يدعوا لمن بعدهم مقالا ، ولم ينادروا لمن تأخر عنهم متردّما ، فرب فكر فيه أريد ان أقيه عليكم ، فيخطر في بالي انه قد ورد على مسامعكم ، ووجال في مجامعكم ، فيقف الفكر ، ويتلثم اللسان ، ولكتني لم أحضر تلك المجمع ، ولم أسمع شيئاً من تلك الأقوال ، فإذا قلت شيئاً مما قيل من قبل ، فلي فيه شيء من العذر ، ورب مكرر يجاؤ ، ورب إعادة ، فيها افادة ، المراد من الدستور ان يكون حكم الامة كأن تديره بيد من تختار من أفرادها ، لا بيد رئيس يستبد فيه برأيه ، ويتصرف فيها بهواه وارادته ، وان استبداد شخص واحد بأمة كبيرة لمن أعجب أمور البشر في طور الجهل والانحطاط أتدرون ما هي القاعدة النظرية التي يبني عليها المستبدون هياكل سلطتهم الجائرة؟ هي ان الامة كالجنون أو السفينة أو الولد القاصر الذي لا يحسن التصرف في ملكه فلا بد له من وصي يقوم بمصالحه ، وولي يتولى تدبير أموره !!!

(*) بعد وصولنا الى طرابلس جاء أمير الالاي عبد الحميد بك وكيل قومندان موقع طرابلس العسكري مع وفد من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ودعونا لزيارة نادي الجمعية فذهبنا معهم وهناك اقترحوا ان نلقي عليهم خطابا في الدستور والاجتماع فارتجلنا خطابا نثبت هنا ما تذكر من مسائله ولعله معظم كلياتها ولا نزيد شيئا الا ان يكون في العبارة كزيادة السجع دون جوهر المعنى

هذه النظرية باطلة من عدة وجوه ولكنهم يحقونها بالقوة : هل يمكن ان تكون الامة كلها جاهلة أو سفية كالطفل أو المجنون فلا يوجد في سوادها الكثير أفراد يصلحون لتدبير أمرها ، وإقامة العدل والنظام فيها بالشورى دون هوى الرئيس ، و يكون ذلك الرئيس الذي يدعي حق الوصاية عليها ، والولاية على جميع مصالحها ، هو الحكم العدل ، والعاقل الرشيد ، يأخذه عن آبائه بحق الارث ، كما يرث عنهم الولاية والملك ، ؟

كلا إن ذلك أمر غير مقبول ، وحكم استبدادي غير مقبول ، المشاهدة تنقضه ، والتاريخ ينفذه ، فقد قرأنا في سير القابرين ، ورأينا في حال الحاضرين ، ان اكثر الملوك والأمراء المستبدين . هم أعرق أفراد أممهم في الجهل ، وأوغلهم في أفن الرأي ، وأشدهم فسادا في الارض ،

أي قاض من قضاة العدل حكم بمجنون الامة أو سفها ، ووجوب نصب فرد من الافراد وصيا عليها ، أي شرع يبيح الوصي ان يتصرف في حال السفه أو القاصر تصرف المالك في ملكه ، ولمن كان في وصايته كثيرون ان يتبع في معاملتهم هواه ، فيمنع بعضهم من حقه ، ويعطي الآخر ما لا يستحقه ، كما هو شأن الملوك والأمراء المستبدين !! ألا ان هؤلاء الادعاء في وصايتهم ، المعتدين في ولايتهم ، ليسيون التصرف في ملك الامة وفي سياستها ، فهم قد جعلوا انفسهم أوصياء عليها بالقوة القاهرة ، و بالقوة القاهرة يمنعونها من التصرف معهم ومشاركتهم بالرأي ، بل يحولون بينها وبين معرفة ماتملك ، وما لها من حق الرأي والتصرف ، لتبقى عالة عليهم ، راضية ببقاء الامر فيهم ، ولهذا يمقت المستبدون العلم ويقاومونه اشد المقاومة ، وقد رأيتم ذلك في انفسكم فقد كنتم منذ اشهر تحرقون كتب العلم ، أو تدفنونها في حنادس الليل تحت الارض ، خوفا من زبانية الاستبداد أن تدمر على بيوتكم قتراها ، فتزل العقاب الشديدين اقتناها ، على انهم كانوا يعاونون الذين يهربون السلاح ، ويساعدون الاشقياء على إفساد الامن وهضم الحقوق ، فقد كان كل ذنب مباحا أو متساهلا فيه عند حكومتنا الماضية الاذنب العلم واقتناء الكتب والصحف الحرة ، التي كانوا يهبون فيها بالأوراق المضرة ،

لماذا ؟ لانهم يعلمون ان الامة اذا عرفت حقوقها ، يوشك ان تجتمع فتطلبها من طريقها ، واذا يجرمون من التمتع بذلك السلطان المطاق ، والتنصرف بتلك القناطير المقنطرة ، فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة

ما هو الطريق الذي تسلكه الامم لاسترجاع حقوقها المنصوبة من الملوك المستبدين ؟ ألا إنه هو الاجتماع والتعاون : الاجتماع الذي تسوق اليه المعرفة ، والتعاون الذي يدعو اليه الشعور بالحاجة ، ومن هنا ننتقل الى الكلام على الاجتماع والجمعيات

الاجتماع على الحق قوة لا تعلوها قوة ، بهذا قد جرت سنة الله في خلقه وقد ورد في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » وهذا أبلغ تمثيل لعظمة هذه القوة ، وأي شيء أعظم قوة ممن كانت كلاءة الله ظلًا ممدودًا فوقهم ، وسنته في النجاح صراطًا مستقيمًا أمامهم ، ألا ترون أن الحكام المستبدين يطاردون الجمعيات ، ويخافون منها ما لا يخافون من الجيوش المنظمة ، والاساطيل المدرعة ، لعلمهم ان الحق لا يغالب اذا وجد نصيرًا . قال الاستاذ الامام « إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

ماذا أقول في بيان قوة الجمعيات ؟ هي التي قوضت حصون الظلم ، ودمرت هياكل الاستبداد ، وحررت الامم والشعوب من العبودية ، وشيدت فيها صروح العلم والمدنية ، وليس الشاهد والدليل على هذا بميد عنكم وانتم الآن في نادي شعبة للجمعية التي أسقطت سلطة الاستبداد في المملكة العثمانية ، وأدالت منها سلطة دستورية شورية ،

أرايتم لو أن أحدًا هس في آذانكم قبل ثلاثة أشهر وانتم تثنون من ذلك الظلم الفاحش قائلاً : ان نفرا من اخوانكم العثمانيين لا يتجاوزون عدد الانامل يجتمعون في حجرة لهم نوافذها مغلقة ، وستورها مسبلة ، يتخافتون بينهم في تدير الحليل ، واتخاذ الوسائل ، لتقويض هيكل تلك السلطة الاستبدادية ، التي أوشكت ان تقضي

على الدولة العلية ، وإعادة الدستور العثماني ، وإحياء القانون الاساسي ، فها هو رأيكم في هؤلاء المجتمعين ؟ ألا يقول اكثرهم مجانين (مجانين مجانين) بلى ولكن قد علمنا الآن علم اليقين ان هؤلاء نفرهم الذين قوضوا تلك السلطة الظالمة ، وقضوا عليها قبل أن تقضي هي القضاء الاخير على الدولة العلية ، فما الذي أقدركم ذلك العدد القليل ، على إسقاط حكومة مؤيدة بجيش عظيم ، ومال كثير ، وألوف كثيرة من الاعوان والانصار ، القابضين على زمام الاحكام ، كانت ترتعد من ظلمهم الفرائص ، وتضطرب لتصور استبدالهم القلوب ؟ ليس هو الاجتماع للطالبة ، والتعاون على استبدال العدل بالظلم ، ؟ بلى ولو كان أولئك الانصار الاخيار من اليائسين ، كما كان اكثر العثمانيين ، لما نالت الامة العثمانية هذا النصر المبين ، الذي كان موضع إعجاب الناس أجمعين ، حتى قال كثير من ساسة أوروبا وكتابها انه لم يسبق له نظير في تاريخ البشر ، لان المعهود في التاريخ أن هذه الغاية لا تتال الا بعد ثورات داخلية ، وحروب أهلية ، بين أنصار الاستبداد والظلم ، وطلاب الدستور والعدل ،

الآن قد خطر في بال كثير منكم اننا قد نلنا هذا النصر بسيف جيوشنا ، لا بتدبير أفراد من جمعياتنا ، نعم اننا لولا جيشنا الباسل لما عملنا الآن شيئاً ، ولكن لا ننسى أن جيشنا قد كان منذ كان حامي السلطة الاستبدادية ونصيرها ، وعونها على قهر الامة وظهيرها ، فما عدا مما بدأ ؟ أليس قد أخذ بعض ضباطه اهل العرفان والحجبة ، بأولئك المجاهدين في سبيل العدل والحرية ، فكان العلم والرأي ، هما القائدين للجيش ؟ بلى

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
نلنا الحرية والدستور وأصدر قاضي محكمة الاجتماع العليا حكمه بطلان تلك الوصاية الاستبدادية ، والولاية القهرية ، واثبات رشد الامة وأهليتها للقيام بشؤونها ، والتصرف في ملكها ، ولكن هل رشدت الامة حقيقة وصارت أهلاً للتصرف النافع ، الذي تحفظ به المصالح ؟ إن الحكم الصحيح في شأن الامة العثمانية عسير جداً . فانها على اختلاف شعوبها في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب متفاوتة تفاوتاً عظيماً

في التربية والتعليم اللذين يؤهلان الامم للحرية والحكم الدستوري فتكون دستورية بطبيعتها لا مقودة الى الدستور بالسلاسل

إن مجموع الترك أرقى في هذه التربية من مجموع العرب، والارمن أرقى من الاكراد، والاساتنة والولايات الاوربية، أرقى من الولايات الآسيوية، وولايات سورية وسط بين ولايات أوربا وبين العراق والحجاز واليمن، واننا نرى الاستعداد في سورية ضعيفا فماذا نقول فيما دونها، فكنا كثيرا ونحن في مصر لنختار من كل مدينة في سورية أفرادا من الاحرار الشجعان ليؤلفوا لنا شعبا لجمعية الشورى العثمانية فلم نعثر في أكثر المدن على من تثق بقبوله لدعوتنا، وودخوله في جمعيتنا، دخل في الجمعية رجالان من أهل بيروت كل منهما صديق للآخر ولم يكشف احدهما الآخر بذلك الا بعد إعلان الدستور، وناهيك بجزيرة أهل بيروت

ان العاقل الراشد اذا منع التصرف في ماله بالقوة القاهرة وطال عليه الزمن وهو لا يعمل ثم أبيع له العمل وهو غير متمرن عليه يجار في كيفية التصرف ولا يسهل عليه ان يجري فيه على طريق السداد . وقد اهتدى الى هذا المعنى أحد أغنياء بلادنا العقلاء (المرحوم محمد باشا المحمد) قسم ثروته الواسعة في حال حياته بينه وبين أولاده ليتمرنوا تحت مراقبته على إدارة تلك المزارع والضياع لئلا تفاجئهم الثروة فيعوزهم حسن إدارتها وحفظها، وغفل عن ذلك كثير من الاغنياء فلم يأذنوا لأولادهم بالتصرف في ادارة ثروتهم ولا بالتمتع بما تستشرف له نفوسهم منها، فلم يلبث أولئك الاولاد بعد موت والديهم إلا قليلا، حتى أضاعوا جميع ما تركوه لهم إسرافا وتبذيرا، كما رأينا وشاهدنا في مصر كثيرا، واذا كانت ادارة الثروة الشخصية لا تصلح الا بالعلم والتمرن معا فكيف تكون ادارة الممالك وسياسة الامم ؟

لا يعجلن أحد بالاعتراض على هذا الكلام فيقول انه مؤيد للحكومة المطلقة التي اراحنا الله من شرها، ومعارض للحكومة الدستورية التي امتلأت القلوب رجاء في خيرها، معاذ الله أن أحتج لتلك الحكومة الظالمة بكلمة وأنا أعلم انها لو بقيت سنة أو سنتين ولم ينجح الاحرار بالوسيلة التي أخذوا بها في هذا العام لو قامت الامة

والدولة في خطر لا تؤمن عاقبته ، وإنما قلت ما قلت آنفا لأنه الأفكار إلى حقيقة
حالتنا وما يجب علينا في هذا الطور الجديد

الأمة العثمانية في مجموعها مستعدة للحكم الدستوري فإن فيها من الأحرار
المرتقين في المعارف والأخلاق من جميع الشعوب من يرجى أن يقوم بهم هذا الحكم
خير قيام ، ويؤمن عليه من عدوان الاستبداد ، ولكن ضعف استعداد الأمة في
كثير من البلاد يحملهم مشاق كثيرة في إقامة العدل ، وإصلاح حال الملك ، ومقاومة
كيد المتقهقرين ، أعوان المستبدين الظالمين ،

لا تظنوا أن الأحرار الكرام الذين نلتنا الدستور بسببهم كانوا غافلين عن
هذا ، كلا إنهم قد أعدوا له عدته فأخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها أن
تكفل الدستور الذي كانت قابلة ولادته وأمه ومرضعه إلى أن يبلغ أشده ويستوي ،
فانشأت لها شعبا ولجانا في كل مركز من مراكز الولايات والألوية والأقضية في
المملكة ، وجعلت لها أندية سياسية اجتماعية ولها في ذلك مقصدان :

المقصد الأول مراقبة الحكومة في سيرها لاجل أن تنفذ الشريعة والقوانين
في دائرة الدستور ، ويحفظ الأمن ويقام العدل بقدر الاستطاعة والإمكان . والمقصد
الثاني نفخ روح الحياة الدستورية في الأمة وتحبيب الحرية إليها بث الآراء والأفكار
النافعة فيها بالخطب والمحاورات ، وحثها على التربية المليية والتعليم العصري الذي
يجعلها أمة دستورية بالطبع ، تأبى الاستبداد وتنفر منه كما تنفر من الأسقام والأدواء .
فحيا الله جمعية الاتحاد والترقي ، وأنه يجب على الأمة كلها أن تساعد في سعيها فإنه
لا حياة لنا إلا بالتربية المليية وتعلم الفنون العصرية . . .



الانقلاب العثماني *

﴿ وركيا الفتاة ﴾

٣

تفتن المايين في اكل الرشى ومنع الرتب والاوزنة

كان لرجال المايين في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرف ورقة وتورية بديعة ، فلما أنشئ قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطه كير ماش اورمانه كوندريورم » أي اني أرسلك الى غابة لم تدخلها بلطة الخطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل وأخذ تحت المحاكمة ، ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن اللحاق بالامم المتمدنة ، ويروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، وبعدها كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب من المايين مباشرة ! تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشهر فريق باسم بك وفريق باسم أفندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقرونا بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار بائعوا الرتب يعتمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجه الارادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتناقلها الجرائد العربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم

* (تابع للناشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روجي بك الخالدي

العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

القارىء ان تهب بك توجيه جديد كلفب كونت أو مركز عند الافرنج، وامتلات دوائر الاستانة بالموظفين بلا تمييز في جدارتهم واستحقاقهم واضطلاهم بالعمل الذي هم فيه، ولم يكن الغرض من التعيين التحري على موظف قادر على ايفاء الوظيفة حقها من العمل، بل ايجاد وظيفة وعمل للمقرين والمتمس لهم أو للذين يخشى بأسهم !! فزاد عدد الاعضاء في شورى الدولة عن المئتين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضوا، وكذلك مجلس المعارف ومجلس التفتيش والمعاينة الضابط على حرية نشر الكتب وادخالها وهو الذي يحا من كتب اللغة كلمات كثيرة مثل: حرية، وطن، اختلال، انقلاب، جمعية، رشاد.... كما غيرت اسماء الموظفين من عبد الحميد وسليمان ونحو ذلك الى اسماء اخر وبعضها حرفت وكتبت سلتاني، وامتلات نظارة المعارف بالموظفين حتى قال ناظرها الاخير لما عرضوا عليه الميزانية: لولا وجود معاشات المعلمين لامكتني وضع الموازنة !! فكانت معاشات المعلمين تضايقهم وهم يريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسومية عن ثمانين عضوا، وكذلك مجلس المالية والاوقاف والمسكرية والبحرية وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والمعينة الشاهانية، حتى ضاقت المجالس والاقلام بالموظفين وصار أكثرهم لا يجد له كرسيًا للجلوس عليه !! وكانوا يأخذون رواتبهم وهم نائمون في بيوتهم.

اختلال المالية وارهاق الفلاح

اختلت الموازنة المالية اختلالا عظيما ادى بها الى حجز نحو نصف رواتب الموظفين والعساكر ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الظلم في حياة الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وتساقت الموظفون الى المزاد بأعشار الاقضية والاوية، وعدوا ذلك فضيلة وسببا مشروعا للمكافأة والترقي، والمكلفون من الزارع والفلاحين يشون تحت اثقال هذه التكاليف والمظالم ولا ناصر لهم ولا مفكر في شؤونهم، وقلا كان يمر على القرية شهر من دون ان يأتيها المعشرون وجباة الاموال الاميرية ونصيب المعارف ومصرف (بنك) الزراعة وادارة

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتمون بأديارهم وبرؤسائهم الروحيين ، ولقد سمعت كثيرا من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع اراضيهم وتزويج بناتهم ليأخذوا صداقهن ويمطوا للحياة ما يطالبونهم به من الاموال الاميرية !! فصار الفلاح يتجنب زراعة الارض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين : « ان الاراضي يقل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها الا بالنسبة لخصبها » فاذا كان الفلاح حرا عمر الارض الموات وجعلها خصبة بعمله وحرثته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه الخصبة مواتا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان ما نشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحيثما توجهت فيها لا ترى الامروجا نصرة واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

و صار رجال المايين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبعث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية (Budget) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في اوربا آمنين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلا ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الالمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الادارتين

اختلال الادارة العسكرية بادارة الجواسيس لها

اختلت ادارة العساكر البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

واصابة الهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وحدث الانقلاب !!
مم ان دول أوربا ولا سيما المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة
بمناورات حربية ، يحضرها الامبراطور نفسه مع اولاده وأسرته وجميع ضباط
السفارات الاجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشوقونهم . وصار الاسطول العثماني
الذي انفق على شرائه الملايين كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يقدر عليه لطول
مكثه ، فصدأت آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار ، واختلست أموال
كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر
والمدرعات ، وصار الترقى في المراتب لا يبني على التقدم والاضطلاع والاستحقاق ،
بل على الالتئاس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة
في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندية معنى حتى ولا احترام من فوقه في الرتبة ،
وكان الضابط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للسماسة بأثمان بخسة ،
حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! وبيع حلة (بدلة) العسكري التي تشتريها
الدولة بمئات من القروش بعشرين قرشا . . أي ان المستحق للراتب والحلة كان
يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلة
من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للسماسر فيعطيه
هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق السماسر مع المحاسبه جي ومن فوقه ويربحون
الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر (ايراد ومصرف) كأنها جرت على القاعدة
والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة يرثى لها . وكنت ترى ضباط البحرية
البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في
شوارعها وحاراتها !!

اشتبهت الادارة المستبدة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوربا وخدموا
الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة بأحوال الزمان ، فابعدتهم عن الاستانة
وأشغلتهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم الى الافكار الحرة واعادة القانون
الاسامي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين
شخصا من الباشوات وأمراء العسكرية وخمس مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وفؤاد

باشا الشير وناظم باشا وهو صهر عالي باشا وأصبحت قيادة العساكر وادارة المدارس العسكرية بأيدي اناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل الا التجسس على أصحاب الافكار النيرة وابعادهم عن مركز الادارة، وكانوا يمدون ذلك خدمة لمنافع السلطنة والمحافظة على الخلافة الاسلامية !! فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات والانعامات !! فكان الجواسيس ينظمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة، ويخفقون المسائل ويفترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة يبندها العقل ويأبأها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم، وما ذلك الا لظهار خدمهم واثبات تيقظهم ومغالبتهم لنيل المكافأة، والمالين لا يكل من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في مئة كاذبة واحدا صحيحا، فاذا قالوا: « فلان له قصد سيء بالخليفة » أو « له مخابرة مع حزب تركيا الفتاة » أو « عنده أوراق ضارة » كانت كل واحدة من هذه التهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمة ثم نفيه أو حبسه أو عزله وابعاده، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات الملوكة والمس يحقروا الخلافة الاسلامية، على انهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة اسلامية وهي المعبر عنها عند الافرنج بقولهم « بان اسلاميزم Panislamisme » كما توجد سياسة سلافية « بان سلافيزم Panslavisme » وسياسة جرمانية « بان جرمانيزم Pangermanisme » ولا نجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص للمصالح الاسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وبطرسبرج أقلام ودوائر خاصة بدراسة المسائل الاسلامية درسا تاريخيا علميا للوقوف على افكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية، وعلى أحوال العالم الاسلامي في مشارق الارض ومقارها، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة ويقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية - فقصدتهم من السياسة الاسلامية انما هو كل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه ببني العباس لم تباشر الحكومة أمرا جديا لعمران البلاد واستخراج روثها الطبيعية والسير بها في معارج التمدن والرفاه، وتعليم رعاياها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد، بل ما كانت جميع المشروعات الوطنية فكانت لا يمكن من فتح المدارس

الخصوصية أو تعليم الاولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلدان الاجنبية، وحظرت تأسيس الجمعيات واطفأت حية أرباب المهتم تذرعا بأنها تؤدي الى الثورة والاقبال ، فكم نظر الولاة والمتصرفون شزرا الى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو الى مدرسة سلطانية أسسها الجماعة أو الى شركة صناعية أو مالية عقدها الاهالي ، ومرعان ما كانت تعطل ويحجى أثرها ، وكم منعوا الآباء من ارسال أولادهم الى المدارس الاجنبية أو الى مدارس أوربا ، وكم اضطهدوهم من أجل ذلك !!

ليس ما أجرته الحكومة من مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح المرافئ التجارية وتطهير المستنقعات الا اجابة لطلب الشركات الاوربية وتوسط بعض التنفيذيين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية ، فمنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به الفرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة اجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عوناً له في الحصول على الامتياز ، ويبقى النصف الآخر بحصاصيا له في مقابل اتعابه بالذهاب من المايين الى نظارة النافعة (الاشغال) والصدارة ، وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم الى كبير القلم أو الدائرة ، وكل زيارة نحتاج الى اكرام (شوقه خاطر) !! روى لي احدهم عن بعض النظار انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مدسكة حديدية كبيرة على أخذ أربعين ألف ليرة عثمانية ، وانه لم يقبل أخذ حوالة على المصرف (البنك) أو قوائم نقدية خوفاً من ظهور الارتكاب ، واشترط ان يكون ذهباً عينا ، قال الراوي فجاءوا بالمال وصفوه على منضدة كبيرة مرخمة عمداً عمداً وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصفوفة صفوفاً متوازية مازوزة ، وللأصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب ، فلما تم العد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقياً على فراش الموت (تمامي ؟) يريد هل العدد تام فقبل له نعم ياسيدي تام ، فاخرج الختم من كيسه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا . ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المنظرة من الذهب ويقبض رواتبه سلفاً ، ويويل لعالم الخزانة ان لم يدفعها — وفريق يتصور جوعاً وهو ينتظر رواتبه المتراكمة دينا عند

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يعول عليها في الاتفاق على نفسه وعياله النفقة الضرورية ، وكان ضباط السلك مظلومين أكثر من سواهم فكانت رواتبهم وتمييزاتهم على قلبها - لا تعطى لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينبو بها أوروبية يرثون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوغو : « ان الجوع يثقب في قلب الانسان ثقباً وعملاً حقداً »

سقوط هيئة الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الادارة وتذبذبها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا اصولاً مرعية لاني سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وانما اصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحو في الغد ما أثبتته في الامس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الاشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية فتجرأ على تهديدها حتى في المسائل الحفيرة كسألة تونسي دلوران دو التي اوجبت خروج الاسطول الفرنسي الى جزيرة مدالي (متلين) ، فصرخ إذذاك مارسل سامبا زعيم الاشتراكيين في مجلس النواب الفرنسي قائلاً : ماهذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحركوا ساكناً في المذابح الارمنية ولم تتدخلوا فيما توجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الاصلاح واجراء العدالة الانسانية ، والآن تكبدون النفقات باحراق فحم الامة وارسال الاسطول لحماية نفرين من المرابين اقترضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح ما يطلب لهم عين السحت ! . وسقط اعتبارها أيضاً في نظر رعاياها وصار اكثر الموجودين منهم في الديار الاجنبية يأنفون ان يكونوا من رعايتها ، فكانوا يتعدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها ، وبعضهم استبدل التابعية الاجنبية بالتابعية العثمانية .

كان ارباب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بعين الاسف والاستياء ويعتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الامة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب لمدحت باشا وان لم يكن كله من بنات افكاره . فكان الاستبداد ضاغطاً على جميع افراد

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقرين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الاستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لعقد النكاح أو للختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الانقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أوربا ولو كان مرضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الاستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من إذن مخصوص وارادة سنية لحركاتهم الشخصية وافعالهم اليتية حتى زواج بناتهم وأولادهم !!!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على باب الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العامر) فقال: ايته فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتهيت أكلة بفتك (شواء) أو نشر فكري جريدة أو التنزه في ناحية من المدينة لا استطيع . أيها عيش الانسان بغير الحرية اولهذافرالى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الامير صباح الدين بك والامير لطف الله بك ، وفرالى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

اتحاد الارمن والترك في طاب الجرية

شكلت جمعية الانقلاب الارمنية بعد مذابح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثأرين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوافيه القنابل سنة ١٨٩٦ ليفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحات واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، تم ألفوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قاقاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غاليزين للارمن التابعين لروسيا وتسليط التبر المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذابح باكو وفضائلها وعدة وقائع ومقاتلات ، وتصدي الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط

الذين سبوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس ، قتل بليف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة امام سراي يلديزفانه كفهم خسائر جسيمة ، فمدلت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفناء فعددت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونيين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤوط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلوميان اخندي الارمني الشهير وقدمت اتفاهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الحاضرة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع وعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الاقلامية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المتبيدة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقفلت المدارس وحبست المعلمين ونفت التلاميذ وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس أقفلت التعليم فيها بايجاد مراقبة لم يسبق لها مثل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التحريف والتغيير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعدالة لاتصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة وال عمران ، بل على الجواسيس والجرائد المويده للظلمة المحبذة لاعمالهم ولاسيما في البلاد الاجنبية ، وذلك لايهام الناس ومخادعة أوربا عن احوال الممالك العثمانية .

فمنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ تذاكر الجواز (Passes-port) أوجبا تعطيل التجارة ، كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وقعدان الامن في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراهبة وقعدان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزرعة الدنيا في عهد المدينيات السابقة خرابا ، وأراضيها قفرا بلقعا ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوربا ومستعمرات أفريقيا ، ليفتشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالهجرة والقحط أكلا العمل الذي بدى بالمذابح واتتج الخراب للبلاد وخلوها من السكان . فلجميع ما ذكر من الاسباب أصبح الاقلاب

السياسي ضروريا لمنع اقراض المملكة العثمانية وتوقيف انحطاطها - تلك خلاصة المذاكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

نهضة جمية الأتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الأتحاد والترقي العثمانية في أوروبا فانه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فاقسم إلى أحزاب وفارقه الكثيرون من اعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثابتا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيرها من المنشورات وكان الدكتور نظمي بك السلانيكي الاصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الأتحاد والترقي العثمانية ضعيفة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يعابها أرباب السياسة ولم يعتدوا بأن تركيا الفتاة حزبا موجودا ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المتشردين ينشرون أوراقا قليلة الجدوى لتخويف المايين ونيل الوظائف والاحسان ، وكانوا يعدون أحمد رضا بك معاندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، فضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الغانية

تداخلت الدول الاوربية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصوه ومناسير وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادارتها تحقيقا لرغبة أوروبا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم . وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميته (Comité) فسموا الداخل فيها (كوميته جي) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميته الافرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم واوزاعهم ، وكانوا يبذلون أرواحهم وأموالهم في سبيلها ويظهرون من الحماسة والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف . وكانت الحكومة المحلية تهابهم وتلاطفهم وتستطيع رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والارناؤوط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استقلالاً كلما أه حثنا كده مانا ، الصب ، الحما ، الاسد ، الهه ، فانه ، باللفظ

والبوسنة والمهرسك ، فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى منى نبقي في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والنذل والتحقير ؟

ولا يقسم على ضمير يراد به إلا الاذلان غير الحي والوتد
مانا لا نفعل كالروم والبلغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه؟
ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابوهم بان الاسلام يساعد ويحض على ذلك ،
ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الأتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ،
عارفين بما ينتج ففلمهم من الفوائد المادية والمعنوية ، فتشكل لهذه الجمعية مركز
في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية ، ولقد بلغ
عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون
لا يدرون من أمرهم شيئا ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة
يعتقدون بانه سيصيب بلادهم ما أصاب كريد وولاية الرومي الشرقية والبوسنة
والمهرسك . . . الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على
التظاهر بذلك .

الامير صباح الدين وسياسته

اكتب الامير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده
فاستثار فكره ، وجنح للحرية والاحذ بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا
يعرف بحزب (المشروطية وعدم المركزية مع التثبيت الشخصي) ولسان حال الحزب
جريدة (ترقى) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها هو أحمد فضلي بك
كاتب الجمعية . فعلم المركزية (Décentralisation) يقسم إلى قسمين عدم مركزية
سياسية مثل مستعمرة كندا الامريكية مع انكلترا . وعدم مركزية إدارية وهو
عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزويد حريتها وانتخاب المجالس العمومية
فيها كما أشير اليه في المادة (١٠٨) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا
فتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان
ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

حسن بك . فراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتشبه الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معاشهم حتى لا يكونوا منتظرين تيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لان السنة في الحكومات المستبدة ان ينتظر الأولاد دائماً الاعانة من أسرهم والأسر من أر باب مجالسهم وأر باب المجالس من حكومتهم . ولكن الامم الانكلوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة اللاتقة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتعمرتدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الازهان كدر من الامس وخوف من الغد ، واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ونفرة زائدة وبغض وحقد كامنان في النفوس ، وعلم المقر بون انهم على وشك الانقراض ، فضاق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، قهال كوا على ادخار الاموال واقتناء العقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أور باو أمر يكاه وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فناوها واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالاقرب فالاقرب من أسرته ، واستماتوا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالتقرب ، واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها والقابها ، ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلمية على المشايخ ذوي التيجان والعائم ، ومنحو الراحة من الخدمة العسكرية هم ومن انتسب اليهم من الرفاعية في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظمون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا انصب الانعام على فرد أو أسرة انهم كالفيت المتواصل وانصب

كله في ذرع ذاك الفرد او الاسرة دون ان يفرض منه شي على المزارع المجاورة ، ولهذا قال احد الفضلاء :

أمير المؤمنين فذلك نفسي ونفس (ابي الضلال) لها فداء
أثميه وقتلتنا جميعاً لعمرك ان ذا هو البلاء
فلا والله ما هذا بمعدل ولكن انت تفصل ما نشاء

واحتكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل ضبطوها ضبطاً بلا حكر ، وباعوا امتيازات الامور النافعة للاجانب فاضروا الدولة بذلك اضراراً جمة ، وشرعت نفوسهم للعجب وتلقت أعناقهم عظمة وكبرياء . وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع المزايا الانسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مقترس ، ينقلب يوم سقوطه وابعاده عن منصب الدولة شيطاناً رجياً ، كما ظهر من افعال فهم باشا وهو منفي الى بروسه الذي أهلكه الاهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كما أشرنا الى هذه الحالات المنكرة المتكررة ، والى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها « حكمة التاريخ » نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٣ بعد ان بدّل المراقب فيها وحرف كما أراد ، ظناً منه أنها تخفى وراءها خفيت على فطته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الاستانة واطلع عليها الملدوغون صدر الأمر بتعطيل الجريدة ، فكاد بركان الاستياء تفجر منه فوهات في عدة جهات ، لأن بقاء الخال على ما ذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصاً وأن البلاد العثمانية متوسطة بين أوروبا والشرق الاوسط والاقصى . ومما زاد اختلاطنا بالعالم المتمدن تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الاجنبية على ثغورنا ، ومشاهدتنا صور السينياتوغراف وسباعنا اصوات الفونوغراف ، وركوبنا الترام الكهربائي والحوافل والدراجات كل ذلك كان من دواعي اختلاط الامم وامتزاجها ، واصبحت المسافة بين الاستانة وباريس اقل من ستين ساعة بعد ان كانت تقطع في شهور وأعوام

نمت النابتة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والمعسكرية ، أو في المدارس الاجنبية التي افتتحها الاوربيون والامميون في الشرق وغم منهم الحكومة

المسلمين من دخولها والتصديق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك ، أو في المدارس الخصوصية التي استهانت طوائف الروم والأرمن واليهود والبلغار ، فعملت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الأجنبية ، وطلعتوا الجرائد والكتب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة ، وادركوا محل الخلل ، وصار يتخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم من مشبعون بفكر الحرية ومنتخفون بالأخلاق الأوربية والحماة الوطنية . فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجهال المستبدين بالأمر ، ففضيقوا عليهم واضطهدوا هؤلاء الشبان اضطهادا كبيرا كثيرة شتى كالنفي والحبس والمراقبة ودمور المنازل وتفتيش الأوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين ،

فلما حدث الانقلاب في ٢٤ تموز (يوليو) وانفجر في سلانيك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كان هؤلاء الشبان وجميع العثمانيين مساعدين ومعضدين لحزب تركيا الفتاة وجمعية الأتحاد والترقي ، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لان الجميع مستأون حتى المستبدين انفسهم والمستفيدين من الخلل الماضية والوزراء الذين اودعوا السجن واسترد منهم ما اغتصبوه من الاموال لان كلامهم كان يتطلب اكثر مما ناله ، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكن اذ ذاك مدهشا دمويا

انفجار بركان الحرية وحدث الانقلاب في ٢٤ تموز

تسنى لجمعية الأتحاد والترقي العثمانية في سلانيك اخفاء أمرها مدة ولكن وأختها فاحت بعد ذلك لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاختفاء ، فاحس بها جواسيس سلانيك وبعثوا بتقاريرهم إلى المايين ، فأرسلت الجواسيس من الأستانة ، فقررت الجمعية اعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن ، وعينت فدائيين من اعضائها بالترعة أو بالتراضي

وكان القائم نام ناظم بك قومندان مركز سلانيك يبذل مجهوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذاك الى الأستانة ليرض معلوماته ، ورجع منها نائلا لثمنه قرش ضما على راتبه فزاد اجتهاده وتحميره ، وطلب ثانيا الى الأستانة ويتينا كان على

أهبة السفر اذ فوجيء بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة مجروحا وحضر بعد ذلك الى سلازيك صادق باشا وماهر باشا وأمير اللواء يوسف باشا وبعض الياوريه وعدة من موظفي الملكيه، ونظموا دقرا باسماء كثيرين من المتهمين بعضويه الجميه، وحبسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم، فقام في مناسر صلاح الدين بك قائمقام ارکان حرب واليكباشي نيازي بك الارناؤطي بتشكيل فرقه من العساكر الوطنيه وذهبوا لتاحيه (رسنه) وهي في الغرب الشمالي من مدينه مناسر على مسافه ثلاثين كيلومترا ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك البكباشي صهر ناظم بك قومندان سلازيك وكان طلب الى الاستانة ووعد بمكافأة كبيرة ولكنه اختار نفع وطنه على منفعه الذاتية

ثم قتل في سلازيك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلعا عظيما وطلبت مني الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال، وضمت إلى معاشه خمس مئة قرش !! و بينما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بحضور جم غفير، وهرب الجارج من دون ان يعارضه أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى (رسنه) الفريق الاول شمسي باشا قومندان (متروبيجه) فاختر من يعتمد عليهم من الضباط وتابورا من العساكر وحضر على القطار الى سلازيك ومنها الى مناسر وذهب تو إلى إدارة التلغراف لخبرة الماين، فخرج عليه أحد الضباط وقتله، وامتنع من معه من الضباط والعساكر عن الزحف على (رسنه) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من عساكر الاناضول . ولما وصل منهم إلى سلازيك الثلاثة توأير الأول امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضموا اليهم أيضا، فأحس الماين بأن سوق عسكر الاناضول الى الروملي إتمام لقوة الجمعية فأوقف ارسال بقية عساكر الاناضول الى سلازيك. ثم اجتمع في (فيرزو بك) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة وفي يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلازيك

(المارح ١١ م ١١) اعلان الحرية بسلايك . خلاصة أسباب الاقلاب ٨٥٧

صباحا ووجدوا اعلانات محتومة بمختم الجمعية أي جمعية الأتحاد والترقي العثمانية تدعوهم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يتملوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان أولمبوس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلايك وضح الجمهور قائلا إما الحرية واما الموت !! . وأول من خطب على طنّف (بلكون) فندق (أولمبوس بلاس) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية (الاسبانية) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك نجيب محرر جريدة (عصر) بالتركية وفياوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المحصورة (فوق العادة) بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فلتحي الامة » فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسيية :

(1) Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé

وكانت ترجمت بالتركية هكذا : « قاتلك أي أهل وطن شان كونلري كلدي » وفي ليلة الجمعة وردت رسالة برقية إلى حلي باشا المفتش العام لولايات مكدونية بصدور الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا، وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

الخلاصة واسباب الاقلاب بلاسك دماء

حدث الاقلاب العثماني بلاسك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقل في

(١) المنار : هذا البيت من أبيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالمرية

ترجمة حرفية نظماً هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد واني

(المارح ١١) (١٠٨) (المجلد الحادي عشر)

الملكة كما حصل عند باقي الامم من الانكليز والفرنسيين والامريكان والمجر والروس وغيرهم ، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة : « لا تبت الحرية مالم تسقى بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسميها الافرنج (Théocratique) وانما هي مقيدة باحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالشورى ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالاقبال لم يضع حقوق السلطنة والخلافة كما ضيع اقبال الفرنسيين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الآلهية ١١١١ حتى اتصر لها فريق من الناس وقاتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التمدن والعلم والنور .

(٢) عدم وجود امتيازات اصنف من اصناف الامة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للاشراف وللرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم ، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الاقبال الفرنسي وحرهم من حقهم المشروع على زعمهم واعتقادهم ، أما الاقبال العثماني فلم يضع لاحد حقا فان الحقوق التي كانت على الاراضي للدره بكوات (دره بكر «*) (المعروفين عند الافرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة التي تبت بعد التثكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان ، وأعطى لاصحاب هذه الحقوق ضمانا ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة ، ووضع أخيرا قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضما وترتيا كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والوضيع وغير المسلمين « لم مانا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(*) النار : يراد بكلمة (دره بكر) في التركية اصحاب الزعامة والنفوذ الفعلي في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سيما في الاناطول فان السلطة والنفوذ كانا في أيدي هذا الصنف من الناس

الفاخ للروم وأقرّهم عليها والامتيازات الاجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الاجانب تفضلاً منهم واحساناً لا يجرّب وغلبه فسيجري الاتفاق عليها بصورة حية يرضى بها الجميع .

(٣) ان الافراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يعترفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الامّة والدولة بالباطل ، كما يعترف الاذكياء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وفائدته ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعدهم على ذلك ان هم أرادوا أو حاولوا . وإن الامّة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، نعم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لهم حق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الامّة ان تلقي على قارعة الطريق جماغيروا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعياهم غير ما كانوا يتقدونه من الرواتب ، فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشفقة والحنان أيضا في حق الظالمين لتم سعادة الامّة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الانقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وقلقل في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة (Réaction) في هذا الانقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب معقولة أو مشروعة تحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تحمّلهم على القيام لاعادة الادارة السابقة . اه

افتتاح مجلس المبعوثان

▶ ثلاث خطب ارتجالية في الاحتفال به ◀

بطرابلس الشام (٥)

خلاصة الخطبة الاولى في ميدان التل

أيها الامة العثمانية الكريمة

أهنتك بهذا اليوم السعيد الذي تحتفلين فيه بافتتاح مجلس المبعوثين وانني
لاهنئك بأمر عظيم ، أهنتك بأنك صرت بهذا اليوم أمة ، وما أحلى هذا القول
في في ، وأجبه الى قلبي ، نعم في هذا اليوم صار يصح إطلاق لفظ الامة عليك ولم
تكوني من قبله الا عبارة عن افراد متفرقين لا يصدق عليهم هذا اللفظ على وجه الحقيقة .
يطلق لفظ الامة في عرف علماء الاجتماع والسياسة على الجمع العظيم الذي
يتألف من شعوب متعددة ويرتبط بعض افراده ببعض بقوانين ومصالح مشتركة .
فالاجتماع هو الاصل الذي يتحقق به معنى الامة المولفة من جمعات بعضها أكبر
من بعض أديانها الاسرة وهي أول اجتماع بشري وأقدمه ، وأعلاها الامة التي هي
منتهى ما يصل اليه الاجتماع

هل يسوغ لنا ان ندعي اننا كنا أمة في طور الاستبداد الماضي الذي قضينا
عليه القضاء المبرم في هذا اليوم ؟ كيف وقد كنا ممنوعين من كل معنى من معاني

(*) احتفل بطرابلس كسائر البلاد العثمانية بافتتاح مجلس المبعوثان يوم الخميس ٢٤
ذي القعدة فخطب صاحب هذه المجلة في الاحتفال العام بميدان التل امام هيئتي
الحكومة الملكية والعسكرية وجمهور الاهالي ثم خطب في نادي الجامعة العثمانية امام
الهيئتين ثم في نادي جمعية الأتحاد والترقي وهذه خلاصة ما قال

الاجتماع حتى في الاسرة فقد صار الأب يهرب من ابنه والابن ينفّر من أبيه والاخ يفر من أخيه خوفاً من تجسس بعضهم على بعض ، وحتى صار الاجتماع في الاعراس والمآتم مخوفاً ومهدداً في دار السلطنة !! «منع الاستبداد الماضي ان يجتمع الناس للشكوى من الظلم بأنفسهم أو بكتابة « المحاضر » وفرض عليهم ان يشكوا منفردين وان كان ما يشكون منه مشتركاً بل منع شهادة التواتر الشرعية لانها لا تحصل إلا من جمع كثير . فالافراد الذين ينعون من أصغر أنواع الاجتماع ويهددون بالعقاب عليه كيف يسوغ لهم ان يدعوا أرق أنواعه وأعلاها ؟

اليوم قد تحقق زوال ذلك الاستبداد المفرق فاجتمع المبعوثان الذين اختارتهم الشعوب العثمانية لينوبوا عنها في القيام بمصالحها العامة كوضع القوانين والمراقبة على الحكام العاملين فهذا الاجتماع تحقق تكون الامة

فهذا اليوم هو العيد الوطني الاكبر العام لجميع العثمانيين فان ما عداه من الاعياد الدينية وغير الدينية خاص ببعض الشعوب والاجناس أو بعض الاديان والمذاهب ، وفي هذا اليوم يحتفل بهذا العيد المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم ، يحتفل به التركي والعربي والالباني والرومي والكردي والارمني ، يحتفل به العثمانيون في البلاد العثمانية ، وحيثما كانوا من البلاد الاجنبية ، يحتفلون به محتسبين متمزجين بعضهم بعضاً لانه عيد الجميع

هذا الجمع الذي نحن فيه يمثل لنا احتفالاً من تلك الاحتفالات الكثيرة . أما ترون فيه الحاكم السياسي والاداري والقاضي الشرعي وأمراء العسكرية وغيرهم من رجال الحكومة متمزجين بعلماء الدين الاسلامي وقسوس النصرانية وسائر اصناف الامة من الزراع والصناع والتجار والعمال وتلاميذ المدارس (١) والبشر يتدفق من وجوه الجميع لان العيد هو عيد الجميع

ثم اتى أهني الامة في هذا العيد السعيد بمعنى آخر وهو انها قد صارت في هذا اليوم حاكمة لنفسها بنفسها فان المبعوثين الذين اجتمعوا في هذا الوقت المبارك في دار السلطنة لينظروا في قوانين البلاد وكيفية تنفيذها فيقروا ما يشاؤون ويغيروا

(١) ذكرت هذه الاصناف مع الاشارة الى كل صنف من المتصرف الخ

٨٦٢ حكم الأمة لنفسها . خطبة صاحب المنار بنادي الجامعة الثمانية (المارچ ١١١١)

ما يشاؤون لم يكن السلطان هو الذي اختارهم وولاهم هذا العمل ولا غيره من رجال الحكومة ، وليس له ولا للحكومة ان يختاروا غيرهم عند انتهاء مدتهم أو يعيدوا انتخابهم ، وانما كان هذا من الأمة فهي التي أنابتهم عنها للنظر في شؤونها لأن هذا الحق هو لها دون غيرها فهي إذن الحاكم الاعلى وجميع الحكام من أعلام الى أذنانهم مستأجرون لها بما لها لاجل ان يقوموا بما لا بد لها منه ولا غناء عنه من المصالح

المعموية ملتزمين في ذلك شريعتها وقوانينها التي ارتضتها لنفسها

في هذا اليوم نالت الأمة هذا الشرف العظيم بالفعل ، وكانت من قبل مستعبدة للحاكم المستبد يتصرف في أموالها وأرواحها وحقوقها كما يشاء ، ولا يسمح

لها ان تقول ولا ان تفعل الا ما يدل على السمع والطاعة والخضوع للعبودية

بقي ان تعلموا أيها الاخوان أن حكم الأمة لنفسها محصور فيما ذكرنا من اختيارها وانتخابها لمن ترى فيهم الكفاءة والاستعداد لوضع القوانين العادلة لها والمراقبة لتنفيذها والنظر في مصالحها العامة كحلاقة الدولة مع الدول الأجنبية وليس منه ما رأيناه من تجرأ بعض الافراد واجتماعهم في دار الحكومة لإلزام بعض الحكام بما يرونه ويرغبون فيه فان هذا هو عين الفوضى والخلل لا تصلح معه حال ، ولا يستقر نظام ، ونسأل الله ان يتم علينا هذه النعمة ويوفق نوابنا إلى ما فيه خير الملة والأمة .



خلاصة الخطبة الثانية في نادي الجامعة الثمانية

أحب أن أقول كلمة وجيزة في معنى الثقة بنجاح مجلس الأمة ودوام الدستور: سمعت كثيرا من الناس يدعون الله تعالى بمثل قولهم « الله يتم بالخير » فكان يسرني هذا الدعاء من جهة ويسوئي من جهة أخرى . يسرني لانه صادر عن غيرة وحرص على نعمة الدستور وخوف على مجلس المبعوثين الذي يكفله ان يفشل أو يصيبه كيد الكائدين ، ويظفر بمراده حزب المستبدين المتقهقرين ، ويسوئي بما يظهر من فحوى القول ولحن الدعاء ، من ضعف الثقة وتغليب الخوف على الرجاء ، فان هذا الخوف يكاد يقرأ على الوجوه ، ويسيل من الالسنه متدفقا عن القلوب ،

انتي ادعو مع الداعين بأن يتم الله عملنا بالخير ويجعل النهاية خيرا من البداية فاننا لا نستغني عن الدعاء ، في السراء ولا في الضراء ، ولكتي ادعو وأنا ممتلي القلب بالأمل والرجاء ، ولست أرى للخوف محلاً بفضل الله وكرمه فان حالنا اليوم لا تقاس على حالنا من مدة ثلث قرن كامل أيام عقد مجلس الامة الاول ثم حله الاستبداد فلم يلق في حله مقاومة ولا ملأماً ، بل كان برداً وسلاماً

الفرق بين مجلسنا اليوم ومجلسنا في ذلك الوقت بعيد جدا ، ان ذلك المجلس لم يكن بسمي الامة ولا برأيها ولم تكن عالمة به ولا مستعدة له ، وإنما هو من صنع مدحت باشا ابي الحرية وبعض اخوانه الوزراء والكبراء فهم الذين وضعوا القانون الاساسي ، وبسعيهم ألزموا السلطات بقبوله فأظهر القبول وأمرت الوزارة بانتخاب المبعوثين فانتخبوا واجتمعوا ولما تفرق شمل هذه الوزارة حل السلطان ما كان منقداً ، وفرق ما كان مجتمعا ، فكان ابطال « مجلس المبعوثان » أسهل عليه من ابطال نابليون لمجلس النواب ، إذ لم يكن له من الامة عضد يؤيده ، ولا من الجيش نصير يحفظه ويعضده ، أطلقوا على ذلك المجلس لقب « أوت أفندم » (١) إذ قالوا ان الاعضاء كانوا يصادقون على كل شيء تلقية اليهم الحكومة بكلمة « أوت أفندم » فلما أراد السلطان فض المجلس قال لهم مندوبه: اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم ، فوضعوا أيديهم على جباههم « إشارة الطاعة » قائلين « أوت أفندم » وولوا منصرفين ، فما كان لهم من فئة ينصرونهم وما كانوا متصيرين ،

ماذا كان من أمر القوة العسكرية كالشرطة وغيرها ؟ انها هددت المبعوثين ذوي الجرأة وأندرتهم البطش بهم اذا لم يسرعوا بالسفر من الاستانة ، فذهبوا مسرعين ذلك بأن الاستبداد خاف من بقائهم ان يحدثوا هنالك تأليا للناس ويحملوهم على المطالبة ببقاء مجلس الامة والمحافظة على القانون الاساسي ، على أن الامة نفسها لم تكن تحفل بذلك ولا تعرف قيمته ولذلك لم يظهر منها أدنى اهتمام في مكان ما

أما الآن فقد تغيرت الحال ، واستبدل الله أقواما بأقوام ، فقد نلنا الدستور وأعدنا القانون الاساسي بسعي احرار الامة النابغين ، ومساعدة الجند وضباطه المستنيرين ،

لابسعي أفراد من الوزراء يمكن أن يصيبهم ماأصاب مدحت باشا واخوانه من نفي واغتيال فيذهب الدستور ومجلس الامة ويموتان بموتهم . كلا إن من ورائهما ذلك الجند الباسل الذي ساعد احرار الامة على نيل هذه الرغبة ولولاه لم نصل الى هذه النعمة ، من غير خطر على الدولة والامة ، ومن ورائهما احرارنا المنبثون في جميع الولايات العثمانية ينفخون روح الدستور فيها

تشهد أم أوروبا كلها بأن الجيش العثماني أشجع جيوش العالم وأشدها بأسا وثباتا في ميادين الجلال حتى قال الجنرال مولتك القائد الالماني الشهير الذي نكل ذلك التكييل بالفرنسيس : اعطوني مئة الف جندي عثماني افتح بهم أوروبا كلها . ولكنهم كانوا يقولون ان هذا الجيش الباسل ينقصه الضباط والقواد العارفون الصادقون . والآن يوجد عندنا عدد عظيم من هؤلاء الضباط الذين تعلموا أحسن التعليم و تربوا أعلى التربية وهم الذين كانت تطاردهم السلطة المستبدة الماضية خوفاً أن يقضوا على استبدادها حتى شئت شمل الكثير منهم فكان منهم المسجونون ومنهم المنفيون ومنهم الهاربون وقد بقي في الجيش العامل منهم من قلب تلك السلطة وأراح الله البلاد العثمانية من شرها فهل نخاف اليوم على مجلس الامة وقد عاد أولئك الضباط الكثيرون من سجونهم ومنفاهم وانضموا الى اخوانهم العاملين في الجيش وكل منهم يفدي الدستور ومجلس الامة بروحه ويذلل دونها آخر نقطة من دمه ؟ كلا ان العارف بحال الدولة والجيش وبماأته جمعية الأتحاد والترقي من الاحتياط والتدبير للمحافظة على الدستور وحماية مجلس الامة لا يتخالج صدره أدنى خوف على المجلس في هذا اليوم وإنما كنا نخاف على الدولة في دور الانقلاب من الخارج ، كنا نخاف ان تقوم في وجهنا أوروبا فتفسد علينا عملنا وتضطرنا الى الدخول في حرب لا تؤمن عاقبتها ، أما وقد تقينا من الدول الاجنبية ميلا وانعطافا عظيمين الا ما كان من ضم النمسا ولايتي البوسنه والهرسك الى أملاكها ومن إعلان البلغار الاستقلال ولم يكن في ذلك أدنى خطر على حكومتنا الجديدة والله الحمد والمنة ، بل رأيت النمسا الحرب الاقتصادية التي ناجزتها بها الامة العثمانية ما جعلها تندم على ما فعلت وتود إرضاء الدولة العلية

أما المشاغب الداخلية التي يحر كها في بعض الولايات انصار الاستبداد من حزب
التقهر كالعراق والشام والحجاز فلا خوف منها ولا خطر فاذا قام مثل طالب الرفاعي ،
يثير حربه من أكلة الافاعي ، ليفسدوا في الارض ويؤلبوا الاشقياء في ولاية البصرة
على الدولة فان قيامه هذا لا تأثير له ، ولا يمجز الحكومة الحرة استثنائه ، فان لديها
من الرجال من يأكلون أكلة الافاعي ، فلا يمجزهم التنكيل بهذا الرفاعي ، كما نكلوا
قبله بذلك الشقي الكردي ، فسيحبط عمل المفسدين ويستقر الامن في جميع الولايات
العثمانية عن قريب ان شاء الله تعالى

ومن الناس من يخاف ان يفشل مجلس الامة ويمجز المبعوثون عن القيام بما
نيط بهم وعهد اليهم من مصالح الدولة والامة ، وانني أصبح بأعلا صوتي ان هذا
الخوف في غير محله أيضا . ان المجلس السابق على ما كان عليه من الضعف وما قبل
من ان جميع أعضائه أرادوا ان يكونوا من حزب الحكومة حتى تقبوا بكلمة «أوت
أفندم» لخضوعهم لما يراد منهم - على هذا كله قد ظهر من بعضهم أفكار وآراء
حسنة واستقلال يرجى خيره لودام فكيف يكون مجلسنا اليوم وقد ارتقت الامة
بالنسبة الى زمن المجلس الاول في الاستعداد والمعارف والافكار بالرغم من اضطهاد
الحكومة الاستبدادية للعلم والحرية حتى انها ينبوغ الكثيرين من رجالها قد انتصرت
على الاستبداد وهو - كما قال الاستاذ الامام - في عفوانه ، والظلم قابض على
صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أي عبيد

نعم ان مجلسنا الذي نحتفل بافتتاحه اليوم مؤلف من طائفة من الاحرار المتطرفين
وطائفة من المحافظين الجامدين ، وفيه عدد قليل من المعتدلين ، وكثير من رجال العلم
والدين ، وانني أرجو - كما يرجو كثير من محبي الاعتدال - ان يكون تأليفه من هذه
الطبقات المختلفة التي تمثل الامة كلها أقرب الى النفع وأبعد عن الخطر فاني أعرف
كثيرا من احرارنا المتطرفين يميلون الى العجلة في الاصلاح ، وقد يكون من المستعجل
الزلل ، ومن تأتي نال ماتمى ، والعجلة في طور الانتقال من حال الى حال لا تخلو من
خطر أو ضرر فان خاب الامل (لا سمح الله) وضعف المجلس عن الاصلاح المطلوب

٨٦٦ جمعية الأتحاد كفالها الدستور . خطبة صاحب المنار في ناديها (المنار ج ١١ م ١١)

الآن فان جمعية الأتحاد والترقي المباركة التي أخذت على نفسها كفالة الدستور تسمى عند الانتخاب الثاني أو تجتهد في جعل جميع الاعضاء أو أكثرهم من نابهي الأمة ونحمد الله ان في أمتنا من النابيين ، من يشهد لهم بالفضل والعرفان ماسة الاوربيين ، ناهيكم بأولئك الكرام الذين احدثوا هذا الانقلاب العظيم الذي ادهش عالم المدنية بما دل عليه من الحكمة والاعتدال من الخطأ العظيم ان نطالب المجلس بأن يصلح حال الدولة ويرقي الأمة في زمن قريب فان التدرج سنة الهية في الارتقاء ، والطفرة محال لا يطالبها العقلاء ، وإنما واقفون - مع الاتكال على معونة الله وتوفيقه - بأن يكون لمجلسنا من الخدمة النافعة ، ما تقتضيه مصلحة الأمة في حالها الحاضرة ، آمين

خلاصة الخطبة الثالثة في نادي جمعية الأتحاد

انا منذ أعلن الدستور ، في فرح وسرور ، الى أن أتم الله سرورنا في هذا اليوم السعيد ، الذي هو للأمة العمانية أكبر عيد ، كانت أسباب سرورنا في الأشهر الماضية سلبية وسبب سرورنا اليوم ايجابي وجودي ، سرورنا منذ اعلان الدستور بأننا صرنا آمنين على أنفسنا أي لا نخاف ان نؤخذ بتهمة جاسوس ولا وشاية واش ، آمنين على بيوتنا أي لا نستطيع الحكومة أن تدمر علينا فيها ليلاً أو نهاراً للبحث عن كتب العلم وصحف السياسة التي كانت تسمى في عرفها بالاوراق الضارة أو « المظرة » ، سرورنا بأننا صرنا أحراراً لا يمنعنا أحد مما نريد من التعليم والتربية ولا من اظهار استعدادنا في أي عمل من الاعمال ، سرورنا بأننا صرنا آمنين على أموالنا لا يستطيع أحد أن يضرب علينا ضرائب ولا أن يأخذ منا أموالاً لا يفرضها علينا الشرع الذي نعتقه أو القوانين التي يضعها لنا نوابنا الذين انتخبناهم للنظر في مصالحنا - كل هذه الفوائد التي استفدناها من الدستور منذ أعلن الى اليوم معناها سلبية تفسر بلا لا لا في هذا اليوم بتبديء المنافع الايجابية فقد اجتمع وكلاء الأمة الذين أنابهم

عنها للقيام بما يميز دولتها ويرقي شؤونها ، واننا نتظر من وراء ذلك من الفوائد ما ينبغي ويزيد مع الايام والسنين الى آخر الدهر ، اتنا نهني ، أنفسنا بأن الامة قد صارت مذ البوم حاكمة لنفسها وأمرها في يدها ، فما الذي يجب عليها لتكون محسنة في هذه السلطة وقادرة على استدامتها وحفظها ؛ يجب أن تُعنى بأن تكون أمة دستورية بالطبع مستقلة بالذات متحلية بالمعارف والاخلاق التي تعززها الامم بأن تحاول أن يصير كل فرد من أفرادها اهلا لان يختار نواب الامة عن بصيرة أو يُختار هو بالاستحقاق

أول ما يجب علينا أن نفكر فيه وتوجه اليه هو أن تتولى نحن بأنفسنا إصلاح أمورنا ولا نتكل على الحكومة في عمل من الاعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة . فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد اليهم بالصدق والاستقامة ، ويجب أن يكون لهم منا عون ومساعد على ذلك ، وأن تتولى نحن سائر الامور التي تحتاج اليها الامة كترية الاولاد ، وما يتعلق بالثروة والاقتصاد

قد تعودنا أن نتظر كل اصلاح من الحكومة ولذلك اصابنا ذلك الفساد الكبير بفسادها ، ولا يزال كثير منا ينتظرون أن تصلح لهم الحكومة ماء البلد ، وتمهد لهم الطرق ، وتمد لهم خطوط الحديد ، وان اتكالم الامة على الحكومة في كل الامور العامة صار مذ البوم من التناقض أو مما يستلزم التناقض ، فينا هي تتنخر بأنها صارت حاكمة لنفسها متولية لامورها اذا هي تبرا من كل عمل لها وتلذذ بالحكومة لزا ، وتلصقه بها الصاقا ، وان لم يكن مما يعمل مثله الحكام . فالحكومة على المعنى الاول افراد من الامة — في الغالب — تستأجرهم بما للقيام بأعمال مخصوصة لا تستغني الهيئة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده شريعتها (أي الامة) وقوانينها التي يضعها نوابها الذين اختارتهم لذلك ، وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة والامة رعية لهم ليس لها من أمرها شيء ، فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه ، أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم بين الأمرين !!!

انما فشل مجلس المبعوثين السابق لانه لم يكن من جانب الامة ولا كانت الامة كافلة له ولا عارفة قيمته ، ولم يكن المرحوم مدحت باشا واخوانه الذين وضعوا

٨٦٨ تربية الامة . كفالتها بقاء الدستور . التربية والتعليم . وجوبهما (المناج ١١م ١١)

القانون الاساسي وأسسوا مجلس المبعوثين يجهلون ان الاصلاح الحقيقي الذي يثبت ويدوم إنما يكون بتربية الامة وتعليمها حتى تصير أمة دستورية بالطبع لا تقبل الحكم الشخصي بحال من الاحوال ، ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلا يحتاج الى عشرات من السنين ، ورأوا الاخطار مهطعة الى الدولة ، وأعناق الدول الطامعة ممتدة اليها ، وبرائتها ناشبة باطراف جسمها ، فعزموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الاصلاح من جانب الحكومة ، فعملوا ماعملوا وألزموا السلطان بإعلان القانون الاساسي . ولا يشك عاقل في كون الاصلاح اذا جاء من جانب الحكومة ، يكون أسرع من مجيئه من جانب الامة ، إذا هو ثبت ودام ، ولكن ثباته ودوامه عزيز المنال ، بل هو مع جهل الامة من قبيل المحال ،

ان الإصلاح في الأمم لا يأتي الا بالتدرج وهو انما يكون أولا بنبوغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الامة من الام الحية العزيزة القوية ، فيكون مثلهم فيها كمثل الشجرة المثمرة التي يبدو صلاح ثمراتها طائفة بعد طائفة ، وان من الشجر ما تكون بواكر ثمره غير جيدة ويحيي الجيد بعد ذلك كشجرة التين فان أول ثمرها الذي نسميه (الدافور) لا يجدي ولا يفيد ، ولكنه يكون مبشرا بماوراءه . ولقد كان شهيد الحرية والدستور مدحت باشا وإخوانه من قبيل (الدافور) من شجرة التين من حيث انهم كانوا مقدمة لصيرورة الامة العثمانية دستورية اذ تحقق ذلك من بعدهم ، ولم يتم في عهدهم ،

إن أول شيء يجب أن نوجه هممتنا وعنايتنا اليه ، ونعول في حفظ شجرة الامة عليه ، هو التربية والتعليم ، اللذان يكتران فينا عدد النابغين ، فان الاحرار الذين قلبوا لنا الحال ، وولنا بسعيهم هذه النعمة ، كلهم من ذوي التربية العالية ، الواقفين على العلوم العصرية التي عليها مدار العمران وارتقاء الممالك . وان جمعية الاتحاد والترقي التي نشيد بذكر فضلها قد تأسست أولا في المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة ثم كان لها تأسيس آخر منذ عهد قريب

اخبرني بعض من تخرج في هذه المدرسة أن الشعور بسوء حال الدولة وبما ينذر بها من الخطر قد بلغ من نفوس التلاميذ فيها مبلغا عظيما حتى ان الصائح بكلمة الدعاء

(المارج ١١م ١١) وجوب اعتماد الأمة على نفسها . قيامها بذلك بالجمعيات ٨٦٩

للسلطان في الوقت المعتاد صاح مرة « بادشاهم جوق يشا » ففتح التلاميذ أفواههم ولكن لم يخرج منها ذلك الصوت المعتاد الذي كان يملأ جوفها ، وما ذلك الا ان العلم بسوء الادارة وما كان يجب ان تكون عليه قد حرك في نفوسهم ذلك الشعور المحزن فعمد ألسنتهم ان تنطق بذلك الدعاء التقليدي المعتاد . فاذا لم يجتهد في تعميم التعليم الذي يمنح صاحبه هذا الشعور بحيث ينمي ويكثر فينا أمثال هؤلاء الرجال فاننا نخاف ان لا يكون لهم خلف وما الموجودون منهم بخالدين ، فاذا لم ينتجوا ويحجيء بهم من هم مثلهم وخير منهم فلا حياة في الأمة فان التاج والتماء هما ثمرة الحياة والمقصد منها

يوجد في أكثر الولايات بل البلاد العثمانية افراد من الاحرار الذين استنارت عقولهم بالافكار العصرية ، ومعرفة طرق ترقى الامم والغيرة على المصلحة العامة ، فيجب على الامة ان تقدروهم قدرهم وأن تستعين بهم على ما ينبغي لها في هذا الطور الجديد لست أعني باعتماد الامة على نفسها دون الحكومة في التربية والتعليم ان لا تبالي بمدارس الحكومة . كلا ان الغرض الاول للحكومات من مدارسها هو تعليم طائفة من الامة ما يقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد ، وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع افراد الامة جميع ما يحتاجون اليه وانما تقدم بذلك الامة نفسها

كيف تقوم الامة بذلك ؟ هل يعلم كل واحد نفسه ؟ هل يقول كل متعلم لمن يراه غير متعلم هلم أعلمك ؟ لا لا ، وانما تقوم بذلك الجمعيات الخيرية فهذا الزمن زمن الجمعيات ، ولم ترتق أمة فيه بغير الجمعيات ، وحسبكم ان بعض الجمعيات عندنا قد اسقطت الحكومة الاستبدادية ، وأدالت منها حكومة دستورية ، فأني برهان أقيم لكم على قوة الجمعيات أوضح من هذا الذي أنتم فيه ترون أثره بأعينكم ، وتلهجون بذكره بألسنتكم

لا ينتشر العلم في هذا العصر الا بالجمعيات ، ولا يرتقي نوع من أنواع العلوم الا بالجمعيات ، ولا يقوم أمر من الامور العامة الا بالجمعيات فعلينا ان نبدأ قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئنا المدارس والكتاتيب ، وان نعزدها بأموالنا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلا لترقية أنفسنا وترقية زراعتنا وترقية تجارتنا وسائر موارد الثروة التي تعزبها الامة

ان في بلادنا خيرات كثيرة من معنا من الاستفادة منها الجهل والاستبداد الذي

كان يضطهد العلم ويؤيد الجهل ، فبالعلم صارت جزيرة زيلنده أكثر فائدة وانمي زراعة من مصر المشهورة بالخصب والزكاء ، وإن في بلادنا ما هو أخصب من أرض مصر تربة كأراضي الجزيرة بين النهرين (دجلة والفرات) التي قال هيرودس أبو التاريخ انها كانت تؤتي غلتها من مئة ضعف الى مئتي ضعف أي ان الشبل (كالاردب) من القمح كان ينقل لصاحبه مئتي شبل . أيجوز ان تبقى هذه الأرض التي لا نظير لها خرابا لا ينتفع منها بشيء . *

حسبنا من نعمة الدستور اننا صرنا احرار لا يمنعنا مانع من الاستعداد ، ولا من العمل الذي نستغل به أرضنا ونستفيد من مواهبها الطبيعية ، وقد سعم من بعض الخطباء كلاما في الحرية فمن لي في هذا المقام أن ازيد شيئا وجيزا على ما قالوا فان المجال ذوسمة

الحرية تقابل الرق والعبودية فمعي كوننا صرنا احرار اننا كنا من قبل مستعبدين للحاكم المستبد أو اننا الآن قد خرجنا من هذا الرق والعبودية ، كان الحاكم قادرا على ان يمنعنا من التصرف في انفسنا وأموالنا كما نشاء فأصبح عاجزا عن ذلك . كان يمنعنا بالفعل ان نظهر استعدادنا الفطري للارتقاء من العلوم والاعمال فزال هذا المنع وصار يمكننا ان نخرج من المضيق الحيوي الذي حبسنا فيه ليسهل عليه ان يجعلنا رعية ويكون لنا كالراعي للبهائم ، صار يمكننا ان نكون اناسي وبشرا يتمتعون بمزايا البشرية . يقول العارفون بعلم النفس وعلم الاجتماع البشري ان استعداد الانسان لا يعرف له حد يقف عنده فاذا عاش البشر ملايين من السنين فانه يمكن ان يكون ارتقاؤهم فيها متصلا ومستمرا ، ويعرف هذا من قارن وقابل بين أولئك الذين يعيشون حفاة عراة في صحاري أفريقية وجبالها وفي بعض جزائر المحيط وبين هؤلاء الذين

* (ذكرت لم بعد الخطبة حكاية الملك المستبد الذي سمع صوت بومتين تتجاوبان فسأل وزيره عن ذلك وكان الوزير قد ضاق ذرعا باستبداده فقال له انه ذكر يخطف أنثى فسألته ان يهرها بضعة خربة فقال لها انني أعطيك في عهد هذا الملك مئة ضيعة أو بلدة من الخراب . قلت وهكذا كان الخراب عندنا بحيث تصير أرض الجزيرة مهرا للبوم وجبال مالطه تزرع بالتراب الذي ينقل من الخارج

يخاطب بعضهم بعضاً بالقول والكتابة بواسطة الأسلاك الكهر بائية وبغير واسطتها مع بعد المسافات بينهم ، ويتمتعون بغير ذلك من ثمرات العلوم ونتائج المدنية الغربية ما وصل أهل المدنية العالية في هذا العصر إلى ما وصلوا إليه من العزة والكرامة الا بإطلاق العنان لجياد العقول ، في ميادين العلوم والفنون ، ومساعدة الاستعداد البشري على الرقي في معارج النكمال الاجتماعي اللائق به في ظل الحرية الظليل وحماية الدستور العادل

ولسنا نحن الشرقيين دون الغربيين استعداداً للعلوم والاعمال ولكن عبودية الاستبداد هي التي كانت تظفي نور فطرتنا ونحجر على استعدادنا فلا تسمح لنا ان نظهر اسرار صنع الله وحكمه في خلقه ، ولا ان نتمتع بما سمح لنا الخالق الرحيم بأن نتمتع به ، كما قال في كتابه الحكيم : (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً) وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً)

كان العالم منا إذا أراد ان يؤلف كتاباً نافعا قال نذير الاستبداد إياك ان تفعل فان مولانا لا يريد ذلك ، واذا حدثت محب الفلسفة نفسه بأن يحل إشكالا ناجاه منه الاستبداد في سره إياك ان تفعل فان مولانا لا يحب ذلك ، واذا خطر في بال أحد ان يبحث في اسرار الخليقة ليخترع شيئاً ينفع الأمة اسراً له رسول الاستبداد : إياك ان تفعل فان مولانا لا يروق له ذلك ، كان لا يتجرأ أحد على إظهار أثر علمي أو عملي برقي الأمة في عقولها ونفوسها ، في دينها أو دنياها ، الا وجد الاستبداد له بالمرصاد ، وناله منه ما تعلمون من الاضطهاد ،

فالحرية هي تحرير البشر من هذه العبودية ، الحرية هي التي يكون بها البشر بشراً ، لا غنماً ولا بقراً ، فالارتفاع من الحرية يجب ان يكون بتوجيه الاستعداد الانساني إلى العلوم والاعمال التي ترقى بها الأمة والأخذ بها بلا شرط ولا قيد ، لا باتباع الشهوات ، واتبان الفواحش والمنكرات ، ولهذا كانت الحكماء ومحبو الانسانية ينشدون الحرية ، ويبدلون في الجهاد في سبيلها أموالهم وأنفسهم ، ولا غرورهم العالمون بالاسرار الالهية ، المودعة في الفرائز البشرية ، وبكونها لا تظهر الا في دائرة الحرية ،

ومن فوائد الدستور المساواة وقد خاض في بيانها الخطباء فأحب ان أزيد عليهم كلمة في إزالة شبهة للناس فيها : يظن بعض الناس ان الدستور جعل الناس كلهم في مرتبة واحدة من كل وجه . وهذا من المحال الذي لا ينال بالدستور ولا بغيره وانما جعل الدستور الناس سواء في الحقوق — كما قال الخطيب السابق — فالقني والفقير ، والصملوك والأمير ، والعالم والجاهل ، والنبية والخامل ، كلهم سواء في الحقوق ليس لأحد ان يعتدي على أحد في نفسه ، ولا ماله ولا يراعي الحاكم أحدا منهم ويهضم الآخر

أما المساواة في المواهب والفرائز وآثارها فليس للدستور فيها شأن فقد فضل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعلم والعقل كما نطق به كتابه ، ودلت عليه سنته في خلقه ، وله في ذلك الحكمة البالغة ، ولو جعل أفراد البشر سواء من كل وجه لما كان الانسان هو هذا النوع من الخلق الذي يظهر اسرار الطبيعة ، ويتمتع بما فيها من الحكم البديعة ، ولما تيسر للبشر ان يوجدوا الخبز الذي يأكلونه والثياب التي يلبسونها

ان تفاوت الناس في العقول والاخلاق ، هو الذي مكنهم من القيام بما ترون من الآثار والاعمال ، فان اختراع السفن البرية والبحرية واستعمالها مثلا لا يد فيه من العلماء الطبيعيين الذين اكتشفوا فوائد البخار والكهرباء والمهندسين والميكانيكيين كما انه لا بد له من الفعلة لاستخراج الفحم من المناجم ومن الوقادين لوضعه في النار وهذان العملا من أشق الاعمال وأصعبها . أفرايتم من كان مستهددا للاكتشاف والاختراع في العلوم والسياسة والامارة هل تتوجه نفسه وهل يرضى بأن يستخرج الفحم من مناجمه في الارض أو بأن يقدفه في النار ؟ أو تتوجه نفسه لنحو ذلك من الاعمال الحقيرة التي لا بد منها في الاجتماع البشري كالكناسة وما في معناها ؟ كلا إن هذا النوع من المساواة ما كان ولن يكون وانما يتقارب الناس ويتعاطفون بتعميم التربية والتعليم ، فنسأل الله أن يهدي الامة العثمانية في ذلك إلى الصراط المستقيم

باب التربية والتعليم

﴿ اصلاح التعليم الديني في الاستانة ﴾

هذا ملخص مطالب طلاب دار الفنون في الاستانة من نظارة المعارف وقد ذكرت جرائد الاستانة ان طلبهم قد أجيب :

- ١ — تدريس التفسير الشريف بتقرير معاني القرآن الحكيم الظاهرة وأسباب نزوله و بيان الناسخ والمنسوخ وتطبيق ذلك على القوانين الفلسفية
- ٢ — تدريس الحديث الشريف وان تكون مدة تدريس البخاري أربع سنين
- ٣ — تدريس أصول الحديث مع تراجم رواته وطرق أسانيد
- ٤ — تدريس أصول الفقه و بيان قواعده الكلية وتقرير تعاليمه وتفرعاته وتدریس الفروق في القواعد والاصول بين المذاهب الأربعة
- ٥ — تدريس الفقه مع بيان القواعد الفقهية والفروع ، وماخذ ذلك من الأدلة الشرعية الأربعة مع إيضاح الحكمة الشرعية في ذلك وفلسفة الاحكام
- ٦ — تدريس التاريخ الاسلامي
- ٧ — تدريس تواريخ الاديان المشهورة
- ٨ — تدريس السيرة النبوية بالتفصيل
- ٩ — تدريس التوحيد وذلك بان تنبذ طرق تدريس التوحيد القديمة ويلقى علم التوحيد إلقاءً عملياً يوافق الزمان والبيئة ، ويترك من علم الكلام الالوف من خرافات الفلسفة القديمة التي امتزجت به
- ١٠ — تدريس الدين الاسلامي وبقية الاديان : وذلك بتدريس المقاييس بين أصول الدين الاسلامي وقواعده وأصول باقي الاديان وقواعدها

- ١١ - تعليم طرق الدفاع عن الدين الاسلامي قولاً وكتابة وأصول المباحثة فيه
- ١٢ - تعليم أصول التدريس والتعليم وعلم تربية الاطفال بطريقة نظرية وعملية
- ١٣ - تدريس الحكمة والفلسفة على الطريقة الجديدة
- ١٤ - تدريس علم الاخلاق نظرياً وعملياً
- ١٥ - تدريس علم الروح
- ١٦ - تدريس التاريخ العام
- ١٧ - تدريس أصول الانشاء بالتركي والعربي
- ١٨ - ايضاح تشبث المسيحيين ولاسيما البروتستانت بنشر دينهم وأساليبه
- ١٩ - تعليم القاء المواعظ والنصائح وأصول الخطابة على الطراز الجديد

بَابُ الْحَيْبِ الْأَيْدِ

رحلة صاحب المنار في سوريا

(٢)

القلمون

مكثت في طرابلس أسبوعاً زارني في أثناءه أكثر أهل القلمون وأخذوا يستمعونني بالخروج إليها فلما كان يوم الموعد الذي ضربته لهم انقسم أهلها شطرين أحدهما جاء طرابلس لأجل أن يكون معي وأكثر أفرادهم من الشبان والكهول والآخر خرج لاستقبالنا مسافة ربع الطريق وثلثه ونصفه بين القلمون وطرابلس، وأكثره من الشيوخ والنساء والأطفال والمسافة كلها ساعة ونصف كان عدد كثير من الشبان يحملون السلاح فطلقوا منذ خرجنا من طرابلس يطلقون بنادقهم ومسدساتهم في الهواء فرغبت اليهم ان يكفوا عن ذلك فامتثلوا حتى اذا ما وصلنا الى الموضع المعروف بأبي حلقة الفينا فيه نفرا من شبان طرابلس

فحيونا بإطلاق البارود والرصاص في الهواء فأجابهم من معنا بمثل تخبثهم بل بأحسن منها فلم أنكر عليهم ذلك لعلهم بأن العرف يقضي بتسجيل العار عليهم إذا لم يفعلوا . وكذلك فعلوا عند ما شرفوا من راية «ظهر الرويات» على القلمون لا يزالان من بقي فيها بقدمنا وعندما وصلنا إلى دارنا أيضا لأنه من قبيل سلام المفارقة . وقد ذكرت هذا لأنه من العادات التي لم أكن أعرفها من قبل وسيأتي ذكر شيء آخر في معناه وكان من حفاوة أهل القلمون بي أن يحمل بعض نسائها مجامر العود الهندسي وغيره من البخور أملي من طرابلس إلى القلمون وكان فيمن خرج للقاء بمن بقي فيها من يحمل المجامر أيضا . وقد راعني وأثر في نفسي رؤية الأولاد الصغار من بنين وبنات في الخامسة والسادسة فما فوق يتسففون الطريق ويتسففون الروابي بين الأشواك والحجارة ، تبعوا في ذلك آباءهم وأمهاتهم وأخوتهم وأخواتهم وكان النساء يغنين ويرغردن ولهن في ذلك أغاني مناسبة للمقام ، وهذه العادة قديمة عند نساء البادية والقرى والبلاد التي لم يتسع نطاق الحضارة فيها . وقد ورد في هذا الباب ان النساء استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة وهن يضربن بالدفوف وينشدن الأناشيد ومنها قولهن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان فيمن خرج للقائنا مسافة نصف ساعة شيوخ وعجائز في عشر التسعين وعشر المئة من السن وهم صائمون وصحتهم جيدة بل مشى إلى طرابلس أكثر من واحد من هؤلاء المعمرين . وأهل القلمون يعمررون لأعتدالهم في معيشتهم ورياضتهم الدائمة بالعمل في الأرض مع جودة الهواء والماء فالخمر لا تدخل القلمون ولا يشربها أحد من أهلها والفاحشة غير معروفة فيها ولله الحمد والمنة ، وهاتان الكيرتان هما افتك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس

سألت رجلا من هؤلاء الشيوخ (هو الحاج علي طوط) عن سنة فقال : أربع وسبعون سنة . وهو يواظب على صلاة الفجر في المسجد غلغا وربما يجيئه قبل

طالع الفجر حتى في أوقات المطر والبرد كئذه الايام . ويمشى عدة ساعات في النهار وهو صائم . وسألت رجلاً آخر (هو السيد عبد القادر علي) عن سنه فقال لا أدري ولكنه ذكر لي حكايات منها انه كان ملاحاً في البحر فجاهه مرة علي طوط ليممل معه عمل البحر فلم يقبله لانه صغير لا يستطيع ان يحرك الجذاف . فانظاه من هذا انه يكبره بزهاء خمس عشرة سنة فهو قد ناهز العشرة الاولى بعد المئة أو جاوزها ولا يزال يصوم ويعمل في أرضه بالفرق وشبيه غير تام . فليعتبر بهذا بعض الشبان والكهول المتفرجين في مصر وغيرها الذين يزبن لهم الترف والتهاون بالدين ترك الصيام محافظة على الصحة !! ولوعقلوا لعلوا ان البطنة هي التي تفسد عليهم صحتهم حتى ان أكثرهم ليتناول الادوية والعقاقير والمياه المعدنية لاجل إصلاح المعدة والمعى وتسهيل الهضم وهم في سن الشباب فماذا تراهم يفعلون إن شاخوا ؟ على انه قلما يشيخ منهم أحد !

ومما يفيد ذكره في هذا الباب : باب الاعتبار بحال الناس في الدين ان أهل القلمون كانوا بهدي بيتنا أبعده مسلي بلادنا عن البدع كما انهم أبعدهم عن المعاصي . ولما انتهى دور الارشاد فيهم إلي رأيت عندهم من البدع انهم يوقدون السرج والشموع عند قبرين أحدهما قبر السيد محمد القصيناتي الحسني المشهور في المقبرة القديمة وهو أحد أجدادهم وأجدادنا من جهة الأمهات وثانيها قبر بني حديثا عند عليقة على شاطئ البحر وكانوا يربطون بهذه العليقة خرقة صغيرة يقطعونها من ثيابهم الخليفة يسمونها آثارا لأجل شفاء المرضى ، وكل من هذا وذلك معروف في جميع البلاد . فما زلت أنهارهم وأعظمهم حتى تركوا البدعتين نساء ورجالا وصار من يزور القبور منهم يكتبي بالسلام على الموتى والدعاء لهم والتفكير في الموت والآخرة كما هو المأثور وكان أكثر النساء من غير أسرنا تاركات للصلاة وجاهلات بأحكامها وأحكام الطهارة وآداب الزوجية فجعلت لهن مكاناً أعظهن وأعلمهن به كما أعلم الرجال في المسجد فصلحت حالهن في زمن قريب وكن أسرع امتثالاً من الرجال . وكذلك كان يوجد رجال يتركون الصلاة ولا يحضرون الدرس في المسجد فكنت اختلف اليهم في بيوتهم وأذكر انه استعصى واحد من البلاد الخاملين فأمرت الشبان فسحبوه

سجبا ولكنه لم يواظب وأعيانا أمره فاكتفيت منه بوعده مكذوب . وكان فيها رجال يسرقون الثمرات كثيرا وغيرها من المتاع قليلا ، فندر ذلك ندورا ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، وكان عمدي في وعظهم وتعليمهم كتاب إحياء العلوم وكتاب الزواجر وشرح المنهاج فصار فيهم متفقهون في دينهم يستحضرون مالا يستحضره كثير من العلماء المدرسين وكلهم من الفعلة والفلاحين والصيادين

على هذا تركت القلمون عند ما سافرت الى مصر ولذلك قال أزهدي الزاهدين ، وبقية السلف الصالحين ، العالم الأصولي السائح المعتبر الشيخ عبد الباقي الافغاني رحمه الله تعالى : لو بقي رشيد في بلده يعلم الناس ويرشدهم لكان خيرا له من الذهاب إلى مصر حيث لا يستطيع ان ينفع كما ينفع هنا . قال هذا عندما ذكر سفره له وهو لا يعلم ان قصدي بالسفر التصدي لإرشاد أعظم ، وتعليم أعم وأشمل ، ولما عدت إليها في هذه الايام علمت انه قد قن كثير من أهلها قركوا الصلاة واتصل بعضهم بالذين اعتدوا على يتنا من أشقياء طرابلس فأغرام هؤلاء بقطع الاشجار وشهادة الزور وإضاعة الحقوق وكادوا يجذبونهم الى الخمر والفحشاء والقيادة . أغروهم بالمال وغروهم بأنهم بحموتهم من الحكومة وإن سلبوا ونهبوا وضربوا وقتلوا ، فسلسوا لهم وساعدوهم على نهب بيتنا ، وتقطيع الاشجار من بعض بساتيناو كرومنا ونحمد الله ان كان هؤلاء المفرورون قليلين ، وأن كان أكثر الأهالي لهم ولمضليهم من الكارهين ، ونحمده أن جعل الشر أضعف من الخير

عدت الى هؤلاء الناس وهم قومي الذين أغار عليهم مالا أغار على سواهم وكنت أظن أن مالي من مثل الهداية والدين في نفوسهم قد صغر وتضاءل في هذه الفترة فاذا هو قد كبر وعظم حتى صار خيالنا مقرونا بشيء من الخرافات فقد كان الرجال والنساء والأطفال يقدون على دارنا ليلا ونهارا ومعهم الضعفاء والمرضى والمُخدجون يتمسون الشفاء مني باللمس والرُّقى وكتابة النشرات وما يعبرون عنه بالحرز والحجاب على ان في رجالهم من يعرف رأبي في ذلك فكنت اتلطف في بيان الحق لهم بقدر ما يسمح به المقام ويليق بحال المخاطب وأحثهم على المداراة الصحية والتداوي ومراجعة الاطباء عند الحاجة وقد سبق للمنار البحث في هذه المسائل والجمع بين الاحاديث

الواردة في الرق كحديث إقرار الذين رفقوا المندوخ بسورة الفاتحة وحديث وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنهم لا يسترقون على أن إقناع النساء بلباب الحق في هذه المسائل عسير ، ولا يتم ولو مع الإرشاد في زمن قصير ، ونسأل الله تعالى أن لا يجعلنا فتنة لأنفسنا ، ولا لمن يحسن الظن بنا ،

قلت مرة لعمد الرحمن أفندي الكواكبي (رحمه الله) لو تيسر لنا أن نجعل بعض محبي الإصلاح المتصمين بالكتاب والسنة شيخاً للطريق لا يمكن لنا بذلك هداية العامة بسهولة ولكن هؤلاء المصلحين قليلون ولا يكاد أحد منهم يرضى بأن يكون شيخاً لطريقة من الطرق . فقال إننا قد جربنا ما ذكرت فأقنعنا رجلاً من الصالحين المستيرين في حلب بأن يكون من شيوخ الطريق فيرجع العامة عن بدعهم وخرافاتهم ويهديهم إلى طريق الدين السويّ قبل بعد إباء ونفور فلما رأى إقبال العامة عليه واعتقادهم صلاحه وبركته قن بذلك وجاراهم في اعتقادهم فكانوا سبباً لضياله بدلاً من أن يكون سبباً لهدايتهم وخسرناه خسارة لا مطمع في رجوعها (راجع تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا » الآيات في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم أوفي المنار)

عقدت في القلمون عدة مجالس للوعظ والتذكير قل من تخلف عنها من حاضري القرية قاتب الناس توبة يغلب على ظني ان اكثرهم صادق فيها ولا أخشى من الاصرار على الفساد الا على نفر قليل من الموالين لبعض الاشقياء الغرباء الذين أشرت اليهم فيما سبق من القول . وقد الفت لهم جمعية شنوانها قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وجعلت لها صلة بجمعية التعاون التي سعت بتأسيسها في طرابلس

دده وسائر الكورة

بدأت الوفود تفتد من الكورة على القلمون للسلام علينا منذ اليوم الثاني من وصولنا إليها كرئيس دير البند ووجهاء البلاد من المسلمين والنصارى وقد نزل معظم أهل « دده » - وهي على قمة الجبل بازاء القلمون على الساحل - بعد العشاء وهم يطلقون البارود من بنادقهم والرصاص من مسدساتهم ويهزجون بالأغاني فتلقاهم

(المارچ ۱۱م ۱۹۱۱) احتفاء اهل دده والكورة بصاحب المنار . خطاب السلطان ۸۷۹

شبان القلمون في خارجها وأدخلوهم باحتفال يناسب ما هم فيه وقد قيل لي ان من الرسوم المعتادة في ذلك أنه لو لم يخرج شبان القلمون لقائهم لمادخلوها لان ذلك يعد من الاهانة في عرفهم . وعند وصولهم الى دارنا تحلقوا أمامها وطفقوا يهزجون ويطلقون العبارات النارية الى قريب من نصف الليل ثم انصرفوا مشيعين مشكورين وكان زعيمهم في هذا الاحتفال الامير علي عبد الرحمن الايوبي وجميع الاناشيد التي هزجوا بها مناسبة لمقتضى الحال ولعل اكثرها رنجالي فانه في الترحيب بالقادم (صاحب هذه المجلة) وفيها إطراء له بالأعمال السياسية والطبية وقد ذكر بعض القوالين المسلمين فيما أشده عبارة معناها : لولاك يا فلان لما ارتفع شأن الاسلام فأجابه رفيق له من النصارى بعبارة معناها انه ليس لكم وحدكم وانه قد طبع لنا الانجيل يعني بذلك انجيل برنابا !! وقد أضحكني هذه العبارة وأضحكت كل من سمع بها من العارفين بانجيل برنابا . فخذنا هذه السداجة مع هذا الاتفاق بين المسلمين والنصارى الذي حدث عليه اهل دده حمدا جميلا (للرحلة بقية)

خطاب السلطان

﴿ في افتتاح مجلس المبعوثان ﴾

أيها الأعيان والنواب

« بسبب الصعاب التي قامت في وجه انفاذ الدستور الذي وضعته مروض الاجراء عند ارتقائي العرش أوقف هذا القانون يومئذ الاضطرار الذي أشار اليه كبار الحكومة ، وأجل انفاذ القانون وارجىء عقد المجلس الى وقت يصل فيه الشعب الى الدرجة المرومة من التقدم بواسطة نشر التعليم العام ؛ وقفت عنايتي على ايجاد الرقي في جميع أنحاء بلادي ، وبفضل نشر التعليم العام ارتقت درجة افهام جميع طبقات شعبنا وبناء على الرغبة التي أعلنت ولان هذه الرغبة تضمن في الحاضر والمستقبل خير بلادنا لم تردد — رغم الدين كانوا على رأي مخالف — في اعلان الدستور

ثانية وأمرنا بإجراء انتخابات جديدة . ودعونا مجلس المبعوثان للاجتماع . وعلى أثر تغيير طريقة الحكم الاداري اسندنا منصب الصدارة العظمى الى كامل باشا .
وبينا كان مجلس النظار الموثف تحت رياسته عا كفا على تنظيم الحكومة الدستورية خرج أمير بلغاريا ووالي الروملي الشرقية عن حدود الأمانة لسلطنتنا لسبب ما وأعلن استقلال بلغاريا وعلى أثر هذا العمل أخذت النمسا وهنغاريا أيضا بضم البوسنة والهرسك اللتين سلم اليها احتلالهما وقتيا بمعاودة برلين . فبلغت اقرارها الى الباب العالي والى الدول . فهذان الحادثن العظيمان اللذان بخترقان حرمة المعاهدات ويمسان الصلات . سببا لنا اسفاً عظيماً

وعلى أثر اختراق حرمة المعاهدات سلمنا مجلس نظارنا مهمة عمل الواجب للدفاع عن حقوق حكومتنا . وانا نود في كل حال معاونة مجلس المبعوثان . وبما ان صلاتنا مع جميع الدول حسنة ووثيقة . فلنا الأمل انه مع معاونة الدول صديقاتنا تحل المسائل السياسية

وانا نود من صميم الفؤاد تنظيم المالية ، وتسوية موازنة الميزانية ، ومواصلة تحسين حالة سلطنتنا وزيادة عدد المدارس لزيادة نشر التعليم العام ، وابلأغ جيشنا وبحريتنا درجة الكمال . وكذلك تنظيم الدوائر المختلفة التي وضعت مشروعات قوانين شتى ستعرض على مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان لإقرارها

وعلى أمل ان مبعوثاننا سيدلون كل جهدهم في هذه السبيل نعلن اليوم اذا فتح مجلس المبعوثان

ومتى متمننا سعادة الامة ونجاحها وأقصى رغبتنا وآكدها وعزيمتنا الثابتة التي

لا تغيران تكون ادارة البلاد مطابقة للدستور

نسأل الله أن يحصر مجلس المبعوثان كل قواه في خدمة البلاد وخيرها

(المارچ) : بعد ان تلا رئيس كتاب المارين هذا الخطاب نطق السلطان بهذه

الجملة بصوت خافت « انني كثير السرور برويتكم مجتمعين امامي هنا وسأل الله ان يكمل أعمالنا بالنجاح والتوفيق » ولقد كان للخطبة وقع سيء في الأستانة وانتقدتها

الصحف ثمة انتقادا شديدا

بؤني الحكمة من يضاء من بؤني الحكمة فقد أوتى
خيراً كثيراً وما يذكركم إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

ببشر عبادي الذين يستمعون القول فيتنبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٦ - ٢٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩ ﴾

خطب ودروس

﴿ صاحب المنار ﴾

في هذه الديار ﴿

إن لي في هذه الدنيا وطنين : وطن المنشأ والتربية وهو سورية فاني نشأت
في قرية القلمون المجاورة لطرابلس الشام في ساحل الكورة من لبنان وتعلمت في
طرابلس . ووطن العمل وهو مصر التي أقمت فيها إحدى عشرة سنة أدعو الى
الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي وقرأت الدروس واعمل في بعض الجمعيات .
ولما أقر الله عيوننا معشر العثمانيين بالحكومة الدستورية اشتقت الى زيارة
وطني الأول لرؤية الاهل والاصدقاء وللاختبار حال البلاد بعد ان اشتدت عليها
﴿ نشرت في العدد ٥٣ من جريدة الاتحاد العثماني البيروتية الصادر في

٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

وطأة الاستبداد ومساعدة محبي الاصلاح والترقي في التنبه لما يجب ان توجه اليه المهم .

زرت بيروت وطرابلس والقلمون ثم عدت الى بيروت ومنها ذهبت الى دمشق الشام فبعلبك فحمص فطرابلس . وقد اقيمت في اكثر هذه البلاد خطبا ودروسا وجرى لي مع اهل الفهم والظهور فيها محاورات كثيرة فوقفت على ما احييت الوقوف عليه . اما المقاصد التي كان يدور عليها كلامي فهي محصورة فيما يأتي :

(١) وجوب الجمع بين هداية الدين والعلوم العصرية التي عليها مدار تروية الامة وعزة الدولة ، مع بيان عدم التناقض والتعارض بين دين الاسلام وهذه العلوم من رياضية وطبيعية واقتصادية

(٢) الاعتماد في هداية الدين على اتباع سيرة السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم ومن سار على طريقهم وما طريقهم الا الاهتداء بالكتاب العزيز والسنة السنية وقد فصلت ذلك في الخطب والدروس بمطالبة العلماء بأن يعلموا الناس دينهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين به فهديه افضل الهدى وطريقه اقصى الطرق . وبينت ذلك في أسس الدين الثلاثة العقائد والآداب والاعمال

(٣) أما العقائد فبينت ان الاعتماد على كتب الكلام في تلقينها للعوام لا يأتي بالفائدة المطلوبة وربما يضرهم ويوقعهم في شكوك وشبهات لا يجدون منها مخرجا . ذلك بأنها لم تؤلف الا لحماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة كما بينه حجة الاسلام الغزالي في كتاب (الجامع العوام عن علم الكلام) وفي غيره من كتبه . وإنما يجب اتباع طريقة القرآن في تلقين المسلمين عقائدهم بالاستدلال عليها بيدع صنع الله في خلق السموات والأرض وما فيها من البحار والأنهار والجبال والحيوان والنبات

(٤) وأما الآداب والأخلاق فيعتمد في تعليمها على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الناهية عن الفواحش والمنكرات ، الآمرة بالمعروف والباقيات

الصالحات ، المنبهة على ما فيها من فوائد الخير ومنافعه في الدنيا والآخرة ، وغوائل الشر ومضاره في الدنيا والآخرة — وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اهتدى بهديهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين

(٥) وأما الأعمال كالوضوء والتيمم والصلاة والحج فقد بينت أنه ينبغي أن تعلم بالعمل كما ورد في الأحاديث الصحيحة ومنها حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » وإذا قرأ الإنسان جميع الكتب ولم يتلق الأمور العملية بالقدوة فإنه لا يحسنها على أن الأقوال لا يستغنى عنها في كثير من المسائل

ذكرت في عدة دروس وخطب أن هذه الطريقة هي التي يمكن تسميتها في مدة قليلة ترجى فائدتها ويظهر أثرها وأنه من استطاع أن يعلم الناس كلم أو بعضهم ما زاد على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرها فليفعل بالطريقة التي تفرحها لا تكون مانعة له بل تكون مسهلة عليه ولكني أرى أن من المتضمر تميم تعليم هذه الكتب فلنبدأ بالمكن الأسهل طريقاً الذي لا بد منه لكل مسلم

(٦) الحث على تأسيس الجمعيات الخيرية لإنشاء المدارس ونشر التعليم الذي يتحقق به المقصد الأول من هذه المقاصد وهو الجمع بين الدين والعلوم ولإعانة المنكوبين والمعوزين عند الحاجة لتكون طبقات الأمة متعاطفة متراخمة يحترم فقيرها غنياً ويرحم كبيرها صغيرها

(٧) الحث على شكر نعمة الدستور بمساعدة جمعية الأتحاد والترقي على إتمام عملها العظيم في داخل البلاد من مراقبة الحكومة لأجل الثقة بالعدل وحسن الإدارة ، ومن بث الآراء والأفكار التي تنفع روح محبة الدستور والمحافظة عليه في قلوب طبقات الأمة العثمانية . وقد خطبت وتكلمت في الاستبداد والدستور والمساواة أكثر من مرة

(٨) تنبيه الأمة إلى ما يجب عليها من محبة الدولة العلية وبذل المستطاع في تأييدها وتعزيز جانبها . وموالاتة الدول التي توالياً ومعاداة الدول التي تعادياها ومجازاة هذه الدول بالاقبال على بضائعها أو بالأعراض عنها حتى تصير الدول تخشى عداوتنا وترجو مودتنا فإنه لا شيء يهيم أوربا من بلادنا مثل رواج تجارتها فيها . ولما جاءنا

(المناج ١٢م ١١) مقاصد خطب ودروس صاحب المنار. واجبات تحقيق الوحدة ٩٠٧

نبأ ضم النمسا ولاية البوسنة والمهرسك الى أملاكها واعلان البلغار الاستقلال التام دون الدولة العلية وتحدث الناس باحتمال محاربة الدولة للبلغار وأظهر كثير من الشبان التطوع في الحرب بينت في خطاب ألقته في نادي جمعية الاتحاد والترقي بطرابلس وفي خطبة ألقيتها امام الثكنة العسكرية في بيروت ان الدولة انما تحتاج الى مساعدة الامة بالمال دون تطوع الرجال لان ما عندها من العسكر كاف لمحاربة اية دولة عظيمة إذا وجد المال الكافي لتجهيزه . ثم رأيت بعد أسابيع من آخر خطبة ألقيتها في ذلك بعض الجرائد المصرية تقول مثل هذا القول الواضح لكل عارف بالحقيقة

(٩) بيان التفاوت بين الشعوب والملل في البلاد العثمانية في العلوم والمعارف والاستعداد للقيام بأعمال الحكومة والكسب والاستطراد من ذلك الى أن العرب أشد تقصيرا في ذلك من الترك والارمن والارناؤط كما ان المسلمين من العرب أشد تقصيرا من النصارى ، وفتت الاذهان الى مضرة هذا التفاوت اذا طال أمره لان الوحدة العثمانية لا تتحقق الا باتفاق جميع الشعوب والفرق التي تتكون منها الامة العثمانية واشترا كما في الاعمال التي تصلح بها الدولة وتممر بلادها، وهذا الاتفاق والائتام من نتائج التقارب في التربية والتعليم ، فلا بد من عناية العرب عامة والمسلمين منهم خاصة بالتربية والتعليم بقصد مجاراة غيرهم من إخوانهم العثمانيين وتمكين رابطة الاتحاد بهم ومساواتهم في أعمال الحكومة ومجاراتهم في الاعمال الحرة والاساءات العاقبة وخيف ان تساعد أوروبا في المستقبل كل جنس على الاستقلال وتجعل العرب تحت سيطرتها لعدم استعدادهم لتكوين حكومة مدنية

(١٥) تكريم الشعب وتنبهه الى انه أهل لكل مكربة وكل خير ، وان العالمي إذا اتقى الله فاجتنب الشرور والمعاصي ولزم الطاعة ورجب في الخير والبر فانه يكون خيرا وأفضل من كثير من المعلمين الذين لا يستعملون علمهم الا لجر المنافع الى أنفسهم ولو بالباطل ، وان الفقير القانع الصالح أفضل من الغني الذي لا يرفع الامة بضائه ، ولا يقف في الكسب عند حدود الله ، وان كثيرا من الفقراء

يمكنهم ان يذلوا شيئاً قليلاً من الصدقة على قدر حالهم للجمعيات الخيرية وبذلك يمدون من خدمة الأمة ونحو ذلك

هذه هي المقاصد التي كان يدور عليها كلامي وكان يفهمها المتعلم والعامي :
هذا يفهم فهمها اجالياً ، وذلك يفهم فهمها تفصيلاً ، وقد رضى بها وأثنى عليها جميع من لقيت من العلماء والأدباء وظهر لها أثر حسن في اندهامها ، لما عليه أهل بلادنا من الذكاء ، وقد سألت أكثر من واحد من أهل العلم الذين سمعوا الخطب والدروس الدينية التي كنت ألقها في المساجد : هل انتقدتم عليّ شيئاً فاتقي العود إلى مثله ؟ فيقولون ما يقول أهل الفضل في هذا المقام اذا كان ما سمعوا مستحسننا عندهم غير متقد .
ذكرت هذه الكلمة تمهيداً لما يأتي

حادثة الشام

ذكرت جريدة الاتحاد العماني خبر تلك الحادثة ولم تخطيء إلا في قولها اني سافرت من الشام ليلاً والصواب اني صليت الفجر فيها وسافرت في القطار الذي يخرج منها بعد مطلع الشمس . وقد علم القراء ان ذلك الرجل الذي قطع عليّ الدرس قبل اتمامه لم يدع في مجلس الدرس اني قلت شيئاً وأخطأت فيه وانما تكلم كلاماً مستقلاً في مسألتين لم أتعرض لهما في ذلك الدرس ولا في غيره من دروسي في بر الشام باثبات ولا نفي وهما مسألة تقليد الأئمة الأربعة واعتقاد فضلهم وهدايتهم ومسألة زيارة القبور واحترام الصالحين والتوسل بهم . وقد كان صاحب الفضيلة مفتي الشام حاضراً ذلك المجلس فإياه أسأل دون أولئك الأثوف التي كانت حاضرة الدرس : هل سمع مني كلمة مخالفة للشرع ؟ ان كان سمع شيئاً مخالفاً فاذكره بالميثاق الذي أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب « ليعيننّه للناس ولا يكتُمونه » ان يبين لي ذلك في كتاب خاص يبعث به إليّ وأنا أنشره في المنار وغيره مع بيان ما عندي فيه ، أو في رسالة ينشرها في بعض الصحف ليظهر الحق لطالبه ولا يخوض الناس في الباطل بغير علم . وسأكتب اليه كتاباً خاصاً أسأله فيه هذا البيان وهو أعلم بما ورد في الكتاب العزيز والاحاديث الشريفة في عيد كآبي العالم

كشف شبهتين او ثلاث

إذا كنت لم أعرض لذكر زيارة القبور والتوسل بالأموات الصالحين في شيء من كلامي في بلاد الشام فقد اشتهر عني اني كتبت كثيرا في انكار البدع المتعلقة بذلك . واذا لم أكن قد تعرضت هنا لذكر الأجهاد والتقليد فقد علم الكثيرون اني كتبت بذلك كثيرا . وكنت أعرض كل ما أكتبه ولا أزال أعرضه لقد العلماء وأنشر كل ما يرد علي منهم في ذلك ولا تنس هذه الجريدة لذكر شيء من ذلك وإنما أريد هنا كشف شبهتين خاض فيهما بعض الناس بسوء نية وبعضهم باخلاص وحسن قصد ولكن مع سوء فهم أو تصديق للكاذبين الذين يشعرون عنا الأباطيل حتى زعموا اننا ننكر وجود الملائكة وجودا مستقلا

الأولى : أشيع عني اني أطالب كل مسلم بان يكون مجتهدا مثل الأئمة رضوان الله عليهم ! وربما تطرف من يستبيح الكذب لأرضاء هواه فزعم اني أظن في الأئمة المجتهدين ! . وأقول في الجواب عن هذه الشبهة انه لا يطالب الناس بمثل ما ذكر إلا من كان لا يعقل ان هذا من طلب المحال لقصور استعداد أكثر الناس عن ذلك أو عدم تفرغهم له . ومن فهم اني أعني هذا بالترغيب في الأهتمام بالكتاب والسنة فهو مخطئ . فإني أعني به ان وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم ويمتد روح الدين في نفوسهم ، وأطالب المشتغلين بالعلم ان يهتوا بفهمها ويذكروا العامة بهما ، سواء منهم من تفرغ لدرس كتب المذاهب كعص طلاب العلم ومن لم يتفرغ له كأكثر العامة . ومسألة النهي عن التقليد مسألة أخرى يراد بها فهم كل قول بدليله لا ان يكون كل مشتغل بالعلم قادرا على تدوين مذهب !! . وهذا ما أعنيه بالأصلاح الديني وملخصه ان يعنى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وفهم كلام الأئمة بدليله وان يبذلوا جهدهم بإرشاد العامة بهما كما تقدم . وهذا هو عين اتباع الأئمة وقد ورد عنهم نصوص كثيرة مصرحة به وهو غير التقليد الذي نهوا عنه

الثانية : اني لم أنكر زيارة القبور وإنما أنكر دائما ما يكون عند زيارتها من

البدع التي لم تكن على عهد السلف الصالحين ، ولم يقل بمشروعيتها أحد من الأئمة
المجتهدين ، وأقول ان حب الصالحين والاولياء المقربين من الاحياء والميتين انما
ينفع ويكون وسيلة الى الله عز وجل إذا أفاد صاحبه التشبه بهم في خشية الله
وتقواه بترك المعاصي والعمل الصالح مع الايمان الصحيح والا كان غرورا . ومن
الغرور الذي يمنعه الاسلام دعاء أصحاب القبور بما لا يطلب إلا من الله واعتقاد انهم
يستجيبون لمن دعاهم وان لهم سلطة غيبية وراء الاسباب والسنن الالهية ينفعون بها
ويضرون ، ويعطون ويمنعون ، فهذا الاعتقاد عبادة باطلة وان سميت توسلا
فان الاسماء لا تغير الحقائق

وما يتعلق بهذه المسألة بمحاث الكرامات واتي لم أنكر جواز الكرامات ولا
وقوعها ولكن بينت انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير او تبديل أو
تحويل لان الله تعالى أخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول . وانها لا تكون معتادة
كأنها صنعة بيد الولي ! بل قال في الفتوحات انها لا تتكرر فان المكرر يكون معتادا لا
خارقا للمادة وغير ذلك من الاغلاط التي لا دليل عليها في الشرع ولا العقل .
وحذرت عوام الأئمة من الدجالين المحتالين الذين يدخلون عليها التليس من هذا
الباب . فمن أراد أن يقف على التفصيل في ذلك ، فليراجع المجلد الثاني والمجلد
السادس من المنارج فيها بضع عشرة مقالة مطولة في الكرامات . ومن يدعي ار
شيئا من كلامنا المجلد هنا والمفصل هناك مخالف للشرع فعليه أن يكتب الينادعواه
مؤيدة بالدليل لنشرها له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد رشيد رضا

باب المراسلة والمناظرة

﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارع الفيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده

الله وسدد مسعاها

السلام عليكم وبعد فقد طالما تشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى
حان وقتها بمناسبة ما كتبتموه في جريدة الاتحاد العثماني من اجمال رحلتكم الى سورية
فتمنيتكم بتعاهدكم للوطن الاول واكتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا
على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احساس
وشعور من تبيينهم للتعاون على البر والتقوى والتعاوض ماديا واديا والسعي في
عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفيدة ان يكون وعظيهم وتعليمهم مؤسسا على
الكتاب وما صحح من السنة فقها وعقائد وادابا فلقد وفيتم ما عليكم من مسؤولية
قوله تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد ابلغتم
تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعتكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة
والجماعة ولا يستقله الا جاهل او حاسد فنشكركم على تلك المهمة والحزم السيد

بقي بحث الكرامات ذكرتم انكم لم تتعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الان اماما احلم
عليه في مجلدات المنار رفع الاسف اني الى الان ما رأيت من المنار عددا للسبب الذي كان
حائلا في الاستانة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جلية من
الاجمال المسطور في الاتحاد العثماني وقد اكدتم على اهل العلم ان يكتبوا لكم ما ظهر لهم فانكم
طوقتم اعناقهم امانة شديدة المسؤولية فيكون السكوت منهم وفاقا في جميع ما هو مسطور
هناك فاخترت مكاتبتكم بما عن لي والمأمول من كمالكم الانصاف والرجوع الى الحق الذي
يتبين لكم فتقول: قولكم في الكرامة « انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير
او تبديل او تحويل لان الله تعالى اخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول » هذا لفظكم تعنون:

قوله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) تفسير هذه الآية ونحوها بعدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للاسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كليا ورأيت في كتب جديدة عربية وتركية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو معتاد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لا دليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانبياؤه ومن قفاهم ، وخذ لانه لأعدائه ومن والاهم ، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسير فتح القدير تحت هذه الآية مانصه «فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاوالبن أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل باؤلئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لا يقدر احد ان يبديل سنة الله التي سننها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ماجرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال أولم يسبروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبرة بعموم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لاكثر آيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرها من عجائب قدرة الله كمنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا اب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان تقول نزوعا بالآية اعتباراً بعموم اللفظ عموما لا ينقض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب لحكمة واشياء بلا اسباب لحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجني ما كتبه صاحب الحمية الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » بهذا اشارته الى حديث « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

بذراع ، قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السائرون على أثرهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقهم وقد قضى بان تلك سننه وان تجد لسنة الله تبديلا . اه فان كان مرادكم سد الذريعة خوف توسيع الخرق على الراجع من جهة العامة فسد الذريعة من اصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لا تلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقا للعادة باذن الله وجواز ما يعمل من البدع في زيارة الاولياء والغلو في الاعتقاد . وانتم تعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفراييني والتشيري المروي عنهما البحث في شأن الكرامة ما انكراها وانما قالوا لا تبلغ مبلغ المعجزة وبعضهم شرطان لا تتوالى وتترادف ترادفا يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكانا وسنة ، لاني عوارضا وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة ؟ فأملاوا المسألة فان خطرها كبير والماديون والطبيعون بالمرصاد فاذا سمعوا علماء الملة يقولون بفسد خرق العادة فيا بشراهم يننون على هذا الاساس الموهوم ماشاءوا لان مذاهيمهم انزال الخالق جل جلاله عن التصرف في العالم استغناء بالطبيعة أعادنا الله واياكم من الضلال وبالله تعالي التوفيق

محمد المكي بن عزوز بالاستانة

(المنار) إننا لا نقول بأن ما يعبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقم بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني مجملة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إنجازها هو السبب في إجمالها ولم نر بذلك بأسا لأننا أحلنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس بيان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق

وفي عدد كبير من علماء الدنيا إياها شبهات على الدين ومنفرات عنه فصي أف
يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأيه فيها . وانا نقل الآن له شيئاً منها يتعلق بمرادنا من
قولنا ان الكرامات لا تكون مغيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في
الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢١ م انصه (ص ١٧)

« أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة
الله تعالى التي قامت بها السموات والأرض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن
الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؛ فكل
ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً . ومبلغ العلم فيها انها كما قال ابن رشد
قد وجدت ونقلت نقلاً متواتراً اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها
سحراً لجهلهم بالفرقة بينها وبين تلك السموات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف
ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فعلم بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصنوعة من انكار المنكرين »
واعترض الواهين ، وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن
الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان نافعا ، اه من سياق الكلام
في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد (ص
٥٥ م ٦) عدة مسائل في الموضوع الأولى منها في سنن الكون وكونها عامة في
ارتباط الاسباب والمسببات والثانية في كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة في كون
روايات الآحاد تفيد الظن . والرابعة في كون العجائب والخوارق قد نقلت عن
جميع الأمم ووجوب تمحيص النقول وتحريرها . والخامسة في تمحيص المروي « ليعلم
انه واقع حقيقة ولم يكن تخيلاً للانتظار ، أو خداعاً للأبصار أو الافكار ، » وهذا
نص السادسة :

« قد كشف العلم أسباباً لا أمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فإذا علم
بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئاً من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع

لا تتناس الاسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن ان يوئل اليه ، فهو الذي يصح ان يسمى خارقة أو أعجوبة ، والنظر فيه من وجوهين ؛ حال من ظهر على يده وامكان قياسه على غيره ، ثم بينا ذلك وانترض منه — كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب مبغضي الخوارق الى الدين ، ولذلك قلنا في المسألة العاشرة (ص ٥٩ م ٦) مانصه :

« اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، (أي كما يعتقد منكرو الخوارق الآن) فلا يهين واهم ان ذلك قدح في النبوة أو ظهور بطلانها ، كلا إن تحقق (تأمل) فلا يبعد ان يكون تحققه مظهرا لحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية التي تتصل بالعالم الاعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الفرية كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يوئدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية ، وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بعشيتهم وارادتهم كما شاؤوا وكيفما شاؤوا ، وإنما كانوا يتبرؤون من حولهم وقوتهم ويسندون ما يوئدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجادلة من قومهم والخالح في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في اعالم السبية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي العمدة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجهه (ألم يأتيكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب » قالت رسلهم اني الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويومئركم الى أجل مسمى ، قالوا ان أتمم الابشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان ميين » قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يئن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فهذه سنة الله في الانبياء والامم : يدعو النبي قومه

الى الله بالينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فينبأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فينضع المستعد لقبول ذلك، ويعاند الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب، قال تعالى (وما نرسل بالآيات الا تخويفا)

دفاذا فرضنا ان العلم أظهر سبباً مقولاً لآيات موسى عليه السلام فهل يتأني ذلك أنها كانت تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب الاثني بأمثالهم في بلادهم وجفوتهم ؟

د نعم ان ما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يحتاج على صحته الا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم ، ولا سند متواتر على صحة كتابهم ، أولئك الذين يعتقدون في كل بلاد اسلامية : ان القرآن لم يثبت لمحمد (عليه افضل الصلاة والسلام) العجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة !! . قاله العلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسية وتكوين الامم وتربيتها من رجل أمي تربي يتما في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونها تأييداً الهيا ، وبرهاناً على صدقه قطياً ، وإنما البرهان عندهم هو تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها ، اه ومنه يعلم اخوتنا صاحب الرسالة مرماناً في هذه المباحث وانها تأييد دعوة الانبياء ومحاجة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فهل يخاف بدهذ ان يكون كلامنا حجة لهم ؟ ولا يحسبن اننا نصور شبهاً لم ترد علينا كما فعل كثير من عالمانا كالرازي وغيره . كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثير الحديث فيها .
وهاك نص المسألة الثانية عشرة (ص ٦٦١) :

«سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي ، والثانية لا تكون كذلك . وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة ، والثانية يجب إخفاؤها خوف الفتنة ، وزاد بعضهم كالتشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وانما تكون فيما دون ذلك كشفاء مريض ومكاشفة مخلوق المشهور : ما جزأ ان يكون معجزة انبي جاز أن يكون

(المنار ج ١٢م ١١) المعجزات . عدم مخالفتها السنن . صدى حادثة الشام تونس ٩١٧

كرامة لولي . وتقاتل ان يقول جمعا بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه ما وقع ولا يقع بالفعل ، اه

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس الامالي الدينية في العقائد وبيننا ان السنن منها ما يتعلق بالعالم المادي ومنها ما يتعلق بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لا تخالف سنن الله تعالى فمراده سننه العامة لان مخالفتها للسنن المادية قد شوهد في زمن ظهورها ونطبق به الكتاب المعصوم وهذا الذي اوردناه هنا يكفي لتفصيل ما رآه اخونا الكريم صاحب الرسالة في مقالاتنا التي نشرناها في جريدة الأتحاد العماني

وانا نشكر له فضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما انكره منه فحسب ان يكون الشكر مدعاة المزيد من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . فحيا الله العلماء المنصفين ، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجمال فيها وعموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير معصوم ، اخذوا يشنعون ويتأبون ، ولكنهم لا ينبهون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبطوا واخترعوا ، وتقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا الخبير أخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

صدى حادثة الشام

﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصلحين وقد سألتنا نشره في المنار واننا نشره اجابة لسؤاله مع الشكر له ولاولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :

أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدمتك للملة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد

لله شكرا على ما نجاك ممن أراد بك كيدا، فهنيئا للعلم والحكمة، بما أسبغ الله عليهما من النعمة،

ولقد رأيت المصطفين الاخيار، من نابتة هذه الديار، فرحين بما آتاهم الله من فضله، وافاض عليهم من طوله، اذ حفظ زعيم هذه الامة، الداعي الى سبيل ربه بالموعظة الحسنة والحكمة،

واني لأذكر بهذه الحادثة ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من عمر بن قتيبة، وأحب ان يذكر ذلك اسرى الاوهام «حيثما كانوا» ممن يرون هذه الحادثة اثرًا من آثار تخرج الدين عليك، وانتظاره الفرص للانتقام منك! كلا والله، انك لمن أحب الناس اليه، واكرمهم عليه، ولو تمثل لهم بشرا لرأوه يحمد الله حمداً كثيرا، ويشكره بكرة واصيلا، على ان الحادثة — بفضل الله — لم تزد درجاتك الارتقا، وصيتك الا اشتهارا، ولكنهم يفهمون الشرف مقلوبا، والمجد معكوسا. فيالله والدين والانسانية، وطلاب الاصلاح من نبتاء الجمعية البشرية، من هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويلقبون انفسهم بالفهماء وهم لا يفهمون، ويحسبون انهم على شيء، ألا انهم هم الكاذبون.

وانا نشكر المنار الزاهر فضله في تبديد حزبهم، وتزيق شملهم، والاجهاز على مذهبهم حتى أصبحت كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى، وازداد ايماننا بما قال الله في كتابه (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال)

والله يحفظك لحماية دينه والدعوة الى سبيله، والسلام.

أناي عليا

الانقلاب العثماني

طبعت رسالة الانقلاب العثماني بمطبعة المنار في كتاب مستقل (١)
وهذا نص المقدمة التي كتبها له شقيقنا السيد حسين وصني رضا:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وشاورهم في الامر)
(وامرهم شورى بينهم)
« القرآن الحكيم »

كانت الدولة العثمانية منذ أسسها السلطان عثمان ذلك الرجل المدبر العصامي ،
الى نهايات أيام السلطان عبد المجيد العاقل الابي ، — دولة حربية مجتة ، شادت بناء
عظمتها على أسس الاقدام والشجاعة والطلب ، فلم يمض زمن كبير حتى اصبحت
من الدول ذوات البأس اللاتي يتقى غضبهن ، وتخطب مودتهن ، فأمنت في
التتوحات ، واسترسلت في الغزوات ، وقبلما كانت ترجع من غزوة الأوبنود الفلج
تفتق فوق رأسها ، ورايات الظفر تتأيل في أيدي رجالها الكفاة صلفا وفخرا ، فز
مكاتها ، وتطاول ببيانها ، واتسع ملكها ، حتى تنقلت في أحشاء أوروبا ، بعد أن
استحوذت على آسيا الصغرى وجزء كبير من إفريقيا .

(١) بلغت صفحاته ١٨٢ باقطع الصغير وهو يباع بثلاثة قروش صحيفة في

مكتبي المنار بمصر وطرابلس

كانت سرية الخطى في هذه السبيل فسادت وشادت ، و بنت على اطلال
الدولة السلجوقية دولة عظيمة قوية ، وما كان العظم في تلك العصور التي يسمونها
العصور المظلمة الا بقوة المراس ، وثبات الجاش ، والنشوء بين صليل السيوف ،
ومزاحف الصفوف .

أخذ بضدها فتح القسطنطينية وكان قيا صالحا فاناف بها على اليقاع ، وتوقل
بها سني المراتب ، ناهيك بملك القسطنطينية اذا كانت خيرا عادلا ، وما زالت
تندرج في منازل العظمة ، ومواطن السؤدد ، حتى كانت أيام السلطان سليمان
القانوني ، وفيها بلغت آخر مدى ووقت عند متي القاي ، وهو صاحب الفضل
في جعلها حكومة نظامية قانونية ، بعد ان كانت تجري على قائلد محفوظة ، لا غناء
بها ، ولا نظام لها ، ومن ذلك الحين دب الضعف في جسمها وكان اهمال أولي
الامر وجهلهم وسوءهم الرعية سوء العذاب مساعدا على نماء الضعف ، وسريانه في
جسم الدولة ، الى أن تولى السلطان محمود الثاني ذلك المحب للاصلاح ، والدولة
على شفا جرف هار يندرها بالاضمحلال والفتناء ، الفاها وقد فقدت تلك القوة
التي كانت تباهي بها ، ولم تضرب بسهم في العلم الذي أصبح السلاح القاطع
واقوة الكبرى في ذلك الحين وهذا الحين ، هقوم منأدها بما في وسعه ، واصلح
فأسدها بما في طوقه ، وبما يذكر له بالثناء عليه تنكيه بالانكشارية الذين كانت
ؤمام الملك في يدهم لذلك العهد ، وكانوا من أشد العوامل في افساد الدولة واضطافها
ثم تولى الملك السلطان عبد المجيد والدولة في قلاقل داخلية ، ومشكلات
خارجية ، تضعف الرجاء في إقالتها من عثرتها ، وإنهاضها من كبوتها ، بله ارجاعها
الى سابق عزها ، وسالف مجدها ، فأخذ بضبها ، وحدد للحكومة وظائفها ، وبين
الرعية حقوقها ، ويكفيه فخرا انه هو الواضع لخط « كلخان » المعروف
لم يكبد عبد المجيد يوراي في رسمه حتى قام السلطان عبد العزيز وهو الذي
زين له حب الشهوات ، وأولع بحب السيطرة ، واشرب قلبه القسوة ، ينكت قلب
سلفه ، ويصدع رأب ساقيه ، وكان عوننا له على هذا التخريب وزيره محمود نديم
باشا ، حبيب (اغتاييف) السفير الروسي في ذلك العهد ، ومنفذ قايه ومقاصده

ثم جلس على سرير الملك السلطان عبد الحميد الثاني ، بعد ان تولى الملك السلطان مراد مدة لم تتجاوز ثلاثة وتسعين يوماً ، ولم يكد يستقر على السرير حتى أحاط به جمهور من الاحرار ، وزينوا له ان يسير على سنن أوربا ، فتكون حكومته دستورية حرة ، وكان مدحت باشا هو الرأس المدبر لهذه الحركة ، واليد العاملة فيها ، ولم تكد تقر عيونهم بتحقيق الرغبة ، حتى فوجئوا بالنفي والابعاد وإهاتهم في غيابة السجون ، وإغراقهم في لجج البوسفور !!!

ابتدأت المظالم منذ ذلك الحين تحارب الامة في جميع مقومات الحياة ، والتف حول السلطان فريق من الجواسيس « يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » فطفقوا يرضون المخلوق بما يسخط الخالق ، واقترعوا ضروبا من الظلم ، وأفانين من الارهاق والتضييق ، كانوا يصلون بها على الامة صيال الوحوش الضارية ، والطيور الكاسرة ذوات الخالب ، وامتد بهم الافساد الى أن سلطوا بعض رجال الامة على بعض ، ففتوا في عضدها ، وأفسدوا أخلاقها ، حتى بات الابن يخشى ان يأتيه الضر من قبل أبيه ، والأخ يتوقع ان يحيق به البلاء من ناحية أخيه ، وكان العلم أخوف ما يخافونه ، فنكلوا برجاله شر تنكيل ، ففر منهم من أفلت من ظلمهم الى أوربا وأمريكا ومصر .

كان الاحرار في غضون هذه الملمات والكوارث النازلة بأمتهم قد اجمعوا أمرهم سراً وانشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي تبوأوها ، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل ، وكلها تنديد بالحال الحاضرة ، وغلا في ذلك قوم واستخذى آخرون ، حتى قام فريق من الثبان في الاستانة — ومعظمهم من طلاب المدرسة الطبية والمتخرجين فيها — فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي منذ ثمانى عشرة سنة ، ثم نمت وعظمت بعد ذلك ، وانتظم في سلكها كثيرون من كبار الاحرار وخيار العقلاء . وقد كان لرجالها تكتم غريب ، وتحفظ شديد ، وحزم عظيم ، كانت بدايته السلامة من صولة الجواسيس ، ونهايته ذلك الفوز الكبير والنصر المين ، إذ قاموا بقلب أعرق حكومة في الاستبداد الى حكومة دستورية حرة ، من دون ان

راق في سبيل ذلك نقطة دم ، مع أن المسطور في التواريخ ان مثل هذا الانقلاب لم تصل أمة إلى ساحله الا بعد خوضها في بحر لحي من الدم ، لم تكن دهشة الامة العثمانية واعجابها بهذا الانقلاب بأكثر من دهشة سائر الامم الأخرى ، فقد تجاوزت صيحات (نيازي) و (أنور) بلاد الدولة العلية الى مدن أوروبا وغيرها ، فالتفتت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يخطر لهايال ، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا معجبين بهذا الانقلاب الذي لم يع التاريخ في صدره له ضربا ، حائرين في أسبابه ومقدماته ، حتى قام اليوم الكاتب السيامي ، والاديب الألماني ، صديقنا محمد روجي بك الخالدي ، عضوا لقدس الشريف في مجلس النواب العثماني — بتأليف رسالة جلية في هذا الموضوع ، أماط فيها اللثام عن الأسباب المجهولة ، والحقائق المخدرة ، وقد بحث فيها بحثا فلسفيا في أصل الاستبداد ونشوءه ، وشكل الحكومة العثمانية في بدء تأسيسها ، وبيان تقاليد الموروثة ونظاماتها المكتسبة ، وشيوع الخلل في إدارة الدولة واستبداد أولي الأمر فيها ، مما أدى بها الى شر حالة ، وكان سببا في قيام الأحرار ومطالبتهم بالإصلاح ، وأفاض القول في شؤون الأحرار وتاريخ ظهورهم ، وبيان الطرق التي سلكوها ليصلوا الى مقاصدهم ، مع تراجم لمشهور بهم .

جال المؤلف في ذلك جولة المورخ الواقف على الحقائق ، واستنتج من الحوادث التي سردها أن الانقلاب هو النتيجة التي لا بد منها لتلك المقدمات التي سبقته ، فكان ما كتبه جديراً بأن يكون رائدا لمن يأنس في نفسه شغفا الى استكناه تلك الفوامض التي ادهشت العالم ، وقلبت كيان السياسة ، وأي قارىء ليس شغوقا بذلك ؟

نشرت الرسالة في مجلة (المنار) فكانت موضع استحسان العلماء العقلاء ، والكتاب الأبيناء ، وكان بدالي ان استأذن مؤلفها في طبعا على حدة لتكون كتابا مستقلا تلزم مطالعته ، وتسهل مراجعته ، فكتبت اليه راغبا في ذلك ، فرجع القول مليا للطلب ، ساعحا بتفويض ما لا تسلم منه كتابة المتسرع ، ولا سيما اذا كان كموءلفنا لم يُتَح له ان يعيد النظر على ما كتب ،

واني أرفها اليوم الى الناطقين بالضاد مطبوعة طبعا صحيحا ، رجاء ان يستفيدوا من تحقيق مؤلفها ، ويوقفوا على أسباب ذلك الانقلاب العجيب . وخلق بأهل هذا

القطر الذين شفقوا بالدستور وقد ضاوا طريقه، ولم يهتدوا إلى بابه، أن يمضوا في معانيها،
ويتبينوا مرادها، عسى أن يتأسوا بأولئك الأحرار، ويكونوا من خير المختارين لهم
في هذه الديار

القاهرة في سلخ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

حسين وصفي رضا

التقریظ والانتقاد

حالت كثرة المواد في أجزاء المجلة الأخيرة دون التنويه بالكتب التي
أهديت إليها، وذكر المجلات والجرائد التي صدرت في هذه الفترة، ولما كان هذا
الجزء هو آخر أجزاء السنة التي أهديت إليها فيها تلك المطبوعات رأينا أن نتوه بها
على سبيل الاختصار، وربما نعود إلى الكلام على ما يستدعي منها الكلام في السنة
التالية عشرة :

﴿ الكتب ﴾

تاريخ مشروع السكة الحجازية

ألفه صديقنا الشيخ محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية الشهيرة
في ثلاث لغات : الأوردية والعربية والانكليزية وهو تاريخ مفصل لهذا المشروع الجليل

انعام الوفاء

مؤلفه الشيخ محمد الخضري المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وهو يحتوي
على سيرة الخلفاء الراشدين وقد جعله مؤلفه قسین : قسماً سماه عصر اتحاد الكلمة
وقد ذكر فيه الفتوحات ونبذة من نظمات الأمة الإسلامية في ذلك الحين ،
وقسماً سماه عصر الفتن وهو ما كان في أيام الخليفةين عثمان وعلي (رض)

والكتاب يقع في ٢٣٨ صفحة بالقطع الصغير وياع بخمسة قروش في

جميع المكتبات

تاريخ اسلاميت

مؤلفه الدكتور . ر . دوزي الهولاندي أحد علماء المشرقيات الاعلام ومن
اعضاء المجامع العلمية في أوروبا ، وهو كتاب جليل ترجمه باللغة التركية الدكتور
عبد الله بك جودت منشي ، مجلة « اجتهاد » وصفحاته ٣٣٤

المنهج السلوك

ألفه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس للملك الناصر
صلاح الدين يوسف وقد طبع على فقة أحمد زكي افندي أبو شادي ومحمد رشدي
افندي الخبير بالحكام الاهلية وهو يطلب منها وصفحاته ١٤٠ بقطع المنار

تأويل مختلف الحديث

هذا الكتاب من فرائس الكتب وضعه الإمام ابن كتيبة الدينوري من أهل
أقرن الثالث « في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا
عليها والاختلاف والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المشابهة أو
المشكلة بادي الرأي » وقد طبعه الشيخ زكي فرج الله الكردي بعد ان صححه
على نسخة مصححة بقلم السيد محمود شكري الأكمي عالم العراق ونسخة مصححة
بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشير وحسب الكتاب فانه ان يكون مصححا بقلم هذين
العالمين ، و يطلب من طابعه بمصر

نار القلوب

مؤلفه الامام ابو منصور الثعالبي صاحب تيمية الدهر وقته الفقه وهو من كتب
الادب التي يرغب فيها ، ومن ذا الذي لا يرغب في كتب الثعالبي من الادباء ، والكتاب
يقع في ٥٦٠ صفحة مطبوع طبعا نظيفا على ورق جيد و يطلب من طابعه احمد زكي
افندي ابو شادي بمصر

الدولة النمانية قبل الدستور وبعده

تأليف صديقنا سليمان افندي البستاني العضو في مجلس المبعوثان عن ولاية بيروت
والكتاب يحتوي على فصول كثيرة من آراء المؤلف ومروياته ومرثياته ، وهو مطبوع

(التأريخ ١٢ م ١١) الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ٩٢٥

طبعا نظيفا على اجود ورق وصفحاته ٢٠٣ وثمانه ١٢ قرشا صاغنا وهويباغ في جميع المكتبات ويطلب من اسعد افندي البستاني بشارع صندوق الدين بمصر

زكيا الجديدة

مولفه جميل افندي معلوف من مشهورى كتاب السوريين في امرىكا وقد قسمه الى ستة كتب: (١) اسباب الانحطاط في الشرق، (٢) تفرنج الشرقيين، (٣) التعليم، (٤) القانون الاساسى، (٥) الديانة السياسية، (٦) ابقاء أم فناء. وختمه بفصل في حقوق الانسان وملاحظات متفرقة.

عفة الاولاد

كتاب صغير يمتوي على نصائح وعظات يجدر بالناطقة أن تعني بتلاوتها وتدبرها ترجمه بالعربية سليم افندي خوري «بقلم سكرتير مالي السودان» وهو يطلب منه

جواهر الحكماء

هو مجموع رسالتين إحداهما لابن المقفع والاخرى للحافظ ابن عبد البر الاندلسي جمعهما في كتاب واحد عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ويطلب منه وثمانه ثمانية قروش.

﴿ الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ﴾

ديوان احمد نسيم

احمد افندي نسيم من شعراء مصر المشهورين وقد جمع شعره في كتاب بلغت صفحاته ١٣٩ مطبوع طبعا نظيفا على ورق صقيل

ديوان الحمويات

نظم هذا الديوان السيد محمد الحسن الحموي وهو يمتوي على موضوعات شتى وكثير من المقاطيع وقد طبع بالقطع الصغير وصفحاته ٢٠٨ ويطلب من ناظمه بحلوان

رسالة المطور

ترتب محمد توفيق افندي عطار الدمشقي نزيل الاستانة وهي رسالة في علم الفرائض سهلة العبارة حسنة الترتيب

تاريخ الحرمين وبيت المقدس

كراسة لأحمد حافظ افندي هدايه وتطلب منه بطنطا

المبادئ النحوية

رسالة في النحو مختصرة سهلة للشيخ مصطفى بكري الاسيرطي « مدرس اللغة العربية بالمدارس الحرة »

فتح القيوم

وهي ختمة مقدمة ابن آجروم للسيد محمد بن سودة من علماء فاس

في سبيل الدستور الفارسي

كراسة تحتوي على خطب وكلمات جمعها حسين افندي ابراهيم الايراني نزيل مصر

يوم الحساب

هو الجزء الاول من مجلة حدائق الظاهر لصاحبها أحمد زكي افندي أبوشادي ومحمود افندي عباسي وثمنه ٣ قروش

ربة الجمال

قصة ترجمها باللغة العربية اسكندر افندي خوري وتباع بستة قروش في المكتبة الشرقية

﴿ المجلات والجرائد ﴾الشرق الادنى. The Near East.

مجلة انكليزية مصورة تبحث في شؤون الشرق الادنى خاصة ، وتطبع على أجود ورق ، وتنشر صوراً للبلاد الشرقية ورجالها ومجالسها وغير ذلك في غاية الاتقان ، وموضوعها سياسي مالي أدبي ، وهي تصدر في لندرة وثمن الجزء منها نصف شلن ، ولم يكتب عليها اسم صاحبها أو أصحابها

الجنس اللطيف

مجلة « أدبية اجتماعية لصاحبها ومحررتها ملكة سهد » تصدر في مصر مرة في الشهر

بالتنين وثلاثين صفحة وطبعها في غاية الجودة، وورقها صقيل وموضوعها جليل، فخلق بالشبان والشباب التوفر على مطالعتها، وقيمة اشتراكها أربعون قرشا صاغا في السنة

بيان الحق

مجلة تركية تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية، وتنتشر أفكار الجمعية العلمية الاسلامية، وهي دينية علمية سياسية أدبية تصدر مرة في الاسبوع، وقيمة اشتراكها في السنة ٩٥ قرشا صاغا عثمانيا وثمان النسخة قرش ونصف

المباحث

صدرت هذه المجلة التي أشير اليها في (ص ٦٣٦ م ١١) وهي كما كان ينتظر من منشئها صديقنا جرجي افندي بني وأخيه صموئيل افندي، فهي تدل على علم وبصيرة واضطلاع، ويقع الجزء منها في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها في طرابلس الشام ١٥ فرنكا و١٧ في الخارج

روضة المعارف

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية اخبارية تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة» في بيروت لمديرها محمد علي بك القباني ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن افندي سلام من علماء بيروت. جاءنا الجزء الاول منها منذ شهرين وهو يصدر بصورة السلطان ١١ وقيمة اشتراكها ريالان في بيروت و١٢ فرنكا في خارجها

المعتمد

«مجلة عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية» تصدر في بيروت مرتين في الشهر بانقطع الصغير، لمنشئها محمد افندي باقر ومديرها كمال افندي بكداش، وقيمة اشتراكها ٣٥ قرشا في بيروت و١٥ فرنكات في خارجها

الاممال اليدوية للسيدات

مجلة ذات رسوم لصاحبتها فاسيلا وأختها وقيمة اشتراكها ستون قرشا صاغا في مصر

القرطاس

«مجلة علمية أدبية مدرسية تصويرية» تصدر في آخر كل شهر افرنكي في الاسكندرية لخيرها أحمد افندي قاتن وقيمة اشتراكها ٢٥ قرشا صاغا

الجامعة المصرية

مجله نصف شهرية مصورة تنشر محاضرات أساتذة الجامعة المصرية لأصحابها
محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيضي وعبدالله افندي أمين وقيمة اشتراكها
مع قرش في مصر لغير طلبة الجامعة

المدونة

« مجلة علمية أدبية تاريخية يقوم بتحريرها نخبة من كبار الأدباء والكتاب،
تصدر في الشهر مرة باثنين وثلاثين صفحة وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشا في مصر

فرهون

مجله تبحث في شؤون القبط الملية وتصدر في الشهر مرتين لديرها توفيق افندي
هييب واشتراكها ٢٠ قرشا في مصر

صحيفة

مجله أوردية تصدر في حيدرآباد الدكن (الهند) لمنشئها مولوي محمد أكبر
علي مستند مجلس المعارف بمه

ابوقته

جريدة اصلاحية اسبوعية تنشر الجدل في قالب المزل، يصدرها في تونس السيد
الهاشمي اخذ الكتاب المشهورين، وقيمة اشتراكها في السنة عشرة فرنكات

المكيم

جريدة اسبوعية « حرة تبحث في كل شيء » يصدرها في كوردوبا (الاربعين)
عزيز افندي حكيم ولها عناية خاصة بالأبحاث الفلسفية

شمس العدالة

جريدة اسبوعية « سياسية فنية ادبية » أنشأها فريق من الكتاب بالبنة العربية
في الأستانة، وقد سموها في هذه الايام « شمس الحقائق » وقيمة اشتراكها البرة عثمانية
في السنة

الاتحاد العثماني

« جريدة يومية سياسية ادبية اجتماعية عمرانية » يصدرها في مدينة بيروت صديقنا الشيخ احمد حسن طباره من مشهوري أرباب صناعة القلم، وهي من مثليات الجرائد الراقية في سورية، وقيمة اشتراكها أربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

كلمة الحق

جريدة عربية تصدر في الأستانة ثلاث مرات في كل اسبوع، انشأها فريق من الكتاب وعهدوا في رياسة تحريرها الى ج. حرفوش، وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في مصر والبلاد الخارجة وأربعة ريالات في الأستانة

اوقيانوس

جريدة فارسية تصدر في طهران تحت مراقبة ميرزا عبد الرحيم الّهي وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا

الحجاز

هي جريدة الحكومة الرسمية، تصدر باللغتين التركية والعربية، ولقد سررنا باناشئها سرورا عظيما لانها أول جريدة أنشئت في أم القرى مكة المكرمة، وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا في الخارج

الطلبة

« جريدة عمومية تصدر مرة في كل اسبوع » مديرها عبد الحميد افندي حمدي وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشا في مصر

الرفائف

« جريدة عثمانية علمية ادبية سياسية تجارية أسبوعية » لمديرها ومحررها حكمت باك شريف من مشهوري الكتاب في طرابلس الشام، وقيمة اشتراكها ريلان في طرابلس و١٥ فرنكا في الخارج

المقتبس

« جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية » لمنشئها ومديرها صديقنا محمد افندي كردعلي (المنار ج ١٢) (١١٧) (المجلد الحادي عشر)

الكاتب المشهور، والمقتبس من الجرائد الممتازة بتجري الصدق والتزام النصح،
والبعدهن سخيف القول ورذيلة التملق، وهي تصدر في دمشق الشام وقيمة اشتراكها
اربعة ريالات ثمة و٢٥ فرنكا في الخارج

المحرسة

« جريدة يومية سياسية علمية ادبية تجارية » والمحرسة من الجرائد القديمة التي
ابطلت منذ زمن فاعاد اصداها في مصر الياس افندي زيادة، وعهد في رياسة تحريرها
الى الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني من مشهور علماء سورية، وقيمة اشتراكها ثمة
وخمسون قرشا صاغيا في السنة

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِسْلَامِ

جواب مجلس المبعوثان (*)

﴿ عن خطاب السلطان ﴾

في افتتاح مجلس المبعوثان

يا صاحب الشوكة :

ان ادوار الفتور التي حدثت على أثر ادوار الفتوحات العثمانية وتوالي ظهور
الفوائل الخارجية من جهة وسوء الاستعمالات الداخلية التي هي أشد تأثيرا في التخريب
من جهة أخرى - كانت نتيجة استياء جميع العناصر العثمانية، وكان من ذلك ان والدم
المعظم قد وضع خط (كلخانه الهمايوني) الضامن للحقوق الشخصية، والقاضي بالمساواة
بين جميع العناصر العثمانية المختلفة، وبهذه الوسيلة قد اكتسبت الدولة العثمانية حياة
جديدة ملائمة للحال العصرية

(*) نشرنا في (ص ٨٧٩) من الجزء الماضي خطاب السلطان في افتتاح مجلس
المبعوثان، وانا ننشر الآن جواب مجلس المبعوثان وجواب مجلس الاعيان عنه

يد انه لما كان من اللازم تأمين الحقوق البشرية وحياتها بصورة راسخة ثابتة وكان من الضروري - صيانة لهذه الضمانة - تبديل شكل الحكومة القديم وقبول الاصول الدستورية المستندة على حكم الامة الاصلي - صدرت في زمن جلوسكم السعيد ارادتكم السنية بوضع القانون الاساسي ونشره وفتح مجلس النواب إجابة لآمال خواص الامة التي هي خلاصة آمال الامة كافة

على ان طريقة الشورى هي أصل في ادارة الحكومات وان صور الحكومات التي تباير هذا الشكل المشروع نأجحة عن تغلب البطل على الحق والاستبداد على العدل بصورة موقفة

ثم انه مع تصريح جلالكم في الخطط السلطاني بان استعداد الامة وأهليتها في ذلك الحين مسلم بها ومع اعترافكم بان القانون الاساسي وضع موافقا لذلك الاستعداد قام بعض رجال حكومتكم وأحدثوا مشاكل وهمية متناقضة جعلوا بها مستقبل قوة هذه الامة العظيمة عرضة للخطر مدعين انها غير أهل لصورة ولا شكل من الاشكال التي عينها (القانون الاساسي) وعليه تفرق مجلس الامة أيدي سبأ !!!

ان أولئك المخادعين الذين خدعوا جلالكم بالمشكلات الوهمية التي أحدثوها لم يكتفوا بالتمدي على احكام القانون الاساسي الذي هو مناط سعادة الامة وحريتها بل قد تجرأوا على بهتان آخر وهو زعمهم عدم استعداد ادمنة الامة لهذا القانون فحسنوا لجلالكم إرجاء تنفيذه مستخفين بقوة ادراك الامة :

ولكن نشكر الله فان الامة ونمعا عن المساعي التي بذلتها من نيل بهم نشر العلم والمطارف في سبيل تعطيل ادمنة وتنطية العيون قد أدركت بحسب استعدادها النظري وقابليتها الطبيعية ان هذه الحال ستؤول الى الاقراض وانها إن لم تنل حقوقها السياسية فلا تستطيع ان تحفظ مركزها في عالم السياسة والمدنية وعليه عرضت لجلالكم الآمال العامة

ونحمد الله على ان جلالكم قد أدركت كل الادراك الخطر المحدق بالدولة الذي لم يستر الا عن ابصار الرؤساء ورجال الحكومة ، ففرقم ما ينتج للدولة والمملكة بسبب اطمئنان الافكار العامة من السعادة في الحال والاستقبال فأصدرتم

الأمر السلطاني القاضي بالدعوة الى افتتاح مجلس الأمة واعادة الانتخاب موافقة
لاحكام القانون الاساسي بالرغم عن آراء المخالفين لفتحته ، وذلك فان الامة تشكر
جلالتكم هذا الشعور الذي كان سببا لا تقاذه الدولة العثمانية من اقراض محقق وسوقها
الى طريق الترقى والسعادة

ولو انكم تعلمتم قبلاً على خداع أرباب الغايات لكانت الاراضي الفائرة الموجودة
في اطراف المملكة قد أصبحت في خلال الثلاثين سنة الماضية أراضي عامرة ،
ولكننا في ارتقاء وعلاء بدل التبدل والانحطاط ، ولما كانت الشريعة القليلة التي
استفادت من الاستبداد فتحت في قلب الامة جرحا كاد يصير قرحاً ، ولكن
الوطن نال الرفاهة والسعادة من كل الوجوه ، ولكنها الدولة العثمانية استقرت
في مركزها السياسي اللائق بها امام الدول منذ زمن مديد

ان الامة العثمانية تشارك جلالتكم في الاسف الذي أظهرتموه بسبب اعلان
امارة بلغاريا استقلالها ، وضم النمسا ولايني البوسنة والهرسك الى املاكها ، وهما اللواتان
اللتان كانت تديرهما موقفاً بمرحوب ميثاق دولي ، لان الامة العثمانية كانت في دور
اقلابها السعيد تقطع الطرق السياسية بصورة سلمية ، وتربي صميم الآمال لتكون مظهراً
لموازرة الدول المتعددة وأهلاً لانعطافها في حياتها الدستورية الجديدة

ان هذه الحوادث السياسية التي هي إرث مشؤم من سينات الماضي المديد
سيندل مجلسنا النيابي كل الوسائل التي يحفظ بها شرف حقوق الدولة لخلقها ، وسيقوم
بجميع المساعدات اللازمة لمجلس الوكلاء المحرز ثقة الامة والمسئول امام مجلسها النيابي
ان خطة مجلسنا ستكون دائرة على ادامة حسن العلاقات بين الدولة العثمانية
وجميع الدول ، وان الامة التي أحدثت في الدولة هذا الاقلاب السلمي الداخلي
ستري العالم أجمع بان سياستها الخارجية موعودة للسلم

وان آمالنا معقودة بان دولتنا ستترقي بفضل خطتها السلمية الى الدرجة التي
تليق بدولة عظيمة الشأن امام الهيئة الدولية ، وانها ستكون جديرة بالاستفادة من
الحقوق الدولية على وجهها ، كما انها ستكون مرعية الجانب أهلاً لمحبة الدول كافة ،

وانا أتوقع أن تنتهي المسائل السياسية الحاضرة على وجه حسن بموازرة الدول المعظمة التي ثبتت لها خطتنا السلمية ونبينا السلمية

ان مجلسنا سينذل الجهد بتنظيم الامور المالية التي هي من أهم المسائل الداخلية، وسيكون رقيبا صادقا على الواردات، وسيطرا غيرا على الصادرات، وسيمنع بته إعطاء درهم واحد من الخزانة على غير وجهه، كما انه سيمنع أيضا اخذ بارة واحدة من افراد الامة بغير وجه مشروع، مقتحما في هذه السبيل كل المصاعب التي سيلاقها في امر ضبط الواردات والصادرات، وذلك بسبب النتيجة الاليمه التي اتت بها الاسراف والتبذير في الماضي بصورة لم يعهد لها نظير في تاريخ الامة، حتى يتسنى لدولتنا ان تكتسب لقب دولة مقصدة تدير امورها على القواعد المالية، وترفع عنها لقب دولة سفينة مبدرة، وانا نرى من الامور الهامة الواجبة بذل الجهد بتوطيد الامن وتأييد رفاهة العناصر المختلفة المولفة منها دولتنا، وصيانة الحقوق العامة باجراء العدالة مجراها والمحافظة على جريان القضاء بكل استقلال، وفتح المدارس في جميع انحاء المملكة واصلاح حال الموجود منها، وتربية ابناء الوطن تربية وطنية دستورية، وتزويد الوسائل العقلية وفتح الطرق والمعابر لتسهيل نقل الصادرات والواردات، وترقية حال الصناعة والزراعة وتوسيع نطاق التجارة

ومن الضروريات تعزيز القوتين البرية والبحرية لتكونا بدرجة مناسبة لموقعنا الجغرافي، ولتسنى لنا بها المحافظة على حقوقنا المشروعة وحكومتنا المقيدة، لا للتعمد على حقوق الغير

ولهذه الامور الحيوية المذكورة سينذل الجهد تدقيق التقارير التي قدمت من الحكومة لمجلسنا ونضع القوانين الموافقة لبلادنا وأمتنا

وانا مع الشكر لجلالتكم على عزمكم القطعي الثابت على ادارة المملكة بموجب احكام القانون الاساسي الكافل الحقيقي لسعادة الامة نؤكد لجلالتكم بان عزم الامة الحقيقي على صيانة القانون الاساسي ثابت واسخ لا تزعه اية قوة مهما عظمت، كما اننا نعرض لجلالتكم ما خالج افئدتنا من الابتهاج والسرور بروية شخصكم الكريم ماثلاً امام نواب الامة مما جاء دليلاً على رفع الحواجز والحوائل بينكم وبين الامة

ان قلبنا لا يشعر بغير محبة الأمة والوطن ، وكل آماننا الاشتغال بخير المسلك
والامة ورائدنا في ذلك مصباح المساواة والائحاد ، وغايتنا الحق والعدل ، وقد عاهدنا
ثلاثين مليوناً من العالم على المحافظة على حقوقهم ولا نخاف في القيام بهد و كالتنغير
تويخ الوجدان وخوف الرحمن ومن جعل الحق وجهته فالله يعينه ويؤيده

* * *

جواب مجلس الاعيان

يا سلطاننا

كانت اعضاء الاعيان كلها آذانا مصغية وقلوباً واعية لذلك الخطاب الذي
فهم به يوم افتتاح مجلس الأمة المؤلف من الاعيان والمبعوثين
انقضى ذلك الزمن الذي أصيبت فيه الحكومة بادواء الخلل فزالت بزواله تلك
البرازخ التي كانت حائلة دون اختلاط السلطان بالشعب وتوثيق الروابط بينهما ،
وكانت تلك الحوائل لاغراض شخصية ، فالشعب اليوم يرى نفسه مقبوطاً بروية
سلطانه وسماع خطابه بواسطة المبعوثين والاعيان ، ذلك الخطاب الذي ضمن فيه
الدستور فلنا الشرف ان نرفع لجلالتكم واجب الشكر الصادر عن هذا الامر السار
والحكومة الشورية تقوم على هذا الأسس المتين الكافل لجميع الحقوق وليس
هناك ضامن لتثبيت السلطة العليا وتنزيهاها عن التبعة الاحفظ ذلك الاساس المتين
لذلك تحقق ذلك العزم الوارد في الخطاب والموجه الى الشعب والعالم بأسره
وهو الاشارة الى حفظ القانون الاساسي بالميثاق البات ، وانا تقابل ذلك بالحمد
والتناء الجميل

ان ما ورد في الخطاب السلطاني من الامل في بذل الهمة والمساعي لانجاح
المداولات بين الدول الموقعة على عهدة برلين بشأن البوسنة والهرسك والبلغار
— ذلك كله -- من مهمات السلطة التنفيذية ، ولنا الامل الوطيد بقيام الوزارة
خير قيام بمهماتها ، وانا نضيف الى ذلك الامل النظر في مسألة كريد

نحن في حاجة عظيمة الى الثقة بنا ولا يتم لنا ذلك الا بنجاح حقيقي في النظام الاداري والعسكري، ويعوزنا بذل المساعي العظيمة لنحفظ مآزر الحكومات ولتكون لنا مدينة صحيحة ثابتة

إن المساواة بين الافراد والعدل بين أفراد الأمة وجماعتها وتعليم الشعب وتثقيبه حسب حاجات الزمان على نمط الشعوب المتدنية والاعتماد المالي الصحيح وضمان حال البلاد من حيث الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية — كل ذلك من الامور الضرورية التي لا تقبل التسويف والتأجيل

وان تقنا كلها موضوعة في مجلس الامة (المبعوثان) وآماننا بمساعيهم الحكيمة محققة، وسنرى منهم مشروعات وقوانين تضمن لنا ونسبل بلوغ الاماني المشار اليها، وبذلك يكون للأمة والبلاد مستقبل زاهر سليم من كل شائبة

ومن الضروري ألا تقصر السلطة التشريعية التي هي مؤلفة من الاعيان والمبعوثين في العناية بالمسائل الحقيقية لوضع قوانين تسير البلاد بسبيل التقدم والنجاح، ولا ريب عندنا بان مساعي الوزارة التي يناط بها التنفيذ ستضم إلى هذه المساعي، وحينئذ نال السعادة التامة التي نطلبها، وهي ذلك الغرض الذي يري اليه المصلحون من ابناء الوطن

وانا نتمتع عريضتنا هذه بتكرار الشكر لجلالكم لتهدكم وعزمكم الأكد على حفظ شكل الحكومة الشورية، ونؤكد لجلالكم أن مجلس الاعيان يسند جهده في قيامه بواجب حفظ الدستور الذي يري حفظه من أقدم الواجبات وانا نعرض لجلالكم بان مجلس الاعيان يقوم بخوكم ونحو الأمة بكل ما يجب عليه من الإخلاص التام

رحلة صاحب المنار

﴿ في سوريا ﴾

٣

دمشق الشام

عدت في ٢٣ رمضان الى بيروت وفاء بوعدني لأصدقائي والوالي فأقيت فيها أربعة أيام كنت أهي في كل يوم منها دو سادينا بعد العصر في أحد المساجد ، وفي اليوم الأخير استبدلت بالدرس خطبة سياسية في حظيرة الموقع العسكري إجابة لطلب الكثيرين

وفي صبيحة الخميس ٢٧ منه ركبنا القطار الحديدي الى دمشق الشام وهو قطار ردي ، الدرجة الأولى منه دون الدرجة الثانية من القطار الذي بين رياق وحمص ، فبلغ بنا محطة دمشق قبيل المغرب فإذا بانتظارنا صديقنا الكريم عثمان بك العظم وجمهور ممن نعرف ومن لم نعرف من المحيين العلماء والوجهاء ، نخص منهم بالذكر أعلم علماء الشام الأستاذ الأكبر بركة الوقت بقية السلف الصالح الشيخ عبد الرزاق البيطار والأستاذ العامل المجد الذي يقبل وقته كله في التدريس والتصنيف وتصحيح الكتب النافعة الشيخ جمال الدين القاسمي أدام الله النفع بهما وعلمهما

زلنا في دار عثمان بك فأقبل للسلام علينا فيها كثير من الوجهاء ، فرأينا من أديهم وحسن محاضرتهم ما ينطبق على ما هو مشهور عنهم ، وسمعا منهم مذ الليلة الأولى أخباراً سببة عن جمعية الإخاء العربي التي أسست في الأستانة فقال بعضهم انها أسست بإيعاز من السلطان لتكون عضدا له وعونا على جمعية الأتحاد والترقي ، وقال آخرون انها ضد الترك ، وقالوا ان ندره بك المطران جاء الشام ليدعو الى هذه الجمعية ، وهو يندم الترك ويدعو الناس الى العصية الجنسية العربية وينفر من جمعية الأتحاد والترقي ، وقد كروا ان سيرة بعض أعضاء هذه الجمعية غير محمودات وان بعض

افرادها يحترقون وجهاء البلد ويفطرون في رمضان جهرا وان هذا مما يمهّد السبيل
لندره المطران ويجعل دسائسه مقبولة عند كثيرين

هذا مخلص ماسمعه من أكثر من واحد وكنت أئين لهم ولغيرهم ان تغير
العرب من الترك مفسدة من أضر المفاسد واننا في أشد الحاجة الى الأتحاد بالترك
والاخلاص لهم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، على اننا أخرج إليهم منهم الينا
فننسى الى التفرقة بيتنا وبينهم فهو عدونا ولهم فان كان سعيه لهواه فهو شر
الشياطين وان كان سعيه لغيره فهو شر الاجراء الخائنين ولا عجب في صدور ذلك
من نبي المطران المفسدين

نعم يجب على العرب ان لا ينسوا في اتحادهم بالترك انفسهم ويتكلموا على غيرهم
بل يجب عليهم مباراة اخوانهم في التربية التي تقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم
والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا يدا واحدة في إحياء الدولة وليقدروا على
ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم
اذا غلب في المستقبل حزب صباح الدين افندي ابن أخت السلطان على غيره من
الاحزاب التي ينتظر ان تتكون في الدولة وهو أي رأي صباح الدين ان تكون
كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة في ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بهدم
المركزية (Décentralisation) ويرى بعض علماء السياسة انه لا بد في المستقبل
من استقلال كل جنس بنفسه ويروي هذا الرأي عن نابليون واذا صح هذا في
المستقبل البعيد وكان الجنس العربي غير أهل للادارة التي تقتضيها حال مدنية ذلك
العصر الذي سيكون أرقى من عصرنا هذا — وان قرب — وغير أهل لمشاركة سائر
الأمم في السياسة العامة والحقوق المتبادلة بين الاجناس على أصول المساواة فكيف
تكون حاله يومئذ ؟ ألا نكون (لا قدر الله) تحت وصاية غيرنا من الاجناس المرتقية
في العلوم والاعمال ؟ ومن هو الجنس الذي يتولى هذه الوصاية ؟ وكيف تكون سيرته
فيها ؟ يجب علينا ان نفكر في حالنا الحاضرة وفي مستقبلنا القريب ومستقبلنا البعيد وان
نعلم ان حسن المستقبل متوقف على ما قبله والنهاية أثر البداية ويجب ان يكون الاساس
(المنار ج ١٢) (١١٨) (المجلد الحادي عشر)

الذي نبني عليه في حاضرنا ومستقبلنا الا خلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر
العثمانية مادامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها وان نكون الآن من أشد
الاعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات، ورقباء على
الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديموقراطية وتسير بعد اجتماع المبعوثان
على الاصول الدستورية

هذاما كنت أبته من الافكار في مثل هذا المقام واستطرد منه الى بيان وجوب
العناية بتأسيس المدارس لنشر التعليم الاهلي في جميع طبقات الاهالي وان ذلك يتوقف
على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من ألوية كل ولاية لاجل تعليم أولاد
الفقراء بغير أجره وتعليم أولاد الاغنياء بالاجرة . ثم انوه بالتعليم العالي والرحلة الى
حيث توجد الى أن يوجد في كل ولاية مدارس عالية يستغني بها عن الرحلة . وهذا
ما كنت أقوله في كل بلد

ومما سرني بدمشق وأهلها سرورا عظيما حياة كثير من الصناعات فيها .
وكيف لا ينشرح صدري لذلك وقد رأيت ذلك الجامع الفخم الذي كان هو الأثر
العظيم في هذه العاصمة لأول دولة عربية تأسست فيها فدمره عصر الظلم
والاستبداد بالنار فاعاده أهل دمشق الى ما كان عليه لا ينقصه الا ما كان فيه أولاً من
زينة الفسيفساء التي يهتز عنها حتى الافرنج من أهل هذا العصر، ثم انني رأيت معظم
أثاث البيوت ورياشها من صنع أهل البلد حتى في بيوت الكبراء كبيت عبدالرحمن
باشا اليوسف أمير الحج الذي هو أوسع أهل دمشق ثروة وأعلامها جاهها ومنزلة فقد
تأملت أثاث بعض الحجرات ورياشها في داره فلم يقع نظري على شيء فيها من غير صنع
الشام الا السجاجيد العجمية حتى إن القناديل الكهربية النحاسية التي فيها هي من
صنع الشام فلنا ان نفتخر بصناعات الشام في النسيج والحفر والبناء والنجارة وغير ذلك
وان نجتهد في توسيع دائرتها بالطرق الحديثة

رغب إلي بعض الفضلاء أن أقرأ درسا في الجامع الأموي كما فعلت في بيروت
وطرابلس فأجبتهم الى ذلك لرميهم فيه عن قوس عقيدتي ومواقفهم لرغبي
واستحسنتم ان يكون ذلك بعد صلاة الجمعة فقبل ان هذا هو الوقت الذي يتختم

(المارچ ۱۲م ۱۱) درس صاحب المنار الأول بالأموي . حثه على العلوم المصرية ۹۳۹

في المدرسون الرسميون دروسهم فيرونك فيه مزاحما لم يقتل عليهم قالا ولي ان يكون درسك بعد العصر ، فوافقهم على ذلك . وقد صلينا الجمعة في الجامع الأموي ورجونا ان نسمع فيه خطبة تناسب في حسنها المصوى ما في ذلك الجامع من الحسن الحسي ولكن خاب رجاؤنا فسمعنا ما ملكه اسماعنا من عهد الخدائة وهو مدح رمضان وتقرير العامة بمحدث الصق في الذي بنا في المنار من قبل ما قيل في وضعه . وشهدنا بعد الصلاة دروس المدرسين فجلنا زهاء ثلث ساعة في درس الكزبري الذي حضره الوالي والمشير حسب العادة المتبعة وخلق كثير . ووقفنا هنيهة على درس رجل يقال له الشيخ صالح التونسي يحضره زهاء ۱۵ أو ۲۰ رجلا ثم على درس الشيخ بدر الدين فاذا هو رجل يسرد الأحاديث الشريفة بأسانيدها بالضبط الصحيح ويورد في معناها كل ما قاله بعض العلماء في شرحها أو جله وينقل من المسألة الى ما يناسبها من غير تعلم ولا مكث

دروسنا الاول في الاموي

ثم خرجنا من المسجد وعدنا اليه في وقت العصر وبعد صلاة الفريضة تلا بعض القراء آيات من الكتاب العزيز فجعلها موضوع الدرس واستطردت منها الى غيرها من الآيات الواردة في صفات المؤمنين وما وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة مع تنبيه الأذهان إلى عرض أنفسنا في هذا العصر على هذه الآيات لنعلم هل هي منطبقة علينا أم لا وذكرت ما يطلب من المسلمين في هذا العصر ليحافظوا على دينهم الذي يرشدهم الى ما فيه سعادة الدارين ويمدحهم بذلك جزاء على نصره والقيام بحقوقه وكون ذلك يتوقف في هذا العصر على العلوم والفنون التي يرقى بها الاجتماع البشري وتميز بها الأمة ويرفع شأن الدولة الا وهي العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والاقتصادية . وبما قلته وكررت : اني أرفع صوتي قائلا أننا لا تقوم لنا قائمته إلا بالاعتماد على هذه العلوم والفنون التي يتوقف عليها امثال قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فالتنا نستطيع ان ننشئ المدرعات البحرية ونسبل المدافع والبنادق وقذائف الديناميت لأجل حماية حقيقتنا وتميز دولتنا وأن نصل السكك الحديدية وغيرها من الأمور التي ترقى مدنيتنا ونحفظ ثروتنا ،

٩٤٠ فوائد العلوم العصرية. الجمع بينها وبين علوم الدين (المنار ج ١٢ ص ١١٢)

وكل ذلك يتوقف على العلوم الرياضية والطبيعية التي لا حياة لأمة في هذا العصر بدونها ، إن علماءنا السابقين الذين كانوا يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها لم يكونوا يُعنون بها إلا تلك النظريات اليونانية التي تبحث في الآلهيات بحثاً يخالف أصول الدين وقواعده، والعلوم الطبيعية في هذا العصر مباحة لتلك النظريات وناقضة لها لأن أساسها التجربة والاختبار والعقل فمن فروعها علم الكهرباء الذي ترون من آثاره النور الذي يتألق في مسجدكم هذا ليلاً ، والمركبات التي تجري في شوارعكم وأسواقكم ، ومنه علم البخار الذي تسيرون به قطارات السكة الحجازية من بلدكم إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل يمكن أن يكون هذا العلم معارضا للدين ؟ كلا انه لا يضر الدين وأهله ولكن يمكن أن يستخدم لحفظ الدين ورفعة شأن أهله فكل من يصدُّ المسلمين عنه فهو إما صديق جاهل بحقيقته هذا العلم وفائدته وإما عدو غاشٍ للمسلمين

ثم بينت لهم ان الاسلام على جمعه بين مصالح الدنيا والآخرة دين يسر لا عسر ولا حرج فيه وانه يمكن للمسلمين ان يجمعوا بينه وبين جميع العلوم والفنون العصرية التي نهت بفائدتها اذا احسنوا التربية الدينية وأصلحوا طرق التعليم وان ذلك انما يكون بإنشاء المدارس الأهلية ، وهذه المدارس لا يقوم بها حق القيام إلا الجمعيات فالذي يجب ان يبدأ به أهل بلادنا في هذا العصر هو تأسيس الجمعيات التي تنشر التعليم في جميع طبقات الأمة وذكرت لهم موقع دمشق ومكانها من جزيرة العرب وما ينبغي من السعي في جعلها ينبوعاً للمعارف والمدنية فيها ثم قلت في آخر الدرس انه يمكنكم ان آيين لكم في مجلس آخر كيف يمكن الجمع بين الاسلام تربية وتعلماً وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التي تقوى بها الأمة وتعز الدولة ان شئتم فأظهر الرغبة في ذلك الجمهور . وقد حضر الدرس عدد كبير من الناس يبلغ المئات على ما قدره بعض الحاضرين . ومنهم العلماء الرسميون الذين اقبلوا عليّ بعد الدرس بالتحية والتناء واظهار الإعجاب بالدرس والدعاء بان يرفع الله بي وبه والوجهاء كأحمد باشا ومحمد باشا العظم وعلي باشا الأمير وعبد الرحمن باشا اليوسف وشكروني على ما أبدته وألحوا عليّ بأن أعيده في اليوم الثاني

درسنا الثاني في الاموي والعاداة المشهورة

تحدث الناس في الدرس الاول في ليلتهم تلك وانه على غير ما يهدون في الموضوع وهو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والاستناد على آي القرآن - وفي الأداء وهو أسلوب الخطابة ، فرغب الناس بعضهم بعضا في حضور الدرس الثاني فلم نكد نصلي العصر في اليوم الثاني ونفقل الا وقد تحلق الناس في مكان الدرس الاول (تحت القبة) وصاريلز ويزحم بعضهم بعضا فلما اتسعت مساحة القاعدين طفق الناس يتحلقون حولهم وقوفاً ثم ازدحموا فصاروا كلقاعدين على غير نظام حتى صاروا يهدون بالألوف فرأى بعض المهتمين بأمر الدرس أنه لا يمكن إسماعهم الا بالعمود على شيء مرتفع فأحضروا الكرسي الذي يقرأ عليه خطباء المسجد قصة المولد ونحوها في المواسم المحدثه في الاسلام فصعدت اليه وشرعت في الدرس بعد ذكر الله واثناء عليه والصلاة والسلام على البشير النذير جزاه الله عنا أفضل ماجازى نبيا عن أمته كان موضوع الدرس تعريف الدين وكونه هادياً الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وكون الاسلام عاماً لجميع البشر موافقاً لمصالحهم في كل زمان ومكان وبيان إمكان الجمع بين هدايته وبين جميع العلوم والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر اذا صلحت طريقة التربية والتعليم

قلت ان القاعدة التي ينبغي لنا ان نبني عليها أساس اهتدائنا بالاسلام هي قول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » فيجب علينا ان نرجع الى سيرة الصدر الأول فننظر كيف تلقى الصحابة عليهم الرضوان دينهم عن النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت سيرتهم في العمل به وكيف تلقى عنهم التابعون فنهتدي بهديهم في ذلك

ثم بينت ان ما جاء به الاسلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : قسم العقائد وقسم الأخلاق والآداب وقسم الأعمال من العبادات والمعاملات ، وشرعت في بيان طريقة التعليم التي ينبغي سلوكها لاجاء الاسلام في زمن قليل لا تحتاج فيه الى مدارس هذه الكتب الكثيرة في الكلام والفقهاء وغيرها التي لا يتفق تحصيلها في عشرات من السنين الا للعدد القليل من المنتظمين لتحصيلها وهؤلاء المنقطعون عشر

مشار الامة . فاذا كان الدين لا يؤخذ الا من هذه الكتب التي اختارها علماؤنا للتعليم العام في هذه القرون الأخيرة فكيف السبيل إلى تعليم الدين لجميع المسلمين؟ وههنا قلت كم عدد مسلمي هذا البلد؟ فقال بعضهم مئتا ألف أو يزيدون فقلت هل يوجد فيهم ألفا عالم فهم كتب الكلام وكتب الفقه المتداولة؟ قيل ولا ألف . قلت اذا كان هذا مبلغ تعلم الدين في مدينة تعد من أعظم أمصار الاسلام في الارض فكيف يكون حال مسلمي القرى وأهل البوادي ومثل مسلمي الصين؟

ثم شرعت في بيان الطريقة السهلة لتعميم تعليم العقائد فقلت ما معناه : ان كتب الكلام المشهورة لم توضع لأجل تلقين المسلمين ما يجب عليهم اعتقاده وإنما وضعت لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة عن العقائد الاسلامية والاحتجاج على حقيتها وقد افترض أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين عني المتكلمون باقامة الحجج عليهم! وظهر بطلان مذاهبهم الا قليلا من مسائلا وحدثت لفلاسفة هذا العصر ومقلداتهم شبهات جديدة تولدت من الفلاسفة الجديدة يجب أن يُعنى متكلوه هذا العصر بكشفها ولا ينبغي ان يذكر شي منها العامة المسلمين ولاتلاميذ المدارس الابتدائية عند تلقينهم الدين وإنما يخص بذلك طلاب العلوم العالية الذين يدرسون الفلسفة وعلم الكلام المسلم لا يحتاج الى الاستدلال على وجود الله تعالى بالطريقة الكلامية وان الدلائل التي تبنى على فرض خلاف المطلوب قد يكون أهمها أكبر من نفعها لأنها تثير الشبهات وتوقع كثيرا من السامعين في الشك وإنما الطريقة المثلى لذلك طريقة القرآن الحكيم وهي عرض محاسن الخليقة واسرارها على العقل وتذكيره بحكمة مبدعها البالغة وقدرته العظيمة وعلمه الواسع وتفردته بالخلق والتكوين والرحمة والاحسان (وذكرونا بعض الآيات في ذلك)

لماذا تقول للمسلم الخالي الذهن من الشبهات والشكوك اولم يكن للعالم إله للزم الدور أو التسلسل وكل منهما باطل فما أدى اليه وهو عدم وجود الإله باطل — فثبت تقيضه وهو ان للعالم إلهها — ثم نحاول ان نفهمه معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانها وما أصعبه مر كباوأبعده مطلبنا! وقد رأينا كثيرين من المنتصدين يتدربون على علم الكلام يذكرون ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل وهم لا يفهمون ما يقولون

ان الايمان بوجود واجب جل شأنه عام في البشر باديهم وحاضرهم حتى قال كثير من العلماء انه فطري مودع في النفوس بأصل الخلقة فأكثر علماء أوروبا وقلاستها يؤمنون بذلك وكذا المؤمنون الذين ارتقت وثبتهم كالبراهمة والبوذية حتى اليوم ومشركي العرب في زمن البعثة ومن شد من البشر فأنكر وجود الباري تعالى لشبهة آثارها في نفسه قائلد دينه أو نظريات فكره الضميمة فهو لا يمنع ان يكون لهذا الاعتقاد أصل في الفطرة البشرية فقد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : ان الذين ينكرون وجود الله تعالى قلوبون في مجموع البشر فهم مرضى الارواح - أو قال العقول - من هذه الجهة وان صحت أفكارهم من جهة أو جهات أخرى ومرض الروح والعقل عرض بطراً على بعض الناس كمرض البدن، فرض الجسم معها كثر لا يعد هو الاصل في المزاج وكذلك مرض العقل والروح لا يعد في الاصل وأن كثر المرضى به قلنا ان أكثر البشر يؤمنون بوجود الله تعالى ويقولون ان الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بملئه وقدرته واراادته ويعظمونه ويقدمونه وقلما أخطأ الكفار في غير وحدانية الألوهية والربوبية من مسائل الإلهيات . فأما وحدانية الألوهية أي العبادة فهي عبادة غير الله تعالى بالدعاء ونحوه، وأما وحدانية الربوبية فهي اتخاذ بعض البشر شارعين يشرعون للناس من الدين ما لم يأذن به الله . وقد بين الله لنا ذلك في كتابه الحكيم قال في بيان عقائد مشركي العرب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العظيم) وقال لبيبة صلى الله عليه وسلم (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) سيقولون لله قل أفلا تدرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون الله قل فأنسى تسحرون * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) فقد اثبت لهم الايمان بوجود الله وانه هو الخالق الذي يده ملكوت كل شيء وقال فيهم مع ذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فما هو شركهم اهو ما يتنه في آيات اخرى كقوله عز وجل (والذين اتخذوا من دونه أولياء: ما نصبهم الا ليقربونا اليه فاني ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون، ان الله

لا يهدي من هو كاذب كفار) وقوله سبحانه (و يبطلون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتقون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال في أهل الكتاب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد روي في الصحيح ان عدي بن حاتم اسلم وكان نصرانيا فلما سمع هذه الآيات قال لاني صلى الله عليه وسلم انهم لا يبطلونهم فقال ما مناه: اليس يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتعزبونهم؟ قال نعم قال فذاك . فهذا وما قبله هو الذي قنن به الوثنيون والذي طرأ على أهل الكتاب وقديسه القرآن الكريم تبينا قلت كل هذا تميدا لبيان ما يجب اتباعه من تقنين المسلمين عقائد دينهم على طريقه القرآن المثل وأردت ان أشرع في التصديقاذا أتأرجل مغربي قد اخترق جمهور الواقفين حتى انتهى الى دائرة القاعدين وصاح ياخواننا المسلمين اسمعوا لي كلمتين وشرع في الكلام فاضرب الناس وكثرا لفظ وقام كثير من القاعدين فرغبت اليهم في السكوت والاستماع له . فأما احدي كلمتيه فكانت في مشروعية زيارة القبور والتوسل بالصالحين الميتين الى الله تعالى ليقرّبوهم اليه ! ويقضوا حوائجهم هذه او اعتقاد كرامات الاولياء ، والتحذير ممن ينكرون ذلك ويضلون به الناس كما فعلت الوهاية ، ثم ذكر ما هو شائع بين الناس من فتنة الوهاية ومحاربة السلطان وأمير مصر لهم . وأما الكلمة الثانية فهي وجوب تقليد الأئمة المجتهدين في الدين والتناء عليهم وكون العمل بما في كتب الفقه هو عين العمل بالكتاب والسنة . وكان يقول ما مثاله : ياخواننا هل الذي يتوسل الى الله تعالى بالاولياء يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يحب الصالحين ويعظمهم يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يؤمن بكراماتهم يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يعظم الأئمة ويعمل بمذاهبهم يكون مشركا بالله ؟

فلما أتم كلامه قلت أيها الاخوان: ان من يسمع كلام هذا الشيخ من حضر في اثناء كلامه يظن ان ما قاله في درسي ليس الا ردا عليّ وانني كنت أتكلم في هذه المسائل بخلاف ما قاله ومن حضر المجلس من أوله يعلم انني لم أتعرض له هذه المسائل بنفي ولا بإثبات وليست هي من موضوع كلامي فان الذي قصدت اليه في هذا الدرس ووعدت به أسس هو بيان طريقة تعميم تعليم الدين لجميع المسلمين

بأسلوب سهل وزمن قليل يعث فيهم روح الدين ولا يشغلهم عما هم في اشد الحاجة اليه من أمر الدنيا وقد أشرت فيما قلت الى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن الحكيم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام في تلقين الدين لا طريقة المتكلمين وقد سبقني الى ذلك حجة الاسلام الغزالي فقال بمثل ما قلته في كتابه (الجوامع العوام عن علم الكلام) وغيره ، فصرح بأن كتب الكلام وضعت لحماية العقيدة من هجمات المخالفين ، لا لإفادتها وتقريرها لعامة المسلمين ، وان طريقة القرآن هي التي يجب الاعتماد عليها في التعليم ، وكل ما قلته تمهيد لبيان ذلك بعبارة محكمة قريبة من الأذهان . وما خطر في بالي أن أحشر في درسي شيئا من هذه المسائل التي قطع بها الرجل علي كلامي قبل ان أصل الى المقصد منه . وكأني بأناس يقولون الكذب ويتجرمون عليّ ويأخذون من كلامه تهما يلصقونها بي فحسبي ان يعلم هذا الجمهور العظيم الذي سمع كلامي عني ويسمعوا مني بأنني ما أنكرت ولا أنكر زيارة القبور لاجل الاعتبار وتذكر الآخرة والموت كما ورد في حديث الأذن بها بعد النهي عنها وانني أزورها بالفعل ، وأحب الصالحين ولا أنكر ما لهم من الكرامة عند الله تعالى فان من لا يحب الصالحين يكون أشقى الاشقياء ، وأعظم الأئمة المجتهدين واعتقد انهم كانوا على هدى واخلاص في خدمة الدين وان من التوفيق والسعادة اتباعهم في الاهتداء بالكتاب والسنة . ثم صعد الكرسي الشيخ عبد القادر الخطيب وأراد ان يتكلم فأنزله عثمان بك العظم عن الكرسي وصدّه عن التكلم ووقف عليه وقال ما معناه : أيها الاخوات انه لا ينبغي للعوام الخوض فيما يختلف فيه العلماء فانصرفوا الى شأنكم ومن كان من العلماء يريد مناظرة الاستاذ في هذه المسائل أو غيرها فليفضل بعد العشاء الى منزلي . ثم نزل وقال لي تفضل فترلت ومشينا معا فمشي معنا جمهور عظيم من الحاضرين وسمعت بعض من بجاني يقولون ما معناه لا تخف ولا تحزن فلا قيمة لهذا الرجل ولا تأثير لكلامه وبعضهم يقول هلم واسرع . وكان اللفظ والضوضاء على أشدهما حتى خرجنا من باب صحن المسجد وحينئذ رغب اليّ الشيخ أديب تقي الدين ان أدخل داره وهي بقرب المسجد (المناجج ١٢) (١١٩) (المجلد الحادي عشر)

للاستراحة وردّ الزيارة (فقد كان زارني في دار عثمان بك) فأجته الى ذلك فلما دخلت داره طفق يقبل رأسي ويثني علي ويطري درسي ويهون علي ما جرى ويحلف الايمان بانني ما قلت الا الحق وان ما عورضت به ليس بشيء . فمعبت من ذلك كله لا اتي لم أكن أعد ما جرى في الجامع من قطع الدرس علي أمراً عظيماً ولا مصاباً يعزّي عنه . وظننت ان السبب في كل ما رأيت من هلف الناس وعنايتهم بتسليتي هو عدم تعودهم في تلك المدينة مثل ما رأوا من ذلك الاقيات . وخطر في بالي ان الباعث لذلك الرجل علي ما فعل هو حب الظهور والشهرة أو سوء الظن والظنّنة فانه هو الرجل الذي ذكرت اتي رأته يقرأ درساً لا يحضره الا قليل من الناس وقد علمت بعد ذلك ان اسمه الشيخ صالح وأنه داعية لأبي الهادي الصيادي أرسله الى دمشق ليث دسائسه فيها

قبيل المغرب من ذلك اليوم ذهبت مع عثمان بك الى دار عبد الرحمن باشا اليوسف لاننا كنا مدعوين للفطر عنده فلما كنا على المائدة جاء أسعد بك يبكاشي أركان حرب وهو وكيل الشرطة في دمشق وأحد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين يشكو منهم أكثر وجهاء دمشق فجلس معنا وأخبرنا انه قبض على الشيخ صالح وأودعه في السجن . فقال له عثمان بك أخطأت في هذا العمل فيجب ان نذهب بعد الفطور لأجل إخراجة لأن ما حصل يجب ان يقف عند الحد الذي وصل اليه . وكان الامر كذلك فقد ذهب أسعد بك بين المغرب والعشاء لاجل اطلاق الشيخ صالح علي ما فهمنا وبعد صلاة العشاء في بيت عبدالرحمن باشا خرجت أنا وعثمان بك فركب هو مركبته وتبع أسعد بك لينظر ماذا فعل وركبت أنا مركبة أخرى الى دار عثمان بك ولما عاد عثمان بك أخبرني بانهم أخرجوا الشيخ صالحاً من الحبس وان فتنة عظيمة أثرت في الشام فحمل ألوف من الناس السلاح واحتشدوا في الاسواق والشوارع وذهب جمهور عظيم منهم الى مجلس البلدية وجمهور الى دار الحكومة . قال وهذا الذي كنت أخشى بادرته في الجامع فأجبت ان نختم الدرس ونخرج ولا تطيل في الرد علي الشيخ صالح . قلت له ما هو سبب ذلك فان ما حصل في الجامع لا يصح ان يكون سبباً لحمل السلاح ولا للفتن لانه لا يزيد علي اساءة رجل

بقطعه اللروس عليّ وأنا لا أحب الانتقام وليس لي عصبة تنتم لي ان أحببت ولا هذا الذنب مما يعاقب عليه بالسلاح وان أدري أن ذلك الرجل عصبة قوية عظم عليها أمر حبسه فأرادت ان تنصر له ؟ وهل يكون الانتصار في الشام دائما مثل هذا ؟ اعني اذا حبس رجل له انصار يطلب انصاره من الحكومة اطلاقه بقوة السلاح ؟ قال اني علمت من حال بعض الحاضرين في اللروس ان هناك فنة مذبرة يراد إيقاعها في الجامع بأدنى مناسبة أو بخلق مناسبة ولست انت المقصود بها . وانه ليس لأشيخ صالح عصبة ولا محبون والذين هيجوا الناس ودفنهم الى المطالبة باطلاقه لهم بذلك اغراض يتوسلون اليها بكل وسيلة تيسر لهم لا يهمهم فيها أن يعظم من لا يستحق التعظيم ويؤدي من لا يستحق الايذاء ولا حاجة الى شرحها ولكن أقول بالاجمال إنها تتعلق بانتخاب المبعوثين . ولا أكنم عنك انه لا يكاد يوجد أحد في الشام يخرج من بيته بغير سلاح . قلت اذا ليس في الشام حرية شخصية تحميها الحكومة فأنا مسافر في الصباح حتما ، ولا أقيم في هذا البلد يوما ، فرضي مني بذلك على كره منه وحرص على ان أقيم عنده أياما أرى فيها معاهد البلد وأعرف أحواله . فهذا ما دار بيني وبينه في الليل ثم نمت طائفة من الليل واستيقظت وقت السحور ولما طلع النهار سافرت من الشام قاصدا رفاق

اجتمعت في قطار سكة الحديد ببعض أدباء دمشق وتجارها فسمعت منهم شيئا كثيرا من أخبار الفتن الظاهرة والفتن الباطنة ، منهم شابان ذكبان من محبي الإصلاح والعلوم المصرية كاشفاني بما في صدورهما وذكراني أسماء شيان آخرين على مشربهما وقالوا انهم يكتمون ميلهم ورأيهم ولا يحبون ان يعرف شيء عنهم . ثم اجتمعت ببعض باشوات الشام في بعلبك فحدثني بما يعلم من أمر الحادثة ومن أحوال الشام وهو من حضر الاجتماع عند الوالي ليلا . واجتمعت أيضا هناك ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فسمعت منهم انباء وآراء فعلت من ذلك وما سمعته في حمص وقراته من المكتوبات التي بعثها من الشام الى حمص وغيرها جميع ما كان من المكائد والفتن وهذا مجمل ما وصل اليّ :

اسباب فتنة دمشق

الاصل في ذلك كله امتعاض بعض الوجهاء أصحاب النفوذ من أسعد بك وسليم بك الجزائري كلاهما قائد ألف « بكباشي » من أركان الحرب والدكتور حيدر وكلهم من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وكراهتهم لهذه الجمعية لأنها جعلت لهم منزلة ونفوذا في الشام يعلو نفوذ أولئك الوجهاء المتمضين الذين يرون أنهم سادات الشام وأنه يجب أن يكون النفوذ فيها مقصورا عليهم ومحصورا فيهم وخاصة بهم . قهرتهم جمعية الاتحاد بظهورها مؤيدة بالقوة العسكرية ولكنهم لم يتجرأوا على الوقوف في وجهها ومناجزتها جهرا فتر بصوا بها الدوائر حتى اذا ما جاء زمن انتخاب المبعوثين ورأوا من ذكرنا من اعضائها يشتغلون بأمره عيل صبرهم ولجأوا الى الكيد وجراهم عليه ندره بك المطران الذي جاء الشام ليرشح نفسه للانتخاب ويستعين عليه بمن يستميلهم الى جمعية الاخاء العربي فانه كان يهون على الناس أمر جمعية الاتحاد والترقي ، ويكبر في نفوسهم شأن جمعية الاقراق والتدلي ، أي التي تفرق بين الترك والعرب وتنصر الاستبداد وتخذل الدستور . فاندفع أولئك الوجهاء الى الفتنة بقوة وهمة وبشوا دسائسهم في العامة الذين هم اتباع كل ناعق كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه حتى دخلت طائفة منهم الجامع الأموي مدججة بالسلاح للتنكيل ببعض المشايخ المدرسين لأنه ختم من بعض العوام ورقة يطلب فيها ترشيح مبعوث ولكنه كان يقول لمن يطلب منه الختم اننا نطلب بهذه العريضة ابطال رقص النساء في بعض الملاهي . . . ووقعت فتن ومشايخ أخرى اطلق فيها الرصاص وأصيب بعض الناس كما قيل لنا ولا نحب ان نخوض في ذلك

ولكن موقفني الفتن ومثيري الشعب لم يكن لهم سبيل للتيل من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فيما جرى الا بالكلام كهولهم انهم علة اختلال الأمن وحدث الاضطراب في البلد « رمتي بدائها وانسلت » وانهم يريدون ابطال الدين بتجريئهم الناس على الفطر في نهار رمضان علنا وباحتقارهم لوجهاء البلد وعلمائه . . .

هذا ما كانت عليه دمشق عند قدومي اليها كانت تتمخض بالفتن التي يدبر أمرها رجال لا يزيد عددهم على عدد الذين دبروا أمر الصحيفة من قریش وكان

أشدهم افسادا أحد الباشوات الذي يرى انه بعظمة يته يجب أن يكون صاحب الأمر المطاع في البلد والقول المتبع في حكومتها وأهلها . واستعانوا على كيدهم ببعض أصحاب العثم الجاهلين الذين جعل لهم الحكم الاستبدادي رياسة دينية علموا انها لا تلبث ان تمحى وتزول في عهد حكومة العدل والشورى

وآتي هؤلاء الكائنون تحت قبة الجامع الأموي أيمن للناس انهم دخلوا في طور جديد من الحكومة يمكنهم ان يجيوا فيه دينهم علما وعملا واخلاقا وآدابا ، وان يرقوا فيه دنياهم حتى يكونوا فيه من أوفر الامم نروة وأعلاها جنابا ، ورأوا أن الناس قد قبلوا هذا الارشاد وهجوا بالثناء عليه ، فقالوا ان هذا السيل الأتي يأتي على ما بيننا من صروح الآمال ، ويحرف ما نضع في طريق الدستور وجمعية الأتحاد والترقي من العقبات ، ولكن الشعب يراه عذبا فراتا ، بطني ، غليلا ويحيي مواتا ، فيجب ان نبادر الى تحويله عن هذه الديار ، قبل ان تروى منه القلوب والافكار ، فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، وعهدوا الى افراد من الجمعية العلمية ان يقطعوا على الدرس الثاني فولوا وهم يعتدرون ، فقالوا ان هؤلاء لا يملكون لنا نصرا ولا انفسهم ينصرون ، فما لهذا الامر الأرجل يشتري ما يراد منه بالمال ، وقد مرد على أمثال هذه الدسائس والاعمال ، وما ذلك الاداعية ابن صياد الدجال ، المعروف في جميع البلاد بأبي الضلال ، فذلك المغربي بطبعكم فيما يترفع عنه أهل الشام ، اذا وعدتموه بالتعويض عن مرتبه الذي قطع في هذه الايام ، فلما لبى الشيخ صالح داعية أبي المهدي دعوتهم ، وقبل صلتهم ، أو عزوا الى بعض أفراد حزبهم بأن يحضروا الدرس مستعدين للكفاح والصيال ، اذا جر الى ذلك ما ينتظرون من القبل والقال ، وقد علم هذا كثير ممن كانوا معنا في مجلس الدرس من الاهالي الواقفين على حال البلد وكان هو السبب في رغبة عثمان بك في عدم إطالة المراجعة والمدافعة وان لم يصرح لي به وفي تحويم الفضلاء علي وتسليتهم اياي كما تقدم لطف الله تعالى ولم يقع في المسجد ما كانوا يرومون من العدوان ، وعلم أسعد بك — وهو أخبر من هناك بكيدهم — أنهم لا يفتنون عند ذلك الحد ، وان الخيبة في هذه تدفعهم الى ما هو شر منها وان الشيخ صالحا هو الذي رضي ان يكون مثبرا لفتنتهم وزأي اعوانهم قد أدلوا اليه يوسوسون له ويمدون في الغي ثم لا يقصرون ، فظن ان

٩٥٠ اسباب فتنة دمشق. كونها لم تدبر لايذاء صاحب المنار (المخرج ١١م ١١)

حبسه يسد باب الفتنة فحبسه فطاروا بذلك فرحاً، وفتح لهم به باب جديد أقرب الى مقصدهم لأنهم يصلون منه الى الأيقاع بعدوهم أسعد بك نفسه وجمعيته بلا وسيلة ولا واسطة، فأنفذوا أناساً الى المساجد يستغيثون المسلمين ويستفرونهم لاعانة الدين وحماية علمائه من ظلم جمعية الأتحاد والترقي والحكومة الجديدة! فصاح اولئك المنفذون صيحتهم بعد صلاة التراويح، فأقبل الناس يتساءلون: أي خطب دهي الاسلام وأي بلاء نزل بالعلماء؟ ويجيبهم خطباء الفتنة إن فلانا العالم الفاضل دافع عن الدين فقبض عليه أسعد بك وزوجه في السجن فاذا لم ينادوا الى اتقاده بهوة الشعب فان هذه الحكومة تقضي على جميع العلماء وتمحو دين الاسلام من الشام!! ويقال انهم أنفذوا اناساً آخرين يقولون مثل ذلك في الاسواق وأعطوا كل واحد منهم «بشلكا» (١) فاجتمع الناس من كل فج حتى صاروا يعدون بالألوف وصاروا ينادون: ليسقط أسعد بك لتسقط جمعية الأتحاد والترقي. وبلغني انهم قالوا أيضاً ليسقط القانون الاساسي وليعش الوالي! (ولكن الله أسقط الوالي ورفع الجمعية والقانون الاساسي فكان دعاؤهم في ضلال) ولولا ان تواردى أسعد بك لقضوا عليه كأقبل وقد ظهر من ضعف الوالي (شكري باشا) وافن رأيه، ما لا ينتظر أكثر منه من مدمني السكر وأسرى الشهوات مثله، فانه لما رأى الجموع قد حشرت، وزمرة الوجهاء قد حضرت، وعظمت عليه الامر وأرجفت، رجفت في قلبه الراجفة، وتلتها الرادقة، ففتح لمكرهم، وخضع لامرهم، وأمر بأن يوثنى بالشيخ صالح فجي به، وطاف بالناس في مركبته (مركبة الوالي) من بعدما آذنه المشير بأن لديه من الجنود ما يكفي لهم الفتنة الاهلية بل لاعلان الاحكام العرفية، ولو أخذ الوالي يومئذ بالحزم، لاستقرت هبة الحكومة في النفوس منذ ذلك اليوم، لأقول في دمشق وحدها، بل في الولايات السورية كلها، فلم من هذا الشرح الذي اخذته من مصادر كثيرة انني لم أكن مقصوداً بالايذاء الذاتي، ولا موءاخداً علي قول زل به في الدرس الثاني لساني، (لانني لم أذكر فيه نعمة الدستور ولا نوهت بجمعية الأتحاد!) وإنما كثر في القيل والقال لكثرة من كان يسأل بماذا دافع فلان عن الدين حتى حبس؟ فكان كل مسؤل يجيب بجواب حتى كان مما سمعته في بعليك وحصص انه نام رجل في الجامع الأموي فأنكر

(١) البشلك ضرب من تقود الدولة العثمانية يزيد عن نصف فرنك قليلاً

(الملتوج ١٢م ١١) فجع مثيري فتة دمشق - أسباب عداوتهم لصاحب المنار (١٥٩)

القرآن وقال آخرون انه سب الانبياء ١٠. ولكن الذي لقنه دعاة الفتنة للأكثرين هو انه دعا الناس الى مذهب الوهابية وأنكر زيارة القبور والتوسل بها . وهذا هو الذي كتبوا به الى جرائد بيروت وطرابلس ومصر والاسنانة وقد علمت انه كذب وبهتان نال محررو الفتنة من أسعد بك ما أرادوا وانتهت هذه الحادثة بخروجه من الشام وضمف جمعية الأتحاد والترقي وعجزها عما كانت تحاول من أمر الانتخاب وذلك جل ما كانوا يبغون في نفس الشام فكان من المقول مع هذا أن يسكتوا عني لاني لم أكن الغرض الذي يرمون سبهم اليه ، وانما عرضت بينهم وبينه فرموني لا تحي فصل سبهم اليه وحده ، فما هو السبب ياترى في استمرار عداوتهم لي ومكاتبه الجرائد بسني وثلي ؟ يظهر لي ان لذلك أسبابا : منها أن الشر داعية الشر وان الرجل الخبيث اذا حاول شرا قتم له كما يجب تضري نفسه بالشر فاذا ظلم انسانا بالاهانة والتسخير مثلا فذل له المظلوم ولم يجد له نصيرا فانه يستمر على إهاتته وتسخيره له استلذا اذا بذلك وتبعجا ، ومنها انه اعتم هذه الفرصة رجل من أدعياء العلم حاقد علي فزع نفسه في حماة هذه الفتنة وطلق يكتب ويستكتب غيره مقالات في الطعن علي ولكن الجرائد ترفعت عن نشر ما بثوابه اليها من السخف فلم تقبله الا مثل جريدة بيروت التي هي جريدة المتقهرين أعداء حكومة العدل والدستور وأعداء الإصلاح . ذلك الرجل الذي كان استأجر أحد أرباب الهام فكتب له رسالة في الرد على المنار في مسألة طهارة الكحول زاد هو فيها ما زاد فرد عليه المنار يومئذ ردا صريحا صرح فيه باسمه ففضح جهله وجهل من كتب له (١) ولعل هذا الرجل هو الذي تصدى للكتابة بيده وماله ، واعانه عليها نفر من أقتاله ، ولي هنا استدراك وهو ان أكثر الجرائد التي انتصرت للحق في هذه الحادثة قد اسندت البغي والعدوان فيها الى أهل دمشق الشام على الاطلاق لاستخفاء المتدين منهم وذلك تساهل في التمير أدى الى خلاف ما يريد الكاتبون فبني عليه حكم فاسد خفي عن الاكثرين فساده خلفاء المراد من العبارة التي اخذ منها . أعني انه صار يقال ان أهل الشام ناصبوا صاحب المنار العدا وآذوه بالكلام وإن أهل بيروت انتصروا له وأهانوا

(١) راجع مقالات طهارة الاعطار ذات الكحول (ص ٨٢١ و ٨٢٦ م ٤)

اهل الشام بما كتب في جرائدهم ودار في محافلهم ... والصواب ان صاحب المنار لم يسمع من أحد من اهل الشام كلمة شاذة عن النزاهة والادب بل سمع من كل من لقيه منهم أرق الكلام واعذبه وألطف عبارات الترحيب والثناء وإنما تصدى لقطع درسه ولإيهام العامة أنه اخطأ فيه رجل غريب عنهم لم يكن محبو باعدهم لانهم يعدونه من جواسيس الشيخ أبي الهدي والدعاة له وشاب آخر من طلاب العلم اراد أن يسأل عن شيء سواء لم يتبرم مستاء فكفاه ذلك الرجل الغريب ما كان يريد من ذلك . واما زعماء الحركة الذين اشرنا الي كيدهم آفأ فهم لا يتجاوزون جمع القلة على اني لم اكن غرضهم وانما عرضت أمام غرضهم كما تقدم . على اني لو بقيت في دمشق لتصدوا لايدائي بتحريض العامة على ذلك ولكن لا يؤخذ من هذا ان اهل الشام فصلوا ذلك . وقد زارني في ليلة الحادثة بعض الوجهاء المحيين للمنار الذين كانوا يقرؤنه في زمن الاستبداد ونصح لي بأن اسافر ثم كتب الي بعد ان عدت الى طرابلس كتابا قال فيه « واني لنحجول وايم الله من فضيلتكم ومقابلتي اياكم بدار هيمان بك تلك المقابلة لكن ربنا علم بأني لم أحضر تلك الليلة لتقابلتكم وتكليفكم السفر الا خوفا عليكم وحفظاً لكرامتكم من سفهاء المهائم المتزيين بزين العلم والعلم بعيد عنهم بعد السماء عن الارض قبرى ان الواحد منهم يظن أنه اذا كبر العامة وطول الذقن ووسع أكام الجبة وركب البغلة وغش البسطاء بهيكله — وان لم يكن تحت القبة ولا حبة — انه صار عالماً » ومع هذا كله اقول اني لست على يقين من طعن رجل معين من اهل الشام في الا ذلك الحاق الذي اشرت اليه آفأ ، فاهل الشام ليسوا خصامي ولا لاهل بيروت وليس اهل بيروت خصامهم

وجملة القول ان الذين ابتغوا الفتنة من اهل الشام نفر لا يخرجون من مضيق جمع القلة ومن صدقهم من العامة يندس في الجملة وانه لم يتصد أحد من علماءهم للرد علي في شيء سمعه مني أو قرأه من كلامي مظهرا نفسه مينا اسمه وقد حضر كثير منهم درسي فان كانوا يظنون اني اخطأت فلماذا سكتوا لي على الخطأ وقد سألت مفتيهم وكان من حاضري درسي ان يكتب الي مينا خطأي ان كنت اخطأت . سأله ذلك في مقالة نشرتها في جريدة الاتحاد العماني وسأله هو وسائر علماء الشام ذلك

بطان النار وأنا أنشر لهم ما يكتبون في النار واذعن له إن كان حقا وأين ما عندي فيه إن كان خطأ . وهذه هي حجتى عليهم فإذا هم سكتوا عن هذا اليأس فم لا يخرجون عن أحد أمرين : إما أنه لم يثبت عندهم أنني قلت شيئا مخالفا للشريعة وهذا كافٍ لتكذيب أولئك المذاعين الذين خاضوا في الآثم ، وإما أنهم يكتبون الحق وهم يطمون ولا يخفى عليهم ما ورد في القرآن والاحاديث من وعيد الكتابين (تنبية) — سقط اسم السيد (حسين وصفي رضا) من ذيل مقالة التقاريف سواء إذا أنه هو الكاتب لها

﴿ تصحيح ﴾ وقعت اغلاط في الجزئين ١١ و ١٢ وهذا بيانها فتصحح بالقلم :

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٠٢	١٩	لوصفهم	فوصفهم	٨٧١	١٢	قال	قال له
٨٠٣	٢	المعتدين	المعتدين	٨٧٢	٦	ولا يراعي	ولا يجوز ان يراعي
٨٠٥	١٧	تزرع	تزرع	٨٧٥	٢٥	وسبعون	وتسعون
٨٠٨	٢٤	في وعيد	من وعيد	٨٨٣	٥	هذا المتبادر	هذا هو المتبادر
٨١٠	٧	له	إلى	٨٨٣	١٤	تتقوى	تتقوى
٨١٢	٢٢	يستوي	تستوي	٨٨٤	١٥	دخلت	دخلت
٨١٥	٦	الذين	وهم الذين	٨٨٥	٢٥	وقاتلوا	قاتلوا
٨٣٦	١١	كان	لما	٨٨٦	١٥	ظاهر	ظاهراً
٨٣٧	١٢	حال	مال	٨٨٦	١٦	الواجب	لوجب
٨٦٤	١٦	دونها	دونها	٨٨٧	٥	التنزيه	التنزيل
٨٦٤	٢٤	الحرب	من الحرب	٨٨٧	١١	قالوا وفي	قالوا الواوفي
٨٦٥	١٩	عدد قليل	عدد غير قليل	٨٨٨	١٦	ويبدل على	ويبدل أيضا على
٨٦٧	٩	التي يفرضها	التي لا يفرضها	٨٩٢	٢٢	البشرى أو	البشرى
٨٦٩	١٤	تقدم	تقوم	٨٩٦	١٥	فألقى	فألحق
٨٧٠	١٢	أوانا	وانا	٨٩٧	٢١	يكتب بعد كلمة	ويجمع هذه الفقرة (بينه وبين القول الاول)
٨٧٠	١٤	من	في	٩١٣	٢٩	بها فكان	بها ثم جئنا هاذيلا لها ، فكان
٨٧١	١٤	منه	مناجي	٩١٥	٨	لحقيقة	لحقيقة
				٩١٥	٩	العالية التي تصل	العالية التي تصل

خاتمة السنة الحادية عشرة

بحمد الله وشكره نختتم السنة الحادية عشرة من سني المنار ، فهي وله الشكر
الاسنى ، والثناء الاوفى ، خير سنة مرت بنا ، نعدّها فاتحة حياة جديدة لنا ولائمتنا ،
فكان تلك السنين العشر ، غير معدودة من العمر ، وكان هذه السنة الاولى من
العقد الثاني للمجلة ، هي اللؤلؤة الاولى من العقد الاول لها وللملة ، كيف لا وهي
سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ، فبرى
القارىء هذا المجلد من المنار طامحا باخبار الدستور العثماني ، ومجلس المبعوثان والقانون
الاساسي ، وأسباب ما حدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضروب
الاحتفال ، و ذكر سياحة صاحب المنار في البلاد السورية ، وبعض ما ألقاه فيها من الدروس
والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم المنار أو صاحب المنار ، يعد من
اكبر الاخطار ، حتى كان بعض محبيه يشيرون اليه بلفظ النار . وسنلم في فاتحة السنة
القادمة ، بتاريخ المنار في تلك السنين الخالية ، بما يفسر بعض الاشارات ، التي قدمت
في فواتح بعض السنوات ، ونشر فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيما في
الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأه الا بعض المستعدين لشربه ، اذ كانت
الاخطار توابث من بطالع عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعا بين المصلحين
والجامدين ، والمنصفين والحاسدين ،

ما انتقد على المنار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه انتقد على المنار شيء لم
ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخديوية ينكر فيه علي ما
كتبته في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بمظاء الرجال بمصر من انكار
نصب التماثيل للموتى ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من أي طغنت في اهل
طرابلس فيما كتبه عن سياحتي

نصب التماثيل للموتى

احتج علي طالب الحقوق بما كتبه الاستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة
تحریم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، وانها قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المنفضة
اليها . ويرى المتقد ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً الا
تثبيتاً للذين دعوا المصريين الى الاكتاب لنصب تماثيل لمصطفى كامل لما كان
بيني وبينه من الخلاف السياسي . ويرى هو ان اقامة تماثيل لمصطفى كامل وغيره
عما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية . هذا مجمل ما كتبه المتقد كما أتذكر .
فاما ما ذكر من حكمة تحريم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المنار قبل نشر رحلة
الاستاذ الامام (بلرم صقلية) بسنين . ولو تأمل المتقد ذلك الرد الذي نبى عليه
انتقاده حق التأمل لما كتب الينا حرفاً مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم او علمه
لا ينقض شيئاً مما كتبناه وكذلك ما كتبه الاستاذ الامام في رحلته لا ينقض قولنا بل
يؤيده ، فقد صرح بأن المتي لا يفتي بجواز التصوير ونصب التماثيل مطلقاً

وههنا بين للمتقد وامثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله
الاستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما نشره من ذلك في المنار إنما قصد به بيان
حكم الاسلام وموافقته لمصالح الناس وافضائه الى سعادتهم ما تسكوا به ودفع الشبهات
التي ترد على أحكامه دون جعله مذهباً يقلدنا الناس فيه ، الا من ظهر له الدليل على
شيء فأخذ به لا اعتقاده أنه هو الحق ، فأولئك لا يكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبهمين
للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم
اليه . فاذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحريم التصوير ونصب التماثيل يقتضي
إباحة نصب تماثيل لمصطفى كامل — وهو لا يقتضي ذلك — وكان المتقد معتقداً ذلك
فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دُعوا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله بإحتمال شرعاً ؟
كلا . إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الانفراد بما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن
دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون ا كان
ما وافق هواهم حلالاً أم حراماً !

المسلمون قسمان: الاول المتقلدون للفقهاء وهم السواد الاعظم وبقية المذاهب الاربعة وهؤلاء، يحرمون نصب التماثيل، أفليس من امنياتهم ان يدعوا دعوة عامة لعمل محرم عندهم؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بمخاصة نفسه، وليس له ان يثبت على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظرها في الاحاديث الصحيحة، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكم، ولكن له أن يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه ويأخذ المنكر عليه فان اقتضت دعوته الجمهور عمل بها وانما نحتاج على المتقدم بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فقول :

ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يعترف المتقدم بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه وبعض محرري اللواء غلوا في تعظيمه بالوطنية كما كان (رحمه الله وعفا عنه) يطري نفسه بذلك، فلما لم يلق غلوهم قدرا ولا اعتراضا جماعه بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبعهم على ذلك بعض الشعراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكتفاء بموازين العروض، وتبع هؤلاء من يتبعهم عادة فلم يمس على موت الرجل أيام ممدودات إلا وصار له مثال ديني خيالي غريب، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضلونه عليهم، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة، وانه ظهر له في طفولته شيء من خوارق العادات كما ذكرنا ذلك في الرد على «باحثة بالبادية» التي اقترحت بناء مدفن لعظام الرجال بمصر. أفرايت من غلا حزه فيه هذا القلوع، وجماعه في هذا الأفق الخيالي من العلو، أيستغرب افتتان العامة بتمثاله في بلاد تلمس فيها البركات، ودفع المضار وقضاء الحاجات، من نمل الكلكشي وباب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من الجمادات وكذا المائعات كزيت مسجد السيدة نفيسة وبعض الآبار العتيقة!!

لا أرى وجهاً في ذلك التعليل لنصب تماثيل لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والخوارق، وأنشأ بعض الشعراء يخلع على هذه الصورة من

(المارچ ۱۲م ۱۱) خاتمة السنة الحادية عشرة . انتقاد جريدة طرابلس ۹۵۷

حل الخيالات الوهمية والخرافية ما تجود به أقلامهم وناهيك بجود الشعراء في الكلام ، ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطلب منها الحاجات ، فسد الدين هذا الباب سداً محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ صورة ولا تمثالا لاجل تعظيم صاحبه . ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على الصور والرسوم التي يستعان بها على العلوم كالطب والتشريح وعلم وظائف الأعضاء (Physiologie) أو على اللغة ليعرف الحيوانات التي وضعت لها الألفاظ من لم يكن رآها معرفة صحيحة لا شبهة فيها ، فإن احالة الكثير من كتب اللغة العربية في تفسيرها على المعرفة لا يفيد فإذا قيل : النسر طائر معروف والعقاب طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وان هذا هو النسر وهذا هو العقاب لا يفيدك قول اللغوي شيئا ، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكام على حفظ الأمن وتربية المجرمين . فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي كان يقول الأستاذ الامام ان الاسلام يجعل عن تحريمها وأذكر انني ناظرت بعض علماء طرابلس فيها قبل هجري الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير فوافقني على ما ذكرت من كون علة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد صحيحة لا يجرها الشرع

انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من النصفين ما كتبناه عن طرابلس فقالوا انه بيان صحيح لحالها واعتذار عماري به أهلها من اللوم والذم لذنبا تاه شقي يوجد مثله في كل بلد . ولكن تلك الكتابة ساءت نفرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أثروا من الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، فأرادوا ان ينتقموا من الكاتب بتهميش أهل طرابلس عليه وإيهامهم انه أهانهم أجمعين ، وبلغني انهم كانوا يطوفون على الأدباء ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على النار ووعدت جريدة طرابلس بأن تنشر ما يرد عليها من الرد ،

واتفق ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة الناشر عن طرابلس وبأنه رد عليهم واعتذر عن الناشر بقدر استطاعته مع انه موافق لهم في بعض ما اتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسموا في الجرائد هكذا الا بقصد الذم والإيقاع . وعلمت منه ان أنكر ما نكروه هو حكاية قول من كتب الينا « أترك فيحاء الاشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية . قلت لكننا نقلناه لردده وتقول انه في غير محله . قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر . قلت وماذا يقولون في حكاية القرآن الحكيم للطعن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عز وجل « وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفك اقراه » الخ ؟ فسكت .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبه عن الجمعية الخيرية العثمانية . قلت وهذا حكاية أيضا لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبه أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت اليهم . وإن ما كتبه عنها هو أقل ما سمعته وبلغني ان جمعية الأتحاد والترقي ترى أن هذه الجمعية مقاومة لها وللحكومة الدستورية فكتابتي هذه وأنا من أنصار جمعية الأتحاد تصلح ان تكون دفاعا عن جمعيتكم أو تلتظينا لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الأتحاد والترقي في الاستانة .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ان ما كتبه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل يشعر بأنهم ماقدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة . قلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة أكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة . فاذا كانت عبارة الناشر تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة العمارات في جهة التل واقبته على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالمناسبة وسأراجع الناشر ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في العلوم والتجارة وانه كتب في الناشر بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تعود سوريا كما تعودته مصر . قلت انه قد صحیح

(المترج ١١م ١٢) خاتمة السنة الحادية عشرة. اختصار جملة الصلاة على النبي ٩٥٩

والغرض منه صحيح وهو ان يتنبه أهل بلدنا الى ما يجب عليهم لتدارك ما أصابهم في الايام الماضية . وان ما كتبه الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض ولا بد ان تعود قومنا على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي لا يكتب فيها الا المدح والاطراء لأجل الاستمالة والاسترضاء، أو الذم والمهجاء، لأجل التشفي أو الايذاء، واذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ، وارد على من أساء الظن فيهم ، فاذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد عليهم ، ويان قصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ وهل تكون الصحف مفيدة الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هذا ما أتذكره مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في العدد الآتي من طرابلس للتصل من نشر ما يريد نشره المتقدمون ؟ فاتفقنا على ان يكتب اني بينت له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنا في أهل طرابلس بل دفاعا عنهم خلافا لما فهم بعض الناس وانني سأبين هذا في بعض أجزاء المنار . وقد كتب هو ذلك ونحن بيننا ههنا المراد كما بيناه له وفاء بالوعد وجريا على سنتنا من نشر ما ينتقد علينا

اختصار جملة الصلاة على النبي

وبلغني ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم » بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة «رضي الله عنه» كلما ذكر الاستاذ الامام والصواب الذي يراه القارئون للمنار اننا لانذكر كلمة «رضي الله عنه» عند ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما تذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير، وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تتكرر وكثيرا ما تذكر غير مختصرة . والاختصار يوفر شيئا من وقت الكاتب ومن الورق فيسمع من الفوائد أكثر مما يسهه مع تكرار الجملة بنصها . وهي عادة طال عليها العهد في كتب المسلمين ولا سيما المطبوعة في الهند والاسنانة . وكانوا يختصرون الجملة هكذا «صلم»

٩٦٥ خاتمة السنة الحادية عشرة . دعوة المنار الى انتقاده . الاشتراك (المنار ج ١٢ ص ١١٢)

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفا منها فاستحسنت ان
استبدل بها حرف (ص) . ورأيت في كثير من الكتب بدل (صلم) حرفي «ع» بمعنى
عليه السلام كما يختصرون جملة «رحمه الله» بحرفي (رح) وجملة «رضي الله عنه»
بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة فهم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف
ي فهم منها المراد لما اختلف العقلاء في الملل بهذا الاختصار ولكن هذا لا يتأتى الا في
بعض الجمل التي يكثر استعمالها . وقد اخترع الناس طريقة لاختزال الخطط لأجل
تقل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من الفوائد وهي خاصة بمن يتصدون
لذلك كحرفي الجرائد

دعوة المنار الى الانتقاد عليه

انا ندعو في هذه الخاتمة الى مثل ما دعونا اليه في فاتحة هذا المجلد من الانتقاد
على المنار ولكننا لا نقبل تقدا مبنا على ما يتقوله بعض الناس على المنار، ولا نقدا يخرج
فيه المتقد عن موضوع ما ينتقده من فقره ، وإنما يقبل الانتقاد على فقرة تنقل بنصها
من المنار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطاها

طلب الاشتراك وقيمه

لا تزال قيمة الاشتراك على اصلها فاننا لم نزلها وان كانت جميع الاشياء ازدادت
فلاء في هذا القطر . ولكن أمرا طالما نبهنا اليه ولا يزال الناس يذهبون عنه ذلك اننا صرحنا
مرارا بأن المنار لا يبعث به الا لمن يبعث بالقيمة سلفا ، وانا لا نقص من قيمة
اشتراك شيئا لأحدا ، ومع ذلك فان الناس لا يزالون يسألوننا ذلك ، فنحن نكرر
القول هنا كما كررناه مرارا بأن الادارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقا

هذا وانا ننتقم هذا المجلد بمثل ما افتحناه به من ذكر الله والشاء عليه عز وجل
ونسأل الله ان يلهمنا الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص ، وسلام على المرسلين ومن
تبهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

منشئ المنار ومحرره

محمد وشيد رضا الحسيني